أدلة اليقين

فى الرد على مطاعن المبشرين والملحدين

دكتور

محمد شوقى عبد الرحمن الجزيرى

دار الارشاد للطباعة والنشر

أدلة اليقين

فى الرد على مطاعن المبشرين والملحدين

دكتور
محمد شوقى عبد الرحمن الجزيرى

الطبعة الأولى
١٩٩٦م - ١٤١٦ هـ

دار الارشاد للطباعة والنشر

تقــــديم

الحمد لله رب العالمين وبه المعونة و منه التوفيق. قال الله تعالى وهو أصدق القائلين: «قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون»[1].

ذلك هو شأن الإسلام مع أهل الكتاب، فهو دائما يناديهم إلى سلوك أقرب الطرق للوصول إلى معرفة الإله الواحد، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. وذلك هو شعار المسلمين الدائم الذى لا ينفكون عنه فى كل زمان ومكان، فهم لا يطلبون من اليهود والنصارى إلا أنهم يتحدون معهم فى عبادة الله وحده فلا يشركون معه أحدا من خلقه وينزهونه عن الصحابة والولد وعن التركيب والتبعيض والحلول والاتحاد فليس الإله مركبا من أقانيم ثلاثة مجردة عن المواد ولم يتحد أحد هذه الأقانيم بجسد بشر كما يقول المسيحيون فإن كل ذلك ينافى مقام الألوهية كما ستعرفه بعد.

فالمسلمون يؤمنون إيمانًا جازمًا بأن الله واجب الوجود منزه عن كل مالا يليق به فليس كمثله شئ من خلقه وهو واحد لا شريك له، ويؤمنون بأن محمدا عبده ورسوله، بعثه الله رحمة للعالمين، وأنزل إليه كتابا هاديا لجميع البشر، وذلك هو دين القيمة، الذى يدين به المسلمون، ويدعون إليه أهل الكتاب الذين يقولون انهم يعبدون إلها واحدا وبعد:

فقد رأيت مؤلفات المبشرين المسيحيين التى يحاولون بها الدعاية لدينهم، محشوة بالمطاعن البذيئة على خير دين تذعن له العقول السليمة، وتخشع له القلوب، وهو دين الأسلام الذى قال الله فيه «ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه، وهو فى الآخرة من الخاسرين».

وإننى قد كنت أمر على هذه المطاعن بدون اكتراث ولا مبالاة، لأننى لم أظفر منهم برجل مفكر، أتى بنظريات تستحق العناية، أو تستفز عاقلا إلى البحث فيها والرد عليها، بل كل ما ذكروه من

---

(١) سورة آل عمران : الآية ٦٤ .

مطاعن فى ذلك الدين الحنيف هراء من القول، وسخافات تضحك من له أدنى المام بالنظريات العقلية والمباحث العلمية، على أن هذه المؤلفات قد طفت فى العهد الاخير طغيانا كبيرا، وخرج بعضها عن حدود الأدب فى جرأة تثير غضب الحليم .

فدفعنى ذلك إلى وضع كتاب جامع، أرد فيه على جميع مزاعم المبشرين، وأقارن فيه بين عقائدهم وعقائد المسلمين الصحيحة بعبارة سهلة، ليظهر الصبح لكل ذى عينين، ويتأكد المعاندون من صدق قول الله تعالي: (إنّ الدين عند الله الاسلام).

من أجل ذلك نظرت فى كتب المبشرين القديمة (١) والحديثة (٢) نظرة المتأمل الذى لا يريد إلا الحق بالبراهين الجازمة، التى تقرها العقول الإنسانية السليمة، وتطمئن لها قلوب الذين لا يتأثرون بتقليد من مضى من آبائهم الأولين الذين يقولون: إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون، فما وجدت فى هذه الكتب إلا مايدل دلالة قاطعة على أن دين الإسلام هو الدين الحق، الذى لا يرتاب فيه إلا الجاهلون، ولا يشك فى صدقه إلا المبطلون، وأن القرآن هو كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وأن ماعداه من الكتب السماوية قد امتدت إليها يد التحريف والتبديل، وكل ماذكر فى هذه الكتب من أدلة كان بحمد الله أدلة لنا لا علينا، فلم يحوجنى فى الرد عليها إلى ترتيب مقدمات بعيدة عنها، أو إلى الوقوف على معلومات زائدة، فهى وحدها حجة قائمة على أن الدين عند الله الإسلام .

وقد يدهش الإنسان عندما يتأمل فى نتيجة تفكير متعلمين فى هذا الباب، ولا يكاد يصدق أن هذا التفكير الذى يخالف قوانين العقل والمنطق إلى أبعد مدى، صادر عن أناس يعلمون أن للنظريات العقلية موازين، وأن لنتائج العقول حدودا تبين صحيحها من فاسدها .

ولكن الذى يعلم أن العقيدة لها سلطان عظيم على النفوس (سواء كانت صحيحة أم فاسدة) يدرك أن العقيدة الفاسدة تعمى وتصم، فتحجب أرباب العقول عن الوصول إلى الحق مهما كان واضحا، وتضل كثيرا من المفكرين عن طريق الرشاد مهما كان جليا، وقد تزين لبعض العقول ما يتنافى مع الحقائق العلمية الثابتة، والنظريات البديهية الواضحة، (كما ستعرفه فى مسألة التثليث وصلب الإله) وإنه لا يدهش من خلل نظريات المبشرين، ولايستغرب صدورها عن أناس متعلمين، على أن بعض المتعلمين قد تدفعهم ضرورة المهنة إلى أن يجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق، وهم يعلمون أنه باطل، ولكن مظاهر الحياة الدنيا ومتاعها يدفعهم إلى التشبث بالمحال، كل ذلك ستعرفه متصلا بالبرهان القاطع الذى لا ينكره إلا المكابرون، الذين يكتمون الحق وهم يعلمون.

---

(١) كتاب ميزان الحق تأليف القس فندروكتاب تذييل مقالة فى الإسلام تأليف قس مجهول .

(٢) كتاب استحالة تحريف الكتاب المقدس مهندس وهيب عزيز خليل والتثليث والتوحيد للبابا شنودة الثالث والله واحد فى ثالوث للقمص زكريا بطرس وغيرها .

وإنى أعاهد القراء، وأشهد الله على أننى لا أحيد عن البراهين العلمية قيد شعرة، ولا أخرج فى كتابتى عن حدود الأدب إلا حيث يخرجون على الله ورسوله، ومع ذلك سأغضى عن كثير من سفاهتهم، وأكل أمرهم إلى البراهين العقلية الجازمة، التى تظهرهم للناس فى مظهرهم الصحيح.

وإلى القراء ملخص ما يقولون:

يمكن تقسيم ادعاءاتهم وأقوالهم إلى الأقسام الآتية:

القسم الأول : عدم تحريف التوراة والإنجيل، وعدم نسخ شيء منهما، فلا الإنجيل ناسخ للتوراة، ولا القرآن ناسخ لشيء من التوراة والإنجيل، وكل ما فيهما وحى من الله تعالي، مهما كان مضادا للعقل ومنافيا لما يقتضيه نظام الله فى خلقه، ومهما كان مشتملا على نقائص فى الأنبياء من أحط ما يوصف بها السفلة الأدنياء ومهما كان مشتملا على أخطاء علمية وتاريخية صريحة، لا يمكن تأويلها.

وقد استدلوا على دعواهم الباطلة هذه بشهادة القرآن للتوراة والإنجيل، وبأن كلام الله لا يصح تبديله ولا نسخه، كما قال المسيح تزول السموات والارض، ولا يزول كلامي، وكما قال تعالي: **«لا تبديل لكلمات الله»**[1] إلى آخر ما ستعرفه مع ردّى.

القسم الثانى : قالوا إن التعاليم الصحيحة النافعة هى تعاليم الإنجيل، التى من بينها مسألة التثليث، وصلب الإله لتخليص العالم من الخطيئة، ولهم فى ذلك أدلة تضحك الثكلى، ستعرفها قريبا .

القسم الثالث : زعموا أن الكتاب المقدس (التوراة والأنجيل) لم يرد فيه شيء يدل على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، بل الإشارات التى فيه عن النبوة إنما هى تنطبق على عيسى عليه السلام .

القسم الرابع : هجموا على كتاب الله الكريم، وعلى رسوله الصادق الأمين هجوما جريئا، يدل على جهالة وسوء أدب لاحد لهما، وإنى أنصح القراء الكرام أن يطلعوا على ما كتبته فى هذا القسم من الرد على المبشرين بجد واهتمام ، فإنهم بذلك يظفرون بالدلائل الواضحة التى لا خفاء فيها، ويؤمنون بأن المبشرين قد بلغوا من الجهل بالقرآن الكريم وأسراره الحكيمة مبلغا مضحكا، وأنهم مع ذلك جهلة بكتبهم التى يقدسونها ، فان كل مطاعنهم التى يوجهونها إلى القرآن الكريم، وإلى خير الأنبياء والمرسلين، تتجه أولا وبالذات على ما يفهمونه عن توراتهم وإنجيلهم ، كما سنشرحه أوضح شرح، ونبينه أحسن بيان إن شاء الله تعالى .

---

(1) سورة يونس : الآية ٦٤ .

القســـم الأول
تحريف التوراة والإنجيل ونسخهما

رأى المسلمين فى التحريف . المسلمون يقولون أن الأيدى الأثيمة الجاهلة قد امتدت إلى التوراة والإنجيل، فحرفت كثيراً من أحكامهما، سواء كانت متعلقة بالعقائد أو بالعبادات أو المعاملات، وهذا الحكم باجماع المسلمين، فلم يشذ منهم أحد، لأن مصدر ذلك الإعتقاد هو نفس القرآن المتواتر الصحيح، فمن قال خلاف ذلك، فانه يكون مخالفا لصريح القرآن، فلا يقام له وزن .

رأى المسيحين فى التحريف . أما المسيحيون طبعًا فإنهم يقولون أنّ كل ما فى التوراة والإنجيل وحى من عند الله، فلا تحريف فى شىء منهما ولكن علماؤهم يسلمون بأغلاط كثيرة، وبتحريف فى بعض المواضع ستعرفه بعد .

ادلة المسيحيين على عدم التحريف والرد عليها إجمالاً :

من أهم الأدلة التى احتموا بها، من القرآن الكريم وتتلخص فى الآتى :

أولا : إن أسفار العهد القديم والجديد أى التوراة والزبور وأسفار الأنبياء والانجيل، ورسائل رسل المسيح، كانت جميعا منتشرة فى زمن صاحب القرآن بين اليهود والنصارى.

وهذه الدعوى لا يعنينا أمرها، لأنه لا فرق عندنا بين أن تكون الكتب الموجودة الآن فى أيدى المسيحيين من التوراة والإنجيل، هى بعينها التى كانت فى عهد نبينا عليه الصلاة والسلام أو غيرها، وإنما الذى يعنينا هو أن هذه الكتب ليست هى التوراة والإنجيل اللذين مدحهما القرآن الكريم .

وذلك لأن القرآن الكريم قد صرح بما يناقض كثيرا من أحكام هذه الكتب فى العقائد والمعاملات والعبادات مناقضة تامة، ووصف المتمسك بها بالكفر، فلا يعقل مع هذا الكلام أن يكون القرآن مادحًا لها فى هذه الحالة، وستعلم أمثلة ذلك قريبا .

والذى يمكننا أن نقره هو: أن التحريف قد عرض لهذه الكتب قبل عهد نبينا صلى الله عليه وسلم، ثم زاد بعد ذلك اسقاط بعض العبارات الدالة على التبشير برسالته صلى الله عليه وسلم .

ويقول المبشرون: إن تحريف هذه الكتب كان معروفا عند المسلمين فى الصدر الأول، فقد نقل عن البخارى أن حذيفة بن اليمان قال لعثمان: يا أمير المؤمنين تدارك المسلمين قبل أن يقع الإختلاف بينهم فى القرآن كما اختلف من قبلهم اليهود والنصارى فى كتبهم .

ثانيا : يقولون إن القرآن يقرر قطعيا أن هذه الأسفار موصى بها من الله أى منزلة من عنده وهذه الدعوى كاذبة قطعيا ، لأن القرآن لايقرر ما يخالفه فى قضاياه، وما يكذبه فى أحكامه بلا نزاع، وستعلم ما يخالف القرآن مخالفة ظاهرة .

ثالثا : يدعون أنه بينما يعظم القرآن نفسه إلى أعلى الدرجات، فانه يساوى بين نفسه وبين الأسفار المقدسة المتقدمة عليه .

وهذه الدعوى التى ادعاها المبشرون غير صحيحة فإنهم يريدون بذلك الأسفار الموجودة بين أيديهم الآن والقرآن انما يسوى بين نفسه وبين التوراة التى أنزلت على موسى حقا ، والإنجيل الذى أنزل على عيسى حقا ، لأن كلا منهما كلام الله بلا فرق وأما هما فقد امتدت الأيدى الأثيمة الجاهلة إلى تحريفهما.

رابعـا : يقولون إن القرآن يسمى الكتاب المقدس: كتاب الله، وكلام الله، والفرقان، والذكر ونورا وهدى ورحمة .

نعم: إن القرآن الكريم حقا يسمى التوراة التى أنزلت إلى موسى كلام الله، والإنجيل الذى أنزل إلى عيسى كلام الله، ولكن أين هما وقد عدت عليهما عوادى الزمان، وأدخل فيهما الجهلة المفسدون ما هو واضح البطلان؟

خامسـا : يقولون إن القرآن الكريم يأمر محمدا والمسلمين أن يرجعوا إلى الكتاب المقدس في تحقيق ما يرتابون فيه من أصول دينهم، ويحرض اليهود والنصارى أن يفعلوا مثل ذلك، واستدلالهم بآية «فإن كنت فى شك»[1] ... الخ . خطأ واضح، ستعرفه فى تفسير الآيات فى المبحث الذى بعد هذا .

سادسـا : يقولون إن القرآن الكريم يشير على اليهود أن يتخذوا التوراة حكما فيما هم فيه يختلفون، وهذه الدعوى صحيحة فى الأحكام التى توافق أحكام القرآن، لا فى الأحكام التى تخالفه، وذلك ظاهر، وسنفصله فى تفسير الآية التى يستدلون بها .

سـابعا : يقولون إن المسلمين مأمورون أن يؤمنوا بالكتاب المقدس، كما هم مؤمنون بالقرآن الكريم وذلك صحيح اذا كان موافقا لكتابهم، أما اذا كان مخالفا فلا يعقل أن يأمرهم بما يناقضه.

ثامنـا : إن الذين لا يؤمنون بالكتاب المقدس لهم عذاب عظيم فى الآخرة كمن لم يؤمنوا بالقرآن وهذه الدعوى صحيحة. ولكن أين التوراة والإنجيل اللذان نزلا على موسى وعيسى، وأخبر عنهما القرآن وكانت أحكامهما مطابقة لأحكامه؟

---

(١) سورة يونس : الآية ٩٤ .

والآيات التي استدل بها المبشرون على أن اليهود والنصارى أهل كتاب كثيرة، منها قوله تعالى: «ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم»[1] إلى قوله وأنتم تعلمون .

وقوله تعالى: «ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم، منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون»[2] .

وقوله: «وإنَّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم»[3] .

وهناك آيات أخرى كثيرة بهذا المعنى .

ويقول المبشرون: إنَّ هناك آيات كثيرة يسمى القرآن فيها اليهود والنصارى بأهل الكتاب، ولا شك أنه هو الذى كان وقتئذ موجودا بأيديهم .

ومنها قوله تعالي: «وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله»[4].

وقوله تعالي: «إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون»[5] ... الخ.

وقوله تعالي: «قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل اليكم من ربكم»[6] .

وفى سورة الأعراف يصرح بأن اليهود تلقوا الكتاب أى «التوراة» بالتوارث عن آبائهم حيث يقول: «فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب»[7]... إلخ.

طلب من محمد أن يسأل أهل الكتاب إن حصل عنده شك في القرآن ليتثبت وذلك فى قوله تعالى: «فإن كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك»[8] .

قال تعالى فى المسيح والانجيل: «وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه»[9] .

فضلا عن ذلك يخبر القرآن بأن من لا يقبل هذه الكتب ولا يؤمن بها سوف يعاقب فى الآخرة عقابا شديدا كما فى سورة غافر: «ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بنى أسرائيل الكتاب، هدى وذكرى لأولي الألباب»[10] . «الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا

---

(1) سورة آل عمران : الآيات ٦٩ ـ ٧١ .
(2) سورة آل عمران : الآية ١١٠ .
(3) سورة آل عمران : الآية ١٩٩ .
(4) سورة المائدة : الآية ٤٣ .
(5) سورة المائدة : الآية ٤٤ .
(6) سورة المائدة : الآية ٦٨ .
(7) سورة الأعراف : الآية ١٦٩ .
(8) سورة يونس : الآية ٩٤ .
(9) سورة المائدة : الآية ٤٦ .
(10) سورة غافر : الآيات (٥٣ ـ ٥٤) .

به رسلنا فسوف يعلمون، إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون، فى الحميم ثم فى النار يسجرون»[1] .

ولقد استدل المبشرون بما سبق على أنه حيث أن القرآن الكريم يقول كل ذلك فى الكتاب المقدس فالحاجة لا تسمح إلى اظهار الأدلة على صحة ذلك الكتاب، وأن هذه الآيات تدل على أن الكتاب المقدس الذى يمدحه القرآن الكريم هو بعينه الذى كان موجودا فى عصر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ما نفاه القرآن الكريم من عقائد المسيحيين :

قبل البدء فى تفسير الآيات القرآنية التى استدل بها المبشرون على مدح القرآن للتوراة والإنجيل يجب أن نذكر طائفة من الأمثلة التى نفاها القرآن صريحا من عقائد المسيحيين أو ذكرها على الوجه الصحيح، ليكون السبيل واضحا للجميع، من جميع الجهات.

قتل عيسى وصلبه . ذكر المبشرون أن أناجيلهم صريحة فى أن اليهود قتلوا عيسى وصلبوه، وبذلك صرح إنجيل مرقص فى الإصحاح السادس عشر ومرقص فى الإصحاح الثامن، ولوقا فى الإصحاح التاسع، وصرحوا بأن قتل المسيح وصلبه مذكور كذلك فى التوراة، ولكن القرآن قال بصريح العبارة «**وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم**»[2]. فكيف يكون القرآن معترفا بجميع ما فى التوراة والإنجيل مع هذا التصريح، وكيف يكون حفيظا لكل ما فى الديانة المسيحية، وهو صلب المسيح أو الإله لخلاص الأحباب، لا شك أن القرآن الكريم صرح بذلك للدلالة على التحريف الذى عرض للإنجيل الذى أنزل على عيسى، وهو لا يناقض حكما واحدا من أحكام القرآن، وما يناقضه فهو محرف كما يقول المسلمون .

إشتمال الإنجيل على تكذيب محمد . ورد فى رسالة بولس الرسول إلى غلاطيه ص ١ : ٨ **«ولكن ان بشرناكم نحن، أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناثيما»** ومعناها أنه اذا جاءكم أعظم عظيم، ولو ملاك من السماء، فبشركم بخلاف ما ورد فى الانجيل وادعى أنه مرسل من الله يكون ملعونا .

وقد بين القرآن بصريح العبارة ما يدل على فساد ذلك، وذلك فى قوله تعالى : **«الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل، يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم**

---

(١) سورة غافر : الآيات (٧٠ ، ٧١ ، ٧٢) .

(٢) لا عبرة مطلقاً لما يتمحل به بعضهم من أن الآية قد تفيد أن عيسى يمكن أن يكون هو المصلوب ولكن شبه لهم قتله فلم يمت حقيقة لأن ذلك خال واضح ينبو عنه سياق الآيات .

الخبائث»[1]. «فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به»[2].وقوله: «يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون»[3] .

ونحو ذلك من الآيات الدالة على أن التوراة والإنجيل كانت مشتملة على الإخبار برسالة سيدنا محمد بطريقة تفيد العلم اليقيني، وقد كان هذا الوصف موجودا فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، فلم تمتد إليه يد التحريف، ومن أجل ذلك ترى القرآن يحثهم على العمل بما فى التوراة والإنجيل من التصديق برسالة سيدنا محمد، والإيمان بأن القرآن من عند الله تعالى، ومتى علموا بذلك فانهم يظفرون بالتوراة والإنجيل اللذين أنزلا إلى موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام حقا، لأن كل الفضائل الموجودة فيهما قد اشتمل عليهما القرآن الكريم، وكل ما أصابهما من تحريف أو تغيير قد نبه عليه القرآن العظيم .

وبذلك يتضح للقارىء معانى الآيات التي ذكرها القرآن في التوراة والإنجيل، ويتجلى له معنى كون القرآن مهيمنا عليهما ـ أى حافظا لهما ـ لأن معنى ذلك أن القرآن قد محص الصحيح من الفاسد وقال: إن الصحيح هدى ونور، وأنا مصدق له ومشتمل عليه، ومن لم يعمل بالقرآن الذى اشتمل على ما فى التوراة والإنجيل، لا يكون عاملا بهما، ولا مقيما لهما، ولا يعقل فى فهم القرآن سوى ذلك، إذ لا يصح فى عقل مفكر أن يمدح الله الإنجيل فيقول إنه هدى ونور، وينصرف المدح إلى الإنجيل الذى يشتمل على هذه النظريات التى نفاها القرآن صريحا، وأظن أن ذلك واضح لا ريب فيه، فكيف يحتج بالقرآن على عدم تحريف التوراة والانجيل، وهو الذى قال بالتحريف صريحا .

قول المسيحيين إن الإله مركب من اقانيم ثلاثة . قالوا إن ذلك موجود فى الإنجيل الذى بين أيديهم، وسواء كان صحيحا أو فاسدا كما سنبينه فى مبحث الثالوث، فإنهم يقولون إن هذا الاعتقاد منصوص عليه فى الإنجيل، فلنمش معهم على ذلك، ونقول: إن القرآن الكريم قد قال بصريح العبارة: «لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة»[4] . وقال: «لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم»[5].

وذلك نفى صريح لقاعدة الثالوث من جميع جهاتها، لأنهم قالوا إن أقنوم الابن إله كامل من جميع الجهات، وقد تجسد فصار عيسى، فيكون عيسى إلها كاملا فارجع إلى ما سيأتى لك فى مبحث الثالوث من كتابنا هذا .

واذا كان القرآن يعتبر الذين يقولون بالثالوث كفارا كالوثنيين، وهم يقولون إن الثالوث مذكور

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٥٧ . (٢) سورة البقرة : الآية ٨٩ . (٣) سورة البقرة : الآية ١٤٦ .
(٤) سورة المائدة : الآية ٧٣ . (٥) سورة المائدة : الآية ٧٢ .

فى الإنجيل، فكيف يعقل أن يكون المدح منصرفا إلى الإنجيل الموجود فى أيديهم أليس من البديهى أن يكون المدح للانجيل الذى نزل إلى عيسى حقا، وهو منزه عن عقيدة الثالوث، فيكون ذكرها فيه تحريفا لا شك فيه، وكما أن القرآن نفى الثالوث، فقد نفى كون المسيح الها أبلغ نفى بقوله: **«وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله»**[1] . ونفى أيضا كونه إبن الله فقد قال تهكما بهم: **«وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا»**[2] .

قول المسيحيين أن الموتى يبعثون كملائكة ، ورد فى الإنجيل: (وجاء اليه قوم من الصدوقيين الذين يقولون ليس قيامة، وسألوه قائلين: يا معلم كتب لنا موسى إن مات لأحد أخ وترك امرأة، ولم يخلف أولادا أن يأخذ أخوه امرأته، ويقيم نسلا لأخيه، فكان سبعة إخوة، أخذ الأول امرأة ومات ولم يترك نسلا، فأخذها الثانى ومات ولم يترك هو أيضا نسلا، وهكذا الثالث، فأخذها السبعة، ولم يتركوا نسلا، وآخر الكل ماتت المرأة أيضا، ففى القيامة متى قاموا، لمن منهم تكون زوجة لأنها كانت زوجة للسبعة؟ فأجاب يسوع وقال لهم: أليس لهذا تضلون، إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله، لأنهم متى قاموا من الأموات لا يزوجون، ولا يتزوجون، بل يكونون كملائكة فى السموات) [3] ..الخ .

فهذا النص نسب إلى المسيح أنه قال: ان الذين يبعثون بعد موتهم يكونون كالملائكة، فلا يتزوجون ولا يزوجون وهذا يناقض نصوص القرآن الصريحة الكثيرة، فى أن أهل الجنة لهم أزواج، قال تعالي: **«ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون. هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون»**[4].

وقال تعالى: **«ولهم فيها أزواج مطهرة»**[5]. وقال تعالى: **«وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون»**[6] . وقال: **«فيهن خيرات حسان. فبأى آلاء ربكما تكذبان. حور مقصورات فى الخيام»**[7] .

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن نعيم الجنة كامل من جميع الوجوه التى تتصورها العقول البشرية، وانما قلنا ان ذلك يعتبره القرآن محرفا لا منسوخا، لأنه متعلق بخبر عن أمر غيبي، فالإنجيل الحالى يقول: لا زواج فى الجنة، والقرآن يقول بصريح العبارة فى غير موضع منه: بل فيه زواج، وذلك الزواج أوفى بكثير من زواج الدنيا، فكيف يكون القرآن مصدقا لهذا، وكيف يكون

---

(1) سورة المائدة : الآية ١١٦ .
(2) سورة التوبة : الآية ٣٠ .
(3) انجيل مرقص الإصحاح ١٢ عدد ١٨ ـ ٢٥ .
(4) سورة يس : الآيات ٥٥ ، ٥٦ .
(5) سورة البقرة : الآية ٢٥ .
(6) سورة الواقعة : الآيات ٢٢ ، ٢٣ .
(7) سورة الرحمن : الآيات ٧٠ ، ٧٢ .

حافظا له: إن كل عاقل لا يسعه الا أن يجزم بأن القرآن يعتبر القول بعدم الزواج فى الجنة كذبا لم يقله عيسى. وإذا أردت أن تقارن بين الحكمين لتعلم أيهما الصواب، فانه يمكنك أن تنظر إلى سنن الله فى خلقه، فانك ترى أنه سبحانه قد أوجد فى الإنسان قوة يدرك بها اللذات فى هذه الحياة الدنيا، ورغبة فى الأعمال الصالحات، وحذره من طغيان هذه اللذات والخروج عن دائرة النافع منها، ووعد الطائعين بأن يثيبهم على ذلك، وينعمهم فى الآخرة من هذه اللذات بما لا يخطر لهم على بال، فمن المعقول فى هذه الحالة ألا يحرمهم فى الدار الآخرة من نعيم لذة الزواج، وهى أكبر لذة مرتكزة فى طبيعة النوع الانساني، وأيضا الذين يتصورون فيهم أن يكونون كالملائكة إنما هم الصالحون الذين يدخلون الجنة، أما الفاسقون والكافرون، فانه لا يصح أن يكونوا كالملائكة قطعا، فماذا يكون حال هؤلاء، هل يبعثون كالانسان، فيتزوجون ويزوجون أو يكونوا كالملائكة، فلا يكون فرق فى المسيحية بين المؤمن والكافر، والصالح والطالح، لا شك أن ذلك مما وصلت اليه يد التحريف، وكان المحرف جاهلا لا يعرف طبائع الأشياء.

وقد ورد فى الحديث الذى رواه الطبرانى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأم سلمة: (إن نساء الدنيا أفضل من الحور العين، كفضل الظهارة على البطانة) وقد سألته ذلك السؤال الذى سأله الصدوقيون للمسيح بعينه كما يزعمون فقالت يا رسول الله المرأة منا تتزوج الزوجين، والثلاثة والأربعة فى الدنيا، ثم تموت، فتدخل الجنة، ويدخلون معها، من يكون زوجها منهم ؟ قال: (يا أم سلمة، إنها تخير فتختار أحسنهم خلقا، فتقول أى رب إن هذا كان أحسنهم معى خلقا فى دار الدنيا فزوجنيه، يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخيرى الدنيا والآخرة).

وذلك الجواب هو المطابق للعقل قطعا، لأن الموت يوجب الفرقة بين المرأة وزوجها ويجعلها صاحبة الحق فى أن تتزوج من غيره، فلا سبيل له عليها، ثم بعد الموت ترجع اليه باختيارها كما هو الحال فى الدنيا، فان المرأة التى تفارق زوجها وتتزوج غيره، تنقطع بينها وبين الأول الصلة بلا نزاع.

حكم الطلاق عند المسيحيين والمسلمين. ورد فى الإنجيل حكم يخالف نص القرآن على خط مستقيم، وهو قوله: (وقيل من طلق امرأته فليعطها ورقة طلاق وأقول لكم أن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزنى، والذى يتزوج بمطلقة يزنى).

ولا ريب فى أن هذا الحكم يخالف قول الله تعالى: **«الطلاق مرتان: فامساك بمعروف أو تسريح بإحسان»**[1].

(١) سورة البقرة: الآية ٢٢٩.

وقوله تعالى: «يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن»[1] .

ولكن لا يلزم من مخالفة هذا الحكم لما في القرآن أن يكون محرفا ، و انما يستلزم لا محالة ان يكون منسوخا ، و معنى كونه منسوخا : ان العمل به قد يكون موجودا في زمن عيسى وقد انتهى ذلك الزمن، واقتضت حكمة الله ان يشرع الطلاق لعباده، لما يترتب عليه من المصالح، فالطلاق: ما شرع في الاسلام الا لمصالح ضرورية يقتضيها نظام المجتمع الإنساني، وتتطلبها ضرورة العمران، منها : إن علاقة الزوجيه لم يخلقها الله تعالى الا لما يترتب عليها من تأكيد الموده والرحمه بين الزوجين ، ليعيشا في هذه الدنيا عيشة راضية مرضية، ويعملا علي تكوين أسرة صالحة تفيد المجتمع الانساني، وبديهي أن هذه العلاقة قد تنقلب بين الزوجين في بعض الأحيان، فيحل الحقد والبغضاء محل المودة والرحمة، لأسباب يتعذر علاجها بكل الوسائل الممكنة، فماذا يكون الحال في مثل هذه القضية وهي كثيرة الوقوع بين الناس؟.

هل من المصلحة الإنسانية أن يظل هذان الزوجان محكوما عليهما بالشقاء الدائم طوال حياتهما ، أو من المصلحة أن يتفرقا ليستريحا ويريحا غيرهما من ذرية ترزح تحت أثقال ذلك الشقاء، وتنتقل أخلاق والديهما اليها ، لاريب في أن كل عاقل يقول: إن المصلحة تقضي بالتفرقة بين هذين الزوجين، بل بين العدوين اللدودين.

ومنها عجز الزوج عن إتيان زوجه بسبب مرض ألم به، كعنة مثلا وامرأته شابة لا يمكنها الصبر عن الرجال، وهو يعلم منها ذلك، فهل من المصلحة في هذه الحالة أن تبقى على عصمته، وهي معذبة معرضة للفساد والخيانة، أو المصلحة طلاقها لتتزوج غيره فتعف نفسها ؟ لا شك أن المصلحة تقضي بالطلاق .

ومنها أن يحكم على الزوج بالسجن مدة طويلة، وهو زوج لشابة لا تستطيع الصبر عن الرجال، فهل يجب أن تعذب هذه المسكينة طول حياتها ، أو من المصلحة الانسانية أن تطلق لتذهب إلى من يقوم بحاجاتها ؟

ومنها أن يعجز الرجل عن الانفاق، وتحته امرأة جميلة تعودت الانفاق الكثير، وهو يعلم أن بقاءه معها مفسد لاخلاقها ، ومضيع لشرفها وعفافها ، فضلا عن كونه مضيعا لكرامته، فهل من المصلحة أن يمسكها ويظل ديوثا ، وتأتي بذرية تفسد المجتمع؟

وذلك بعض المصالح التي نظر اليها الشرع الإسلامي في إباحة الطلاق، وفيما عدا ذلك فقد نهى عنه، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق»[2] .

---

(١) سورة الطلاق : آية ١ .

(٢) رواه أبو داود ، وابن ماجه ، والحاكم عن عبدالله بن عمر .

النجس في المسيحية. ورد في الأنجيل ما نصه: (ثم دعا الجميع، وقال لهم: اسمعوا مني كلكم، وافهموا ليس شيء من خارج الإنسان إذا دخل فيه يقدر ان ينجسه، لكن الأشياء التي تخرج منه هي التي تنجس الإنسان) [1].

وقد فسر ذلك بأن النجس هو الأفكار الشريرة، كالزنا، والفسق، والقتل، والسرقة، والطمع، والخبث، والمنكر .... الخ فهذا هو الذي ينجس، كما صرح بذلك في نفس ذلك الإصحاح.

أما الأطعمة كلها والأشربة المنفصلة عن الإنسان، فإنها لاتنجسه، فالقاعدة أن النجس في المسيحية هو الشر المتصل بالإنسان الذي ينشأ عن شهوته، أما الأشياء المنفصلة عنه إذا أكلها أو شربها فانها لا تنجسه، وعلى ذلك فيحل له أكل الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به، وأن يشرب الخمر الخ لأنها كلها ليست بنجسة عندهم، وقد صرح بذلك بولس في رسالته إلى أهل رومية ورسالته إلى تيطوس، ونص عبارته في الأولى (إني عالم ومتيقن في الرب يسوع أن ليس شيء نجسا بذاته، إلا من يحسب شيئًا نجسًا، فله هو نجس، فإن كان أخوك بسبب طعامك يحزن، فلست تسلك بعد حب المحبة لا تهلك بطعامك ذلك الذي مات المسيح لأجله، فلا يفتر على صلاحكم، لأن ليس ملكوت الله أكلا وشربا بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس) ثم قال (كل الأشياء طاهرة لكنه شر للانسان الذي يأكل بعثرة) [2] .

يريد أن يقول: لا تغضب إخوانك بسبب الطعام أو الشراب، بل وافقهم على الأكل من كل ما يقدمونه لك، من: لحم خنزير، أو ميتة، أو دم، أو خمر، أو غير ذلك ولا تضيع مودتهم التي مات من اجلها المسيح .

ونص عبارته الى تيطوس قل لهم: (لا يصغون الى خرافات يهودية، ووصايا أناس مرتدين عن الحق، كل شيء طاهر للطاهرين، وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شيئا طاهرا) . فهذه إباحة عامة في شهوات البطون .

ومن المستظرف في هذا المقام: أن يوحنا في الإصحاح الثاني، قد نسب إلى المسيح معجزة في الخمر، فقال: انه قد دعي إلى فرح هو وأمه وتلاميذه، فقالت له أمه : إن أصحاب العرس قد فرغ خمرهم فأمر الخدم أن يملئوا ستة اجران (ازيار) فملأوها ماء فقلبها عيسى لهم خمرا جيدا، فشربوا وطربوا .... إلخ .

---

(١) انجيل مرقص إصحاح ٧ عدد ١٤ .
(٢) رسالة بولس إلى أهل رومية : الإصحاح ١٤ عدد ١٤ ـ ٨ .

وهذا كله ينافى قول الله تعالى: «حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم، وما ذبح على النصب»(١) .

وقوله تعالى: «ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه»(٢) .

فالله حرم هذه الأشياء إلا على المضطر لحفظ حياته، وجعلها نجسة نجاسة مغلظة. فأما الميتة والدم المسفوح، ولحم الخنزير، فهى معروفة، وأما ما أهل لغير الله به، فهو المذبوح باسم الأصنام، وذلك لأنهم كانوا يرفعون أصواتهم بذكر الصنم عند ذبح القرابين، فيقولون (باسم اللات والعزى مثلا)، والمنخنقة هى التى تموت بالخنق، كالطائر الذى يموت بخنق شبكة الصيد، و (المتردية) التى تردت فى حفرة، أو سقطت من علو فماتت والنطيحة هى التى نطحتها أخرى فماتت، وما أكل السبع (بعضه فمات بذلك) فإذا أدرك الحيوان وفيه حياة مستقرة وذبح فإن أكله يحل، سواء كان منخنقة أو موقوذة أو غيرهما، والنصب حجارة منصوبة حول البيت كانوا يذبحون عليها الأصنام، فحرم الاسلام ما يذبح عليها، وإنما حرم الله عبادة هذه الأشياء لأن بعضها يذبح لغير الله الخالق ، وذلك فسق يوجب تحريم الذبيحة على المؤمنين، وبعضها من الخبائث الضارة بالأبدان، فأما لحم الخنزير، فإنه يشتمل على ديدان ضارة، لا تموت بدرجة الغليان، كما علمت من المتخصصين الإختصاصيين، وما يقال من أنه قد لا يضر بالنسبة لبعض الأزمنة والأمكنة، فانه على فرض صحة ذلك لا يبرر حله، إذ يكفى فى التحريم أن يكون فيه ضرر محتمل إحتمالاً قريبا، والشريعة الإسلامية تنهى الناس عن استعمال كل ما فيه ضرر، ولنا فى اللحوم الطيبة النقية غنى عن هذا الذى قد يصيبنا منه ضرر.

أما الميتة وما بعدها فإن الله حرمها لما فيها من المضرة بسبب تسمم دم الحيوان الذى لم يذبح ذبحا صحيا، وكل ذلك حرصا على صحة أبدان الناس، فالتكاليف الإسلامية كلها أساسها جلب المصلحة ودرء المفسدة ، فهى صالحة للناس جميعا: ماديا، وأدبيا لأنها من عند الله العليم بطبائع خلقه، فليست بقول فرد من الناس يهرف بما لا يعرف.

وأما الخمر فمما لا شك فيه أن القول بحله جريمة من الجرائم لأنه ضار بالعقول، ضار بالأبدان، ضار بالأخلاق، ضار بالمجتمع الإنسانى، فمن العار أن يقال: إن دينا من الأديان أحله، ومن الأسف أن «بولس» فى الإصحاح الأول من رسالته إلى تيموثاوس يقول له: لا تشرب ماء، واشرب خمرا قليلا، لأنه يشفيك من الأسقام الكثيرة ويصلح معدتك، ثم يقولون بعد ذلك : إن هذا وحى من عند الله. فالله حسبهم وكفى.

---

(١) سورة المائدة : الآية ٣ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٩٠ .

الأغنياء لا يدخلون إلى ملكوت السموات. ورد فى الإنجيل ما نصه: (قال له الشاب هذه كلها حفظتها منذ حداثتى فماذا يعوزنى بعد) ؟ . قال له يسوع إن أردت أن تكون كاملا، فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء، فيكون لك كنز فى السماء، وتعال اتبعنى، فلما سمع الشاب الكلمة مضى حزينا، لأنه كان ذا أموال كثيرة، فقال يسوع لتلاميذه: الحق أقول لكم: أنه يعسر أن يدخل غنى إلى ملكوت السموات، وأقول لكم أيضا: إن مرور جمل من ثقب أبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله) [1] .

وهذا يخالفه قول الله تعالى: «والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا، وكان بين ذلك قواما»[2] .

وقوله تعالى: «إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا»[3] «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا»[4] .

أما قوله تعالى: «والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم»[5] .

فإن معناها أنه من لا يخرج من المسلمين زكاتها المفروضة على المسلمين بقوله تعالى: «والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم»[6].. فإنه يعذب.

وقد وردت أحاديث كثيرة فى الصحيح تحث الناس على الإقتصاد وعدم التبذير، وتأمرهم بأداء المقادير المفروضة عليهم فى أموالهم، وقد بينتها الشريعة الإسلامية فى مواضعها أحسن بيان .

وليقارن أرباب الأموال فى أوروبا المسيحية بين الرأيين، لينظروا أيهما أقرب إلى النظم الإجتماعية، وأليق بمصلحة بنى الإنسان، ولا أدرى ما ذنب الغنى الذى ينفق بعض ماله فى سبيل الخير حتى يحرم من ملكوت الله، مع أن الشريعة الإسلامية قد جعلت للأغنياء الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله أجرا عظيما ومدحتهم مدحا كبيرا، حتى ظن بعض الفقراء أن الأغنياء قد فازوا عليهم فى الآخرة أيضا. فقال بعضهم للنبى صلى الله عليه وسلم: ذهب أهل الدثور بالأجور، أى ذهب أهل الأموال بالأجر، فأفهمهم النبى صلى الله عيه وسلم أن كل من يعمل صالحا لابد ينال أجره، وأن الصابرين من الفقراء لهم أجر عظيم لا ينقص منه شىء.

---

(١) إنجيل متى : إصحاح ١٩ عدد ٢٠ ـ ٢٤ .
(٢) سورة الفرقان : الآية ٦٧ .
(٣) سورة الإسراء : الآية ٢٧ .
(٤) سورة الإسراء : الآية ٢٩ .
(٥) سورة التوبة : الآية ٣٤ .
(٦) سورة المعارج : الآيات ٢٤ ، ٢٥ .

وقد مدح النبى صلى الله عليه وسلم العاملين فى حياتهم الدنيا، وذم الكسالى فى كثير من الأحاديث، وذلك هو مقتضى النظم الإجتماعية التى بنى عليها أساس العمران.

أما الخروج من الأموال كلها، فذلك يناسب الإشتراكية المتطرفة التى هى عنوان الفوضى والخراب فى كل زمان ومكان .

ومن المضحك أن يقول المبشرون عن الآية ٤٠ التى فى سورة الأعراف **«إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لاتفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط»** مقتبسة من الإنجيل، كما فى بشارة متى ... الخ .

وإنما كان قولهم هذا مضحكا، لأنك إذا عرضت العبارتين على صبى صغير، لا يسعه إلا أن يجزم بالفرق العظيم بين العبارتين، لأن عبارة متى «لا يدخل غنى الجنة» .

أما القرآن فإنه يقول: **«إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها»** فكيف يكون القرآن مقتبسا » ؟

نعم يصح أن يقال: إن القرآن قد أشار الى تحريف هذه الجملة، فإنه يصح أن يكون عيسى قد نطق بها، كما قال الله فى القرآن، ولكنهم حرفوها فزادوا عليها مسألة الشاب الذى سأل، وقلبوها من عظة للمستكبرين إلى تهديد للأغنياء مهما كانوا صالحين، جهلا وغباوة .

المسائل التى يقرها القرآن الكريم من عقائد المسيحيين :

كل صفات التنزيه التى وردت فى التوراة والإنجيل، ككون الله واجب الوجود، عالما، قادرا، حكيما، بصيرا.. إلخ، على أن المسيحيين قد فهموها على نحو يستحيل على الله سبحانه وتعالى، وهذا ما سنبينه لك فى مبحث الصفات .

ماورد فى الإصحاح الخامس من انجيل «متى» وهو قوله: «طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السموات، طوبى للحزانى، لأنهم يعزون، طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض، طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون، طوبى للرحماء لأنهم يرحمون. طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله. طوبى لصانعى السلام» .

وهذه العبارات يقرها القرآن الكريم، وقد عبر عنها فى كثير من المواضع بعبارات معجزة، تدل على أنها من عند الله حقا .

فأما قوله «طوبى للمساكين بالروح» الخ، فإنه وان كان فى أسلوبه ضعف ظاهر، يكاد يبدو أنه ذما لا مدحا، لأن الروح المسكينة قد لا تقوى على أداء وظيفتها، من مصارعة قوة الشهوة أو الغضب، ولكن يمكن حمله على الخضوع لله تعالى، فمسكنة الروح عبارة عن ذلها، وخضوعها لخالقها، ويكون الغرض من ذلك، النهى عن الكبرياء على الله تعالى ، أو على خلق الله تعالى،

والحث على التواضع لله العلى العظيم، والتواضع للناس فى غير مهانة ونقيصة، وهذا المعنى قد وردت فيه آيات كثيرة فى القرآن الكريم، منها: «**إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين**»[1]. ومنها قوله تعالى: «**ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا**»[2]. ومنها: «**إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا**»[3].

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذم الكبر والفخر والخيلاء، والآيات الدالة على مدح الخوف من الله والخضوع له، وأما قوله «طوبى للحزانى» (وهنا أرجو حضرات القراء أن يغضوا النظر عما أنقله لهم ملحونا لأن حزينا لا يجمع على حزانى، وإنما يجمع على حزان وحزناء لأننى أنقل لهم النص المترجم فى أناجيلهم) ومعنى هذه العبارة أن الذى يحزن قلبه من الخوف من ربه يكون له ثواب عظيم، ولكن أين هذه العبارة من قوله تعالى: «**إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون**»[4].

وأين هى من قوله تعالى: «**إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون. والذين هم بربهم لا يشركون، والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون . أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون**»[5] .

وأمثال هذه الدرر الغوالى كثير فى كلام الله تعالى وأما الودعاء فهم مساكين الروح بلا فرق لأن معنى الدعة المقصود هنا هو الخفض والغرض خفض الناس تواضعا لله تعالى .

وأما قوله طوبى للعطاش والجياع إلى البر فإن معناه: أن الذين يعملون البر والخير رغبة فيه كرغبة العطشان إلى الماء والجائع فى الطعام فإن له أجرا عظيما .

وهذا المعنى قد عبر عنه القرآن الكريم بالمسارعة إلى الخير والسبق إليه كما فى قوله تعالى: «**أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون**»[6] وقوله تعالى: «**فاستبقوا الخيرات، إلى الله مرجعكم جميعا**»[7] وقوله تعالى فى مدح بعض الأنبياء: «**إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين**»[8] .

---

(1) سورة الأعراف : الآية ١٢٨ .
(2) سورة الإسراء : الآية ٣٧ .
(3) سورة النساء : الآية ٣٦ .
(4) سورة الأنفال : الآية ٢ .
(5) سورة المؤمنون : الآية ٥٧ ـ ٦١ .
(6) سورة المؤمنون : الآية ٦١ .
(7) سورة المائدة : الآية ٤٨ .
(8) سورة الأنبياء : الآية ٩٠ .

فحب البر والحث عليه من أول مقاصد القرآن الكريم، ولكن عبارته تنفذ الى القلوب فتملكها من جميع نواحيها، وتدخل إلى العقول السليمة من كل باب، فلا يسعها إلا الاذعان والخضوع لما فيها من آيات باهرة، وحكم ساحرة، ومعان سامية تذعن لعظمتها عقول أولى الألباب، ولا عجب فإنه من لدن حكيم عليم، قاهر فوق عباده .

وأما قوله: «طوبى للرحماء» فمعناه الترغيب فى التراحم بين الناس. ولكن القرآن الكريم أمر به بصيغة جازمة فى قوله تعالى: **«إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى»**[1] . فهذه الآية الجامعة نصت على أن الله سبحانه قد أمر عباده بالإحسان، والإحسان هو المقصود من الرحمة، لأن معنى الإحسان هو: أن يفعل الانسان الواجب عليه مع الناس، ويزيد عليه فضلا منه وكرما، على أن كل الوصايا النافعة التى لا تزال باقية فى التوراة والإنجيل تغنى عنها كلها هذه الآية وحدها، فإنها قد اشتملت على الأمر لكل الفضائل، والنهى عن كل الرذائل فى إيجاز بليغ وسهولة فى العبارة، وجمال فى الأسلوب، وعذوبة فى الألفاظ، وحلاوة فى التركيب وعظمة فى المعانى، فلا تذر العقل السليم إلا وهو مؤمن حقا أنها من عند الله القادر الذى لايعجزه شيء، على أن الرحمة بين الناس مظهر من مظاهر الإسلام فى كل قواعده، وقد ورد فى السنة الصحيحة كثير من الأحاديث الصريحة فى الحث على التراحم، منها قوله صلى الله عليه وسلم: **«من لا يرحم لا يرحم»**[2]. **«الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء»**[3]. إلى غير ذلك من الأحاديث. وأما نشر السلام بين الناس والحث عليه، والنهى عن العدوان، فهو من المقاصد العظمى فى نظر الإسلام .

فالسلم فى نظر الاسلام هو الأصل الذى يجب اتباعه دائما مالم يهدد الدين والعرض والنفس والمال، عند ذلك يجب على المسلمين أن يذودوا عن شرفهم، وأن يكفوا عنهم أعداءهم، فليس القتال من طبيعة الإسلام كما يظن بعض الجهلة بمعنى آيات القرآن، وإنما هو مشروع للدفاع عن الدين والشرف، يرشدك إلى ذلك قول الله تعالى: **«أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا»**[4] .

فإن القتال لو كان من طبيعة الإسلام لما احتاج المسلمون إلى الإذن به، وما أذن الله لهم به إلا لأنهم ظلموا بالاعتداء على دينهم، وعلى كرامتهم، ولا ريب أن الصبر على النيل من الدين والكرامة جبن واضح، لا نتيجة له إلا الفناء وذهاب الأمة التى تصاب به على بكرة أبيها. ولعمر أبيك لو أن المسلمين إستمسكوا بقواعد دينهم الأساسية وأعدوا لأعدائهم ما استطاعوا من قوة من

(1) سورة النحل: الآية ٩٠ .

(٢ ، ٣) رواهما الشيخان ، وابو دأود ، والترمذى ، والحاكم عن عبدالله بن عمر وابن العاص .

(٤) سورة الحج : الآية ٣٩ .

غير أن يعتدوا على أحد لظل سلطانهم محفوظا وبقى مجدهم قائما. وليس أبلغ فى الحث على طلب السلام من قول الله تعالى: **«وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين»**[1] فهو فى مقام القتال الذى يستعمل فيه أشد وسائل الإنتقام من الأعداء. فينهاهم الله عن الإعتداء ويطلب اليهم أن يستعملوا ما شرعه الله لهم من الدفاع عن أنفسهم بدون زيادة مع أن خصومهم هم المهاجمون كما هو صريح الآية. وقال تعالى: **«وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله»**[2].

ولكن الأمم التى تدين بالإنجيل المشتمل على قول: (طوبى لصانعى السلام) قد أخذوا بتعاليم القرآن الكريم، وعملوا بقول الله تعالى: **«وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة»**[3]. وطفقوا يهوشون على المسلمين بقولهم: إن المسيحية دين السلام، والإسلام دين القتال والنضال، حتى صرفوهم عن الأخذ بنصائح دينهم الحكيمة، وحولوهم عن تعاليمه الضرورية للمجتمع الإنسانى، وبذلك انعكست النظرية وأصبحت القوة فى يد الأمم المسيحية، بعد أن كانت فى أيدى المسلمين، فإذا شئت أن تحتج عليهم بقول الإنجيل «طوبى لصانعى السلام» سخروا منك، وقالوا لك: ان السلام لا يتحقق إلا بوجود القوة، وذلك اعتراف بأن الإسلام هو دين عملى، مصدره الإله العليم بطبائع خلقه، وأن محبة السلام والحث عليه لا ينافى الإستعداد للدفاع عن العرض والنفس والدين والمال، وذلك هو القتال فى سبيل الله، وكل أمة لا تقوم به، تكون مهانة ذليلة، توشك أن تنقرض وتفنى.

وبذلك يتضح معنى قول الله تعالى: **«فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون»**[4]. فإن معناها لا تدعوا إلى صلح فيه مهانة لكم وإذلال يخل بكرامتكم وشرفكم، لأن ذلك يفضى إلى طمع عدوكم فيكم، ويشجعه على مهاجمتكم كلما وجد الى ذلك سبيلا، فآية الأنفال تحث على الصلح الشريف بينما هذه الآية تنهى عن الصلح المذل المهين.

فالدين الإسلامى يقر الصفات الفاضلة الموجودة فى الإنجيل، على أنه يدخل عليها ما تقتضيه حالة الأمم التى بعث إليها محمد رسول الله، وهو مبعوث للناس كافة إلىٰ يوم القيامة، فلهذا لم يقتصر على قوله **«ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين»** الآية ولا على قوله: **«وإن جنحوا للسلم فاجنح لها»** الآية: بل قال **«واعدوا لهم ما استطعتم من قوة»**. فان حب السلم والرغبة فيه إنما يكون نافعا إذا تحقق بين الناس جميعا.

أما إذا وجد بين الناس المجرم الذى تدفعه شهواته إلى الإعتداء على العرض والمال والدين، فيجب أن يجد أمامه القوة التى تصده عن ذلك الإعتداء، وتوقفه عند الحد الذى أمر الله به عباده أن

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٠.
(٢) سورة الأنفال: الآية ٦١.
(٣) سورة الأنفال: الآية ٦٠.
(٤) سورة محمد: الآية ٣٥.

يقفوا عنده، وذلك لازم ضرورى فى العالم، وهو الواقع فعلا، فلو لم يأت به الدين لكان ناقصا، ولم يكن له وجه فى كونه دينا عاما يجب على الناس جميعا أن يدينوا به .

ومن الوصايا الموجودة فى الإنجيل، وجاء بها الإسلام على الوجه الصحيح ما ورد فى الإصحاح السادس من إنجيل «متى» وهو: «احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس، لكى ينظروكم، وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السموات» إلى أن قال فى عدد ٣ من هذا الإصحاح: «وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ماتفعل يمينك، لكى تكون صدقتك فى الخفاء» ولا ريب فى أن ما جاء به القرآن فى موضوع الصدقة هو المناسب لأحوال الناس وحاجاتهم، وذلك لأنه قد يكون فى إعلان الصدقة حث للأشحة، وتنبيه للغافلين، وقد يكون فى إعلانها تسهيل لبذلها، فإن الفقير قد يسأل الغنى علانية، فيخجل الغنى من غيره، ويبذل الصدقة، أما إذا كان الإخفاء مأمورا به فإنه يرتكز عليه، ويقول له: لا أعطيك حتى أكون معك فى خلوة، وما هو بمعطيه شيئا، ولكن الإسلام ينهى المتصدق عن أمرين:

الأمر الأول : أن يؤذى الفقير بأن يمن عليه، أو يغلظ له فى القول، أو يزجره، أو نحو ذلك .

الأمر الثانى : أن يتصدق رئاء الناس .

وإلى هذين الأمرين أشار الله تعالى بقوله: **«يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ، كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر»**[1] .

نعم يمكن تأويل عبارة الإنجيل بتعسف شديد بهذا المعنى ، وعلى هذا لا يكون فرق بينها وبين مافى القرآن .

وقد ورد فى الحديث الصحيح حث على إخفاء الصدقة ، ولكن محمول على ما إذا لم تكن هناك حاجة إلى إعلانها فلذلك حث على إخفائها ، وظاهره أن الصدقة العلانية لا تجوز، ولكن القرآن الكريم قال: **«إن تبدوا الصدقات فنعما هى، وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم»**[2] .

ومن وصايا الإنجيل التى جاء بها الإسلام على وجه صحيح، ما جاء فى الإصحاح السادس من إنجيل «متى» عدد ٥ «ومتى صليت فلا تكن كالمرائين، فإنهم يحبون أن يصلوا قائمين فى المجامع، وفى زوايا الشوارع لكى يظهروا للناس، الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم، وأما أنت فمتى صليت فادخل إلى مخدعك، وأغلق بابك، وصل إلى أبيك الذى فى الخفاء» .

وظاهر هذه الوصية: النهى عن الصلاة علانية فى المجامع، وأن الذى يفعل ذلك ليس له أجر مدخر، وإنما قلنا ذلك لأنه أمر الذى يريد الصلاة أن يدخل إلى مخدعه، ويغلق الباب عليه، ولا معنى

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٦٤ .
(٢) سورة البقرة : الآية ٢٧١ .

لهذا الحث على الصلاة فى الخفاء على الإنفراد، ولكن الدين الإسلامى يأمر الناس بأن يصلوا الفريضة متى حل وقتها فى أى مكان كان، سواء كان رأس شارع، أو مجمع ناس، قال تعالى: **«إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا»**[1] . وقال صلى الله عليه وسلم **«جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا»**[2] .

وقد أباح الدين الإسلامى إعلان الصلاة فى الشوارع والمنتديات، وفى كل مكان، بشرط ألا يكون المصلى مرائيا فى صلاته، فإن من يصلى رئاء الناس فله جزاء شديد، كما قال تعالى: **«فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون»**[3] . وإنما أباح الشارع الإسلامى اعلان الصلاة لأغراض دينية شريفة، منها: الحث على أداء العبادة، وتسهيل أدائها فى أوقاتها، خصوصا مع الجماعة، لأن فى الإجتماع على العبادة فوائد شتى، فإنه يترتب عليه تأكد المودة بين المجتمعين، والتراحم الذى يتولد من اجتماع الناس فى مكان واحد لعبادة رب واحد، وغير ذلك مما هو مقرر فى موضعه .

على أننى لا أدرى كيف يوفق رؤساء الكنائس بين هذا النص، وهو الأمر بالصلاة فى الخفاء، وبين مايفعلونه فى كنائسهم من المظاهرات فى العبادة، وما يترنمون به من الأناشيد التى تحدث جلبة وضوضاء ليس وراءهما من إعلان، نعم قد يقولون إنهم لايفعلون ذلك إلا فى الكنائس، فلا يصلون فى زوايا الشوارع، ولا فى مجامع الناس، ولكن النص ينهى عن الإعلان مطلقا، ومايفعلون فى الكنائس إعلان لا مزيد عليه، على أنك قد عرفت أنهم ابتدعوا أساليب للصلاة من تلقاء أنفسهم، بقطع النظر عن إنجيلهم، وكل ما ورد فى أناجيلهم من الصلاة إنما هو دعاء فقط، ففى الإصحاح الحادى عشر من إنجيل «لوقا» ما نصه (قال واحد من التلاميذ يارب علمنا أن نصلى كما علم يوحنا أيضا تلاميذه، فقال لهم: متى صليتم فقولوا أبانا الذى فى السموات، ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك، كما فى السماء كذلك على الأرض، خبزنا كفافنا، أعطنا كل يوم واغفر لنا خطايانا، لأننا نحن أيضا نغفر لكل من يذنب الينا ولا تدخلنا فى تجربة، ولكن نجنا من الشرير) .

ومما تقدم يتضح لك أن الدين الإسلامى إنما يعول على طهارة القلوب وسلامتها من الرياء فلا يحفل فى باب العبادات إلا بالخشوع لله تعالى، وإشعار القلوب بعظمته وجلاله، كما قال تعالى: **«قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون»**[4]. وكذلك ينهى المصلى عن الفحشاء والمنكر، كما قال تعالى: **«إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر»**[5] .

---

(١) سورة النساء : الآية ١٠٢ .
(٢) رواه ابن ماجه عن أبى هريرة .
(٣) سورة الماعون : الآيات ٤ ـ ٧ .
(٤) سورة المؤمنون : الآية ١ .
(٥) سورة العنكبوت : الآية ٤٥ .

أما نص الإنجيل فى تحتيم إخفاء الصلاة خوفا من الرياء فإنما هو ينظر إلى ظواهر الأمور ، بقطع النظر عن الخشوع ، فأين الروحيات التى يدعيها المبشرون فى هذا المقام .

ومن وصايا الإنجيل التى جاء بها القرآن على الوجه الصحيح، ماورد فى نفس ذلك الاصحاح وهو: (من قال لأخيه يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم) وقوله: (قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن، وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه، فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم) .

وأمثال هذه المخالفات ينهى عنها الإسلام، ولكن لا يرتب عليها دخول نار جهنم، لأن الذنوب عند المسلمين صغائر وكبائر، فأما الكبائر فأولها الشرك بالله، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، وعقوق الوالدين، وقذف الناس فى أعراضهم وظلمهم، والسرقة ومايتعلق بها من الخيانة والغش، وقول الزور، ونحو ذلك .

وأما الصغائر فمنها: النظر إلى إمرأة أجنبية بشهوة وقول رجل لآخر يا أحمق، وما أشبه ذلك، فأما الكبائر فإن كانت متعلقة بحقوق العباد فلا يكفرها إلا رد تلك الحقوق، وإن كانت متعلقة بحقوق الله، فإن كفارتها التوبة، وهى الندم .

وأما الصغائر فتكفرها الصلاة والصيام والصدقة، نعم، إذا تكررت وأصبحت عادة للإنسان، وكانت سببا لتسهيل ارتكاب الكبائر عليه، فإنها فى هذه الحالة تكون كبيرة .

أما كون الصغائر يكفرها الصيام والصلاة، فقد أشار إليه قوله تعالى: «**وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات**»[1].

مشتملات الإنجيل من الوصايا والاحكام الفرعية . وأما الوصايا النافعة الموجودة فى الأناجيل التى بين أيدى المسيحيين الآن، أو الأحكام الفرعية، فإنها نادرة، لأن الشعائر الموجودة فى التوراة الآن لا يعمل بها المسيحيون بالرغم من كونهم يزعمون أن التوراة والإنجيل كتابهم، ويعللون عدم العمل بتأويلات فاسدة كما سنبينه هنا، وفى مبحث النسخ .

ولهذا كانت ديانة المسيحيين خالية من التشريع الإلهى فى معظم شئون الحياة .

ويجيب المبشرون على هذا الإشكال بجواب خيالى متناقض كل التناقض، فإنهم يقررون أولا أن شريعتهم هى التوراة، لأنهم يعملون بها أو يقولون: إن الإنجيل وإن لم يكن قد أمرهم بالشعائر المادية من حج وقربات وغير ذلك، ولكنه أمرهم بتطهير قلوبهم، فهو أسمى وأحسن من التوراة، والنتيجة المنطقية لكلامهم هذا، وجوب طرح العمل بالتوراة، والتمسك بالإنجيل الذى هو أسمى.

---

(١) سورة هود : الآية ١١٤ .

وبعضهم يتفلسف فلسفة خيالية مضحكة، فيقولون: إن المسيحيين لا يحجون كل سنة ولكنهم يسافرون دائما الى السماء وهذه الفلسفة الطريفة تشبه ما يدعيه بعض الزنادقة من أنه يصلى كل يوم فى بيت المقدس، مع كونه لم يبرح خمارة من حانات مصر، فيكفى أن يقول المسيحى أنه مسافر إلى السماء، وكل ما قطع من مرحلة من مراحل الأفق الوهمى يزداد قربا من المسيح .

ثم بعد ذلك يزعمون أن الإنجيل قد أتى بشريعة عظيمة، زيادة على مافى التوراة وهى ما أتى به «مرقص» فى الإصحاح الثانى، «ولوقا» فى الإصحاح السادس وما أتى به «متى» فى الاصحاحات الخامس والسادس والسابع .

والواقع غير ذلك، فإن الذى قاله مرقص عبارة (يا إسرائيل: الرب إلهنا إله واحد تحب الرب من كل قلبك) ... إلخ .

وهذه بنصها مأخوذة من التوراة، وما أتى به «متى» هو عبارة عن وصايا بعضها صحيح وبعضها غير صحيح، ومعظمها من التوراة، وسنبينها لك .

وكذلك يقولون: إن الإنجيل لم يأمرهم بتقديم ذبائح، ولكن أمرهم بأن يقدموا ذواتهم ذبائح حية مقدسة مرضية عند الله، وكل واحد من المسيحيين يتنصل من أداء واجبه الدينى، بدعوى أنه قدم نفسه ذبيحة مرضية مقدسة، وكفى بذاك تضليلا للعقول .

على أنهم يقولون: إن المسيح قدم نفسه ذبيحة حقيقية، فأغنتهم عن الذبائح وسيأتى الكلام عن ذلك فى حينه .

أما الصلاة، فأنهم يؤولونها تأويلا مضحكا، فيقولون: معنى كونهم يصلون: أنهم يصرفون حياتهم فى شركة مستديمة مع الله.

ونحن نقول: «تعالى الله عن الشركة فى ذاته وصفاته وأفعاله» ويقسمون الصلاة إلى ثلاثة أقسام:

الأول : الصلاة الإنفرادية، وهى أن يرتل الله فى قلبه كل حين .

الثانى : الصلاة العائلية، حيث يجمع الرجل زوجه وأولاده حوله، ويقرأ لهم شيئا من الكتاب المقدس، ويطلب لهم المغفرة والبركة من الله .

الثالث : الصلاة الجهورية، وهى أن يجتمع الواحد مع الناس فى داره، أو فى كنيسة، ويستمع الوعظ والدعاء، ويسبح تحت ملاحظة خدمة الدين .

وهناك طوائف تصلى صلوات أخرى يسمونها إرتجالية أو غير ذلك .

ولا يشترط فى الصلاة أن تكون بلغة خاصة. على أنه سيأتى فى هذا المبحث أن كل هذه الصلوات من أوضاعهم، ولم ينص عليها حتى فى الأناجيل المحرفة، ويقولون: إنهم غير مأمورين بالغسل، ولكنهم مأمورون بتطهير قلوبهم .

فالأقذار والأنجاس تكون عالقة بأبدانهم، ولا يجب عليهم تنظيفها إلى غير ذلك مما سيأتى فى مبحث النسخ .

هذا معظم ما ورد فى الإنجيل من الشرائع والأحكام، ذكرناها لك مع مايقابله من أحكام القرآن الكريم، ومنه يتضح لك: أن القرآن لا يلتقى مع هذه الأناجيل إلا فيما كان فيه تنزيه الإله ومصلحة الناس .

أما ماعدا ذلك، فهو ينعى عليه ولا يقره، وهذا معنى كونه مهيمنا على الإنجيل كما بيناه .

تفسير الآيات القرآنية التى تمدح التوراة والإنجيل

القاعدة العامة للتفسير . يمكننا أن نذكر هنا قاعدة عامة يستطيع القارئ أن يجعلها أساسا لتفسير آيات القرآن الكريم، بشأن التوراة والإنجيل وأهل الكتاب، وهى أن مدح القرآن للتوراة والإنجيل إنما هو مدح للتوراة التى أنزلت على موسى حقا، والإنجيل الذى أنزل إلى عيسى حقا كذلك، وهذا لا يناقض مطلقا أن الجهل والفساد قد أفضيا إلى تحريف كثير منهما، وفقدان الصحيح، وعدم تواتره، فلما نزل القرآن بجميع الفضائل التى فى الكتب المنزلة من عند الله، وأقرها وحفظها، كما حفظ غيرها من الشرائع والأحكام التى أنزلها الله تعالى والمناسبة لكل أمة من الأمم التى أرسل لها سيدنا محمد، من لدن نزول القرآن إلى إنقراض العالم، لأنه مرسل للناس كافة، وخاتم النبيين، فتواترت المعانى الفاضلة التى أنزلها الله إلى موسى فى التوراة، وعيسى فى الإنجيل ضمنا بتواتر القرآن، وعلى هذا يكون القرآن مجددا للتوراة والإنجيل الحقيقيين، وحافظا لهما من الضياع، فهو مهيمناً (حافظا) على التوراة والإنجيل الحقيقيين بدون شك، وكما أنه مهيمن على المعانى الصحيحة الموجودة فى التوراة والإنجيل فقد نبه على الفساد الذى عرض لهما، سواء كان فى باب العقائد، أو فى باب المعاملات أوفى باب العبادات .

من ذلك البيان يتضح لك تفسير الآيات التى ذكرت بوضوح تام على أننا سنفسرها لك آية آية :

الآيات التى تسمى اليهود والنصارى اهل الكتاب . بالنسبة لهذه الآيات فإننا نسلم لهم بما يريدونه منها، لأننا لا ننكر أنهم أهل كتاب، وإن غيروا وبدلوا، وذلك لأن القرآن الكريم يسميهم هذه التسمية، بإعتبار أنهم منتسبون إلى موسى وعيسى، ويدعون أنهم متمسكون بما أنزل إليهم من التوراة والإنجيل، وهما وإن دخلهما تحريف، لكنهما يشتملان على بعض الأحكام الصحيحة، وقد كان بين هذه الأحكام وصف النبى الأمى، فلم تزل عنهم نسبتهم إلى الكتاب بالمرة، على أن اللغة تصحح نسبتهما إلى الكتاب وإن دخله التحريف فى كل مسائله، إذ يصح أن يقال: إنهم أهل كتاب باعتبار ماكان عليه الكتاب قبل التحريف .

على أن كل ما ورد فى القرآن من خطاب أهل الكتاب: كان الغرض منه حثهم على الإيمان بالله وتوبيخهم على تكذيب القرآن، مع كونهم يعرفون الحق، فهم أولى من المشركين الذين يعبدون الأوثان بعبادة الله الواحد، والتصديق بما جاء به ذلك الرسول من الفضائل التى تقرها العقول البشرية السليمة. وذلك معنى قوله: **«ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون»**(١) .

تفسير الآية «وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله»(٢). استدل المبشرون بهذه الآية على أن التوراة والإنجيل هما اللذان كانا موجودين فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم على الحالة التى هما عليها الآن، وهى وإن كانت لا تدل على شىء من ذلك الذى يقولون لأنه على فرض كون بعضها كان صحيحا فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولكن قد حرفها المفسدون من بعده .

ومع هذا فلنذكر لك معنى هذه الآية، وما يرتبط بها فى ربع **«ياأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر»**(٣). تتميما للفائدة وتوضيحا للمقصود، كى لا يكون للمبشرين وجه للسفسطة بعد ذلك .

قال تعالى: **«ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين»**(٤) .

معنى ذلك أن رجلا من أشراف يهود خيبر زنى بأمرأة شريفة منهم ، وقد كان هذان الزانيان محصنين «متزوجين» فكانت عقوبتهما المقررة فى التوراة هى الرجم، ولكن عز على اليهود رجمهما ، فأرسلوا جماعة من إخوانهم يهود قريظة، ومعهم الزانيان ليسألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن حكمهما لعلهم يجدونه فى الإسلام أهون من الرجم ، وهو الجلد وإنما لم يذهب إليه يهود خيبر، لأنهم كانوا يبغضون النبى صلى الله عيه وسلم، ولا يستطيعون حضور مجلسه تكبرا وحقدا، على أنهم أوصوا وسطاءهم من قريظة ألا يسلموا الزانيين إلا إذا كان الحكم قاصرا على الجلد، كما أشار الله الى ذلك بقوله: **«يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه»** يعنى إن أفتاكم بالجلد فأقبلوا، فلما ذهبوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم وحكموه فى أمرهم، سألهم عن حكمه فى التوراة فقالوا: إنه الجلد، ولكن الله تعالى قد أوحى إلى نبيه أن الحكم فى التوراة هو الرجم ولكنهم بدلوه، وأمره أن يجعل بينه وبينهم أعلم واحد فيهم، وهو ابن صوريا ، فعرض النبى ابن صوريا عليهم، فقالوا: إنه أعلم اليهود ورضوا به فلما حضر قال له النبى أنشدك الله الذى لا إله إلا هو فلق البحر وأنجاكم وأغرق آل فرعون، هل تجدون فى كتابكم الرجم على من أحصن؟

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١١٠ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٤٣ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٤١ .

(٤) سورة المائدة : الآية ٤١ .

قال: نعم فأنفذ النبى صلى الله عليه وسلم حكم الرجم فيهما. وقد أسلم ابن صوريا.

فأنت ترى أن الله تعالى قد وصف ذلك الفريق الذى جاء مستفتيا، بأنهم سماعون للكذب، بمعنى أنهم اعتادوا الكذب من رؤساء دينهم ونشره على عامتهم، باعتباره من الدين ووصفهم بأنهم قد حضروا إليه ليسمعوا منه الحق ثم ينقلونه إلى قوم آخرين، وهم يهود خيبر محرفا، ثم وصف الفريقين بعد ذلك بقوله: «سماعون للكذب أكالون للسحت» أى للمال الحرام بالربا والرشوة والغش ونحو ذلك.

من كان هذا حاله فلا ريب فى أنه لا يبعد عليه تغيير دين، ولا تحريف كتاب، على أن الله تعالى قد امتدح فى هذا المقام التوراة التى أنزلت إلى موسى، وذكر أن فيها هدى ونورا وأن أنبياء بنى اسرائيل الذين جاءوا من بعد موسى كانوا يحكمون بما فيها لليهود الذين أسلموا، أى خضعوا لربهم، كذلك كان يحكم بها الربانيون والأحبار، بسبب ماكلفهم الله به من حفظها.

فلما انقرض هؤلاء، وخلف بعدهم هؤلاء الشياطين، الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يبالون بالكذب فى الدين، ولا يتعففون عن أكل الحرام. ذهب معنى الدين من أنفسهم، فاستباحوا كل ما فيه من شهوة لهم، فغيروا التوراة، وبدلوها كما قال تعالى: «أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون»[1].

ومعنى الآية: أن الله تعالى يقول لنبيه وأصحابه: كيف تطمعون فى إيمان هؤلاء اليهود، وقد بلغت بهم الجرأة إلى أن يحرفوا كلام الله الذى أنزل على موسى، فأنجى به آباءهم من آل فرعون الذين كانوا يسومونهم سوء العذاب، وكيف يرجى الخير من هؤلاء الذين قست قلوبهم، فلم يبالوا أن يزيدوا وينقصوا فى كتاب الله الذى بين أيديهم، ويقولون: إنهم به مؤمنون، وبالجملة فالله تعالى يريد أن يبين لنبيه حالة اليهود بالنسبة للتوراة، فقال له: إنهم فريقان:

فريق النبيين الذين جاءوا من بعد موسى، والربانيون والأحبار، وهم الأقلية الذين يحفظون ما فى التوراة الصحيحة.

وفريق الأكثرية وهم: ما عدا هؤلاء، وأولئك هم شياطين، يتبعون أهواءهم، ويجعلون كتاب الله تابعا لتلك الأهواء، فهم محرفون مبدلون.

وإلى الفريق الأول أشار بقوله: «إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا، والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء»[2].

---

(1) سورة البقرة: الآية 75.

(2) سورة المائدة: الآية 44.

ومن كان فى زمن محمد صلى الله عليه وسلم من هذا الفريق عالما بمواضع الضعف من التوراة، واقفا على حقيقة مابدل منها، فإنه آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم، فكل علماء اليهود الكبار آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم .

أما الفريق الثانى فقد أشار الله إليه بقوله: **«أفتطمعون أن يؤمنوا لكم»**. وبقوله: **«يحرفون الكلم عن مواضعه»**[1]. وإنما قلنا: إن المراد بالتحريف هو الزيادة والنقصان، لأن ذلك هو الذى روى عن ابن عباس، وكان قائما بينهم، فرأيه فى هذا الموضوع أوثق من غيره، على أن معنى التحريف فى اللغة هو التغيير والتبديل .

ثم بعد أن بين الله تعالى أحوال اليهود بالنسبة للتوراة، أخبر نبيه بأنه أنزل الإنجيل على عيسى بن مريم مصدقا لما قبله من التوراة، وأن هذا الإنجيل فيه هدى ونور، يضىء للناس سبل السعادة، وأمر أهل الانجيل أن يعملوا بما فيه من أحكام، لأنه قد اشتمل على توحيد الله تعالى، ووصفه بصفات الكمال، وصرح لهم برسالة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشرهم بأن رسولا يأتى من بعده اسمه أحمد، وهذا وحده كاف فى كون الإنجيل هدى ونورا، لأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء بشريعة كفلت لمن عمل بها سعادة الدنيا والآخرة، وذلك هو معنى قوله تعالى: **«وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور»**[2] .

ومعنى قوله تعالى: **«وقفينا على آثارهم»** أننا أرسلنا عيسى عقب رسل بنى اسرائيل. ثم قال: **«وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه، فاحكم بينهم بما أنزل الله، ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا»**[3] .

ومعنى هذه الآية أننا أنزلنا عليك يا محمد القرآن بالحق، مصدقا لما بين يديه من الكتاب، فما هو موجود فيما قبله من الكتب المنزلة مصدق له، ومبين مافيه، فكل مايتعلق بالإله واجب الوجود المنزه عن صفات المخلوقين، الواحد الأحد الذى لم يلد ولم يولد، الغنى المطلق، الذى لا تضره معصية، ولا تنفعه طاعة، وهكذا من كل صفات التنزيه، فان القرآن يقرها ويصدقها، فمحال أن يكون القرآن مصدقا لتركيب الإله من ثلاثة ،وهو القائل: **«لقد كفر الذين قالوا إن الله**

---

(1) سورة النساء : الآية ٤٦ وسورة المائدة : الآية ١٣ .

(2) سورة المائدة : الآية ٤٦ . (3) سورة المائدة : الآية ٤٨ .

ثالث ثلاثة، وما من إله إلا إله واحد»[1]. ومحال أن يكون مصدقا لأن يكون عيسى هو الله، وهو القائل: **«لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم»**[2]. ومحال أن يكون مصدقا لأن يكون عيسى ابن الله بالمعنى الذى يريده المسيحيون، وهو القائل توبيخا لليهود والنصارى: **«وقالت اليهود عزير بن الله، وقالت النصارى المسيح بن الله، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا»**[3]. فإن كان شىء من ذلك فى التوراة والإنجيل، فالقرآن صريح فى بطلانه، وأن من تمسك به كافر، فكيف يكون مصدقا له؟.

وبالجملة، فالقرآن مصدق لكل ما فيه تنزيه الإله، وكل مافيه هداية الناس وسعادتهم وذلك كان موجودا فى التوراة والانجيل قبل التحريف، على أنه سبحانه بعد ما أخبر أنه قد أنزل التوراة والإنجيل والقرآن، أراد أن يبين أن الناس مفطورون على أحوال تناسب أمتهم التى خلقهم الله فيها، فقد يناسب قوم موسى من التشريع مالا يناسب قوم عيسى، وكذلك قد يناسب أمة محمد صلى الله عليه وسلم مالا يناسب الأمم التى خلت فقال: **«لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا»** فالتوراة قد جاء فيها أحكام لها وقت يناسبها والإنجيل كذلك، وقد انتهت تلك الأزمنة، فجاء القرآن بما يناسب أحوال الناس جميعا لأنه مبنى على جلب المصلحة ودرء المفسدة، وأنه دين سمح، صالح لكل زمان ومكان .

ومن ذلك كله يتضح لك أن كلام القرآن عن التوراة والإنجيل، لايفهم منه إلا أنه فى التوراة والإنجيل اللذين نزلا على موسى وعيسى، وأن لكل منهما زمان يناسبه، والقرآن مصدق لما جاء فيهما من العقائد الصحيحة، والأحكام المناسبة لحال الناس الذين أرسل اليهم سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى كونه مهيمنا عليهما، أنه حفيظ للمعانى الصحيحة الموجودة فى التوراة والإنجيل، لأن القرآن متواتر تواترا لاشك فيه، ومحفوظ من أن تمتد يد التحريف إلى أى كلمة منه، فكل المعانى العامة والنافعة من التوراة والإنجيل موجودة فيه، فهى متواترة ضمنا .

ولولاه ما كان للتوراة والإنجيل سند يصح لعاقل أن يعول عليه، حتى فى إثبات أنهما من عند الله، وأنهما كتابان سماويان نزلا على موسى وعيسى، فالقرآن هو السند الوحيد المتواتر، ومعنى ذلك أن كل ما خالفه فساد أصاب الديانتين بلا نزاع ـ وذلك هو معنى آيات سورة المائدة كلها، فقوله تعالى لنبيه: **«وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله»** توبيخ لهؤلاء اليهود الذين يتركون عقوبة الزنا الموجودة فى التوراة، ثم يستفتون سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن ذلك الحكم لعله يكون موافقا لأهوائهم، وبديهى أنه لا يلزم من وجود حكم صحيح فى التوراة أن

(١) سورة المائدة : الآية ٧٣ . (٢) سورة المائدة : الآية ٧٢ .
(٣) سورة التوبة : اية ٣٠ .

تكون كلها صحيحة، والمسلمون لا يقولون إن كل ما في التوراة قد دخله التحريف، بل يقولون: إن الذي حرف منها ماخالف القرآن الذي تضمن معانيها الصحيحة، وهو يتعجب من جرأتهم على إنكارالحكم الإلهي، وعدم مبالاتهم بتحريف الكتب المنزلة لإرضاء شهواتهم ومطامعهم الفاسدة .

تفسير الآية: «فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك»[1] . ومعنى هذه الآية أن أصل الكلام كان مع بني اسرائيل، فقد قال تعالى: **«ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات، فما اختلفوا حتى جاءهم العلم، إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون، فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك»**[2] ... إلخ .

ومعنى هذه الآيات أن الله قد عدد نعمه على بني اسرائيل، الذين هم في الواقع ليسوا أهلا لها، لأنهم قد جحدوها وخالفوا أوامر الله تعالى، وكذبوا رسله، فبعد أن ذكر أنه أنجاهم من الغرق، وأهلك عدوهم الذي كان يسومهم سوء العذاب، وذكر سبحانه أنه بوأهم مبوأ صدق، أي أسكنهم مكانا صالحا خصبا، وهو: مصر والشام ، وقد وصفه الله تعالى بالصدق، كما هي عادة العرب في المدح، فإنهم كانوا إذا أرادوا أن يمدحوا رجلا نافعا قالوا: هذا رجل صدق، ثم أخبر أنهم كانوا يعرفون صفات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وما سينزل عليه من القرآن وأنه سيظهر نبي هذا الزمان ومعه القرآن، وأننا سنتبعه وننتصر به عليكم، فلما جاءهم الرسول الذي كانوا يعلمون به اختلفوا فيه، فمنهم الراسخون في العلم، وهم بعض أحبارهم، وهؤلاء قد آمنوا به، ومنهم الجهلة المفسدون وهؤلاء قد كفروا به، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: **«فما اختلفوا حتى جاءهم العلم»** أي أنهم كانوا على وفاق في أمره، من أنه رسول الله الذي سينزل عليه القرآن، فلما جاءهم الرسول الذي كانوا يعلمونه من قبل اختلفوا، فمنهم من آمن ومنهم من كفر وذلك معنى قوله تعالى: **«ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، فلعنة الله على الكافرين»**[3] .

فإن معنى ذلك أن القرآن مصدق لما هو بين أيديهم يومئذ من وصف محمد رسول الله ووصف القرآن، وقد كانوا قبل مجيئه يقولون لمشركي العرب من الأوس والخزرج، والذين كانوا يزاحمونهم يومئذ في ميدان الحياة بالمدينة المنورة وضواحيها، فكانوا لهم أعداء: إن الله سيفتح علينا بذلك النبي سنتبعه ونتغلب عليكم به، فلما جاءهم ذلك الذي عرفوه كفروا به، وكذلك معنى قوله تعالى: **«وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم»**[4] .

---

(١) سورة يونس : الآية ٩٤ .
(٢) سورة يونس : الآية ٩٣ ، ٩٤ .
(٣) سورة البقرة : آية ٨٩ .
(٤) سورة آل عمران : الآية ١٩ .

وإذا عرفت هذا فإنه يتضح لك أن اليهود كانوا بالنسبة لمحمد فريقين: فريق العلماء الذين آمنوا به، وفريق الكافرين .

أما العلماء الذين يعرفون ما في التوراة والإنجيل من صفات النبي صلى الله عليه وسلم، وصفات القرآن، وهم الذين قد آمنوا به، فإنهم يصح أن يكونوا خير مرجع يرجع إليه الذين يشكون فيما أنزل على محمد، وخير مرشد يرشد الجاهلين من اليهود إلى صدق النبي صلى الله عليه وسلم، وإلى أن القرآن هو من عند الله حقا، وإلا فما بالهم كانوا قبل مجيء النبي صلى الله عليه وسلم يرجون هؤلاء الأحبار، ويصدقونهم فيما ينعتون به النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة، ويتبعونهم فيما يقولون: فلما جاءهم لم يتبعوهم في الإيمان به، وهذا معنى قوله: **«فإن كنت في شك»** فإن ذلك خطاب لهؤلاء اليهود، الذين يشكون فيما أنزل إلى محمد وإنما ذكره بهذه الصيغة ولم يقل «فإن كنتم في شك» ليعلم كل من يتأتى منه الشك، سواء كان هؤلاء الذين اختلفوا من بعد العلم، أو من غيرهم من اليهود، لأنهم يمكنهم الرجوع إلى أحبارهم الذين آمنوا بمحمد، فيرشدوهم إلى الصواب، وفي ذلك تقريع شديد لهذا الفريق الذي لم يؤمن، ولم يتبع أحبارهم الذين يعلمون الكتاب، وإنما عبر بالشك مع أنهم لم يؤمنوا مطلقا، لأن حالتهم هذه تستدعي عدم الجزم في ظاهر الأمر قطعا، فإنهم كانوا يعلمون هذه النعوت قبل مجيئه، وكانوا يؤمنون بها، ثم أنكروها بعد مجيئه، وهذه حالة من يشك، ولست أرى وجها للقائلين بأن هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على الفرض والتقدير وذلك يعني على فرض أنك تشك فاسأل هؤلاء الذين آمنوا من العلماء بالتوراة والإنجيل، فإنهم ثقة بعد الإيمان. وذلك لأن الله تعالى لا يبني قضايا كلامه الكريم على الفروض العقلية التي لا تتحقق في الخارج أبدا وكيف يمكن أن يشك النبي فيما أنزل إليه، وهو متصل بالله تعالى بواسطة الوحي الذي لا يخطيء أبدا، وبواسطة روحه التي هذبها الله تعالى، وعصمها من كل كبيرة. نعم فقد يقال:

إن شككت في فهم بعض ما أنزلنا إليك، مما هو موجود في التوراة والإنجيل، فارجع إلى أهل الكتاب الذين آمنوا بك فإنهم يبينوا لك معناه، فإن ذلك يمكن وقوعه لا ضرر منه، لأنك قد عرفت مما تقدم أن الله سبحانه وتعالى قد أنزل على نبيه المعاني الصحيحة الموجودة في التوراة والإنجيل ضمن القرآن الكريم، فلا مانع من أن النبي صلى الله عليه وسلم يشكل عليه فهم شيء مما هو في التوراة والإنجيل، وهو وإن كان متصلا بالوحي، ويمكن أن يرجع إليه في فهم ما أشكل عليه، ولكن هؤلاء العلماء الذين يعرفون التوراة والإنجيل من قبل، أقرب اليه من الوحي. فيمكنه أن يسألهم إذا شك في فهم كلمة من الكلمات التي أنزلت إليه في القرآن، وعلم أنها من التوراة أو من الإنجيل، وبعدها ينزل إليه الوحي فيتثبت من الجواب، لأن الله سبحانه لا يقره إلا على فهم الصواب فإذا أخطأ في شيء أوحي إليه فورا بإصلاحه.

على أن المناسب لسياق الآية أن يكون الخطاب لكل من يشك فيما أنزله الله إليه على لسان محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود الذين اختلفوا فى أمره بعد أن كانوا يعلمون، أو غيرهم منهم، ولهذا قال بعد ذلك (**لقد جاءك**) أيها الشاك (**الحق**) الذى كنت تعرفه معرفة تامة (**فلا تكونن من الممترين**) المتشككين فيه، وإذا كان لا يليق به الشك الذى يترتب عليه أدنى مراتب الإنكار، فلا يليق به أن ينكر إنكارا جازما بعدما قام له من البراهين القاطعة من باب أولى .

ذلك هو معنى الآية، ومنه يتضح لك فساد دليلهم وبعده عن الصواب من جميع الجهات، لأن الله تعالى لم يأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يرجع إلى اليهود والنصارى عند الشك فيما أنزل إليه من القرآن، ليرشدوه إلى الصواب، ولم يكن اليهود والنصارى المحرفون مرجعا يصح الرجوع إليه فى نظر القرآن، بعد أن أخبر عن اليهود بأنهم: ـ «**سماعون للكذب أكالون للسحت**» وعن النصارى بأنهم: كافرون بالله، لعبادتهم بشرا من عباده هو المسيح، بل هو خطاب للمتشككين من اليهود الذين كانوا يعلمون الحق من رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولكنهم كتموه كبرا وعنادا، وإنما المرجع للذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام وغيره .

تفسير آية الأعراف الآية: ١٦٨ «فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون». أما آية الأعراف هذه، فهى دليل واضح على فساد اليهود والذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم، وعدم تعففهم عن تحريف كتابهم بالرشوة، وذلك لأن معنى الآية أن الله سبحانه قد أخبر أولا بأنه فرق اليهود فى الأرض فى زمن سيدنا موسى، وأنه كان منهم الصالحون ومنهم دون ذلك، وهم الفاسقون، كما قال تعالى: «**وقطعناهم فى الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك**»[1].

ثم قال بعدها «**فخلف من بعدهم خلف**» والخلف (بسكون اللام) لا يطلق إلا على الفاسد، بخلاف الخلف (بفتح اللام) فإنه الصالح، فالخلف الذين كانوا فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم هم هؤلاء المفسدون، أما الصالحون الذين كانوا بينهم، فهم قلائل آمنوا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فلا يحسبون منهم فكأنه قال: إن أسلافهم كان فيهم الصالحون بكثرة، أما هؤلاء فليس فيهم صالح، ثم أراد أن يوبخهم بقوله تعالى: «**ورثوا الكتاب**»، لأنهم يقولون: إنهم ورثوا التوراة عن أسلافهم، ولكنهم شر من الوثنيين، إذ هم لا يعملون بالصحيح الذى يعرفونه مما ورثوه، ومنه الإخبار برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل إليه من القرآن، بل هم يحرفون الأحكام الصحيحة التى وصلت إليهم سليمة من التحريف، بما يأخذونه من المال الحرام رشوة على تحريف كتابهم، بحذف مايدل على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وغيره من الأحكام التى

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٦٨ .

توافق القرآن ولا توافق أهوا ءهم، فمن كان منهم عالما بأحكام التوراة التى وصلت اليهم سالمة من التحريف لا يبالى بتحريفه أيضا ، إذا أعطى على ذلك التحريف رشوة، وذلك معنى قوله تعالى: **«يأخذون عرض هذا الأدنى»** فالعرض هو: المال، والأدنى الدنيا أى يأخذون مال هذه الدنيا. مع أن المال عرض زائل لا بقاء له، بل لا بقاء للدنيا بأجمعها بما فيها من لذات وزخرف.

ولا ريب فى أن أخس الناس وأحقرهم وأهونهم على ربهم، هم أولئك الذين يجرؤون على تحريف الكتب السماوية من أجل المال الزائل والدنيا الفانية، ومعنى قوله تعالى: **«ويقولون سيغفر لنا»** أى أنهم يقولون نتوب بعد ذلك فيغفر الله لنا ولكنهم يقولون ذلك بألسنتهم، وقلوبهم مصرة على ارتكاب هذه الجريمة، فإذا جاءتهم رشوة فى الوقت الذى يقولون فيه نتوب ونستغفر على تحريف حكم، يأخذونها ولا يبالون.

ومما لا خفاء فيه أن الآية تفيد أن أحكام التوراة فى ذلك الوقت لم يكن يعرفها إلا قليل منهم ، فلم تكن محفوظة فى صدور كثيرون منهم لأنها لو كانت محفوظة عند كثير لم يستطع أحد أن يأخذ رشوة على تحريف أحكامها، لأن تحريفها لا يفيد الراشى فى هذه الحالة، لأن المرتشى يحرف وغيره لا يحرف. وكذلك يدل على أن أخلاق اليهود يومئذ قد انحطت إلى أبعد مدى، لأن الذى يجرؤ على تبديل الوحى من أجل حطام الدنيا لهو من أحط الناس أخلاقا.

وإذا كان ذلك فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم، حيث كان الوحى ينزل إليه ويخبره بحقيقة أحكام التوراة والإنجيل، ويبين له ما حرف منها وما لم يحرف، ويوبخهم على جرأتهم على التحريف، فكيف يكون حالهم بعد انقطاع الوحى، لا ريب فى أن خطر التحريف فى هذه الحالة يكون أشد وأنكى .

تفسير آيتى سورة غافر (٥٣ ، ٥٤) وهى قوله تعالى: «ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بنى إسرائيل الكتاب هدى وذكرى لأولى الألباب» والآية ٧٠:٧١ «الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون إذ الأغلال فى أعناقهم»...إلخ .

والمبشرون يستدلون بهذه الآيات الكريمة على صحة التوراة والإنجيل الموجودين الآن لأن من لم يؤمن بهما على حالهما لابد أن يعاقب عقابا شديدا. ونحن نقول لهم: إن معنى الآيات صريحة، فالله سبحانه يخبر نبيه أنه أنزل إلى موسى كتابا فيه هدى وذكرى لبنى اسرائيل، فمنهم من آمن ومنهم من كذب، ثم قال له تعالى: إن المكذبين بالكتب التى أنزلناها إلى الرسل وأخبرناك بها فى القرآن لهم عذاب أليم لأن التكذيب بها يكون تكذيبا للقرآن حتما ، ولا يعقل أن يأمر القرآن بتصديق الأحكام التى قرر نفيها صريحا ، فحينئذ يكون معنى الآيات البديهى: الحث على

التصديق بكل ما جاء به القرآن من الإخبار عن الكتب والرسل المقررة فيه، أما ما أخبر عنه بأنه باطل فذلك هو الذى نقول عنه أنه محرف ـ ولا نؤمن به، ومن آمن به يكون مكذبا للقرآن، فيخلد فى نار جنهم مع المكذبين.

تفسير آية سورة النساء (الآية ١٥٩): «وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته»

هذه الآية مرتبطة بقوله تعالى: «وما قتلوه وما صلبوه»[1]. ومعناها أن القرآن الكريم أخبر أولا أن المسيح لم يصلبه اليهود ولكن الله القادر ألقى شبهه على شخص آخر، وهو الذى صلبه اليهود سواء كان ذلك الشخص هو يهوذا الأسخريوطى تلميذه الذى خانه ووشا به أو غيره، ثم بعد ذلك أخبر بأن الفريقين الذين اختلفوا فى أمر عيسى من اليهود والنصارى، إنما يتبعون فى اختلافهم هذا أهوائهم، فاليهود الذين ينكرون رسالة عيسى ويرمونه هو وأمه بما هو برىء منه، والنصارى الذين يقولون: إنه إله كامل، إنما يقولون قولا غير مرتكز على دليل أو شبه دليل فى الواقع يفيد العلم، بل يبنون قولهم هذا على شكوك وأوهام زينتها لهم أهواؤهم، حتى أصبحت عقائد راسخة عندهم، وذلك منتهى الإنحطاط الفكرى، فإن الذى يبنى عقيدته التى تتوقف عليها حياته الخالدة من سعادة أو شقاء على الشكوك الفاسدة، لا يكون بينه وبين الحيوان الأعجم فرق.

ثم إن هؤلاء الذين تركوا الأدلة الجازمة ولم يلتفتوا إليها، واتبعوا شكوكهم وأوهامهم، ستتجلى لهم الحقائق قبل أن يفارقوا الدنيا حال احتضارهم للموت، فيندموا حيث لا ينفعهم الندم، وتتضاعف آلامهم وأحزانهم على تفريطهم فى جنب الله وإنكار رسله، وذلك معنى قوله: **«وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته»**، أى كل واحد من أهل الكتاب (اليهود أو النصارى) لابد أن يؤمن بعيسى حال احتضاره حيث تتجلى له الحقيقة كما تجلت لفرعون فآمن حيث لا ينفعه الإيمان، فالآية تقرر للذين اختلفوا، عقوبة فى حياتهم الدنيا، وهى انكشاف الحقيقة لهم عندما يحضر أحدهم الموت فيندم ندما شديدا، ويتعذب قلبه عذابا أليماً.

أما عقوبة الآخرة، فقد أشار الله سبحانه وتعالى لها بقوله: **«ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا»** يشهد عليهم بما يستوجب جزاءهم على ماكسبت قلوبهم.

ذلك هو الرأى الصحيح فى تفسير الآية، ولا معنى لعود الضمير إلى عيسى عليه السلام بالمعنى الذى يريده المبشرون مطلقا، لأن معنى الآية على زعمهم: أن كل واحد من أهل الكتاب قد آمن به قبل صلبه أصلا، والنصارى لم يؤمنوا بأنه رسول، بل لا يزالون يعتقدون أنه إله تام، فالواقع يكذب هذا المعنى الذى يستحيل أن يكون مرادا من الآية.

---

(١) سورة النساء: الآية ١٥٧.

نعم: قد ذكر المفسرون أنه يصح اعادة الضمير إلى عيسى، بمعنى أن عيسى سينزل فى آخر الزمان، حيث يوجد كثير من اليهود والنصارى، فيؤمنون به إيمانا صحيحا، ويصدقون بأنه عبد الله ورسوله قبل أن يموت، ولكن سياق الآية ينافى ذلك، لأنها صريحة فى أن كل واحد من أهل الكتاب لا بد أن يؤمن به، إيمانا صحيحا قبل موته فقصر أهل الكتاب على الموجودين فى آخر الزمان ليس بظاهر ولنفرض أن هذا المعنى صحيح أيضا، وأن الضمير عائد إلى عيسى، فما هو شبه التناقض بينه وبين قوله تعالى: «وما قتلوه وما صلبوه». فى زمن ظهوره الأول، وادعائه الرسالة، وبين قوله: (إن أهل الكتاب الذين هم آخر الزمان سيؤمنون به عند ظهوره ثانيا قبل أن يموت)، فقل للمبشرين الذين يتمسكون بمثل هذه الأدلة: أبشروا بالفشل التام.

تفسير آية سورة آل عمران (الآية ٥٥): «وإذ قال الله ياعيسى إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا». وأما هذه الآية فإن المبشرين يفسرونها بعكس المعنى المراد منها على خط مستقيم وذلك لأنهم يقولون: إن معناها أن عيسى توفاه الله مصلوبا، ثم أحياه ورفعه إليه وأجلسه على يمينه، ولو كانوا يعقلون للقرآن معنى، أو يدركون لأساليب اللغة العربية مغزى لهان الأمر، ولكن ما الحيلة وقد اتخذوا كلمات الله سلما لأغراضهم، فلنقل لهم: إن معنى الآية المتفق عليه عند علماء المسلمين الاختصاصيين بفهم القرآن، هو عكس ما يقولون، وذلك لأنهم أجمعوا على أن عيسى بشر، لا فرق بينه وبين أحد من بنى الإنسان، وكل بشر لابد أن يموت، ولكنه لم يمت بيد أحد من الذين كفروا به، بل يميته الله تعالى فى الوقت الذى يريده، وذلك هو معنى قوله تعالى: «إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا» فالله سبحانه يعده بأنه سيطهره ويحفظه من الأيدى الأثيمة الملوثة بالأقذار، فلا تمتد إليه بسوء، ثم يميته وهو على فراشه: لا قتلا بأيديهم. فكيف تناقض هذه الآية قوله تعالى: «وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم»؟ وهى تقرير لمعناها، وبيان لها بعبارة أخرى تفيد أن الله قد أوحى إلى عيسى بأنه سيطهره من سوء جوارهم، ويحفظه من أن تمتد إليه أيديهم النجسة، وأنه هو الذى سيميته لا هم.

وهذا المعنى متفق عليه بين علماء المسلمين، فلم يخالف فيه أحد ما، والصواب فى تفسير قوله تعالى: «وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا»...إلخ أن المراد بهم الذين آمنوا بأن عيسى عبد الله ورسوله، وعملوا بما أنزل إليه من ربه حقا، سواء كانوا من بنى اسرئيل أو من المسلمين، وليس الغرض أن يكونوا فوقهم ماديا، بل الغرض أن يكونوا فوقهم فى الحجة والبرهان، لأنهم على الحق المؤيد بالوحى الصحيح والبراهين المعقولة.

واعلم أن الصحيح الذى عليه جمهور المسلمين وأئمتهم، أن الله تعالى نجا المسيح من الصلب ثم رفعه إلى السماء بجسده وروحه، وأنه سيعود إلى الأرض ثانية ويحكم بشريعة النبى محمد صلى الله عليه وسلم.

وهذا المعنى هو بيان للصحيح من رفع عيسى وعودته، فليس كما يقوله المسيحيون من أنه مات صلبا، ثم رفع بعد أن بعث، ثم جلس على يمين الرب، وسيعود ويدين الأحياء والأموات، فالمسلمون ينكرون أنه يدين الأحياء والأموات، لأن ذلك خاص بالإله، وينكرون أنه جلس على يمين الرب بالمعنى الذى يقوله المسيحيون، وهو أن الرب أجلسه على ذراعه الأيمن، فإن ذلك كله هو المحال العقلى الذى يجب تنزيه الإله عنه، كما ستعرفه فى العقائد.

وإنما يقولون: إنه يعود تابعا لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ويحكم بشريعته ويكون من أمته، أما حديث صلبه فهو كذب كما تقدم، وسيأتى بيانه بإيضاح فى مسألة الصلب .

هذا، وينبغى للناظر فى هذا المقام ألا يتقيد بالسنن المادية، لأنه مقام إستثنائى من أول أمره، ولا يترتب عليه محال عقلى، ولا فساد دينى، وذلك لأن الله تعالى قد ألقى شبه عيسى على شخص آخر حتى اعتقد أعداؤه أنه هو فصلبوه، وحفظ الله عيسًى والذى يفعل ذلك لا يعجزه رفع عيسى بجسده وروحه إلى السماء، ومد أجله إلى الوقت الذى يريده، وليست هذه الأمور بالمستحيلة عقلا حتى يقال: إن الشريعة الإسلامية تقر ما لا ترضاه العقول، بل هى ممكنة سهلة الحصول بالنسبة لقدرة الله تعالى، الذى خلق السموات والأرض وما بينهما، فهل العقول تذعن بأن قدرة الله تعالى تعلقت بإيجاد جميع العوالم، على ما فيها من عجائب مدهشة، ثم تأبى أن تدرك أن الله تعالى قد رفع شخصا إلى فلك من الأفلاك ومهد له وسائل الحياة المناسبة له هناك، أظن أن الجواب: كلا، لأن ذلك لا يساوى شيئا مذكورا بالنسبة لباقى العوالم التى أثرت فيها قدرة الإله الحكيم.

وأيضا إننا نرى وسائل العلم كلما تقدمت دلتنا على أن خوارق العادات التى كانت تقع على أيدى المرسلين، لم تكن إلا فى الأمور الممكنة، وها نحن أولاء نرى أن بعض الناس يمكنه أن يغير شكله بأوضاع مختلفة وعلى نماذج شتى. وبعضهم يستعمل مادة خاصة يتغير بها وجهه بحيث لا يعرف، فهل يعز على الله تعالى أن يلقى شبه عيسى على غيره بوسيلة من الوسائل، التى كانت تخفى يومئذ على الناس، ثم كشف العلم عنها الآن.

وها نحن أولاء أيضا نرى أن العلم قد كشف عن أشياء يمكن للإنسان أن يستعملها عند انقطاع الهواء، ويتغذى بها عند فقد الغذاء، وغير ذلك، فهل يعجز الله الخالق عن أن ييسر لعيسى من وسائل الحياة ما لا يوجد فى فلك من الأفلاك، على أنهم يقولون: إن العلم قد كشف عن أن فى المريخ سكانا من نوع الحيوان والإنسان، وإذا كان كذلك، فمن السهل بقاء عيسى فى فلك من الأفلاك حيا بجسده وروحه، ويحفظه إلى الأبد الذى يريده، ثم ينزل بعد ذلك فى آخر الزمان، ويحكم بين الناس بالقرآن، كما ورد فى الحديث الصحيح، وأى شىء من المحالات العقلية أو المخالفات

الكونية تترتب على ذلك؟ أظن أن الجواب يكون بعد الذى ذكرناه لا شىء، وحينئذ فلماذا نخالف الحديث الصحيح، ونقول: إنه قد مات بعد أن نجاه الله من الصلب، ثم رفع روحه.

إننا نفعل ذلك حقا لو ترتب على ذلك محال عقلى أو خلل فى نظام الكون، أو ضرر يلحق بالعمران، أو فساد يعرض للقواعد الدينية العامة، أما لا شىء من هذا مطلقا قد حدث، فيكون الصحيح هو القول الذى ينطبق عليه الحديث، وهو قول المسلمين.

تفسير الآيات القرآنية التى استدل بها المبشرون على عدم تحريف التوراة والإنجيل

استدل المبشرون على عدم تحريف التوراة والإنجيل ببعض الآيات القرآنية من سور الأنعام ويونس والكهف ويقولون بأن من يقول بتحريف التوراة والإنجيل يكون قوله مخالفا لهذه الآيات على خط مستقيم .

ولكنك قد عرفت أن المسلمين لم يحكموا بتحريف التوراة والإنجيل إلا لأن القرآن قد حكم به، لأنه أخبر بأنهما محرفان، وذكر أحكاما تناقضهما ، فهم يعتقدون أن التحريف قد حصل قبل النبى صلى الله عليه وسلم بزمن بعيد ويعتقدون أنه قد زاد بعد زمنه بحذف مايدل على نبوته صريحا .

وليس للمبشرين دليل يصح النظر فيه بعد ذلك ، إلا هذا الدليل، وما عدا ذلك فهو مجرد ادعاء وهراء ، كقولهم: إنه لا يعقل أن يتفق اليهود والنصارى على تحريف كتبهم .

و مثل الإستدلال بقوله تعالى: «**لا تبديل لكلمات الله**» الإستدلال بما ورد فى سفر أشعيا ٤٠:٨ (وهو حقا الشعب عشب يبس العشب ذبل الزهر، وأما كلمة الهنا فتثبت إلى الأبد) يريد أن الأجسام البشرية تذبل وتيبس، كالزهر، وأما كلمة الله فإنها باقية، و مما لا شك فيه أن دليل المبشرين بهذا خطأ واضح، وجهالة لا شك فيها وإليك البيان:

تفسير آية الأنعام ٣٣ ، ٣٤ : «**ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا، ولا مبدل لكلمات الله**» ، «**ولقد جاءك من نبأ المرسلين**» .

وهذا معناه البديهى الذى يدركه كل من له إلمام باللغة العربية: إن معنى الآية أن الله قد أنفذ وعده الذى وعده لرسله الصابرين فنصرهم، لأن وعده لا تبديل له، فالكلمات التى وعدهم بها فى قوله تعالى: «**إنا لننصر رسلنا**»[1]. لا تبديل لها فأين هذا الذى فهمه المبشرون؟ وهل يصح للمستدل أن يقدم دليلا قبل أن يتثبت من معناه، ويتأكد أنه لا يحتمل إلا ما يقول .

---

(١) سورة غافر : الآية ٥١ .

تفسير آية سورة يونس: «لا تبديل لكلمات الله». وأما آية سورة يونس فإن قبلها: **«الذين آمنوا وكانوا يتقون، لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة، لا تبديل لكلمات الله، ذلك هو الفوز العظيم»**[1] .

وأظن أن سياق الآية لا يخفى معه تفسيرها على من يريد أن يظهر بمظهر المطلع على الإسلام، ويحاول أن يستدل على مطلبه من القرآن، وذلك لأن الله تعالى وعد المؤمنين، المتقين بأن لهم ما يستبشرون به فى الدنيا، من سعادة واطمئنان، وفى الآخرة من ملك خالد ونعيم مقيم، وهذا الوعد الكريم لا تبديل له، فلا شأن للكتب المنزلة فى هذه الآية.

تفسير آيه سوره الكهف: **«واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته»**[2]. وأما هذه الآية فمعناها: أن الله تعالى أمر نبيه أن يتلو ما يوحى إليه من القرآن كما أنزله الله إليه، من غير أن يبدل فيه كلمة واحدة أو حرفا واحدا، لأنه لا يستطيع أن يبدل منه شيئا، وذلك للرد على بعض المشركين الذين طلبوا منه أن يبدل مافيه ذم لأصنامهم، وأن يحذف منه مافيه توبيخ لهم، كما قال تعالى: **«وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله، قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى، إن اتبع إلا ما يوحى إلى»**[3].

فالله تعالى يريد أن يوبخ هؤلاء الذين يطلبون تبديل القرآن بغيره، ويقول لرسوله قل لهم: إننى لا أبدل شيئا منه، إن أتبع إلا ما يوحى إلى.

وبعد: أين التوراة والإنجيل؟ ألا يضحك الذين يقرأون أدلة هؤلاء المبشرين، ويعجبون كيف يستدلون بدون أن يرجعوا إلى الإخصائيين الذين يمكنهم أن يعلموهم كيف يستدلون، ومع هذا فلنسلم للمبشرين جدلا ولنقل لهم: إن الآيات معناها: أن ما يوحى إلى الرسل من عند الله يحفظه من التبديل، فالتوراة والإنجيل اللذان من عند الله محفوظان، ولكنا نقول لهم: إن معنى حفظهما من التبديل، إن الله تعالى أنزل القرآن على نبيه مشتملا على ما فيهما من هداية للبشر، وأوحى إليه بما أدخله الجهلة المفسدون فيهما من تحريف ومن تبديل، كمسألة: الصلب، والثالوث، والأحكام الفاسدة، والخيالات المضحكة، وقذف الأنبياء بأنهم زناة وأولاد زنا، وغير ذلك وقد أنزل الله القرآن بأسلوب لا يستطيع مخلوق أن يدخل فيه حرفا واحدا يغير به معنى من معانيه، ووعد بحفظه حيث قال: **«إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون»**[4].

---

(١) سورة يونس : الآية ٦٣ ، ٦٤ .

(٢) سورة الكهف : آية ٢٧ .

(٣) سورة يونس : الآية ١٥ .

(٤) سورة الحجر : الآية ٩ .

وبذلك يكون كل كلام الله تعالى الصحيح محفوظا جزما، فليختر المبشرون ما يحلو لهم، فإما أن يفهموا الآيات على وجهها الصحيح ويعلموا أن معنى: لا تبديل لكلمات الله، هو غير المعنى الذى يريدونه، من أنه لا تبديل للتوراة والإنجيل، أو يفهموه كذلك، ويعلموا أنهما محفوظان بالقرآن، فما كان موافقا له منهما فهو ذلك الذى من عند الله وهو محفوظ، وما كان مخالفا فهو ذلك الذى دخله التحريف والتبديل.

والنتيجة المنطقية لما تقدم: أن القرآن يثبت بصريح العبارة تحريف التوراة والإنجيل عكس مايقوله المبشرون، وأنه لا يقر إلا ماهو موافق لأحكامه الكريمة التى فيها هدى ورحمة لجميع الأنام .

لماذا حرف اليهود والنصارى التوراة والإنجيل ؟

ويتساءل المبشرون: ترى ما الفائدة التى كانت ترجوها اليهود والنصارى من وراء هذه الفعلة المحرمة ، والكل يعلم بحكم العقل والنقل عظم جريمة تحريف الكتب الإلهية... إلخ .

والجواب عن هذا بالنسبة للتوراة: أن بنى إسرائيل سقطوا فى وثنية الشعوب الأصليين، الذين كانوا فى أرض كنعان، فسلط الله عليهم الوثنيين فقهروهم، وكدروا صفوهم، ثم تابوا فنصرهم الله، ولكن لم تلبث مملكة اسرائيل حتى سقطت فى العبادة الوثنية، وبعد قليل اقتفت آثارها يهوذا ، فدفعهم الله إلى أيدى أعدائهم، وقاصهم هذه المرة قصاصا أشد صرامة من القصاصات التى ألفوها ، فسلط الله الأشوريين على مملكة اسرائيل سنة ٧٣٠ قبل الميلاد فغزوها وأسروها ، حتى انقرضت، وسلط ملوك بابل على يهوذا حتى أخضعوها لسلطانهم، سنة ٥٣٦ ق . م وظلت تحت نيرهم سبعين سنة، إلى سنة ٦٠٦ ق . م وفى سنة ٥٨٧ ق . م هدم بختنصر ملك بابل هيكل سليمان، وأسر رؤساءهم إلى بابل. إلخ.

فاليهود جميعهم سقطوا فى الوثنية، وعبدوا الأوثان، ومن كان هذا شأنه فكيف لا يحرف التوراة، وكيف لا يبيدها من الوجود ، وهو قد أصبح عدوا لها بعبادة الأوثان، لأنها مشتملة على توحيد الإله على الأقل، وفضلا عن ذلك فقد سلط الله عليهم أعداءهم، فهدموا هيكلهم، ومحوا آثار عقيدتهم، وصرفوهم بذلك عن كل شيء يقال له: دين، وهم من أول الأمر كانوا منصرفين بطبيعتهم، ضالين مضلين، فكيف تبقى التوراة بعد ذلك سليمة مع هؤلاء الوثنيين.

نحن لا نزعم أن لليهود فائدة من التحريف ولكننا نقول: إن التوراة لم تكن عبارتها مما يحفظ فى الصدور، لأن الله تعالى لم يجعل تلاوتها عبادة كالقرآن، ولم يجعل فى أسلوبها ما يعجز الناس عن الإتيان بمثله، فلم يكن لها حفاظ، وقد نزلت إلى موسى فى ألواح مخصوصة، وهذه الألواح قد فقدت بالضرورة، وقد انصرف اليهود عن العمل بدينهم تمام الانصراف، إلى أنهم عبدوا الأوثان،

فلم يحفلوا بالتوراة، فضاعت تماما ولم يبق منها إلا معنى بعض أحكامها، وبقيت عند بعض أحبارهم، فلما أرادوا الرجوع إلى شريعتهم ثانيا، لم يجدوا التوراة فجمعوا الأحكام التى كانت محفوظة عند بعضهم وزادوا عليها ما شاءت لهم أهواؤهم، وجعلوها توراة.

ومن هذا يتضح جليا أن التوراة قد انقطعت نسبتها إلى سيدنا موسى، تمام الانقطاع وكلام المبشرين أنفسهم شاهد على ما نقول.

أما الإنجيل فسنعرف من أدلتنا قريبا أنها محرفة باعتراف المبشرين أنفسهم كذلك، وستزداد بيانا عن التوراة والإنجيل فيما ما يلى :

الأدلة على تحريف الإنجيل

الدليل الأول : اعترافات وأقوال المبشرين :

الوحى عند المسيحيين . يقول المبشرون: الوحى عند المسيحيين هو: عبارة عن (الإلهام، فالله يترك الحرية للأنبياء ليستخدموا أرواحهم وذكاءهم وأذهانهم وذاكرتهم فيما يكتبونه، فيكون وحيا) إنجيل يوحنا: اصحاح: ١٦ عدد ١٣ .

ثم هم ينكرون فى نفس الوقت الوحى بمعنى إملاء جبريل عن الله تعالى، وهذا صريح فى أن الذى يتكلم به الرسول عند المسيحيين ليس بكلام الله تعالى، بل هو كلام الرسول حتما، غايته أن الأحكام التى يشتمل عليها يقرها الله تعالى، والكلام بهذا المعنى عرضة للتغيير والتبديل بدون نزاع، فاستدلال المبشرين بأن كلام الله لا تبديل له على فرض أن معناه كما فهموه فإنه لايصح أن يكون دليلا بالنسبة للتوراة والإنجيل، لأنهما ليسا بكلام الله، بل هما من كلام البشر قطعا.

أما المسلمون فإنهم يقولون . إن القرآن الكريم كلام الله بالحرف الواحد كما قال تعالى: **«نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين»**[1].

فليس للرسول أن يزيد فيه أو ينقص منه شيئا كما قال تعالى: **«ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين»**[2].

فإذا كان نفس الرسول الذى أنزل إليه القرآن الكريم لا يستطيع أن يتصرف فيه أدنى تصرف، بل إنما ينقله إلى الناس كما أوحاه الله إليه، حتى ولو كان فيه مؤاخذة له، فمن الضرورى إذاً الجزم بأنه لا يمكن لأى مسلم من بعده أن يجرأ على مثل ذلك، خصوصا إذا كان أسلوبه معجزا بطبيعته.

(١) سورة الشعراء : الآيات ١٩٣ ـ ١٩٥ .
(٢) سورة الحاقة : الآيات ٤٤ ـ ٤٦ .

فهذا الاعتراف من المبشرين يفتح الباب على مصراعيه للطعن على الإنجيل بالتحريف، ويجعله ممكنا مقبولا ، أما المسلمون فإنهم يوصدون الباب فى وجه كل من تحرضه نفسه بادخال حرف واحد زائد على كلام الله من أول الأمر.

التوراة والإنجيل ليسا كلام الله . يقول المبشرون: إن قصد المسيح من دوام كلامه، وكلام العهدين بقاء معانيهما لا ألفاظهما ، إذ ليس عالم بأصول اللغة يجهل أن المعنى المراد ، لا الألفاظ التى هى آلة للتعبير .... إلخ.

هذا الاعتراف يقرر بصريح العبارة: أن التوراة والإنجيل، لايصح أن يقال عنهما أنهما كلام الله، لأن كلام الله بخصوصه، هو: اللفظ المنزل على الرسول، الدال على المعنى، دون زيادة ولا نقص، فإذا تغير اللفظ وبقى المعنى، ثم جاء شخص وعبر عن المعنى بعبارة من عنده، كان ذلك الكلام منسوبا إليه حتما ، فلا يصح فى هذه الحالة أن يقال كلام الله، لأنه حينئذ يكون قابلا للزيادة والنقص، والمحو والاثبات، والخطأ والصواب، وذلك هو الواقع فعلا فى أناجيلهم فإنها مع كونها كقصة صغيرة محدودة، أتوا بها فى أشهر مواصفها مختلفة كل الاختلاف، كقصة صلب المسيح، وذكر نسبه، وإيمان تلاميذه وغير ذلك مما ستعرفه فى الدليل الثانى على تحريف الإنجيل، فالتوراة والإنجيل على هذا الاعتراف روايات أحادية لا سند لها ، فليس من المعقول أن يقال عنهما أنهما كلام الله وليس من المعقول أن يستدل على عدم تحريفهما بقوله تعالى: **«لاتبديل لكلمات الله»** لأنهم يقولون بألسنتهم: إنهما من أقوال البشر.

هل أمر المسيح بكتابة الإنجيل فى عهده ؟ يقول المبشرون: إن المسيح لم يمل الإنجيل فى حياته، ولم يكتبها ، ولم يأمر بكتابتها ، ولكن أمر أن يكرزوا بها ليوضع الأساس على شهادة قوم أحياء معاصرين له شهادة شفوية.

ولم يأمر سيدنا عيسى بكتابة الأناجيل فى عهده ، ولم يملها على أحد ، وكل ما هناك: أنه كان يعظ بها الناس.

وليس هناك أى دليل يدل على أنه كان يأمرهم بحفظها أو بتعبدهم بتلاوتها ، إلى أن رفع إلى السماء ، ثم مضى على ذلك اثنان وعشرون سنة أو ثلاث وعشرون سنة ، فجاء بولس وكتب رسالتين إلى أهل تسالونيكى ، والذى يقرأ هاتين الرسالتين لا يرتاب أدنى ريب فى أنهما غير الإنجيل الذى أنزل إلى عيسى ، بل هما رسالتان عاديتان ليس فيهما شىء يلفت النظر وإليك نص بعض عباراته: (فإننا لم نكن قط فى كلام تملق كما تعلمون، ولا فى علة طمع، الله شاهد ولا طلبنا مجدا من الناس، لا منكم ولا من غيركم، مع أننا قادرون أن نكون فى وقار كرسل المسيح، بل كنا مترفقين فى

وسطكم، كما تربى المرضعة أولادها، هكذا إذ كنا حانين إليكم، كنا نرضى أن نعطيكم لا إنجيل الله فقط، بل أنفسنا أيضا، لأنكم صرتم محبوبين إلينا، فإنكم تذكرون أيها الأخوة تعبنا وكدنا إذ كنا نكرز لكم بإنجيل الله) ... إلخ .

فقل لى بربك : أى عاقل يقول إن هذا إنجيل نزل على عيسى؟ مع أن بولس هذا يحدث أهل تسالونيك عن نفسه، ويخبرهم بأنه تعب مكدود من وعظه بالإنجيل الذى ليس هذا الكلام منه قطعا.

أى عاقل يتصور أن هذا الكلام الذى يحدث به بولس عن نفسه، ويقول للناس: إننى لست متملقا ولا طماعا، ولا طلبت منكم مجدا، وأنا مترفق بكم ترفق المرضعة بولدها إلخ كلام الله الذى أنزله إلى عيسى؟ فهل اتحد عيسى ببولس أيضا، فإذا تحدث أحدهما عن نفسه يكون حديثه منطبقا على الآخر، هل ألغى الناس عقولهم إلى هذا الحد، اللهم رفقا بعبادك.

ومن الغريب أن الرسالتين من أولهما إلى آخرهما على هذا المنوال، فلم يتعرض فيهما لشيء عن الله أو عن المسيح، إلا أنه هو ربهم وأبوهم الذى مات لأجلهم، وسيقوم من الأموات، وقد اشتملت الرسالتان على بعض وصايا كالصلاة لأجله، وأن يحب بعضهم بعضاً، وأن يسالم بعضهم بعضا، وأن لا يجازى أحد أحدا بشر ....إلخ.

فلو قال: إن الله يقول، أو إن المسيح يقول، لكان من المحتمل أن يكون هذا على نمط الحديث الذى له سند فى الجملة لكنه لم يقل شيئا من ذلك مطلقا، بل هو يتحدث عن نفسه، ويعظ نفسه، ويسند القول إلى نفسه، ويخبر عن حوادث جديدة لا علاقة لها بالمسيح، كما بينا، فكيف يكون هذا من الإنجيل الذى أنزله الله إلى عيسى؟ كلا: إن هذا لا يجوز إلا على من ألغى عقله تماما.

واعلم أن المسيحيين يطلقون الإنجيل على الكتب الأربعة المعروفة: إنجيل «متى» ـ إنجيل «يوحنا» ـ إنجيل «لوقا» ـ إنجيل «مرقص». ويزيدون عليها أبوابا يسمونها: أعمال الرسل أو الحواريين. ورسائل «بولس». ورسائل «بطرس». ورسائل «يوحنا» فهذه كلها تسمى إنجيلاً عندهم على أنهم اختلفوا فى بعض رسائل «بولس» و «يوحنا» فبعضهم يقول: إنها من عند الله، وبعضهم يقول: لا، كرسالة «بولس» إلى العبرانيين، والرسالة الثانية لبطرس والرسالة الثالثة ليوحنا، أيضا، ومشاهدات يوحنا ....إلخ.

فهذه مشكوك فيها عندهم. وستعلم من اعترافات المبشرين[1] كيف حكم بعض مجامعهم بدخول بعض هذه الرسائل وحكم البعض الآخر بإخراجها على حالة تضحك الثكلى.

قصة تدوين الاناجيل: يقول المبشرون: إنه لما مضى الجيل المعاصر للمسيح أو كاد، مست الحاجة

(١) كتاب ميزان الحق .

إلى تدوين الإنجيل فى الأسفار، لصون حقائقه وإفادة الأجيال الآتية، فألهم روح الله القدوس من اختار لانقاذ هذه المهمة من رسل المسيح ورفقائهم المقربين منهم، فكتب أولا القديس «مرقص» بشارته قبل خراب أورشليم سنة ٧٠ للميلاد، وظن بعضهم أنه ما بين سنة ٦٥ وسنة ٦٦ فى مدينة روميا.

وكان «مرقص» رفيقا لرسل المسيح، وأحد تلاميذه الأولين، وكان مشهورا فى الكنائس الأولى ومعروفا عنه بأنه تلميذ «بطرس»، فكتب بشارته بناء على معلوماته الشخصية ومعلومات بطرس، غير أن روح القدس عصمه من الخطأ. وذكره بما عساه يكون نسيه وألهمه ما يكتب فى تلك الأخبار وما لا يكتب.

وهذا اعتراف خطير من وجوه :

- أن الإنجيل لم يدون منه شيئا له قيمة فى الجيل الذى ظهر فيه المسيح، وهو الجيل الذى كان يظن أن بعض أهله يحفظون شيئا منه شفويا، ولم يبين المبشرون أن واحدا من ذلك الجيل كان باقيا، وكان حافظا للإنجيل كله أو بعضه.

- أن روح القدس ألهم من اختار لانفاذ هذه المهمة، وهذا دليل على أنه لم يكن أحد حافظا للإنجيل يومئذ، وإلا فلا معنى للإلهام فى هذه الحالة، لأن الإلهام عندهم وحى يذكر مامضى أويأتى بشيء جديد.

- أن «مرقص» لم يكن من رسل المسيح، ولكنه كان تلميذاً لـ «بطرس» الرسول تلميذ المسيح وقد ذكر بعض مؤرخى المسيحيين أن «مرقص» كان يهوديا ولد بأقليم الخمس (المدن) وصنف إنجيله بطلب أهل رومية، وكان ينكر ألوهية المسيح.

وأنت ترى أن المبشرين يقولون: إن «مرقصا» هذا كتب إنجيله بناء على معلوماته الشخصية مضافا إليها معلومات «بطرس»، فكيف يكون ماكتبه بناء على معلوماته الشخصية هو الإنجيل الذى أنزله الله إلى عيسى، وهو لم يكن له حافظا، بدليل قولهم: إن روح القدس عصمه من الخطأ، وذكره بما عساه يكون قد نسيه إلخ. إذ لو كان حافظا لما احتاجوا إلى هذه المقدمة، على أن دعواهم أن الله عصمه وألهمه إلخ واضحة البطلان، لأنه ليس برسول فمن أين جاءته العصمة فى هذا المقام، على أنهم يقولون: إن الأنبياء أنفسهم غير معصومين، وعلى فرض أنهم معصومون فى التبليغ فلا يكونون معصومين فى هذا المقام على زعمهم لأنهم لم يبلغوا شرعا وإنما هم ينسخون كتبا موجودة من قبل فيجوز عليهم الخطأ بلا نزاع، فكيف يكونون معصومين.

وأيضا إذا لم يكن رسولا فما معنى قولهم: (إن الله ألهمه ما يكتب فى تلك الأخبار وما لا يكتب) مع أن الإلهام هو الوحى عندهم والوحى لا يكون إلا للرسول.

وبعد هذا وذاك، فمن ذا الذى قال عن «مرقص» إنه معصوم، هل أخبر المسيح بذلك، أو نطق كتاب مقدس به، اللهم كلا. فما معنى دعوى العصمة هنا؟ أليس ما يقوله المبشرون فى هذا المقام حجة قائمة عليهم لا لهم؟ نعم، إنه لكذلك ولكنهم لا ينصفون ولا يدركون.

من هو لوقا؟ ومتى كتب إنجيله ؟ يقول المبشرون: إن «لوقا» هو رفيق «بولس» الرسول، وانه كتب بشارته بين سنة ٦٠ ، ٧٠ بعد الميلاد ، أي أنه ليس برسول المسيح، وليس من تلامذته، وإنما هو رفيق لـ «بولس»، ولا ريب في أن مجرد الرفقة لا تفيد أنه موحى إليه من عند الله كالرسول، وهؤلاء أصحاب رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم افتدوه بأرواحهم وأموالهم ولم يقل أحد من المسلمين أن واحدا منهم موحى إليه، مهما كان ملازما للنبي صلى الله عليه وسلم ومقربا منه إليه، كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما. فلماذا لا يكون «لوقا» هذا وضع كتابا من عند نفسه لغرض ما، وسماه إنجيلاً وهذا الاحتمال يؤكده ما صدر به كتابه، وإليك نصه: (إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا، كما سلمها إلينا الذين كانوا من البدء معينين خداما للكلمة، رأيت أيضا إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق، أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز «ثاوفليس» لتعرف صحة الكلام الذي علمت به) [١].

فهذا تصريح من لوقا بأنه وضع قصته هذه من تلقاء نفسه، بعد أن تتبع أقاصيص الأولين بتدقيق، فهو يكتب لعزيزه «ثاوفليس» قصة محررة مما تعلمه بعد البحث. فمن ذا الذي يلغي عقله بعد هذا؟ ويقول: إن «لوقا» يكتب كلام الله الذي أنزل إلى عيسى، ومن ذا الذي يستطيع أن يقول: إن لوقا ألهمه الروح القدس وعصمه من الخطأ فيما يكتب، وهو ليس برسول؟

على أن هذه المقدمة التي صدر بها كتابه جعلت كثيرا من مفكري النصارى يصرحون بأن إنجيل «لوقا» ليس إلهاميا، فقد نقل صاحب كتاب «الفارق بين المخلوق والخالق» عن «مستر كدل» أنه قال: قد نص في رسالة الإلهام على أن إنجيل لوقا ليس إلهاميا، استنادا إلى ماصدر به كتابه.

ويقول «اكهارن» قد اختلط الكذب الروائي بالمعجزات التي نقلها لوقا، إلخ ما قال.

والحاصل: إن المبشرين يسلمون بأن لوقا ومرقص ليسا برسولين، ويسلمون بأنهما لم يكونا حافظين للإنجيل الذي أنزل إلى عيسى، ولكن قد ألهمهما الله تعالى ذلك الإنجيل، وعصمهما من الخطأ والنسيان، وهذا التسليم دليل قاطع على أن نصف الأناجيل المعتبرة عند المسيحيين الآن ليست من عند الله حتما باعترافهم، فضلا عن أن مرقصا ولوقا إنما يتحدثان بوقائع خاصة بهما، ويخبران في كثير من المواضع عن حوادث لا علاقة لها بالمسيح ولا بشريعته، وهما ليسا برسولين ولا معصومين، ومع هذا كله فهما يتكلمان من تلقاء أنفسهما بكلام عادي لا بلاغة فيه، فكل من سمعه يستطيع أن يغيره ويبدله وينقله محرفا.

أما بولس الذي يقولون عنه: إنه نبي، فإنهم لم يستطيعوا أن يستدلوا على نبوته بشيء، ومع ذلك فإنه لم ير المسيح، ولم يكن من أصحابه، وقد ذكر بعض مؤرخيهم: أنه كان يهوديا، وكان من

---

(١) الإصحاح الأول عدد ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ إنجيل لوقا .

أشد الناس عداوة للنصارى، وطعنا عليهم، ولكن رأى من مصلحته أن ينضم للنصرانية بصورة تجعلهم يقبلون عليه، ويسلمون له قيادهم، ليكون زعيما لهم، فزعم أنه صرع فجاء إليه المسيح ومسه بيده ، فبرئ من الصرع، ثم قال له احذر أن تسب النصرانية بعد، فآمن بالمسيح وأرسله ليبشر بالإنجيل، فانطلت حيلته هذه على رؤساء الكنيسة، فسلموا إليه قيادهم، فأخرجهم عن الآداب التى كانت فى التوراة، وأباح لهم الخمر، وأكل الميتة وقال لهم: إنه لا ينجى من الله صلاة ولا صيام ولا صدقة ولا شيء من ذلك، وإنما الذى ينجى منه هو الإيمان بأن المسيح هو الإله الذى مات من أجلنا ليكفر عنا خطايانا، فهذا الإيمان وحده كاف فى النجاة، فلا تضر معه معصية مطلقا، ولهذا قال صاحب تخجيل من حرّف الإنجيل «وقد سلبهم بولس هذا من الدين بلطيف خداعه، إذ رأى عقولهم قابلة لكل ما يلقى إليهم إلخ ما قال».

ومما لاشك فيه أن المؤرخين الذين يقولون فى «بولس» هذا الكلام يستطيعون أن يبرهنوا عليه بالبراهين القاطعة، لأنه لايصح فى عقل مخلوق أن الله تعالى يشرع للناس ما يضر بعقولهم وأبدانهم، فيبيح لهم الخمر وأكل الميتة، ويحرضهم على الاباحة والفوضى صريحا إذ يقول لهم: إن الإيمان وحده كاف فى النجاة، فكل من يأتى بمثل هذه التعاليم الممقوتة، ويقول: إنها من عند الله لا يمكن للعقلاء أن يصدقوه فيما يقول.

من هو يوحنا؟ ومتى كتب انجيله؟ وأما إنجيل «يوحنا» فإنه كتبه مابين سنة ٩٠ ، ١٠٠ فلم يجزم المبشرون بالسنة التى كتبه فيها، ولكنهم، جزموا بأنه كتبه فيما بين التسعين والمائة، وجزمهم هذا غير صحيح، فقد نقل فى «إظهار الحق» عن (هورن) أنه قال (فى الباب الثانى من القسم الثانى من المجلد الرابع من تفسيره المطبوع سنة ١٨٢٢):

إن الحالات التى وصلت إلينا فى باب زمان تأليف الأناجيل من قدماء مؤرخى الكنيسة بتراء، وغير معينة، لا توصلنا إلى أمر معين، والمشايخ القدماء الأولون صدقوا الروايات الواهية وكتبوها، وقبل الذين من بعدهم ماكتبوه تعظيما لهم، وهذه الروايات الصادقة والكاذبة وصلت من كتاب إلى كتاب آخر، وتعذر نقضها بعد انقضاء المدة. إلى أن قال: «وافق الإنجيل الرابع يعنى إنجيل يوحنا سنة ٦٨ أو سنة ٦٩ أو سنة ٧٠ أو سنة ٨٩ أو سنة ٩٨»... إلخ، وسواء كان هذا أو ذاك، فإنهم لم يستطيعوا معرفة السنة التى كتب فيها، ولو بطريق التقريب. وفضلا عن ذلك، فليس عند المبشرين أى دليل، أو شبه دليل على أن يوحنا هذا هو تلميذ عيسى بن مريم، ليكون دليله هذا حجة على من يقول من علماء النصرانية إن هذا الإنجيل لم يؤلفه يوحنا تلميذ المسيح، بل وضعه طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية (راجع كاتلك هرالد صفحة ٨٠٥ من المجلد السابع المطبوع سنة ١٨٤٤) فقد ذكر فيه أن «استادلن» قال «إن إنجيل يوحنا جميعه تصنيف طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية بلاريب».

فإذا كان المبشرون ينكرون هذا القول، فما هو الدليل على صدق قولهم؟ .

إنه لا دليل لهم على ما يزعمون، وإنما الدليل القاطع قائم عليهم، لأن هذا الإنجيل الذى ينسبونه إلى المسيح ورسله، قد اشتمل على ماينادى ببطلان ادعائهم، كما ستعرف من المتناقضات التى سنذكرها لك.

وأيضا فقد نقل فى «إظهار الحق» عن كروتيس: أن هذا الإنجيل كان عشرين بابا، فألحقت كنيسة «افساس» الباب الحادى والعشرين بعد موت يوحنا، وقال أيضا عن «برطشنيد» أنه قال: إن الإنجيل كله، وكذا رسائل يوحنا، ليست من تصنيفه، بل ألفها شخص آخر فى ابتداء القرن الثانى.

إنجيل متى، ومتى كتب؟ وأما إنجيل «متى» فقد قال المبشرون: إنه كتب قبل سنة ٧٠ للميلاد، ولكن مع تعصب المبشرين لم يقدروا على بيان السند فى حق هذا الإنجيل، بل قال بعضهم ظنا، إن «متى» كتبه باللسان اليونانى، وظنهم هذا مردود، لأنه بلا دليل، فهذه الترجمة ليست بواجبة التسليم، بل هى قابلة للرد.

والواقع أن الإنجيل الذى ينسب إلى «متى» الآن. هو أول الأناجيل وأقدمها عندهم، وهو ليس من تصنيفه يقينا.

على أن إنجيل «متى» كان باللسان العبرانى، وهو فقد بسبب تحريفه، والإنجيل الموجود الآن ترجمته، ولم يوجد عندهم إسناد تلك الترجمة، حتى لم يعلم اسم المترجم أيضا باليقين، كما اعترف به «جيروم» من أفاضل قدمائهم، وإنكار المبشرين لذلك لم يغير وجه المسألة أدنى تغيير، لأنه يصح أن يقال لهم: ماهو السند الذى يعولون عليه فى كون «متى» كتب إنجيله فى هذه السنة؟ وبينوا لنا اللغة التى كتبه بها؟ ومن ترجمه إلى غيرها؟ ومتى ترجمه؟ وما هو حال المترجم؟

وحيث أنهم لم يبينوا فى مقام البيان كان ذلك دليلا على عجزهم وكان للمفكرين الحق فى أن يردوا هذا الإنجيل الذى يستحيل أن يكون بنصه من عند الله رب العالمين، لما فيه من المتناقضات التى ستعرفها.

متى دونت واقعة صلب المسيح ؟ يعترف المبشرون أن واقعة صلب المسيح وموته ودفنه وقيامته وصعوده لم يدون منها التلاميذ شيئا، إلا من بعد صعوده طبعا، ولا أدرى كيف يمكن الاطمئنان حقيقة إلى أن الكلام فى هذه الحادثة هو من الإنجيل الذى أنزل إلى عيسى، أو هو وحى جديد أنزل إلى رسل آخرين غير عيسى بن مريم؟ فلا يكون لهم وجه فى التكلم حينئذ فى مدح القرآن للإنجيل الذى أنزل إلى عيسى، أو يجزم بأن كلامه هذا لغو من القول لا يصح لمفكر أن ينطق به فى مقام قرع الحجة بالحجة لاشك فى أن ذلك من عجائب نزعات العقول الإنسانية، وإلا فقل لى بربك: إنهم

يزعمون أن المسيح صلب على خشبة خاصة، فى ساعة خاصة، ونطق بكلمات خاصة، طلب ماء فأعطى خلا فى أسفنجة، وانشقت القبور وخرجت منها الأموات وساحوا فى البلد ورءاهم الناس، وأخذ حراس قبره رشوة من الكهنة، حتى لا يخبروا بقيامه، وجاءت مريم المجدلية ومعها أكفان وحنوط فلم تجده فى قبره.....إلخ.

كل ذلك حصل والمسيح ميت، ولم ينزل عليه الإله شيئا قبل ذلك منه، ولم يخبر به وكل ما أخبر به قبل موته: أنه سيموت من أجلهم، وأنه قد أظهر جزعه....إلخ ما سيأتى فى مباحث الصلب فإذا جاء بعده شخص وقص هذه القصة فلا يخلو الحال حينئذ عن أحد أمرين:

الأول : أن يكون غائبا فلم ير الحادثة ولم يعلم بها من الناس فأوحى الله إليه بها فيكون رسولا قد جاء بوحى جديد.

الثانى : أن يكون حاضرا مشاهدا، أو أخبره بها الحاضرون، وحينئذ تكون قصة تاريخية لا كلام الله.

وعلى الحالين لا تكون إنجيلاً وأمثال هذا كثير فى رسالاتهم التى يعتبرونها انجيلا، من ذلك: ما قدمناه لك فى رسالة «بولس». ومن ذلك ما ذكره «بولس» هذا فى رسالته الثانية إلى «تيموثاوس» إليك نصه:

(بادر أن تجىء إلىَّ سريعًا، لأن «ديماس» قد تركنى، إذ أحب العالم الحاضر، وذهب إلى «تسالونيكى» و «كريسكيس» إلى «غلاطية» و «تيطس» إلى «دلماطية». «لوقا» وحده معى. خذ «مرقص» وأحضره معك، لأنه نافع لى للخدمة. أما تيخيكس فقد أرسلته إلى «أفسس».. الرداء الذى تركته فى «ترواس» عند «كاريس» أحضره متى جئت، والكتب أيضا، ولا سيما الرقوق «اسكندر النحاس» أظهر لى شرورا كثيرة، أجازه الرب حسب أعماله) ... إلخ .

قل لى بربك أى عاقل يقول: إن هذا الكلام الذى هو رسالة شخصية محضة، يستطيع أن يكتبها زارع الحقول إلى أهله، تكون وحيا من عند الله.

ثم ما فائدة هذا الوحى للناس، أو لنفس الرسول، وإذا ألغينا عقولنا، وقلنا: إنه وحى، فكيف يكون من الإنجيل الذى أنزل إلى عيسى بن مريم.

اللهم اهد عبادك إلى سواء السبيل، وارفع عن بصائرهم كل مايعمى عن الحق يارب العالمين.

وأمثال ذلك كثير جد الكثرة، إذا تتبعناه يطول بنا الكلام إلى أبعد مدى، فلنقتصر على ما ذكرناه لك.

على أن كثيرا من زعماء ديانتهم قد اضطروا أخيرا إلى أن يسلموا أن مثل هذه ليست وحيا.

وقد شعر المبشرون بذلك الإشكال المتين، فأرادوا أن يتخلصوا منه بطريقة غير صريحة فيقولون إن خلاصة أسفار العهد الجديد، وزبدتها: اعلان محبة الله للبشر، بحيث أنه أرسل لهم يسوع المسيح

ليخلصهم من خطاياهم، وهذا خبر سار جدا، فدعى به العهد الجديد، أو بالعبارة اليونانية المعربة «إنجيل» فكأنهم يريدون أن يقولوا: إن كل ديانتهم وكتبهم المقدسة فى نظرهم منحصرة فى هذه الحالة، وهى التبشير بأن الإله قد انتحر ليخلصهم من الخطايا، وذلك هو الوحى الصحيح المتفق عليه وما عداه فلا يضر فيه الاختلاف ولهذا نقل علماؤنا[1] عن «جيروم» عن صاحب رسالة «الالهام» أنه قال إن الحواريين كانوا يتكلمون ويكتبون بمقتضى عقولهم بغير الإلهام وساق أمثلة كثيرة لذلك منها بعض ماذكرناه لك آنفا ومنها، رسالة «بولس» إلى «افليمون» ومنها قوله:

«ومع هذا أعدد لى أيضا منزلاً» كما هو مصرح فى الآية الثانية والعشرين من رسالته إليه، وقال فى رسالته الأولى إلى أهل «كورنيثوس» أما المتزوجون فأوصيهم، لا أنا بل الرب وأما الباقون فأنا أقول لا الرب، (وذلك نفى صريح للوحى الإلهى).

«وفيها وأما العذارى فليس عندى أمر من الرب فيهن ولكننى أعطى رأيا».

ثم ختم عبارته بقوله: فالحواريون كان لأمورهم أصلان أحدهما: العقل، والثانى الإلهام، فبالنظر إلى الأول كانوا يحكمون فى الأمور العامة، وبالنظر إلى الثانى فى أمور الملة المسيحية فلذلك كان الحواريون يغلطون فى أمور بيوتهم وإراداتهم مثل سائر الناس ... إلخ.

فأنت ترى أن ذلك اعترافا صريحا بما يقوله المسلمون من أن الأناجيل المقدسة عند النصارى هى خليط من كلام الناس، كقصص وأخبار جمعوها من مصادر غير موثوق بها، وقد أضاف إليها مؤلفوها أحاديث عن أنفسهم، فما كان منها معقولا مقبولا يطابق القرآن الكريم فإنه يكون قد صادف ما جاء به عيسى بن مريم، وما ليس كذلك يكون من عمل الجهلة المفسدين.

أما قول صاحب «الإلهام»: إن كتبة الإنجيل، كانوا يقولون فى الملة المسيحية بالالهام لا بالعقل فإنه لا يدفع شيئا من الاشكال، لأنه قد سلم أنهم حكموا العقل فى معظم رسائلهم وأناجيلهم، ومع هذا فقد اتخذها جمهور المسيحيين كتابا مقدسا أوحى الله به إليهم فهاهم أولاء قد حكموا العقل فى أصل الأصول فى نظر المسيحيين.

وأيضا إذا جردنا الأناجيل من مثل العبارات التى ساقها صاحب «الإلهام» وقصرناه على ما نطق به عيسى أو نقلوه هم من الوصايا: انحصر الإنجيل فى جمل قصيرة، وهى ما خاطب به المسيح الفريسين والصدوقيين، وما أمر به تلاميذه، ويكون أول ما يخرج من الوحى حكاية صلبه التى هى أساس عقيدتهم.

---

(١) الأستاذ الشيخ رحمة الله عليه الهندى صاحب إظهار الحق.

نعم لو سلمنا أن المسيح قال: إنه سيسلم إلى الأعداء، وإنهم سيعتدون عليه، ولكن مع ذلك لم يجزم بأنه سيصلب بهذه الكيفية. فكيف يسوغ للمسيحيين بعد ذلك كله أن يعتبروا هذه الأناجيل كتبا مقدسة؟ وكيف يقولون: إنها من عند الله.

اسئلة مطلوب من المبشرين الإجابة عليها . إن المبشرين يستمسكون فى اثبات أناجيلهم بنسيج العنكبوت وشعاع الشمس، وإلا فليجيبوا لنا عن الأسئلة الآتية إذا كانوا صادقين:

١ ـ ما هى الأسانيد الكافية التى تثبت نسبة أسفار العهد الجديد إلى المسيح؟ وهو لم يكتبها ولم يأمر بكتابتها، ولا بحفظها، وقد انقرض جيل بتمامه بعده، وهى فى زوايا النسيان، إلى أن جاء بولس الذى لم ير المسيح ولم يصاحبه، وكتب رسائله إلى البلدان، وهى كما تقدم رسائل شخصية محضة، كل من يقرؤها لا يسعه إلا الجزم بأنها ليست وحيا من عند الله؟ .

٢ ـ ممن كان هذا الاستفسار؟ ومن هم المستفسرون؟ وكيف كان هذا التحرى الدقيق؟ ألا يجمل بالمستدل أن يشرح للناس الوسائل التى استعملت فى هذا الموضوع، حتى يصح له أن يقنعهم بما يقول، أما أنه يدعى مجرد دعوى، فإن قوله يكون شيئا لا يليق به أن يقوله فى مقام الاستدلال .

٣ ـ ما الذى ذلل تلك الظروف الصعبة التى أحاطت بتلك الأسفار وسهل اعتقاد كونها إنجيلا، مع أنه لا يصح لعاقل أن يفهم فى وقت ما أنها وحى من عند الله ؟ وإذا كان مفكروا المسيحيين يقولون بصريح العبارة إن كثيرا منها ليس بوحى، فماذا يكون حال غيرهم من الناقدين ؟ .

٤ ـ ما هى مؤلفات المسيحيين الأولين التى صرحت بأن هذه الأناجيل والبشائر الأربعة اعتمدت من سنة ٧٠ إلى سنة ١٣٠ ؟ لقد كان ينبغى للمبشرين أن يذكروا مثالا لذلك، ولكنهم لم يفعلوا، ولنفرض أن عندهم أمثلة كثيرة لا مثالا واحدا، ولكن ألا يجدر بهم أن يعتبروا أن مثل هذه المؤلفات لا يصح التعويل عليها، لأنها لم تستطع أن تحدد الزمن الذى اعتمدت فيه هذه الأناجيل، ولو بوجه التقريب، لأنها تزعم أن ذلك كان مابين سنة ٧٠ إلى سنة ١٣٠. ومما لا ريب فيه أن الفرق بين التاريخين كبير، يزيد على نصف قرن، وذلك وحده كاف فى التشكيك وعدم احترام مثل هذا القول، لأنه يصح أن يختلف الناس فى حادثة وقعت فى زمن يتراوح بين سنتين أو ثلاث أو عشر، أما الذى يختلف فى ستين عاما، فإنه لا يعول على قوله ولا يعبأ به، ولنفرض أن مؤلفات المسيحيين الأولين حجة فى هذا الموضوع، فمن الذى اعتمد أن هذه الكتب وحى من عند الله؟ أليس المعتمد هى المجتمعات التى ليست معصومة من الأخطاء، ولا صلة بينها وبين الرسل بحال من الأحوال، والدليل

على ما نقول أنهم كانوا لا يعولون عليها هم أنفسهم، كما صرحوا بذلك، فقالوا إن المجمع الأول الذى اعتمد هذه الأسفار المتداولة اليوم ماعدا الرسائل التى ذكرها قد ضرب باعتماده عرض الحائط، وجاء غيره وأبطل عمله، وأدخل الرسائل التى رفضها الأول .

وهنا يصح لكل واحد أن يتساءل: أى العملين أجدر بالاتباع؟ وماهى الأدلة التى استدل بها الأولون والأخيرون على عملهم؟ وهل الوحى الإلهى يثبت بالتشهى والمجتمعات، فيأتى جماعة من الناس ويقررون أن هذا الكلام وحى من عند الله، فيعمل بقولهم جيل أو أجيال، ثم يأتى من بعدهم مجمع آخر، ويقول: إن المجمع الأول مخطىء، فيتبعه الناس، وهكذا .

ومع كل هذا ، هل يتصور عاقل أن هذا الذى تختلف فيه الآراء هذا الاختلاف هو كلام الله؟ بدون شك إن هذا لهو البلاء المبين.

فإذا كانت هذه الاشكالات تتجه ضد المبشرين، ولم يستطيعوا أن يجيبوا عنها ببنت شفة، فبأى وجه يدافعون عن الإنجيل ؟ .

أقسام التوراة والإنجيل المشكوك فيها . ويمكن تقسيم كلا من التوراة والإنجيل عند المسيحيين إلى قسمين قسم مسلم به منهم، وقسم مشكوك فيه .

فالقسم المشكوك فيه من التوراة تسعة أبواب .

(١) باب استير . (٢) باروخ . (٣) جزء من كتاب دانيال . (٤) طوبيا (٥) يهوديت .

(٦) وزدم . (٧) ايكليزيا ستيكس . (٨) المقابين الأول . (٩) المقابين الثانى .

وأما القسم المشكوك فيه من الإنجيل، فهو سبعة، وبعض الفقرات من الرسالة الأولى ليوحنا .

(١) رسالة بولس إلى العبرانيين . (٢) الرسالة الثانية لبطرس . (٣) الرسالة الثانية ليوحنا . (٤) الرسالة الثالثة ليوحنا . (٥) رسالة يعقوب . (٦) رسالة يهوذا . (٧) مشاهدات يوحنا .

فكل هذه الأبواب من الكتاب المقدس عندهم مشكوك فيها ، فانعقد من أجلها مجتمعات: الأول فى سنة ٣٢٥ م فقرر ادخال كتاب يهوديت فى التوراة، وترك الباقى مشكوكا فيه، ونقل ذلك عن «جيروم» ثم انعقد مجلس آخر سنة ٣٦٤ فأدخل سبعة أبواب أخرى زيادة على باب يهوديت وهى :

(١) استير . (٢) رسالة يعقوب . (٣) الرسالة الثانية لبطرس . (٤) ، (٥) الرسالة الثانية والثالثة ليوحنا . (٦) رسالة يهوذا . (٧) رسالة بولس إلى العبرانيين .

ثم انعقد مجمع آخر سنة ٣٩٧ فأدخلوا فى التوراة :

(١) كتاب وزدم . (٢) كتاب طوبيا . (٣) كتاب باروخ . (٤) ايكليزيا استيكس .

(٥) ، (٦) كتابا المقابين . (٧) مشاهدات يوحنا .

فأصبحت الكتب المشكوك فيها كلها داخلة فى التوراة والإنجيل وظل العمل بذلك جاريا فى الكنائس إلى سنة ١٢٠٠م ثم بعد ذلك ظهرت الفرقة البروتستانتية فردوا حكم مجامعهم كلها فى كتاب باروخ . طوبيا . يهوديت . وزدم . ايكليزيا ستيكس وكتاب المقابين وقالوا إن جميع هذه الكتب ليست من الإنجيل والتوراة . فأنت ترى من كل هذا أن اثبات كون هذا من التوراة والإنجيل أو لا تابع لأهوائهم وإذا كان كلام الله محلا للمحو والاثبات إلى هذا الحد فأى ضمان يضمن عدم تحريف الباقى. لا شك فى أن ما يقوله المسيحيون أنفسهم فى كتبهم هو عين ما يقوله المسلمون من أن سندهما إلى موسى وعيسى قد انقطع فلم يستطع القوم أن يجزموا فى أمرهما بشىء فتراهم يتخبطون فيهما ذلك التخبط المعيب فتقرر أمة منهم أن كثيرا من نصوصهما وحى من عند الله وتعمل كنائسهم بذلك القرار ثم تأتى منهم أمة أخرى فتقرر أن هذه النصوص ليست وحيا من عند الله بل هى دخيلة فى الكتاب المقدس عندهم فينقضون قرار الأمة الأولى ويرفضون هذه النصوص ثم بعد ذلك كله يقولون إن المسلمين يطعنون على كتابنا المقدس ويدعون أنه محرف. ولعمرى ان المسلمين لا يقولون أكثر مما يقوله هؤلاء الناس فى كتابهم، غاية الأمر أن المسلمين يعتبرون المحرف من هذه الكتب ماكان مخالفا لدينهم وهو فى باب العقائد كل ما كان فيه نقص فى ذات الإله تعالى وصفاته كالثالوث والتجسد والاتحاد والصلب وعدم الإيمان بالقرآن وهكذا. وفى باب المعاملات كل ما ينافى المصلحة الإنسانية والنظم الإجتماعية والأخلاق الفاضلة ولا ريب فى أن ذلك من الفضائل التى تقرها العقول السليمة وتطمئن إليها قلوب أولى الألباب .

تعليل المبشرين للآيات غير الموجودة فى النسخ القديمة . يعترف المبشرون [١] بأن الآيات الآتية غير موجودة فى النسخ القديمة وهى بشارة مرقص ١٦ : ٩ إلى ٢٠ ، وبشارة يوحنا الأولى ٥ : ٧ ويقولون إنه مع العلم أن هذه الآيات لم تكن موجودة فى النسخ الأكثر أقدمية إلا أنها موجودة على الهامش فظنها الناسخ من الأصل فأدمجها فيه بسلامة نية ويقولون إنه سواء أصاب الناسخ فى ظنه أو أخطأ فإن هذه الآيات من أولها إلى آخرها وجودها أو عدمه لايؤثران فى جوهر الكتاب ولا فى أقل عقيدة من عقائد الكنيسة.

---

(١) انظر كتاب ميزان الحق ص١٥٣ .

ومعنى هذا أن المبشرين يسلمون بوجود آيات كثيرة فى نسخ الإنجيل لم تكن موجودة فى النسخ المتقدمة عليها ولا يعرفون إن كانت القديمة هى الصحيحة أو الجديدة ولكنهم يحاولون أن يخترعوا جوابا من تلقاء أنفسهم صوره لهم الوهم والخيال فقالوا إن هذه الآيات لم تكن موجودة حقا فى صلب أناجيلهم القديمة ولكنها كانت موجودة بهامشها (تأمل فى الاختراع) فظن الناسخ أنها وحى فأدمجها فى الصلب بحسن قصد فاندمجت فيه ، على أن هذه الآيات لا تؤثر على جوهر الكتاب فوجودها وعدمها سيان.

وهذا التعليل خطير من وجوه :

أولا : ما هى الوسائل التى تمكنهم أن يميزوا بها كون هذه الآيات وحيا من عند الله أو ليست بوحى؟ مع أن تصريحهم بهذه الحكاية يدل دلالة قاطعة على أنه لم يكن أحد يحفظ الإنجيل وقت كتابته، إذ لا يعقل أن ينسخ الكتبة كلام الله ثم يضعوا ما على الهامش بالصلب ويتداول فيما بين الناس أزمنة كثيرة وهم حافظون له، ولا يصلحونه، بل لا يعقل أن يضع الكتبة شيئا فى كتاب الله مشكوكا فيه إلى هذا الحد وهم يعلمون أن له حفاظا يمكن الرجوع اليهم. وها نحن أولاء فى زمن كثرت فيه الطباعة إلى حد عظيم، وكل إنسان يستطيع أن يطبع القرآن الكريم ويراجعه على نسخ كثيرة، ومع ذلك فإذا وجدت غلطة واحدة ولو فى الشكل تقوم من أجلها قيامة الحفاظ ويطالبون باعدام هذا المصحف فما ظنك إذا زيدت فيه كلمة أو حرف وكان الحال على ذلك فى كل جيل من أجيال المسلمين. وأظن أنه لا يمكن الإجابة على هذا السؤال إلا بأن الإنجيل الموجود الآن ليس من عند الله، وأن لكل إنسان أن يدخل فيه ماشاء حينما يهوى.

ثانيا : يقولون إنه على فرض أنه دخل فى الكتاب المقدس عندهم ما ليس منه فماذا يضر إذا كان جوهر الكتاب محفوظا بدون تحريف. وهذا التسليم يقرب مسافة الخلاف بيننا وبين المبشرين إن كانوا يعقلون. لأن معنى هذا أن كل ما ورد فى الإنجيل لا يلزم أن يكون من عند الله ولا أن يكون بالإلهام وهذا يسقط معظم الكلام الوارد فى الأناجيل ولم يبق معنا إلا الخلاف فى جوهر الأناجيل الذى هو محور عقائد الكنيسة وهم يصرحون بأن ذلك الجوهر هو الإيمان بالمخلص ومعنى ذلك عندهم أن الإله تجسد وصار عيسى وصلبه اليهود وأماتوه ثم قام بعد الموت فى ثلاثة أيام وصعد إلى السماء وخلص العالم إلخ، ولا تكاليف بعد ذلك ولا شريعة، فإذا كان هذا الكلام يصح عند أقل الناس عقلا، أو وجد فى شريعة من الشرائع الإلهية القديمة إلا عند الوثنيين الذين لا يؤمنون بالإله، فإنه يصح أن يتمسكوا به ويصح أن يكون مثار جدل بيننا وبينهم، وإلا كان ذلك الجوهر الذى يقولون عنه أجدر بالحذف وعدم العناية من غيره .

ثالثا : يسلم المبشرون بأن النسخ القديمة كانت خالية من هذه الآيات وزادها الكتبة الناسخون، ونحن نقول لهم وما المانع من أن يكون الناسخ الأول هو الذى نسى كتابتها، فتكون النسخ القديمة هى المشتملة على الخطأ، وإذا كانت المسألة منوطة بالناسخين وليس هناك موازين يعرف بها الوحى الإلهى من غيره، وقد اعترفتم بأن الناسخين كانوا جهلة، فأى مانع من أن يكونوا قد أدخلوا فى الأناجيل كثيرا غير هذه الآيات لم تكن موجودة من قبل، وأى مانع من أن يكونوا قد أسقطوا منه كثيرا كان موجودا فيه، وبعد هذا ألا يستحى المبشرون من أن يحتجوا على عدم التحريف بقوله تعالى: «**لا تبديل لكلمات الله**»، فإذا كانوا هم يصرحون بالتبديل إلى هذا الحد فكيف يقولون إن كلام الله لا يبدل. اللهم هب لنا من لدنك صبرا على مناقشة مثل هذه النظريات الباطلة بالبداهة.

ماهى مصلحة المسلمين فى إثبات تحريف الإنجيل . إن المسلمين يأسفون جد الأسف على ما وصلت إليه حال الإنجيل الذى أنزل من عند الله حقا، فليس لهم مصلحة فى اثبات تحريف كتاب منزل من عند الله مع أن دينهم يأمرهم بالتصديق بالله واليوم الآخر بدون أن يفرقوا بين أحد من رسله، وما قالوا بالتحريف إلا مضطرين لتناقض هذه الأناجيل تناقضا ظاهرا، وعدم ملاءمة ما فيها لنظم الاجتماع وسنن الله فى خلقه، وعدم مطابقته للعقل والمنطق الصحيح، ومخالفته للدين الإسلامى القيم فى أحكامه وقضاياه التى هى أساس مصالح البشر، وتنزيه الإله القدير عن كل ما لا يليق به، فضلا عن تصريحات المسيحيين أنفسهم التى لا يشك من قرأها فى تحريف أناجيلهم تحريفا معيبا كما قدمنا لك وكما سيأتى. كل ذلك يضطرنا معاشر المسلمين إلى القول بتحريف هذه الأناجيل وأنها ليست هى التى أنزلت إلى عيسى ومع ذلك فنحن نتلمس كل معنى معقول مقبول فيها ونقول إن هذا يصح أن يكون من الإنجيل الذى أنزل إلى عيسى، ومن ذلك ما ورد فى الإصحاح الخامس من إنجيل يوحنا ونصه (إن من يسمع كلامى ويؤمن بالله الذى أرسلنى فله حياة أبدية) وقوله (أنا لاأقدر أن أفعل من نفسى شيئا كما أسمع أدين ودينونتى عادلة لأنى لا أطلب مشيئتى بل مشيئة الذى أرسلنى).

وذلك صريح فى أن المسيح عبد الله ورسوله، كما يقول لهم بصريح العبارة إنه لا قدرة له ولا مشيئة له وإنما هو يبلغهم كلام الله الذى أرسله، وكل من يسمع كلامه ويؤمن بالله الذى أرسله فإنه يحيى حياة طيبة خالدة، وذلك حق لا ريب فيه إذ هو مطابق للقرآن الكريم من جميع آياته، ولكنه ينافى تمام المنافاة ما يزعمون من أن عيسى إله كامل بروحه، لأن أقنوم الابن وهو الجوهر المجرد عن المادة المساوى للإله من جميع الجهات، قد اتحد بعيسى وتجسد، إذ لا يعقل أن يكون عيسى إلهاً كاملاً ويتحدث عن نفسه بأنه مسلوب القدرة والإرادة وأنه لا يعمل إلا لتنفيذ إرادة مرسله، ومن

يفهم سوى ذلك فإنه يأتى بخلل عظيم لا نظير له فى النظريات العقلية عند جميع أولى الألباب .

هل غير عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان في القرآن ؟. ومن المضحك فى هذا المقام أن المبشرين أرادوا أن يسهلوا على نفس قومهم هذا الطعن الذى وقع فى صميم الإنجيل بوقوع مثله فى القرآن أو أشد منه ، فقالوا إن علماء المسلمين قالوا إن فريقا من الشيعة أثبتوا أن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان غيرا جملة آيات من القرآن بسوء النية والقصد ليخفيا عن المسلمين حقيقتين هما من الأهمية بمكان: الأولى وهى أنه يجب أن يكون على صاحب الخلافة، والثانية يجب أن تحصر الخلافة فى ذريته.

ونحن نقول لهؤلاء المبشرين إننا لا نعرف أحدا من المسلمين قال ذلك، وإنما الذى يقول ذلك رجل جاهل غبى كافر بالله تعالى. وذلك لأن القرآن قد تواتر فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم بنصه كما هو الآن حرفا حرفا، وكان له حفاظ أرسلوا إلى اليمن وإلى غيرها من البلدان فنقلوا القرآن كما هو، وقد نقل إلينا جيلا بعد جيل بالحفظ التام والضبط الكامل متواترا.

ولا يمكن لمخلوق أيا كان أن يغير فيه كلمة أو يضع فيه حرفا أو يزيد فيه نقطة أو شكلة، من غير أن يكون ناقلا لها بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكيف يجرأ عمر أو غيره على أن يغير كلمة واحدة من كتاب الله وحوله آساد المسلمين يفدون كتاب الله بمهجهم وأرواحهم وقد كان عمر رضى الله عنه من أشدهم حرصا على كتاب الله، فقد انقاد وهو أمير المؤمنين لرأى امرأة عجوز فى حكم كتاب الله تعالى فى المهور، وقال أخطأ عمر وأصابت امرأة. فكل ما يقال مخالفا لذلك فالمسلمون يضربون به عرض الحائط، ولا يعولون عليه، فأين ذلك من اعترافهم بأن النسخ القديمة خالية من جمل، والجديدة مثبتة فيها هذه الجمل، ولا دليل على أن إحداهما هى الصحيحة سوى مجرد الدعوى، وأيضا ما المانع أن يكون هناك نسخ موجودة أقدم من النسخ الأولى فيها نقص عنها، و هكذا فلا توجد ثقة ما بجميع النسخ، وذلك واضح لايحتاج إلى بيان.

ويتخيل المبشرون أنهم يقابلون بين ما يسمونه كتابا مقدسا وبين القرآن الكريم، ويتوهمون أنهم يستطيعون أن يجدوا لهم منفذا ينفذون منه إلى أن يعقدوا شبها بين الأغلاط الموجودة فى كتابهم وبين الحقائق العلمية الموجودة فى كتاب الله فيقولون إن اختلاف القراءات فى كتابهم يوجد أكثر مما فى القرآن لعدة أسباب:

(١) لأن حجمه أربعة أضعاف القرآن . (٢) انه أقدم من القرآن بكثير . (٣) انه كتب فى ثلاث لغات: العربية واليونانية والآرامية وكتب القرآن بلغة واحدة وهى العربية . (٤) إحصاء القرآن فى التراجم القديمة كلها ، ولو قد ثبت أن كثيرا منها غلطات وقعت من المترجمين، ولم ينتج عنها

---

(١) انظر كتاب ميزان الحق ص ١٣٦ .

اختلاف جوهرى ... إلخ ما يقولون[1] . وبذلك فهم يعترفون من حيث لا يدرون بالحقيقة الناصعة، وإلا فأين اختلاف القراءات التى تواترت عن الرسول صلى الله عليه وسلم الذى قال أنها أنزلت عليه من ربه على هذا الوجه، من اعترافات المبشرين بالأغلاط التى وقعت من المترجمين، وهل تدرى أيها القارىء، أن هذه الأغلاط قد أحصيت فى العهد الجديد بواسطة علمائهم[1] فوجدت ١٤٠٠ ألفا وأربعمائة، وكلها فساد وبدع. وإذا كان هذا حال الإنجيل وهو كما علمت قصة صغيرة فماذا يكون حال التوراة ؟

وأغرب من هذا أن جميع التراجم التى ترجمت إليها كتبهم، مطعون فيها، ولم يعرف أحد منهم قيمة المترجم وأمانته، ولم تعرف الأصول التى ترجموها، ومع هذا فإنهم حملوا حملات منكرة على كثير من المترجمين المعروفين، مثل «لوثر» فقد نقل «وارد كاتلك» عن «زونكليس» من أعظم علماء بروتستانت أنه قال لـ «لوثر» الذى ترجم كتابهم: يا «لوثر» أنت تخرب كلام الله، أنت مخرب عظيم للكتب المقدسة، ونحن نستحى منك استحياء إلخ ما قال. وقد رد «لوثر» ترجمة زونكليس ولقبه بالأحمق، والحمار والخادع. وقال القسيس «وككرمى» ترجمة العهد العتيق معيبة وعيبها ليس بالقليل، وترجمة العهد الجديد أيضا معيبة وعيبها ليس بالقليل إلخ، وكل ذلك ذكره «وارد كاتلك» [2].

وإذا كانوا يطعنون فى تراجم أئمتهم، ويعتبرونها خللا، فكيف بالمترجمين الجهلة الذين لا يميزون بين الحق والباطل ولا يفرقون بين الحسن والقبيح؟ ومن ظرف المبشرين بأنهم يعترفون بأنه قد ثبت أن كثيرا من الاختلاف الموجود فى الأناجيل خطأ وقع من المترجمين، فهم فى هذا منصفون لا ينكرون الحق الواضح، لكن فاتهم أن هذا الاعتراف ينقض أناجيلهم رأسا على عقب. وإلا فما هى الموازين التى عرفوا بها الغلط من غيره، وإذا كان الخطأ معروفا لديهم فلماذا أقرته مجامعهم فى كتبهم ولم يخرجوه منها. وإذا كانت كل الوقائع التى تقدمت تدل على أن الأناجيل لم تكن محفوظة مطلقا ولم يوجد سند ولو ضعيفا يفيد نسبتها إلى عيسى، فما هو الدليل على صحة باقيها ؟ وأظرف من هذا هو قولهم أن هذه الأغلاط لم ينتج عنها اختلال جوهرى، أى نعم أيها المبشرون قد نتج عنها اختلال، ولكنه غير جوهرى، إنما لا أكتمكم الحق أن الكتب الإلهية المبنية على العقائد الجازمة إذا دخلها اختلال غير جوهرى فإنه يوجب الشك فيها على الأقل، والشك ينافى الاعتقاد، فلا يصح فى هذه الحالة أن تنسب إلى الله تعالى، على أن الاختلال الواقع فى أناجيلكم جوهرى بلا شك كما تقدم. وأظرف من هذا وذاك أنهم بعد اعترافهم بالأغلاط على هذا الوجه المفضوح، حاولوا أن

(١) انظر كتاب وارد كاتلك المطبوع سنة ١٨٤١ . (٢) راجع كتاب إظهار الحق ص ٨ .

يستروها فذكروا أن عثمان بن عفان قد راجع القرآن وأصلح ما فيه قبل نشره ثم أحرق النسخ القديمة كلها ولم يبق إلا نسخة حفصة. وذلك هو السبب فى أن القرآن وجد محررا لاتناقض فيه، ولا غلط بين آياته، أما الكتاب المقدس عندهم فإنه مسكين، لم يتح لأحد أن يراجعه ويصلح مافيه، فظلت أغلاطه على ماهى عليه. وهذا بلا ريب يدل على عدم المهارة فى الاستدلال لأن معنى كلامهم هذا أنهم يسلمون بأن كتابهم مشتمل على أغلاط بحسب أصله، ويسلمون بأنه قد انتشر بين الناس وهو مشتمل على الأغلاط. وذلك لأنه لم يراجع قبل النشر فسجلت فيه هذه الأغلاط وأصبحت جزءا منه. وأما القرآن الكريم الذى يتحككوا فيه ويحاولوا أن يستروا هذه الفضيحة فى ظله فهو أرفع مقاما، وأجل قدرا من أن يوجد فيه أغلاط حتى فى كتابته، لشدة عناية المسلمين بأمره.

أما ما يتخيله المبشرون فيما روى عن عثمان بن عفان فإنما هو سراب بقيعة. وإنى أقرر هنا ما أجمع عليه المسلمون بشأن القرآن، وهو أنه قد جمع فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحالة التى هو عليها، من أول كلمة فيه إلى آخر كلمة على هذا الترتيب الذى هو عليه الآن. ثم حفظه عدد كبير فى عهده بنصه على هذا الحالة أيضا، وهؤلاء الحفظة قد انتشروا فى أنحاء العالم وهم أشد الناس غيرة على تبليغه كما حفظوه، ومن ورائهم أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم الذين لا يبالون ببذل أرواحهم فى سبيل الدفاع عن كتاب الله. فما كان لأحد أن يدخل فيه كلمة أو يغير منه حرفا واحدا، فتواتر فى سائر الأمصار التى نزل بها المسلمون.

وفى عهد أبى بكر قتل بعض الحفاظ الذين كانوا عليهم المعول يومئذ فى حفظ القرآن، فطلب عمر من أبى بكر أن يكتب مصحفا ليزيد فى الوسائل التى تحفظ القرآن، فأبى أبوبكر فى بادىء الأمر، لأن المسلمين يومئذ كانوا يحرصون جد الحرص على آثارالنبى صلى الله عليه وسلم فلا يسهل عليهم احداث ما يخالفها، ولكن عمر أقنعه بعد ذلك ففعل، ثم جاء بعده عثمان بن عفان فرأى اختلافا فى كتابة بعض المصاحف بحسب لهجات اللغات، فأراد أن يجمع الناس على مصحف واحد ويجعل كتابته مطابقة لما يناسب لغة قريش ففعل. ومن غريب أمر المسلمين فى هذا المقام حرصهم على نصوص القرآن التى تواترت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حد أنهم احتفظوا بشكل كتابة الرسم العثمانى، واعتبروا مخالفتها غير جائزة مع أنه لا يترتب على هذه المخالفة أى تغيير فى كتابة المصحف بل بالعكس قد يكون فى مخالفتها تسهيل على غير الحفاظ، وذلك دليل قاطع على شدة [1] عناية المسلمين بالمحافظة على كتابهم، وتمسكهم بكل ما نقل إليهم عن رسولهم شكلا وموضوعا حتى لا يطمع أحد أن يمد يده إلى حرف واحد منه بتحريف أو تبديل.

---

(١) الرسم العثمانى يخالف فى بعض الأحيان الاصطلاح الكتابى المعروف كالصلاة تكتب بالواو والزكاة كذلك ونحو هذا. ومع ذلك فلم يرض المسلمون بالخروج عن هذه القاعدة محافظة على صورة المصحف المروى عن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

أما كون القرآن قد جمع فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما هو عليه الآن فدليله ماروى فى الصحيحين عن أنس رضى الله عنه أنه قال: جمع القرآن على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أربعة كلهم من الأنصار: أبى بن كعب، ومعاذ بن جبل، وأبوزيد، وزيد يعنى بن ثابت قلت لأنس من أبوزيد؟ قال أحد عمومتى.

ومن المسلم به أن القرآن كان مكتوبا مفرقا فى سعف النخل ونحوه بحسب نزوله، وكان للوحى كتبة معروفون يكتبونه كما يمليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فلا معنى لجمعه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ترتيب هذه الأشياء التى كان مكتوبا فيها حتى تكون طبقا للمحفوظ فى صدور الرجال .

ثم كتب فى عهد أبى بكر على الترتيب الذى جمع عليه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكل ما فعله أصحاب رسول الله إنما هو كتابة مصاحف متعددة، وقد ثبت فى الصحيح عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام فى كل عام مرة فى رمضان، وأنه عرضه فى العام الذى توفى فيه مرتين.

فما هى الأخطاء الكتابية التى صححها عثمان. وهب أن هناك أخطاء كانت فى مصحف من المصاحف حرقه عثمان، فماذا يضير القرآن وهو محفوظ فى الصدور بنصه؟ أما الإنجيل فقد ثبت بالبراهين القاطعة بأنه لم يكن محفوظا لأحد وقد انقطع سنده إلى عيسى تمام الإنقطاع، ثم جاء أناس آخرون كمؤرخون يجهلون الشرائع والأحكام وأتوا بروايات زعموا أنها أناجيل. فكيف يصح قياسها على القرآن المتواتر الذى لاشك فى تواتره وأنه من عند الله .

أقوال مشاهير الكتاب المسيحيين فى بعض أسفار العهد الجديد : يقول المبشرون إن الاحصاءات المجمعية لأسفار العهد الجديد (كما مر) أحصاها مشاهير الكتاب المسيحيين منذ القرون الأولى للميلاد وقد ذكروا أشخاصا منهم «ايسيوس» فيقولون إن «ايسيوس» عقب على إحصائه بهذه الملاحظة فقال: (إن بعض المسيحين لم يقروا رسالة يعقوب، ولا رسالة يهوذا، ولا الرسالة الثانية لبطرس، ولا رسالتى يوحنا الثانية والثالثة، ولا سفر الرؤيا، لكن بعد التحرى الدقيق اقتنعوا بأن هذه الأسفار قانونية، ويجب قبولها ضمن أسفار العهد الجديد بعد التأكد القوى أنها وحى من الله).

ـ أنعم وأكرم بقول «ايسيوس» هكذا وإلا فلا . أليس «ايسيوس» رسولا موحى إليه أيضا، فما يقوله حجة لاشك فيها؟ بلى إن ذلك لمن أعجب ما يقوله المبشرون، وإلا فكيف يصح فى عقل مخلوق أن يقول جانبا عظيما من كتابهم المقدس يكفى فى اثباته أن يقول كاتب من الكتاب أنه وحى من عند الله، مع أن كثيرا منهم ومن مجتمعاتهم يقولون إنه ليس بوحى، ومن نصدق ياترى؟

أنصدق ايسيوس الذى يدعى أنه قد تحرى بدقة؟ أم نصدق مجتمعاتهم وكنائسهم الأولى التى قررت أن هذه الكتب ليست بوحى؟ وإنى أستحلف المبشرين هل يؤمنون حقا بعد هذه الشكوك بأن هذه الأسفار والرسائل وحى من عند الله، أو على الأقل أفلا يشكون فيها؟ أظنهم لا ينكرون ذلك الشك الذى تقضى به الطبيعة الإنسانية لا محالة. وإذا كانوا يشكون فكيف يقدسون كتابا اشتمل على شىء مشكوك فيه؟ ويجرءون على نسبته إلى الله تعالى. وإذا قالوا إنهم لا يشكون فيها بل هم يجزمون بأنها وحى من عند الله، فكيف يحكمون على أسلافهم الذين قرروا أنها ليست بوحى ورفضوا الإيمان بها؟ هل يعتبرونهم مؤمنين مع كفرهم بجانب كبير من كتاب الله؟ أو يعتبرونهم كفارا وهم لم يفعلوا شيئا إلا أنهم رفضوا ما لم يثبت لديهم؟ هل لهم أن يفتونا وأجرهم على الله؟

وبعد هذا وذاك فإذا كانوا يعترفون بذلك الاضطراب والشك فى جزء عظيم من كتابهم المقدس فما هو الدليل على سلامة الأجزاء التى يقولون إنها خالية من الشك؟ وما المانع من أن تكون كغيرها مكذوبة على الله ورسله لما فيها من تناقض واضطراب؟ اننى أحب أن أعرف الدليل بشرط ألا يكون على مثال أدلة المبشرين التى أوضحتها لك لأنها كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا. ومحال أن يستطيع أحد أن يقيم على ذلك دليلا.

الدليل الثانى : التناقض الصريح فى اناجيلهم المعتمدة :

إذا كان كل ما قدمناه من أقوال واعترافات المبشرين لا يكفى فى الدلالة على تحريف الإنجيل فلنذكر لهم دليلا ثانيا نبين فيه اعترافات بعض علمائهم ونبين لهم مافى الأناجيل المعتمدة عندهم من تناقض صريح لا يمكن أن يصدر عن الإله العليم الخبير الذى لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء.

ولهذا قد جاهر كثير من المفكرين الذين اطلعوا على هذه الكتب بأنها محرفة تحريفا واضحا وكان بعض علماء الديانات يصيح فى القرن الثانى بأن المسيحيين قد بدلوا أناجيلهم ثلاث مرات أو أربع مرات بل أزيد منها تبديلا كأن مضامينها أيضا بدلت، ونقل عن «فاتسل» من علماء فرقة «مانى كيز» أنه كان يصيح بذلك فى القرن الرابع فكان يقول ما ملخصه: من المحقق أن العهد الجديد لم يصنفه المسيح ولا الحواريون بل صنفه رجل مجهول الاسم، ونسبه إلى الحواريين ورفقائهم كى يقبل الناس عليه ويتمسكوا به، وقد آذى بعمله هذا أحباء المسيح ومريديه إيذاء بليغاً لأنه نسب إلى المسيح ورسله الكتب المملوءة بالتناقض والأغلاط.

وقد يقول المبشرون إنهم لا يعولون على هذه الأقوال، ولا يمكن أن يكون كلام هؤلاء حجة عليهم ولكن كيف يمكنهم التخلص من التناقض الصريح الذى لا يمكن تأويله؟ وكيف يصح أن تسع عقولهم أن كلام الله العليم الخبير يشتمل على التناقض الصريح.

ولقد ذكر كثير من المؤلفين المسلمين أمثلة كثيرة للتناقض تكاد تستنفد كل أناجيلهم بحيث لم يبق منها باب خالص من المتناقضات الصريحة وهانحن أولاء نذكر لك خلاصة منها مع الإيضاح.

الاختلاف في ذكر نسب المسيح ـ اختلفوا في ذكر نسب المسيح اختلافا بينا فقال متى: إن يوسف النجار صاحب مريم هو ابن يعقوب بن متان بن اليعازر[1] وقال لوقا: إنه يوسف بن هالى بن متان بن لاوى[2] إلخ وفى ذلك تناقض صريح لايمكن تأويله وقد جعل «متى» نسب عيسى متصلا برحبعام ابن سليمان بن داود [3]. وجعل «لوقا» نسبه متصلا بناثان بن داود وذلك تناقض أيضا، وقال متى: إنه شولتائيل بن يوحانيا وقال لوقا إنه ابن نيريا إلخ ما قال. على أن من يطلع على النسبين يظهر له اختلافهما فى غير موضع، فلو كان الإنجيل من عند الله تعالى لما وجد فيه هذا الاختلاف قطعا، ومما يلفت النظر قول لوقا عند بيان نسب المسيح ما نصه: وقد كان يظن أنه ابن يوسف بن هالى إلخ، أما متى فإنه ساق النسب من أوله فقال: كتاب ميلاد يسوع المسيح بن داود بن ابرهيم وساق النسب إلى أن قال: ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التى ولد منها يسوع فأما لوقا فقد ساق نسبه على حسب ظن الناس فإنهم كانوا يظنون أو يعتقدون أن الذى أحبل مريم هو يوسف النجار ثم سلسل نسب يوسف النجار إلى داود وإبرهيم .

فالنسب فى الحقيقة ليوسف النجار لا لعيسى، إذ لا صلة لعيسى بداود وإبرهيم من هذه الطريق، ولا أدرى كيف يدعى بن داود وهو ليس بابن يوسف النجار الذى نسب إليه على التحقيق .

أما متى فلم يحترس هذا الاحتراس، فقال عن المسيح أنه ابن إبرهيم وداود، ثم ابتدأ النسب إلى أن أنهاه إلى يوسف النجار، ومما لا ريب فيه أن يوسف النجار لا علاقة بينه وبين المسيح إلا أن أمه كانت مخطوبته.

فما فائدة ذكر نسب يوسف النجار فى الكتب المقدسة؟ ولماذا يأت بها الوحى؟ نعم كان يصح أن يأتى بنسب مريم التى ولد منها المسيح فعلا وينسب إلى أجداده لأمه فهو فضلا عن كونه متناقضا، فإنه لا فائدة له على التحقيق، لأن الوحى يصح أن يهتم بنسب عيسى لكونه رسولا له منزلة عند الله.

نعم قال بعضهم إن متى كتب نسب يوسف، ولوقا كتب نسب مريم، وحاولوا بذلك رفع التناقض ولكنهم قد حاولوا مستحيلا، لأن كلا من لوقا ومتى صرح بذكر يوسف ولم يذكر واحد منهما مريم.

وقد ذكر «آدم كلارك» عن «المستر هارسى» أنه قال: ويعلم كل ذى علم أن متى ولوقا اختلفا فى بيان نسب الرب اختلافا تحير فيه المحققون من القدماء والمتأخرين وهو يرجو أن الزمان يصفو فيكشف

---

(1) إنجيل متى إصحاح ١ : ١٥ .
(2) إنجيل لوقا إصحاح ٣ : ٢٣ .
(3) إنجيل متى إصحاح ١ : ٦ ـ ٧ .

عن حقيقة أمره. ولكن رجاءه قد خاب لأن الزمان قد زاد فى إشكاله ولم يتقدم أحد من علمائهم لتقريب هذا التناقض ولو من بعض الوجوه فكان ذلك دليل على أن لوقا ومتى يخبطان خبط عشواء.

التناقض بين الإصحاح الثانى من إنجيل متى الإصحاح الثانى من إنجيل لوقا ـ من قرأ الإصحاح الثانى من إنجيل متى، ثم قرأ الإصحاح الثانى من إنجيل لوقا يرى بينهما تناقضا عظيما، يدل دلالة قاطعة على أنهما من كلام المؤرخين الذين لا يتثبتون فى أخبارهم وإليك البيان: فأما لوقا فقد قرر فى هذا الباب بأن المسيح ولد فى بيت لحم، وحاصل القصة التى ذكرها بالضبط، أن القيصر فى ذلك الحين أصدر أمرا لكل مملكته يحتم به على كل واحد تسجيل اسمه فى البلدة التى هو منها، وكان يوسف النجار (وهو رجل مريم) مقيما فى الناصرة، ولكن بلدته الأصلية بيت لحم، فكان عليه أن يسجل اسمه فى بيت لحم حيث أنه من نسل داود فذهب هو وزوجته مريم ليكتبا اسميهما، فأخذ مريم المخاض هناك، فوضعت عيسى، وبعد سبعة أيام ختنته وسمته (يسوع)، ولما مضت أيام طهرها حسب شريعة موسى، ذهبت به إلى الهيكل لتقدمه إلى الرب مع ذبيحة (زوج يمام أو فرخى حمام)، كما هو مطلوب فى شريعة موسى. وكان فى الهيكل رجل صالح اسمه سمعان، فأخذ المسيح على ذراعيه ومجده وبارك له وأخبر بأنه هو يسوع المسيح. وكذلك فعلت حنة بنت فنوئيل، وكانت من الأنبياء فى نظرهم، فإنها وقفت تسبح الرب وتقول للجماهير المنتظرة فى الهيكل، إن هذا الصبى هو يسوع المسيح. وكذلك أخبر عنه الرعاة الموجودون فى تلك الجهة لأنهم رأوا نورا عظيما ففزعوا منه، فجاءهم الملاك وقال لهم إن المخلص قد ولد فأخبروا الناس بذلك.

وبعد أن أكملت مريم ويوسف الطقوس الدينية المطلوبة للمواليد، رجعا بالمسيح إلى بلدتهما الناصرة، على أنهما كانا يذهبان به إلى أورشليم كل سنة فى عيد الفصح ويرجعان ثانيا وهما فى دعة وأمان، فلم يرعهما شىء إلا أنهما ذهبا به مرة وهو ابن اثنتى عشرة سنة فاختفى منهما فى الطريق وهما عائدان، فلما تفقداه ولم يجداه فزعا فزعا شديدا، وأخيرا رجعا إلى أورشليم فوجداه جالسا فى الهيكل وسط المعلمين، يسألهم أسئلة متينة جعلتهم فى حيرة، فأخذاه ورجعا به إلى الناصرة.

ذلك هو الذى قرره لوقا فى ذلك الباب بنصه تقريبا. ومن هذا يتضح لك أن عيسى قد ذاع أمره بواسطة إعلان «سمعان» وإعلان حنة والرعاة، وأن أمه وزوجها كانا فى أمن عليه فلم يتعرض لهما أحد ولم يهاجرا به إلى بلاد أخرى، ولم يهتم القيصر بأمره، كل ذلك صريح من عبارته.

وأما متى فإنه قرر فى ذلك الباب عكس ما قاله لوقا على خط مستقيم فقد قال أن «هيرودس» الملك سمع بأن مولود سيولد فى ذلك الحين ويكون ملكا لبنى اسرائيل وهو المسيح، فاضطرب وأصر على قتل جميع الأطفال الذين يولدون وقتئذ، فعلم أن بعض المجوس رأوا نجما يدل عندهم على

مولد عيسى فتبعوه ليروا عيسى ويسجدوا له، فأحضرهم الملك وقال لهم ابحثوا عنه ودلوني عليه لأسجد له معكم، فبحثوا حتى وقف النجم على عيسى، فدخلوا عنده وسجدوا له وقدموا له هدايا عظيمة، ثم رأوا في منامهم من يقول لهم لا ترجعوا إلى «هيرودس» فانصرفوا إلى طريق أخرى، فاغتاظ لذلك «هيرودس» وأمر بقتل جميع الأطفال الذين ولدوا في ذلك الزمن، فرأى «يوسف النجار» ملكا في نومه أمره بأن يرحل من الناصرة إلى مصر هو ومريم والطفل، ففعل وقتل «هيرودس» جميع الأطفال المساكين الذين في بيت لحم وكل تخومها، ونجا عيسى لأن يوسف قد هرب به إلى مصر، ومكث بمصر إلى أن مات «هيرودس»، فرأى يوسف الملك في نومه يقول له إرجع إلى أرض اسرائيل، فأخذ الصبي وأمه ورجع بهما، وأتى وسكن في مدينة يقال لها ناصرة.

فهذا يدل دلالة صريحة على نقيض ماقاله لوقا فإنه صريح بأن عيسى كان مضطهد، ولم يذهب إلى الهيكل، ولم يتكلم عنه سمعان ولا حنة، وزاد معجزة النجم، وهدايا المجوس، ثم تتبع الأطفال وقتلهم، وهرب يوسف إلى مصر وبقائه فيها إلخ .

فقل لي أيها القارئ الكريم ألا يحكم من اطلع على هذين الإصحاحين حكما جازما بأن أحدهما كاذب لا محالة فمن منهما نصدق ياترى. قد أجاب عن هذا «نورتن» الذي يقولون عنه إنه حام للإنجيل فسلم بأن هذا التناقض حقيقي، وحكم بأن بيان متى خطأ وبيان لوقا صحيح.

ولا ريب في أن الذي يقول بعد ذلك من المسيحيين إن إصحاح متى وحي من عند الله يكون كافرا بالله تعالى، لا محالة، لأنه يكون قد نسب لله تعالى الغلط، ووصفه بالجهل، وذلك كفر صريح، ثم بعد ذلك نقول لهم وما هو الدليل على أن بيان لوقا هو الصحيح؟ ولماذا لا يكون هو الآخر قد غلط؟ وحينئذ يجب اسقاط الاثنين معا لأن الثقة بهما قد ضاعت من جميع النواحي.

الإختلاف في قصة بنت الرئيس • من قابل الباب التاسع من انجيل متى بالباب الخامس من إنجيل مرقص في قصة بنت الرئيس وجد اختلافا : قال الأول أن الرئيس جاء إلى عيسى فقال إن ابنتي ماتت [1] . وقال الثاني أنه جاء وقال إن ابنتي قاربت الموت، فذهب عيسى معه فلما كان في الطريق جاءت جماعة الرئيس فأخبروه بموتها [2]. وسلم المحققون من المتأخرين بالاختلاف المعنوي ههنا، فبعضهم رجح الأول وبعضهم الثاني ، واستدل البعض بهذا أن متى ليس بكاتب للإنجيل وإلا لما كتب مجملا ولوقا موافق لمرقص في بيان القصة . غير أنه قال جاء واحد من بيته فأخبره بموتها...إلخ ما قال .

---

(١) إنجيل متى الإصحاح ٩ : ١٨ .

(٢) إنجيل مرقص ٥ : ٣٥ .

ولكن بين يدى الآن نسخة مما يسمونه بالكتاب المقدس مطبوعة فى مطبعة الجمعية الأمريكانية بمدينة نيويورك وهذه النسخة قد حذف منها ذلك الاختلاف، وسلم به شراحهم، فهم إلى اليوم يحرفون أناجيلهم، ويحذفون منها ما يشاءون بدون مبالاة، ونص عبارة متى فى هذه النسخة: وفيما هو يكلمهم بهذا إذا الرئيس قد جاء فسجد له قائلا ان ابنتى الآن ماتت، لكن تعال وضع يدك عليها فتحيا فقام يسوع وتبعه ... إلخ .

ونص عبارة مرقص وبينما هو يتكلم جاءوا من دار رئيس المجمع قائلين ابنتك ماتت لماذا تتعب المعلم بعد، فسمع يسوع لوقته الكلمة التى قيلت، فقال لرئيس المجمع لا تخف ... إلخ.

ولا يخفى أن هذين النصين بعد الإصلاح لا خلاف بينهما إلا من حيث أن الأول يقول أن الذى قال لعيسى ابنتى ماتت هو نفس الرئيس وأما الثانى فإن الذى قال إنها ماتت جماعة جاءوا من دار الرئيس فالذى أصلح الخطأ جاهل أيضا .

ما ورد فى إنجيل يوحنا الإصحاح الأول ، ورد فى هذا الإصحاح الآتى: (أرسل اليهود الكهنة واللاويين إلى يوحنا (يحيى) ليسألوه من أنت فقالوا له هل أنت إيليا ؟ فقال لهم لست بإيليا) وقال متى فى ١١: ١٤ إن المسيح قال: (إن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتى) يريد بذلك يوحنا (يحيى) وقال متى أيضا فى ص ١٧ وسأله تلاميذه قائلين فلماذا يقول الكتبة إن إيليا ينبغى أن يأتى أولا. فأجاب يسوع وقال لهم: (إن إيليا يأتى ويرد كل شىء ولكنى أقول لكم إن إيليا قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كل ما أرادوا . كذلك ابن الانسان أيضا سوف يتألم منهم، حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان).

فأى النصين نصدق قول يحيى الذى قال لست بإيليا وهو رسول لا يكذب أو نصدق قول عيسى الذى قال إنه هو إيليا. والحق أن يحيى وعيسى بريئان من هذا التناقض وإنما هو جاء من تصنيف المصنفين.

ما ورد فى الإصحاح السابع من إنجيل مرقص ، ورد فى هذا الإصحاح أن عيسى أبرأ واحدا كان أصم وأبكم وورد فى الاصحاح الخامس عشر من إنجيل متى أنه قد أبرأ جمعا غفيرا وقال قد جاء إليه جموع كثيرة منهم عرج وعمى وخرس، والحادثة واحدة والزمان واحد والمكان واحد وإليك نص عبارة مرقص (ثم خرج من تخوم صور وصيدا، وجاء إلى بحر الجليل فى وسط حدود المدن العشرة وجاءوا إليه بأصم (أعقد) وطلبوا إليه أن يضع يده عليه إلخ. ففعل وأبرأه) [1]. ونص عبارة متى:

(١) إنجيل مرقص ٧ : ٣١ ـ ٣٥ .

(ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحى صور وصيدا إلى أن قال ثم انتقل من هناك وجاء إلى جانب بحر الجليل وصعد إلى الجبل وجلس هناك، فجاءوا إليه بجموع كثيرة منهم عرج وعمى وخرس وأشل وآخرون كثيرون، وطرحوهم عند قدمى يسوع فشفاهم) [1].

فأنت ترى أن متى جعل الواحد جموعا كثيرة، ويظهر أنه لم يطلع أحدهما على ما قاله صاحبه وإلا لما وقعا فى ذلك التناقض المعيب، ولم يبالغ أحدهما هذه المبالغة التى تجعل العقلاء يرتابون فى شأن المعجزات الصحيحة التى يأتى بها الرسل للضرورة، لأن خرق النظم الكونية إنما يكون عند الحاجة ولكن لا غرابة فى ذلك، فإن «يوحنا» قال فى آخر إنجيله ما نصه وأشياء أخرى كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة.

ومثل هذه المبالغات والإغراق فى الأوهام والخيالات إنما تصدر عن الروائيين، لا عن من يدعون أنهم يكتبون ما أوحى إليهم من ربهم، وإلا فقل لى هل يصح أن يقول عاقل إن الأشياء التى عملها المسيح خارقة للعادة إن كتبت كل واحدة منها لا يسعها العالم أجمع. وهب أن عيسى كان يحيى كل يوم مائة ألف نسمة ويميتها، وإن شئت فقل إنه كان يحيى كل بنى اسرائيل ويميتهم، وكان ذلك يدون فى كل الأيام التى أقامها رسولا بينهم فهل تتجاوز هذه العملية سفرا من الأسفار الكبيرة، فليقل ألفا، فليقل مليونا، فليقل ملايين، فهل هذه الأسفار لا يسعها العالم، إن هذا لشىء عجيب.

ما ورد فى الإصحاح الثامن ١٤ يوحنا ورد فى هذا الإصحاح وقال المسيح: (إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى حق) وفى الإصحاح الخامس ٣١ من ذلك الانجيل قال المسيح (إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى غير حق) وإذا قلنا أن هاتين العبارتين يمكن تأويل التناقض الظاهر الموجود فيهما بأن تكون كل عبارة منها قيلت لسبب خاص. ولكن مما لا شك فيه أن المسيح الذى هو رسول من عند الله لا يصح أن يقول عن نفسه إن شهادته عن نفسه غير حق لأن هذا يطعن فى دعوى الرسالة فإنه شهد على نفسه أنه رسول من عند الله، بل هم يدعون أنه الله أو ابن الله وهل يصح أن يكذب الإله ذلك الكذب الصريح فيقول إن شهادته لنفسه كاذبة مع أنها صادقة لا محالة، فلا مناص من كذب العبارة الثانية مهما قيل فى رفع التناقض.

الإختلافات فى حادثة صلب المسيح كل ذلك قد يكون هينا إلى جانب الإختلافات الكثيرة التى وقعت فى رواية حادثة الصلب التى هى أساس ديانتهم وجوهرها الحقيقى، كما يقولون، فلو أن القوم كانوا جماعة من المؤرخين الذى يتحرون الحوادث فقط بدون دعوى الإلهام لم يختلفوا فى رواية كهذه مثل ذلك الإختلاف الذى قد أحصى بعضهم منه مايزيد على سبعين إختلافا، ولكن

---

(١) إنجيل متى ١٥ : ٢٩ ـ ٣٠.

القوم لم يعد يضرهم تناقض ولا يخجلهم تحريف، ومع هذا فلنذكر لك ملخص مايزعمون من صلب المسيح ثم نبين لك شيئا من تناقضهم فى رواياتهم، قالوا:

أولا : خرج المسيح مع تلاميذه إلى جهة بعيدة عن الناس فأخبر تلاميذه بأن ساعة آلامه قد دنت وطلب منهم أن يسهروا معه ليأنس بهم فلم يفعلوا لأن النوم قد غلبهم.

ثانيا : بينما هو يتكلم معهم قد حضر جمع معهم سيوف وعصى من عند الكهنة للقبض عليه ومعهم يهوذا الإسخريوطى أحد تلاميذه وهو خائن يريد أن يسلمه إليهم.

ثالثا : أراد بعض تلاميذه الآخرين أن يقاوم فاستل سيفه وضرب به عبد رئيس الكهنة فقطع أذنيه فأمره المسيح أن يغمد سيفه ولا يفعل لأن الكتب لا تتم إلا بقتله.

رابعا : قبضوا عليه وذهبوا به إلى رئيس الكهنة (قيافا) ومعه الكتبة الشيوخ مجتمعين ولم يتبعه أحد من تلاميذه سوى «بطرس» من بعيد، ولما سئل إنه من أصحابه أنكر نفسه ولعن وقال إنه لم يعرفه.

خامسا : طلبوا شهود زور فلم يجدوا سوى إثنين قالا إنهم سمعوا منه أنه قال إنه قادر على نقض الهيكل وبنائه فى ثلاثة أيام.

سادسا : سأله رئيس الكهنة هل هو المسيح بن الله حقا واستحلفه فقال له أنت تقول. ثم قال له من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة وآتيا على سحاب السماء فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه وقال ما حاجتنا إلى شهود بعد الذى سمعناه من هذا الكلام فأجابوا وقالوا إنه مستوجب الموت فبصقوا فى وجهه.

سابعا : أخذوه ومضوا به إلى الوالى وكان ضلع الوالى هو وزوجه معه ، ولكن تغلب الشعب عليه، فأخذ ماء وغسل به يديه وقال لهم إنى برىء من دم هذا البار.

ثامنا : أمر الوالى بجلده فجلد ثم سلمه لهم ليصلبوه فأخذوه ومثلوا به وبصقوا فى وجهه وضربوه على رأسه.

تاسعا : أعطوه خلا ممزوجا بمرارة فلما ذاقه لم يشرب منه وأخيرا صلبوه وسمروه على خشبة.

عاشرا : ظل على الخشبة إلى أن صرخ بصوت عظيم إلهى إلهى لم تركتنى ثم أسلم الروح وقبل أن يموت على الصليب انشق هيكل الله من وسطه وأظلمت الدنيا إلى الساعة التاسعة وكان جميع معارفه ونساء كن قد تبعنه من الجليل واقفين من بعيد ينظرون ذلك ولما مات جاء رجل صالح من سراة القوم اسمه يوسف وطلب من الوالى أخذ جسد المسيح فأخذه وكفنه فى ثياب من كتان ووضعه فى قبر منحوت وتبعه نساء قد أتين معه من الجليل ونظرن القبر وكيف وضع جسده فرجعن

وأعددن حنوطا (وأطيابا) وفى أول الأسبوع أتين القبر ومعهن أناس فوجدن الحجر (مدحرجا) عن القبر فدخلن ولم يجدن جسد «يسوع» وبينما هن متحيرات إذا رجلان بثياب براقة قالا لهن لماذا تطلبن الحى بين الأموات إنه قد قام كما قال، فأخبرت بذلك مريم المجدلية ومريم أم يعقوب إلخ.

وإليك بيان الإختلافات :

إختلفوا فى المكان الذى خرج إليه مع تلاميذه . فقد صرح متى ومرقص بأنهم خرجوا إلى قرية يقال لها جثسيمانى ووافقهما «يوحنا» فى المعنى أما «لوقا» فقد خالفهما لفظا ومعنى فقال إنهم خرجوا إلى جبل الزيتون فلا ريب أن إحدى الروايتين تناقض الأخرى على أنهم قد اختلفوا فى هذا اختلافا آخر وهو أنه لما طلب من تلاميذه أن يسهروا معه فلم يجيبوه . فقد إتفق متى ومرقص على أنه طلب منهم ذلك ثلاث مرات وهو يأمرهم بالسهر معه فلم يجيبوا فيتركهم ويصلى ثم يعود إليهم ولكن لوقا قال إنه فعل ذلك مرتين فقط على أنه زاد أمرا آخر وهو أنه كان يصلى وهو مكروب وعرقه ينزل على الأرض كقطرات الدم (وطبعا الرجل ملهم) فلا يشكل عليه أن التلاميذ كانوا نائمين فمن ذا الذى رأى عرقه لكن الإشكال يتجه على غيره من الذين تركوا هذه الزيادة لأن وحيهم كان ناقصا فما ذنب «لوقا». أليست هذه مهزلة؟ وأما «يوحنا» فإنه حذف من إنجيله كل هذا فلم يذكر منه شيئا فكان وحيه ناقصا عنهم جميعًا .

على أن «لوقا» زاد أمراً آخر وهو أن تلاميذه لما لم يحفلوا به وتركوه وانفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى وجاء ملك ليسهر معه بدلهم، ويشجعه على إحتمال البلوى، وسيأتى فى مباحث الصلب إننى دهش حقا من أن يوجد بين الناس من يتصور أن الإله يموت ثم يجزع من الموت، أف لهؤلاء الذين يجعلون إلههم لعبة يلعب بها المفسدون.

إختلفوا فيما عمله يهوذا الذى يريد تسليمه عندما جاء ليسلمه . فقال «متى» إنه أعطاهم علامة قائلاً الذى أقبله هو هو أمسكوه «فللوقت» تقدم إلى «يسوع» وقال السلام ياسيدى وقبله فقال له «يسوع» ياصاحب لماذا جئت، حينئذ تقدموا وألقوا الأيادى على «يسوع» وامسكوا به. ووافق مرقص متى فى المعنى، أما لوقا فقد اختلف معهما فإنه روى أن المسيح قال له يايهوذا أبقبلة تسلم ابن الإنسان وأما «يوحنا» فحذف العبارة بالكلية فلم يذكر أن يهوذا قبله أو فعل شيئا بل قال إنه كان واقفا معهم، ثم زاد عنهم عبارة طويلة وهى أن المسيح قال لهم من تطلبون، قالوا يسوع الناصرى، فقال لهم أنا هو، فلما سمعوا منه ذلك رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض، ثم قال لهم إن كنتم تطلبوننى فاتركوا هؤلاء يذهبون. وانفرد بعبارة أخرى لم يذكرها غيره وهى أن يهوذا جاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح ـ لأنهم جاءوا ليلا. ثم اختلفوا أيضا فيما وقع ليهوذا بعد أن سلمه فقد أجمعوا على أنه ندم ولكن متى قال إن يهوذا حمله الندم على أن يخنق

نفسه ويموت وقال «بطرس» فى ص١ من أعمال الحواريين إنه خر على وجهه وانشق بطنه فانسكبت أحشاؤه كلها ومات. ثم اختلفوا أيضا فى المبلغ الذى أخذه يهوذا رشوة على تسليمه، فقد روى متى أن يهوذا لما ندم رد الثلاثين من الفضة، فأخذها رؤساء الكهنة، واشتروا بها حقل الفخارى، وجعلوه مقبرة للغرباء، لهذا سمى الحقل حقل الدم إلى الآن. وأما لوقا فقد روى أن يهوذا هو الذى إشترى الحقل لنفسه وهذا تناقض ظاهر. ومما يلفت النظر أن متى قد نسب الشراء للكهنة، ليقول إن ذلك تحققت به نبوءة ارميا النبى، ونص عبارة «متى» من الباب السابع والعشرين (حينئذ ما قيل بأرميا النبى القائل وأخذوا الثلاثين من الفضة ثمن المثمن الذى ثمنوه من بنى إسرائيل وأعطوها عن حقل الفخارى كما أمرنى الرب).

وهذا الذى ذكره «متى» غلط يقينا لأن هذه العبارة ليست مذكورة فى أرميا بل فى زكريا ونصها (فأخذت عصاى نعمة وقصفتها لأنقض عهدى الذى قطعته مع كل الأسباط فنقض فى ذلك اليوم وهكذا علم أذل الغنم المنتظرون لى أنها كلمة الرب فقلت لهم إن حسن فى أعينكم فأعطونى أجرتى وإلا فامتنعوا، فوزنوا أجرتى ثلاثين من الفضة. فقال لى الرب ألقها إلى الفخارى الثمن الكريم الذى ثمنونى به فأخذت الثلاثين من الفضة وألقيتها إلى الفخارى فى بيت الرب) [1] إلخ وهذا غلط معيب غلطه متى وأوقع علماء المسيحية فى إرتباك عظيم[2] .

إختلفوا فيمن كان يطلب قتل المسيح . فقال «متى» إن الذى كان يشاور فى قتله رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب (إصحاح ٢٧ آية١) ووافقه «مرقص» على ذلك . وأما «لوقا» فقد قال إن الذى كان يطلبه رؤساء الكهنة والكتبة وكانوا يتآمرون فى الخفاء خوفًا من الشعب، مع أنه قرر أن الشعب قد طلب قتله بالإجماع تقريبا . وأما يوحنا فإنه قال (فأخذ يهوذا الجند وخداما من عند رؤساء الكهنة والفريسين) إصحاح ١٨ آية ٣ .

إختلفوا فى حوادث وقعت عند تسليمه . فقال متى إن تلاميذه قد هربوا كلهم وقال مرقص بل تبعه شاب لابس ازارا فأمسكه الشبان فترك الإزار وهرب منهم عريانا وقول «مرقص» وإن كان لا يناقض قول متى فى هذا، ولكن هذه الزيادة التى زادها تدل على أن المسألة ليست وحيا متطابقا، وإلا فلا معنى لأ ن يرويها أحدهم ناقصة نقصا حقيقيًا بحذف واقعة لها معنى، على أن «لوقا» لم يذكر شيئا من ذلك كله سوى أن أحد تلاميذ المسيح قد ضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنيه، فأمره المسيح بأن يغمد سيفه، ثم زاد قوله إن المسيح مس أذنى العبد فأبرأهما وهذا يدل كما ذكر على أنها أقاصيص يذكرها هؤلاء الناس بحسب ما يتلقفون من أفواه الجهلة ويسمونها وحيا .

---

(١) زكريا الإصحاح ١١ العدد ١٠ ـ ١٣ . (٢) انظر تفسير هورن المطبوع سنة ١٨٢٢ ص ٣٨٥ ـ ٨٦ .

إختلفوا فيمن ذهبوا إليه بعد القبض عليه . فقال «يوحنا» إنهم أوثقوه وذهبوا به إلى حنان (صهر) رئيس الكهنة وقال الثلاثة إنهم ذهبوا به إلى نفس رئيس الكهنة .

إختلفوا فى أمر «بطرس» . وذلك لأنهم قالوا إن (بطرس) تبع عيسى من بعد، فقال متى: إنه كان خارجا من الدار، فرأته جارية وقالت له أنت كنت مع يسوع، فأنكر قدام الجميع، ثم إذ خرج إلى الدهليز رأته أخرى، فقالت وهذا كان مع يسوع، فأنكر بقسم إنى لست أعرفه، وبعد قليل جاء جماعة وقالوا لبطرس حقا أنت أيضا منهم، فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف إنى لا أعرف الرجل، وحينئذ صاح الديك فتذكر بطرس كلام يسوع الذى قال له إنك قبل أن يصيح الديك تنكرنى ثلاث مرات فخرج إلى خارج وبكى بكاء مراً.

وأما «مرقص» فقد روى الحادثة بما نصه (وبينما كان «بطرس» فى الدار أسفل، جاءت إحدى جوارى رئيس الكهنة، فلما رأت «بطرس» يستدفىء نظرت إليه وقالت وأنت كنت مع يسوع الناصرى فأنكر قائلا لست أدرى ولا أفهم ماتقولين وخرج خارجا إلى الدهليز فصاح الديك فرأته الجارية أيضا ، وابتدأت تقول للحاضرين إن هذا منهم، فأنكر أيضا ، وبعد قليل قال الحاضرون لـ «بطرس» حقًا إنك منهم لأنك جليلى أيضا ولغتك تشبه لغتهم، فابتدأ يلعن ويحلف أنى لا أعرف هذا الرجل الذى تقولون عنه وصاح الديك ثانية، فتذكر «بطرس» القول الذى قاله يسوع إنك قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرنى ثلاث مرات (فلما تفكر به بكى) .

فـ «مرقص» يقول إن الجارية التى رأته واحدة و«متى» يقول إثنتان و«متى» يقول إن الديك يصيح مرة واحدة ومرقص يقول إنه يصيح مرتين.

وأما «يوحنا» فإنه قد رواها بما يأتى، قال أولاً ما نصه: وكان «سمعان بطرس» والتلميذ الآخريتبعان يسوع، وكان ذلك التلميذ معروفا عند رئيس الكهنة، فدخل مع يسوع إلى دار رئيس الكهنة، وأما «بطرس» فكان واقفًا عند الباب خارجا فخرج التلميذ الآخر الذى كان معروفا عند رئيس الكهنة وكلم البوابة فأدخل بطرس فقالت الجارية البوابة لـ «بطرس» : ألست أنت أيضا من تلاميذ هذا الإنسان قال : ذاك لست أنا ، وكان العبيد والخدام واقفين وهم قد أضرموا جمرا لأنه كان برد ، وكانوا يصطلون، وكان «بطرس» واقفا معهم يصطلى.

فقالوا له ألست أنت أيضا من تلاميذه فأنكر ذاك وقال لست أنا ، فقال واحد من عبيد رئيس الكهنة وكان نسيب الذى قطعت أذناه. أما رأيتك أنا معه فى البستان، فأنكر «بطرس» أيضا وللوقت صاح الديك.

ومما يلفت النظر فى هذا المقام ما دلت عليه نفسية «بطرس» من الضعف الخلقى الذى جعله يلعن

المسيح ويقسم بالله كاذبا. ومن الغريب أن متى نقل فى إنجيله عن «بطرس» هذا نصين متناقضين متنافرين فى الإصحاح السادس عشر: الأول آية : ١٨ ـ ١٩ (أنا أقول لك أيضا أنت «بطرس» وعلى هذه الصخرة إبنى كنيستى، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ماتربطه على الأرض يكون مربوطا فى السموات، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً فى السموات) والثانى آية ٢٣ ونصها (فالتفت وقال لـ «بطرس» اذهب عنى ياشيطان، أنت معثرة لى، لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس). فماذا يأخذ القراء من هذين النصين إن الرواية التى مثلها «بطرس» من إنكار نفسه بلعن المسيح والحلف بالله كاذبا، ترجح النص الثانى لا محالة.

وانى أعتقد أن الحواريين الذين أخبر الله عنهم فى القرآن الكريم بقوله: **«قال الحواريون نحن أنصار الله»**، يستحيل أن يقع من أحدهم تلك الرواية المخجلة التى يتمثل فيها الجبن بأظهر معانيه، وتتجلى فيها الهزيمة بأقبح أشكالها، فإن الذى يذوق حلاوة الإيمان بالله ورسوله لا يبالى بالموت فى سبيل الإنتصار للحق، حتى ولو رخص له فى الفرار. وإن شئت أن تعرف مثالا لذلك فاقرأ ماورد فى الصحيح عن «خباب بن الارت» من أصحاب رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فإن المشركين قد أسروه ووضعوا السيف على عنقه، ثم قالوا له ألا يسرك أن يكون محمد فى موقفك وأنت تنجو، فقال لهم والله وأنا فى موقفي هذا لا يسرنى أن يشاك محمد بشوكة وأنا أنجو، ثم قالوا له قل كلمة ذم فى محمد فأبى وقال لهم:

ولست أبالى حين أقتل مسلما ... على أى شق كان فى الله مصرعى

وذلك فى ذات الإله وان أمت ... يبارك على أوصال شلو ممزع

وإن شئت أن تعرف مثلا آخر فاقرأ ما ثبت فى الصحيح من أن المشركين لما تآمروا على اغتيال سيدنا محمد ليلاً، بات «على بن أبى طالب» على فراشه ليفديه بنفسه. وان شئت أن تعرف أمثالا كثيرة لا يحصى لها عد، فاقرأ تاريخ أصحاب رسول الله جميعا لتعلم أن الموت فى نصرة دينهم كان أمنية من أمانيهم، التى يرون فيها سعادتهم الحقيقية وذلك آية الإيمان الصحيح، أما ما يرويه الإنجيليون فهى أقاصيص ملفقة منقولة عن الجهلة الذين لا يحسنون حتى سبك العبارة وترتيبها، ومعاذ الله أن يبلغ الجبن والضعف بنفس أحد الحوارين إلى هذا الحد الذى يجعله يلعن ويقسم بالله كذبا فرارا من الموت ، فضلا عن كونه يرى سيده الذى يؤمن بأنه رسول من عند الله حقًا معرضا للقتل وهو واقف يصطلى بدون مبالاة.

إختلفوا فى وقت صلبه . فقال «مرقص» فى الباب الخامس عشر أنهم صلبوه فى الساعة التاسعة وقال «يوحنا» فى الباب التاسع عشر إنه كان موجودا عند «بيلاطس» إلى الساعة السادسة وكان الإستعداد لعيد الفصح .

إختلفوا فيما نطق به قبل الموت . فـ «متى» قال وفى نحو الساعة التاسعة صرخ «يسوع» بصوت عظيم قائلا إيلى إيلى لما شبقتنى (أى إلهى إلهى لماذا تركتنى) ووافقه «مرقص» إلا أنه قال ألوى ألوى وأما «لوقا» فإنه قال ونادى يسوع بصوت عظيم وقال ياأبتاه فى يدك إستودع روحى .

إختلفوا فى العنوان الذى كتبه الوالى ووضعه على الصليب . فـ «متى» قال إنه (هذا هو يسوع ملك اليهود) ومرقص قال أنه كان مكتوبا (ملك اليهود) و«لوقا» قال: هذا هو ملك اليهود . و«يوحنا» قال: يسوع الناصرى ملك اليهود . ومما يلفت النظر فى هذا المقام بنوع خاص ما حكاه متى فى الباب السابع والعشرين ونصه (وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل. والأرض تزلزلت، والصخور تشققت، والقبور تفتحت، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين، وخرجوا من القبور بعد قيامتهم، ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين) .

فقول متى هذا يناقض ما قاله بولس من أن عيسى أول القائمين من الأموات فكيف يسبقه هؤلاء الموتى ويقومون قبله، وأيضا قد قرروا أن اليهود قد ذهبوا فى اليوم التالى إلى الوالى وقالوا له إن ذلك المضل قال فى حياته إنى أقوم من الأموات بعد ثلاثة أيام فأمر الحراس أن يضبطوا القبر إلى اليوم الثالث فلو وقعت هذه الأمور العظيمة والخوارق العجيبة لما استطاعوا أن يقولوا للوالى إنه مضل خصوصاً أنهم يعلمون أن الوالى وامرأته لم يكونا راضين عن صلبه فقد كانت هذه فرصة عظيمة لإظهار صدق قول الوالى وخطيئتهم بل لو وقعت هذه الحوادث لقامت الناس على الكهنة ورؤسائهم واضطهدوهم لأنهم كانوا سببا فى قتل رسول عظيم، وأيضا لو وقعت هذه الحوادث لآمن اليهود الذين رأوها بالمسيح بلانزاع ولكن شيئا من ذلك لم يقع .

ويقول المبشرون إن هذه الحكاية كاذبة وإن مثل هذه الحكايات كانت رائجة فى اليهود وبعدها خربت أورشليم فلعل أحدا كتبها على هامش العبرانية لإنجيل «متى» وأدخلها الكتاب فى المتن والمترجم ترجم على حسبه. وهذا يدل دلالة قاطعة على ما ذكرناه من أن الإنجيل لم يكن معروفا ولا محفوظا، لأنه لو كان محفوظا لما خفى على الناس أمر هذا الخلل الذى دخل فيه زمنا طويلا، وذلك وحده برهان قاطع على دعوى أن الإنجيل ليس محرفا فحسب بل هو عبارة عن قصة وضعها مؤرخ غير موثوق به.

إختلفوا فى بيان السبب الذى إنتحلوه للوالى كى يبطش به . فأما «متى» و«مرقص» فإنهما أجملا العبارة ونص عبارة «متى» (فسأل الوالى قائلا أأنت ملك اليهود ؟ فقال له يسوع

أنت تقول، وبينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه لم يجب بشيء) ومثلها عبارة «مرقص» أما «يوحنا» فقد ذكر أنه تكلم مع «بيلاطس» طويلا وملخص عبارته، فلما قال له «بيلاطس» هل أنت ملك، أجابه يسوع هل أنت تقول ذلك من نفسك أم قاله آخرون لك عنى؟ فأجابه «بيلاطس» إن أمته وشعبه هم اليهود الذين يقولون، فقال له يسوع إن مملكته لم تأت بعد، وإلا لما كان لليهود عليه سبيل لأن خدامه كانوا يقاتلونهم، فقال له «بيلاطس» إذا أنت ملك، فقال له أنا ما ولدت إلا لهذا.

وأما «لوقا» فإنه فصل أسباب الإتهام وإنفرد عنهم جميعا بزيادة عن «هيرودس» لم يذكرها غيره ونص عبارته (إنا وجدناه يفسد الأمة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر قائلا إنه مسيح ملك، إلى أن قال: ولما علم «بيلاطس» أنه من الجليل وأن الجليل من سلطنة «هيرودس» أرسله إلى «هيرودس». وكان «هيرودس» يتمنى رؤية المسيح، فلما رآه طلب منه آية. فلم يجبه بشيء فاحتقره «هيرودس» كما احتقرته العسكر، ثم أعاده ثانيا إلى بيلاطس). وهذه الزيادة التى زادها «لوقا» تفيد أن «هيرودس» كان على قيد الحياة مع أن «متى» صرح فى الإصحاح الثانى أن «هيرودس» قد مات و«المسيح» طفل صغير بمصر ونص عبارته فلما مات «هيرودس» إذا ملاك الرب قد ظهر فى حلم لـ «يوسف» فى مصر قائلا: قم خذ الصبى وأمه وإذهب إلى أرض إسرائيل ... إلخ.

ولا يمكن تأويل هذا التناقض إلا بتغيير إسم «هيرودس» بغيره أو أن «بيلاطس» قد أرسل روح المسيح، إلى روح «هيرودس» ففرح بها، على أنك قد عرفت أن «متى» قد تناقض مع غيره فى ذكره لهذه العبارة برمتها كما تقدم:

(تكاثرت الظباء على خراش فلا يدرى خراش ما يصيد)

إختلفوا فيما فعله «بيلاطس» . فقد اتفقوا على أنه كان يعتقد براءته، واختلفوا فى أمور أخرى، فقال متى أنه غسل يديه قدام الجميع (قال إنى برىء من دم هذا البار) ووافقه «مرقص»، وأما «لوقا ويوحنا» فإنهما لم يذكرا هذا الغسل واتفق «متى ومرقص ويوحنا» على أن «بيلاطس» الوالى جلد «عيسى» وأما «لوقا» فلم يذكر أنه جلده، بل قال إنه ألح عليهم فى إطلاق سراحه فلم يقبلوا، راجع إنجيل «لوقا» ص ٢٣ آية ١٦ وإنجيل «متى» ص ٢٧ : آية ٢٦ وإنجيل «مرقص» ص ١٥ : ١٥ و«يوحنا» ص ١٩ .

إختلفوا فيما فعل بالمسيح بعد قرار الصلب . فقال متى ص ٢٧ أخذ عسكر الوالى يسوع إلى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتيبة. فعروه وألبسوه رداء قرمزيا. وضفروا أكليلا من شوك ووضعوه على رأسه، وقصبة فى يمينه، وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين السلام ياملك اليهود. وبصقوا عليه، وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه. وبعدما استهزءوا به نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه، ومضوا به للصلب.

وأما لوقا فقد خالف ذلك على خط مستقيم ونص عبارته فى ص٢٣ آية ٣٥ وما بعدها وكان الشعب واقفين ينظرون، والرؤساء معهم أيضا يسخرون به قائلين : خلّص آخرين فليخلص نفسه إن كان هو المسيح مختار الله. والجند أيضا استهزءوا به وهم يأتون ويقدمون له خلا.

فـ «متى» يقول إن المستهزئين هم العسكر فى دار الولاية و«لوقا» يقول إن المستهزىء هو الشعب عند محل الصلب أما الجند فهم كانوا يستهزئون به وهم فى طريقهم ولم يذكر أن العسكر ألبسوه ثيابا أو وضعوا على رأسه أكليلا من شوك القتاد أو غير ذلك مما ذكره «متى».

وأما مرقص فإنه قد وافق «متى» فى عبارته إلا أنه جعل لون الثوب الذى ألبسه إياه العسكر ارجوانيا لا قرمزيا كما فى الإصحاح الخامس عشر عدد ١٧ ولم يقل إن العسكر عروه.

وأما «يوحنا» فقد زاد أن «بيلاطس» دخل عليه فى دار الولاية وقال ليسوع من أين أنت وأما يسوع فلم يعطه جوابا فقال له «بيلاطس» أما تكلمنى، ألست تعلم أن لى سلطانا أن أصلبك وسلطانا أن أطلقك أجاب يسوع لم يكن لك على سلطان البته لو لم تكن قد أعطيت من فوق لذلك الذى أسلمنى إليك له خطية أعظم .

إختلفوا فيمن إقتسم لباسه الذى كان عليه . واختلفوا فيما أعطوه له ليشربه هل هو خل أو خمر ممزوج بمرارة واختلفوا فيمن صلب معه هل هما لصان أو أحدهما مقرب من المقربين. وفى الجملة فقد اختلفوا فى كل شىء ! فلا نصدع القراء بأكثر من ذلك، إنما يمكننا أن نستنتجه من ذلك كله هو أن حادثة صلب المسيح مكذوبة بلا نزاع لأن المسيحين إنما يعولون فى إثباتها على أناجيلهم.

ومحال أن يصدق عاقل خبرا يتناقض رواته فى كل جزء من أجزائه، فهذا يزيد، وذاك ينقص، وهذا ينفى. وذلك يثبت، فضلا عما اشتمل عليه من نظريات لا تتناسب والآداب الإنسانية.

وإلا فكيف يصح للرسول أن يرجوه الوالى فى أن يجيبه، فلم يرد عليه إلا بما يحرج صدره، ويقول له ليس لك على سلطان ، مع كونه يعلم أن ذلك الوالى كان يحنو عليه لا شك فى أن عيسى صلوات الله عليه برىء من ذلك، ومحال أن يجيب رجلا يحنو عليه بمثل هذا الكلام الخشن.

وأغرب من كل هذا أن يختلف الإنجيليون فى حادثة صغيرة محدودة المعانى هذا الإختلاف الكثير، خصوصا إذا كانت حادثة محسة بحاسة البصر، فإن رجلا يصلب علانية ويقدمه الجمهور إلى الوالى، لا يصح لمن يقص حديثه أن يختلف هذا الإختلاف فلو أن حادثة كهذه حضرها أربعة تلاميذ صغار لكان من السهل أن يرووها كما هى، فكيف بمن يزعم أنه مؤيد بروح القدس؟ هل الموحى إليهم يتناقضون ذلك التناقض المدهش؟ كلا.

فالحق الذى لا يرتاب فيه عاقل يعرف الخطأ والصواب ويميز بين الصحيح والفاسد، أن حادثة صلب المسيح لا يصح أخذها من الأناجيل، وليس لها مصدر صحيح سوى كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو القرآن الكريم الذى يقول: **«وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم»**.

الدليل الثالث : الإنجيل قصة صغيرة خالية من الشرائع والتكاليف الإلهية :

إن كل مطلع على هذه الأناجيل لا يتردد لحظة فى الجزم بأنها ليست من عند الله، ولا يشك فى تنزيه عيسى صلوات الله عليه عن أن يكون كل شأنه فى العالم منحصرا فيما رواه عنه الإنجيليون.

فإننا إذا صرفنا النظر عن كل ما تقدم من تناقض واضح، وأخطاء علمية وتاريخية ، وقلنا إنها كلها صحيحة من أولها إلى آخرها، فإننا لا يمكننا أن نقول إنها هى الإنجيل الذى أنزل إلى عيسى بن مريم عليه السلام، لأنها عبارة عن قصة صغيرة محدودة المعانى، خالية من الشرائع والتكاليف الإلهية وما فيها من وصايا نافعة، كالنهى عن الزنا فإنه لم يقترن بما يحتم البعد عنه، بل ذكر فى بعضها ما يسهل إرتكاب هذه الجريمة، فقد قال «يوحنا» فى الباب الثامن إن الكتبة والفريسيين جاءوا إلى عيسى بإمرأة قبض عليها متلبسة بالزنا فعلا، فقال لهم ليرمها بالحجر من لم يخطىء أبدا، ومن ذا الذى لم يخطئ، فخرجوا وتركوا الزانية عنده، فسألها عن الذين اشتكوها وقال لها أما دانك أحد، فقالت لا ياسيد، فقال لها وأنا لا أدينك إذهبى ولا تخطئى أيضا. وهذا منتهى الرأفة بمرتكب الفاحشة وعدم العناية بأمرها ومحال أن يقع ذلك من سيدنا عيسى.

ملخص ما جاء فى اناجيلهم . وإن شئت أن تعرف كل ما جاءت به أناجيلهم تقريبا فإنى ألخص لك ما جاء فى إنجيل «متى» وهو أكبرها.

أولا : ذكر نسب المسيح وولادته من روح القدس فى بيت لحم وما يتعلق بذلك .

ثانيا : ذكر «يوحنا» المعمدان (يحيى بن زكريا) الذى كان نبيا قبل «عيسى» وأدركه «عيسى» وكان «يحيى» يبشر به على أن «عيسى» اعتمد على يد «يوحنا» (فيوحنا أستاذ الإله) وبعد أن تم إعتماده فتحت السماء ونزل منها روح القدس مثل حمامة وأحتل «عيسى» ونودى فى السماء بأن «عيسى» هو ابن الله الحبيب الذى قرت عيناه به (أو سر به).

ثالثا : أخذ الشيطان المسيح فى البرية وجعل يجربه مدة أربعين يوما فقال له وهو جائع أطلب من هذه الحجارة أن تكون خبزا فرفض المسيح وقال له مكتوب لا تجرب الرب إلهك، وبعد ذلك طمع فيه الشيطان وقال اسجد لى فأبى المسيح (أنعم وأكرم بإله يجربه الشيطان ويطمع فى إغرائه إلى هذا الحد).

رابعا : ذكر المسيح وصايا وتعليمات كقوله لا تصلوا فى المجامع إلى آخر ما بيناه آنفا.

خامسا : حذرهم من الأنبياء الكذبة وذكر لهم علاماتهم وهى أنهم لا يثمرون فى العالم ولا تقوم لهم قائمة (ومن الأسف أن المبشرين لم يفهموا حتى إنجيلهم المحرف فظنوا أن كل ما جاء بعد المسيح من الأنبياء يكون كاذبا مع أن الكاذب فى انجيلهم هو من لا تقوم له قائمة فلو كانوا يعقلون إنجيلهم لكانوا من أوائل المؤمنين بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فإنه بالرغم من محاربة دينه بعوامل داخلية وخارجية فإنه قائم مثمر فى العصور والأزمان وذلك حقا آية من عند الله رب العالمين).

سادسا : حذرهم من أن يقولوا له يارب بألسنتهم دون أن يعملوا بإرادة أبيه الذى فى السموات ثم ذم الذين يقولون إنهم باسمه أخرجوا الشياطين من أجسام الناس وفعلوا قُوّات [1] كثيرة وقال إن مثل هؤلاء لا يعرفهم وقال لهم اذهبوا عنى يافاعلى الاثم .

سابعا وثامنا وتاسعا : ذكر المعجزات والخيالات التى لا حد لها فسيدنا عيسى كانت كل أوقاته فى ذهابه وإيابه معجزات وخوارق عادات فكان لا ينفك عن أحياء الموتى وشفاء المرضى بالبرص وغيره ومن ذلك مناجاة المجانين واخراج الشياطين الخبيثة من الأجسام واطعام الألوف بسمكات صغيرة وسبعة أرغفة .

عاشرا : ذكر أسماء تلاميذه وبيان القوة التى منحهم إياها وأمرهم أن يكرزوا بالانجيل فى خراف اسرائيل فقط ولا يتعدوهم إلى غيرهم (وإن كان سيأتى بعد أنه يأمرهم بأن يكرزوا فى كل العالم).

ـ ثم بعد ذلك محاورة وقعت بين المسيح وبين الفريسيين[2] فى مخالفة التوراة وأحكامها .

ـ ثم ذكر معجزات وخيالات كالأولى وفيها زيادة أنه كان يمشى على البحر وهو هائج وغير ذلك من الأقاصيص التى جعلت المعجزة التى يجىء بها الرسول للضرورة من الأمور العادية كأن الله تعالى لم يجعل العالم مبنيا على سنن كونية لا تتخلف إلا شذوذا.

ـ ثم بعد ذلك ذكر شكاة رفعها التلاميذ إلى المسيح يتظلمون فيها من عدم قدرتهم على إخراج الشياطين من أجسام الناس فأجابهم المسيح بأن ذلك ناشىء من عدم إيمانهم ومن الغريب أن المسيح دائما يصف تلاميذه بعدم الإيمان ولا أدرى كيف يؤتمن هؤلاء على الوحى بعد ذلك .

ـ ثم بعد هذا يذكر أن المسيح ابتدأ يخبرهم بأن بعضهم سيخونه ويسلمه لأعدائه من الكهنة والشيوخ ليقتلوه ثم أخذ يتأوه ويتألم وكانت خاتمة أمره قصة الصلب التى تقدم بيانها .

هل يعقل أن يكون هذا كتاب الله ؟ . هذا ملخص كل مافى أناجيلهم. فهل يعقل أن عيسى بن مريم الذى أرسله الله ليصلح أنفس بنى اسرائيل التى فسدت إلى حد أنهم كانوا يعبدون الأوثان يكون على ماوصفته هذه الأناجيل حيث لم يمثل إلا فصولا خيالية لم يكن لها أى تأثير فى نفوس الناس وهل يتصور أحد أن المسيح يلغى جميع التكاليف الشرعية التى أنزلها الله على موسى من عبادات ومعاملات وحدود واعتقادات صحيحة فيقول للزانية اذهبى أنا لا أدينك، ويقول لهم لاتقربوا لله ذبائح، ولا حرج عليكم فى أن تأكلوا كل نجس، وتشربوا كل قذر، وفى النهاية يقول

---

(١) قوات : معجزات .

(٢) الفرنسيون طائفة من المتمسكين بشريعة موسى يتظاهرون بمظهر الزهد والعبادة ولكنهم قد فسدوا فى عهد عيسى فكان شرهم بين الناس عظيما . وأما الصدوقيون فهم طائفة كانوا ينكرون اليوم الآخر .

لهم إنى سأنتحر لخلاصكم من الخطية وبذلك ينتهى أمره. إن ذلك ضرب من ضروب المحال وكيف يكون ذلك وقد مدح الله تعالى الإنجيل وقال إن فيه هدى ونورا وأى هدى فى هذا الذى إشتملت عليه أناجيلهم. إنها على العكس من ذلك قد اشتملت على ما يتجافى مع تنزيه الإله سبحانه، ويتناقض مع النظريات الصحيحة ويتنافى مع مصلحة البشر وإلا فكيف يعقل أن تكون هداية الناس منحصرة فى الإيمان بأن عيسى حل فيه الإله فتجسد وصلب ومات حقيقة ليخلصهم من خطاياهم، وأن الإيمان بذلك يغنيهم عن كل الأخلاق الفاضلة والآداب الكريمة والتكاليف الشرعية التى تهذب النفوس وتطهر القلوب وتفتح للناس سبل الهداية إلى ربهم. إن ذلك لا يصح إلا فى عقول هؤلاء المبشرين الذين يجهلون قدر الإله الخالق المتصف بصفات الكمال. المنزه عن كل ما لا يليق به بل هم يجهلون قدر عيسى وقدر الإنجيل الذى أنزل إليه تمام الجهل. وما دلنا على عظم عيسى صلوات الله عليه، وعظم الإنجيل الذى أنزل إليه إلا القرآن الكريم الذى مدح الإنجيل بأن فيه هدى ونورا، وأخبر عن عيسى بأنه عبده ورسوله، فليس لنا بعد بيان القرآن الكريم إلا الجزم بأن هذه الأناجيل ليست هى التى أنزلت إلى عيسى، بل هى أقاصيص ملفقة من أوضاع أناس بعيدين عن الشرائع والأحكام الدينية بعد مابين السماء والأرض.

وهل يعقل أن سيدنا عيسى الذى شهد له القرآن وأثنى عليه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يكون كل عمله منحصرا فى أنه خطب فى بعض الناس بضعة خطب ثم ناقشه الفريسيون والصدوقيون مرتين أو ثلاثا، وفى خلال ذلك قام بالمعجزات من إخراج الشياطين من الأجسام (وما أكثرها فى زمان عيسى ولعل خيال الزار الموجود الآن عند بعض المتهتكات والجاهلات جاءهم بطريق العدوى من مثل هذه النظريات) ثم كان كلما مضى أو ذهب يحيى ميتا ويبصر أعمى ويشفى أبرصًا إلخ ومع ذلك لم تثمر هذه المعجزات فإنه لم يؤمن به أحد على رأيهم لأن كل الشعب كان ضده ولم يستطع «بيلاطس» الوالى أن يخلصه منهم مع أنه كان يعتقد أنه بار. لاشك فى أن الإنجيليين قد أنقصوا بما دونوه قدر المسيح عليه الصلاة والسلام، لأنه على زعمهم يكون مثله كمثل رجل قد امتاز ببعض الأعمال الخارقة للعادة فمثل فصولا خيالية لم يترتب عليها أثر نافع.

ومن المدهش أن (مرقص) صرح فى الإصحاح الرابع أنه كان يكلم الناس بما لا يفهمون، ولما سأله تلاميذه عن السر فى ذلك أجابهم بقوله أنتم قد صرح لكم أن تتعلموا أسرار ملكوت الله وأما غيركم فلا يصح أن يفهموا لئلا يرجعوا فتغفر لهم خطاياهم.

فهل هذا الكلام يصح أن يصدر عن رسول جاء إلى الناس ليخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم صراطا مستقيما. وهل هذا الكلام يتناسب مع قولهم إن عيسى وهو إله كامل قد انتحر من فرط حبه فى الناس ليخلصهم من الخطية، إن ذلك يناقضه تناقضا صريحا، وإلا فإذا كان فهم كلامه يغفر لهم خطاياهم، فلماذا لم يفهمهم حتى تغفر لهم تلك الخطايا ويوفر على نفسه مصيبة الإنتحار لتكفير خطاياهم.

وأين هذا الذى يقولونه من حرص سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم على هداية البشر وحبه فى مغفرة ذنوبهم ؟ إلى حد أن نفسه الكريمة كادت تذوب أسفا عليهم كما قال تعالى: **«فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا»** ومعنى باخع مهلك نفسك من شدة الحزن عليهم.

وبعد هذا الذى ذكرناه من الأدلة فلا أظن أن عاقلا يريد أن يميز الحق من الباطل يرتاب فى أن الإنجيل الموجود الآن فى أيدى المسيحيين ليس هو من عند الله بل صنفه أناس لم يحتاطوا فى روايتهم فتناقضوا واضطربوا وأصبحوا مثلا بين العقلاء.

من أجل ذلك يقول علماؤهم[1] إنه قد حكم على الأناجيل المقدسة لأجل جهالة مصنفيها بأنها ليست حسنة بأمر السلطان «أناسطينوس» فى الأيام التى كان فيها حاكما فى القسطنطينية فصححت مرة أخرى .

وهذا الكلام آية فى الغرابة فإنه يظهر أن الأناجيل فى ذلك العهد كانت ممتلئة أخطاء من أولها إلى آخرها ، لأنها بعد التصحيح لا يستطيع مفكر أن يجمع بين بابين صحيحين من أبوابها فكيف كان حالها قبل التصحيح. ثم إن قولهم هذا كاف فى أن هذه الأناجيل من وضع الجهلة، فلذا كانت غير حسنة.

وقد عرفت أن كل الدلائل الجازمة تؤيد هذا القول كل التأييد، ولا وجه لرده .

هذا وسيأتى لنا فى الكلام على تحريف التوراة مزيد من الأدلة على تحريف الإنجيل على أننا سنقدم الكلام على النسخ ليتضح لنا علاقة المسيحيين بالتوراة ومدى دفاعهم عنها .

نسخ التوراة والإنجيل . معنى النسخ فى اللغة التبديل، وفى إصطلاح الشرعيين هو عبارة عن أن يبين الله تعالى أن هذا الحكم الشرعى المطلق كان يظن الناس استمراره بحسب ما يظهر لهم، قد انتهى العمل به وذلك بعد مضى زمن على تشريع ذلك الحكم مثال ذلك ما فرضه الله فى صدر الإسلام من الوصية للوالدين والأقربين قال تعالى: **«كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين»**[2]. الآية فهذا الحكم مطلق غير مؤقت بوقت فى الظاهر لنا، ولكنه كان مؤقتا فى علم الله تعالى فبين الله لنا انتهاءه بآية المواريث وهى قوله تعالى: **«يوصيكم الله فى أولادكم»**[3] ... إلخ .

---

(١) تفسير لاردنر ص ١٣٤ المجلد الخامس .
(٢) سورة البقرة : الآية ١٨٠ .
(٣) سورة النساء : الآية ١١ .

وذلك لأنهم فى الجاهلية كانوا يتصرفون فى أموالهم تصرفا جائرا فى كثير من الأحيان فكان الرجل يوزع أمواله على من يهوى بصرف النظر عن ألصق الناس به من والديه وأقاربه فقيدهم الله أولا بالوصية لهؤلاء لأنهم أحق بماله من الأجانب فلما شعروا بهذا الواجب وعلموا أن رابطة الإنسان بوالديه وأهله ينبغى أن يكون لها أثر فى معاملة الناس بعضهم بعضا واستقر ذلك المعنى عندهم قرر الله تعالى للوالدين والأقارب حقوقا معينة وجعلها فريضة مقدسة ليس لأحد أن ينازعهم فيها وعلى هذا لم يكن للوصية لهم بعد ذلك وجه. هذا هو معنى النسخ عند المسلمين.

والواقع أن النسخ بهذا المعنى لا يصح النزاع فيه لأنه ليس من المعقول أن يأتى الرسول إلى أمة من الأمم التى لا عهد لها بالنظم التشريعية الراقية وقد مرنت على تقاليد وعادات أصبحت ضرورية لديها ثم يفاجأها بتشريع كامل يصطدم مع كل عاداتها وأخلاقها إصطداما عنيفا لأن ذلك يكون لا محالة من أسباب فشل الدعوة إلى الله أو تأخيرها على الأقل فلا مناص من أن يشرع لها ما يلائم أخلاقها من الأحكام الوقتية. ولما كان المشرع الحقيقى هو الله وحده العليم بطبائع خلقه وما يناسبهم من الأحكام فى جميع الأزمنة والأمكنة كان هو وحده الذى ينهى ذلك الحكم أو يثبته وما على الرسل إلا أن يبلغوا الناس ما يأمرهم به ربهم من ذلك.

أما الأشياء القابلة للنسخ فيمكن حصرها فى شىء واحد وهى الأحكام التى تقبل الوجود والعدم بحسب ما يلائم طبائع الناس ومصالحهم بشرط أن تكون خالية من القيود التى تفيد توقيتها أو دوامها. وعلى هذا فكل ما ورد فى القرآن من عقائد متعلقة بذاته تعالى أو أخبار عن الأمم وأحوالهم أو عن اليوم الآخر أو بيان للفضائل الإنسانية وما يقابلها من الرذائل أو أحكام مقيدة بما يفيد تأييدها كالفرائض الأساسية فإنها كلها غير قابلة للنسخ. على أن بعض علماء المسلمين ينكر النسخ بهذا المعنى أيضا، ويقول إن القرآن لا نسخ فيه أصلا ولا دليل فى القرآن عليه، أما قوله تعالى: «ما ننسخ من آية أو ننسها»[1] فلا دليل فيها على النسخ لأن معناها إن وقع منا نسخ آية نأت بأحسن منها ولكنه لم يقع فما شرطية ولا دليل على تحقيق الشرط. الذى يقول ذلك يستدل عليه بأن الله عليم بطبائع خلقه فيشرع لهم ما فيه مصلحتهم من أول الأمر. ولا يمكن الزام هذا القائل بأن القرآن قد نسخ التوراة والإنجيل بدون ريب وهما كلام الله لأن له أن يقول إن التوراة والإنجيل الذين أنزلا إلى موسى وعيسى قد أنزل الله معانيهما فى القرآن فهو مصدق لهما فلم ينسخ منهما شىء. وإنما الذى نسخه القرآن ولم يقره هو المحرف منهما وذلك هو الذى قدمناه.

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٠٦ .

ولكن هذا القول يرد عليه كثير من الأحكام التى جاءت بها الشرائع القديمة وأخبرنا القرآن بنسخها وكذلك يوجد فى القرآن نفسه بعض آيات نسخت بغيرها فمن الأول أن آدم كان يزوج الأخ للأخت وقد حرم ذلك فى شريعة موسى وفى شريعة محمد ومنه أن حواء قد تزوجها آدم مع أنها متولدة منه وقد حرم على الرجل أن يتزوج من تولد منه . ومن الثانى قوله تعالى: **«والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول»**[1] ففى ذلك أمر للمرأة المتوفى عنها زوجها بأن تعتد حولا كاملا ثم نسخ بقوله تعالى: **«والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا»**[2] فنسخ الأول بالثانى.

وما أجاب به القائلون بعدم النسخ هو فى الحقيقة بيان لوجه النسخ فإنهم قالوا إن مسألة آدم كانت للضرورة فهذا حكم لابد منه لعدم وجود من يمكن التناسل منه سوى الأخت، وهذا هو الذى يقوله الجمهور، لأنهم إنما يقولون إن الحكم الذى تقتضيه ضرورة المجتمع الإنسانى ومصلحته هو الذى يشرعه الله تعالى فإذا شرع الله حكما دائما فذلك لأنه يعلم أن المصلحة فى دوامه وإلا أنهاه وأعقبه بحكم غيره.

وكذلك الحال فى قوله تعالى: **«والذين يتوفون منكم»** فإن المتوفى عنها زوجها كانت فى الجاهلية أسيرة ابن المتوفى الأكبر وعلامة أسرها أن يلقى عليها رداء فتظل تحت أمره إلى أن تموت فكان من المناسب لمثل هذه الحالة أن تراعى المتوفى عنها زوجها شعور أهل الزوج سنة على الأقل ليكون فى ذلك سلوى فلما استقر هذا التشريع وتمكن الإسلام فى أنفسهم أنزله الله إلى هذه المدة، وهى المدة التى يمكن أن يسهل على نفوس المؤمنين من أهل الميت زواج إمرأته وذلك ظاهر.

نعم قد يقال إن بعض الأحكام شرع ثم نسخ قبل العمل به كالصلاة فإنها فرضت فى أول الأمر خمسين قبل العمل بها وظاهر من هذا أنه لا مصلحة فيه وأن الله تعالى يشرع بعض الأحكام ثم ينسخها فى نفس الوقت. والجواب أن هذا ثبت بالحديث فليس واردا فى القرآن فهو خارج من البحث من أول الأمر، ومع ذلك فقد أجيب عن هذا بأن الله لم يفرض الصلاة خمسين من أول الأمر بطريق الجزم بل جعل للنبى صلى الله عليه وسلم الخيار فى قبولها، ثم ألهمه أن يسأله سبحانه التخفيف إلى الحد الذى أراده تعالى جزما، ولهذا جاء فى آخر الحديث ما يفيد أن هذا هو الذى أمر الله به جزما فلا تبديل له ومع ذلك فإن التشريع بهذه الكيفية أظهارا لمنة الله تعالى على أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأعلانا عن منزلة رسوله العظمى عند ربه، وذلك معنى من المعانى الجليلة التى تستوجب شكر الخالق العظيم على ما تفضل به من التخفيف عن هذه الأمة.

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٤٠ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٣٤ .

إدعاءات المبشرين فى النسخ ـ قصة الغرانيق . يدعى المبشرون أن الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل) لم ينسخ ولا يمكن أن ينسخ لا فى حقائقه ولا فى عقائده ولا فى مبادئه الأدبية، وإنما الذى فيه النسخ هو القرآن، لأن المسلمين قالوا ذلك ثم أرادوا أن يطعنوا من طرف خفى فقالوا إن «البيضاوى» ضرب مثلا للنسخ بقصة الغرانيق المعروفة، وهى أن بعض أعداء الدين روى أن معنى قول الله تعالى: **«وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا «تمنى» ألقى الشيطان فى أمنيته»**[1]، إذا قرأ ألقى الشيطان فى قراءته نسخ الله ما ألقى الشيطان ، ومثلوا لذلك بأن النبى كان يقرأ على المشركين سورة النجم، فلما قرأ **«أفرأيتم اللات والعزى»**[2] أدخل الشيطان فى كلامه عبارة وتلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى. والمراد بالغرانيق الأصنام ثم نسخها الله تعالى.

وهذه القصة مكذوبة من أولها إلى آخرها ومن الغريب أنها كذبت فى كتب العقائد التى بين أيدى المسلمين كالمواقف وغيرها ، ولكن المبشرين لا يبالون بهذا التكذيب الصريح الذى أيده المسلمون بالبراهين القاطعة، ولكن ما الحيلة وقد ظنوا أن كلام بعض المفسرين حجة على كتاب الله تعالى، وذلك جهل واضح لأن للدين الإسلامى قواعد عامة يرجع إليها عند الخلاف فى أمر من الأمور. فما كان موافقا لها أقروه وما كان مخالفا ضربوا به عرض الحائط مهما كان قائله عظيما . ونفس المفسرون يقولون هذا الكلام فلا يدعون العصمة لأنفسهم ولا يقولون إن كلامهم حجة على كلام الله الكريم. ومن قواعد الدين الإسلامى العامة أن الأنبياء معصومون فيما يبلغونه عن الله تعالى، فكل ما ينطقون به عن ربهم منزهون فيه عن الخطأ والنسيان والتغيير والتبديل، وهذه القاعدة مجمع عليها عندهم، فكيف يكون للشيطان سبيل أن يزيد فى الوحى مدح الأصنام؟ لا ريب فى أن هذا ينافى العصمة منافاة ظاهرة. فرواية الغرانيق مكذوبة كذبا واضحا ، وإننى دهش حقًا من أن بعض المفسرين شغف بالرواية بدون تدبر لما عساه أن يترتب عليها ، ولكن دين الإسلام دين قويم محفوظ بموازين عامة، فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مادامت السموات والأرض، فليس لأى قوة منفذ تصل منه إلى الطعن فى كتاب الله تعالى مهما أتيح لها من الوسائل لأنه من لدن حكيم عليم[3].

وبعد فلنرجع إلى كلام المبشرين فى مسألة النسخ فقد عرفت أنهم قد ادعوا أن التوراة غير منسوخة بالإنجيل، وأن الإثنين غير منسوخين بالقرآن. ويظهر أنهم لم يفهموا رأى المسلمين فى

---

(١) سورة الحج : الآية ٥٢ . (٢) سورة النجم : الآية ١٩ .

(٣) تفسير الآية الكريمة أن الله تعالى عندما يرسل الرسل لهداية الناس يقف فى طريقهم الشيطان ليضل الناس ولكن فى النهاية ينتصر الرسل وينهزم الشيطان ويدخل الناس فى دين الله أفواجا .

مسألة النسخ وقد عرفت أن لهم رأيين أحدهما وهو رأى الجمهور أن النسخ فى الكتب الإلهية ضرورى لمصلحة البشر، وثانيهما وهو رأى بعض المحققين «كأبى مسلم الأصفهانى» ومن تبعه، وهؤلاء يقولون إن كلام الله لا ينسخ، لا فرق بين أن يكون قرآنا أو توراة أو إنجيلا أو زبورا، ولكن التوراة والانجيل والزبور الموجودة الآن بأيدى اليهود والنصارى ليست كلام الله والقرآن الكريم نبه على مافيها من فساد على الوجه الذى بيناه لك فيما مضى.

أما المبشرون فإنهم مؤمنون بأن هذه الكتب الموجودة الآن هى من عند الله ومؤمنون بأنه لا يصح نسخها وهى غير قابلة للنسخ رأسًا وقد كتبوا فى هذا ما يوجب العجب العجاب فبينما هم يقررون أن التوراة غير منسوخة بالإنجيل يقررون ما يخالف ذلك على خط مستقيم.

إنهم يقولون إن الإنجيل ليس بناسخ للتوراة بل مصدق وشارح لمعانيها، وأن القرآن قد صدق حيث أفاد فى وصفه الإنجيل بكونه مصدقا للتوراة كما فى سورة المائدة، ومع ذلك فإليك أقوالهم فى التوراة:

أقوال المبشرين فى وصايا التوراة ، يقولون إن وصايا التوراة نوعان طقسية وأدبية والأولى كانت خاصة ببنى إسرئيل، والكثير منها لم يكن مشروعا إلا عندما أوحى إلى موسى بالتوراة على جبل سيناء، ومن أجل ذلك لم يكن إبراهيم مكلفا منها إلا بالختان، وهذه ملاحظة جديرة بالإلتفات لأنها تدل على أن نفوذ الوصايا الطقسية محصور ووقتى، حتى أنه لم يشمل إبراهيم وإسحاق والأسباط إلى موسى ويقولون إن الغرض من هذه الوصايا الطقسية أمران :

الأول : أن يعزل اليهود عن الأمم عزلة تامة، صونا لهم من السقوط فى الوثنية التى كان لها السلطان الأعظم فى تلك العصور المظلمة، واستدامت هذه العزلة إلى مجىء المسيح وتأسيس كنيسته على الأرض.

الثانى : حتى يتعلموا عمليا أن العبادات الظاهرية القائمة فى المناسك وإن كانت موحى بها من الله ليست مقصودة لذاتها ولاتروى النفس المتعطشة، بل غاية ما هناك يرمز بها إلى حقائق روحية هى المقصودة بالذات.

ومعنى هذا الصريح أن جميع التكاليف التى جاءت بها التوراة من عبادات ومعاملات وذبائح رفضها المسيحيون، وألغاها الإنجيل تمام الإلغاء، فلم ينسخها بالمعنى القريب بحيث يدخل فيها ماتقتضيه مصلحة الجيل الذى أنزلت فى زمنه، بل أزالها بالكلية.

وللقائل أن يقول إذا كان الإنجيل قد نسخ كل التكاليف الشرعية الموجودة فى التوراة فلم يعمل المسيحيون بشىء منها فماذا بقى فيها بعد ذلك يصح لهم أن يتشبثوا به ويقولوا عنه إنه كتابهم.

إنهم يقررون أن تلك الوصايا لم تكن مفروضة على الأمم وقد ضعف تأثيرها على بنى إسرائيل أنفسهم منذ قيامة المسيح من الأموات، أما الوصايا الأدبية فهى أزلية أبدية والناس ملتزمون بها فى كل زمان ومكان، فمن الوصايا الأدبية لا تزن لا تسرق لا تقتل لا تعبد الأصنام ... إلخ.

فهذا هو الذى يقره الإنجيل عندهم ، وهو موجود فى التوراة يضاف إلى ما قدمناه لك غير مرة من أن جوهر الدين المسيحى وأساسه هو الإيمان بالمخلص وصلبه وقيامته من الأموات ، فيقولون إنه لا يجوز القبول لدى الله إلا الذين يتقدمون إليه بالروح لا بالعبادات وهذا ممكن نواله فى العهد الجديد بالإيمان الحى بكفارة المسيح، وعلى هذا فإن الكلام فى النسخ ينحصر فى أمرين: أحدهما النهى عن الموبقات وثانيهما الإعتقاد بأن الإله تجسد فصلب لتخليص المؤمنين به من الخطايا.

فأما النهى عن الموبقات فلم يقل أحد إنه قابل للنسخ مطلقا لا من المسلمين ولا من غيرهم فهو خارج من أول الأمر فإن الفضائل الإنسانية وما يقابلها من الرذائل أمور ثابتة مقررة عند ذوى العقول السليمة فى كل أمة من الأمم فهى غير قابلة للنسخ، وأما الإيمان الحى بكفارة المسيح فما كان يصح لهم أن يدخلوه أيضا فى باب النسخ لأنه إذا كان موجودا فى التوراة صريحا أو تلويحا فإنه يكون من باب العقائد التى لا تقبل النسخ أيضا ، ولكن التوراة ليس فيها شىء يدل على هذا الذى يقولون بالرغم من كونها محرفة وكل ما أخذه الإنجيليون منها ليبنوا عليه قصصهم كان خطأ محضا لا يسع كل من يطلع عليه إلا أن يضحك منه ضحكا عاليا كما ستعرفه بعد.

وأما القرآن الكريم فإنه لا يقول عن عقيدة الثالوث والصلب إنها من باب النسخ. بل يقول إنها من باب التحريف الشنيع الذى يجب أن يتنزه عنه الإله جل وعلا ويعتبر من يقول به وثنيا من الوثنيين مهما انتسب إلى أهل الكتاب.

ومن ذلك يتضح لك خطأ المبشرين فى دعوى أن التوراة والإنجيل غير منسوخين وردهم على المسلمين فى قولهم إنهما منسوخان لأنهم أنفسهم يقررون أن الطقوس الدينية الواردة فى التوراة تكاليف وقتية خاصة ببنى إسرائيل فقط فلم تكلف بها أمة غيرهم والوصايا الخلقية لا تقبل النسخ باتفاق فلم تبق إلا عقيدة الثالوث والصلب فأما القرآن فقد نفاها صريحا وكفر قائلها فهى خارجة عن محل النزاع وأما التوراة الصحيحة فمما لا شك فيه أن ليس فيها شىء من ذلك، بدليل أن القرآن مصدق لها وحافظ لمعانيها. وأما التوراة التى بين أيديهم فكل ما أخذوه منها للدلالة على ما يزعمون فإن اليهود الإختصاصيين بفهمها ينكرونه عليهم تمام الإنكار، وياليتهم يقتصرون على ذلك بل هم يقذفون عيسى عليه الصلاة والسلام بما هو براء منه والواقع أن كل ما نقله الإنجيليون من التوراة ليستدلوا به على أغراضهم بينه وبين ما يريدون بعد ما بين السماء والأرض. أليس ما يقوله

المبشرون فى باب النسخ بعد ذلك هراء من القول ودليل على أنهم لم يفهموا معنى النسخ ولم يطلعوا على ماقاله علماء المسلمين فيه. نعم إنه لكذلك ولكن القوم لا يكادون يفقهون حديثا.

جوهر الدين فى العهد القديم عند المسحيين ؛ إن جوهر الدين فى العهد القديم عندهم هو أنه علم الناس أنهم خطاة وذوى طبيعة خاطئة أمام نظر الله القدوس وأمرهم أن يلقوا رجاءهم على مخلص يولد من عذراء فى بيت لحم ويقدم نفسه عن خطاياهم كفارة، وأما العهد الجديد فهو يبشر بأن المخلص الموعود به جاء، وقدم نفسه كفارة ليس عن خطايا اليهود بل عن خطايا العالم، ولم يبق عليهم إلا أن يؤمنوا به (فيخلصوا) ! أى أن الجوهر الذى يعنيهم أمره من الدين فى العهدين القديم والجديد هو إنتحار الإله ليخلص عباده وما عداه فهى قشور لا قيمة لها بل هى خرافة كما صرح بذلك «بولس» حيث قال لهم لا تصغوا إلى خرافات يهود . وقد نقلناه لك قريبا فالمسيحيون فى الواقع لا يدينون بشىء مطلقا من الشرائع والتكاليف الإلهية، سواء كانت عبادات، أو معاملات أو حدودا كانت فى التوراة أو غيرها، وإذا كان كذلك فما بالهم يتكلمون فى النسخ ويرفعون عقيرتهم بأن كلام الله لا نسخ فيه، مع أنهم لا يدينون بشىء من الأحكام التشريعية القابلة للنسخ .

نعم قد وردت بعض أحكام فى الإنجيل كمسألة الطلاق والكلام فى النجاسة كما بيناه لك فيما تقدم، ولكنهم يسلمون بأن هذه يصح نسخها إذ قد تهرم وتشيخ بالنسبة إلى الأزمنة فلا مانع على هذه النظرية من أن ينسخها القرآن كما أن الإنجيل نسخ التوراة فيها، وإذا كانوا هم قد أعرضوا عن كل ما فى التوراة من شرائع وأحكام وقالوا إن هذه أمور مؤقتة خاصة ببنى إسرائيل، أفلا يستحيون من القول باستحالة نسخ بضعة أحكام وردت فى أناجيلهم؟ ذلك هو المعقول ولكن كيف تقنع قوما يتشبثون بالمحال ويهيمون فى أودية الهزل وهم يظنون أنهم جادون .

المبادىء الأدبية والروحية فى الدين الإسلامى ؛ ومن الغريب المدهش أنهم يدعون أن الدين الإسلامى لم يبلغ الرقى الذى بلغته الديانة المسيحية من حيث المبادئ الأدبية وروحانية العبادة والعتق من نير الطقوس اليهودية المتراكمة .

وإننى أعتقد أن الذى يقرأ هذا الكلام لم يطق صبرا على احتمال مافيه من جهالة عمياء لأن الدين الإسلامى أساسه تهذيب النفوس وتطهير القلوب وتأييد الفضيلة والبعد عن الرذيلة فى كل قضية من قضاياه فالتكاليف الشرعية التى جاء بها كلها مبنية على جلب المصالح ودرء المفاسد عن المجتمع الإنسانى والسير به إلى طرق السعادة الدائمة من نعيم خالد وملك مقيم، ويكفى أن يفهم المبشرون أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (إنما الأعمال بالنيات) ، فكل أعمال الدين الإسلامى لابد فيها من تأثر القلوب وقد قال تعالى: **«قد أفلح المؤمنون الذين هم فى**

صلاتهم خاشعون»[1] وقال: «والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة»[2]. وقال: «إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم»[3]. وقال: «ألا بذكر الله تطمئن القلوب»[4] وقال: «إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد»[5]. وقال: «فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون»[6]. وقال: «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون»[7]. وقال فى تقديم الذبائح فى الحج: «لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم»[8]. إلى غير ذلك من الآيات التى لا يمكن عدها فى هذا المقام، بل كل القرآن الكريم مبنى على تطهير القلوب وتهذيب النفوس من أوله إلى آخره، فلا يقصد من التكاليف التعبدية إلا الإنقياد لله تعالى، والخضوع له باتباع هذه الأوامر، واجتناب أضدادها، ومما لا شك فيه أن الذى يزعم أن قلبه خاضع له بدون أن يعمل ما يدل على ذلك الخضوع من امتثال أوامر الله كاذب فى زعمه مدلس على الله وعلى الناس، وهل يجوز فى عقول الناس أن يقول شخص إننى لا أحج ولا أتحمل مشقة السفر وعناء الحر والبرد وبذل المال فى سبيل مرضاة الله، إكتفاء برحلة سماوية وهمية كل سنة، فأتصور أننى مسافر إلى المسيح، وذلك أرقى من الحج الفعلى وهل يصح أن يقول عاقل إننى لا أقدم ذبائح ولا صدقات إكتفاء بأنى أفرض نفسى ذبيحة مقدسة أقدمها بين يدى المسيح دائما وبذلك أكون أفضل من الذى يبذل ماله ليطعم الفقير وأرقى منه؟

وهل يرضى العقلاء أن يقول شخص إننى أترك النجاسات والأقذار عالقة ببدنى فلا أزيلها اكتفاء بادعاء أن قلبى طاهر وبذلك أكون أفضل من الذى يرى النظافة البدنية ضرورية مع الطهارة القلبية أيضا؟ لاريب فى أن الذى يقول مثل هذا الكلام لايكون أهلا للتخاطب، ولايصح للعقلاء أن يجادلوه فيما يقول، لأن قوله كان يصح إذا كان الدين يقول إن هذه الأشياء مقصودة لذاتها بدون أن تكون القلوب متأثرة بالخشوع لله تعالى، أما إذا كان الدين يقول إن الله قد أمر بذلك ليخشع قلبك بامتثال أمره، وتتهذب نفسك بالخوف منه وبذلك تنتهى عن الفحشاء والمنكر، كما قال تعالى «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر»[9].

---

(١) المؤمنون الآيتان : ١ ، ٢ .
(٢) المؤمنون آية : ٦٠ .
(٣) الأنفال آية : ٢ .
(٤) الرعد آية : ٢٨ .
(٥) ق آية : ٣٧ .
(٦) الماعون الآيتان : ٤ ، ٥ .
(٧) البقرة آية : ١٨٣ .
(٨) الحج آية : ٣٧ .
(٩) العنكبوت الآية : ٤٥ .

فكيف يكون التكاسل عن أداء التكاليف المطهرة للقلوب أرقى من احتمال مشقتها مرضاة لله تعالى؟ وهل يستوى القاعدون مع العاملين؟ أى عقل من عقول البشر السليمة يسع هذا الإدعاء ويذعن له؟. على أن المسيحيين يتناقضون مع أنفسهم في هذا الباب تناقضا شائنا، فهم مع كونهم يقررون أن دينهم قاصر على أن روحهم تكون مع المسيح وأن ماعدا ذلك ليس بدين، تراهم يبتدعون طقوسا ما أنزل الله بها من سلطان، فهم يصومون عن بعض المأكولات زمنا معينا، ويصلون في كنائسهم صلوات تشبه التمثيل على المسارح، ويترنمون بأناشيد في صلاتهم تصدع الرؤوس، إلى غير ذلك . فمن أين أتت هذه الطقوس ولماذا لا يكونون روحانيين في كل أمورهم فيتخيلون أنهم يصلون وهم لايصلون ويصومون وهم لا يصومون إلخ؟ وبذلك يتم الدليل على وجود السوفسطائية الذين ينكرون حقائق الأشياء فإننى كنت أظن أن هذه الفئة لا وجود لها في العالم، حتى أتيح لى الإطلاع على كتب المبشرين فصدقت بأنه قد يوجد من البشر من يستولى عليه الخيال إلى هذا الحد، وإلا فأى فرق بين المبشر الذى يقول ها أنا أسافر إلى السموات لأتقرب من المسيح وهو واقف معك في السوق، وبين من يقول إننى أشك فى أنك موجود.

وكذلك أى فرق بين من يقول إننى أقدم دائما نفسى ذبيحة مقدسة وهو لا يرضى أن يريق قطرة دم من أصبعه، وبين من يقول أنا لا إدرى إن كنت واقفا فى المنزل أو فى السوق. أو هم يكتفون بالتصورات الروحية كالأحلام فتكون ديانتهم خيال فى خيال، ذلك مثلهم بلا نزاع . ولكن ماهى الحيلة فى اقناع هؤلاء الناس الذين لايعرفون للتناقض معنى ولا يقيمون للدلائل العقلية الواضحة وزناً؟ فالله يتولى وحده هدايتهم إنه سميع الدعاء.

لماذا يتمسك المسيحيون بالتوراة ؟. (وبعد) فإن المبشرين صرحوا بأن الطقوس الموجودة فى التوراة نيرا واستعبادا يجب أن يتحرر الناس منه، وأن الديانة المشتملة على هذه الطقوس غير راقية، وعرضوا بالدين الإسلامى الذى لم يحرر الناس من ذلك النير، فرجع بالناس القهقرى إلى شريعة موسى. وبديهى أن ذلك طعن واضح فى التوراة وأحكامها فكيف بعد ذلك يزعم المسيحيون أن التوراة كتابهم وأنهم مؤمنون بما فيها وكيف يصح للمبشرين أن يدافعوا عن التوراة ويتمسكوا بها. إننى قدمت الجواب عن هذا السؤال وهو أنهم تمسكوا بها لأنهم قد فهموا خطأ أن بعض عباراتها تساعدهم على الإشارة إلى قاعدة الصلب. ذلك ما يستمسك به المسيحيون فى التوراة. وقد عرفت أن التوراة خالية منه ولكنهم لا يفهمون .

وأغرب من هذا وذاك أن يعلل المبشرون هجر التكاليف الشرعية وترك الشعائر الدينية الموجودة فى التوراة بعلل وهمية مخجلة. ومنها أن الغرض من هذه الشعائر فى نظرهم أمران:

الأول : أن يعزل اليهود عن الأمم الوثنية خوفا من السقوط فيها.

الثانى : أن يتعلموا أن هذه الشعائر ليست مقصودة لذاتها.

أما العلة الأولى فإننى لا أدرى ولا المنجم يدرى ماهو الفرق بين بنى إسرائيل فى عهد موسى حتى يختصهم الله بتكاليف تميزهم عن الوثنين، وبينهم فى زمن عيسى فيأمرهم الله بمخالطة الوثنيين والإشتراك معهم فى تقاليدهم، مع كونهم من فصيلة واحدة؟ ويظهر أن المبشرين يعتقدون أن المسيحيين أقوياء بالروح القدس فلا تؤثر عليهم الوثنية، بل هم يجذبون الوثنيون إليهم، ولكن حبذا لو صحت الأحلام فإن لليهود أن يقولوا لهم أنتم على العكس من ذلك فقد تأثرتم بالوثنية إلى أبعد مدى لأن الذى يقول إن الله أقانيم ثلاثة قد إمتزج بعضها ببعض وأن أحدها تجسد وصار عيسى ابن مريم يكون قريبا من الوثنيين كل القرب لأن هذه العقيدة منقولة من الوثنيين تماما، بخلاف الذى يؤمن بما ورد فى التوراة من وحدانية الله كما هو بدون تركيب أو إتحاد، فما رأى المبشرين إذا قال لهم اليهود ذلك؟ .

وأما العلة الثانية فإننى عاجز عن إدراك مغزاها، فهل من يرشدنى وأجره على الله؟ وذلك لأن معناها أن المبشرين يرفضون التكاليف الشرعية لأنها ليست مقصودة لذاتها، بل هى رمز إلى حقائق روحية. والذى عجزت عن إدراكه من هذا، كونهم يرفضون التكاليف لهذه العلة، مع كون هذه العلة هى التى توجب التمسك بالتكاليف، فإن أهل الأديان يقومون بأداء واجبات كلفهم الله بها، لتتهذب أرواحهم بالخشوع لخالقهم. فهل يصح أن يصدر هذا الكلام عن قوم يعقلون يريدون أن يشرحوا للناس فلسفة الدين ليمكنوه من أنفسهم ولكن لهؤلاء المبشرين العذر، فإن (بولس) قد أحرجهم باخراجهم عن التكاليف الشرعية وتمهيد سبل الإباحة لهم، فهم يحاولوا أن يبرروا ما رواه لهم (بولس) بأى وسيلة من الوسائل فيضطربوا ويتناقضوا ويقولوا مالا يرضى به أحد من العقلاء. ولو أن المبشرين عللوا ذلك بأنهم أبناء الله وأحباؤه فرفع عنهم التكاليف كلها وأباح لهم التمشى مع كل ما يشتهون، لكان أقرب لهم ، لأننى أعتقد أن مايقوله الإباحيون أصرح وأوضح مما يقوله المبشرون. على أن مقتضى هذه العلل أنهم لا يجوز لهم الإتيان بشىء من الطقوس. ولكنك قد عرفت أنهم ابتدعوا كثيرا منها بصورة تنافى الغرض المقصود من العبادة .

فريضة الذبائح الموجودة فى التوراة ونسخ المسيحيين لها . يقول المبشرون[1] فى ترك التقرب إلى الله بالذبائح ان الله فرض على بنى إسرائيل الذبائح، وقد كان مستعملا عند كل الشعوب ولا يعقل أن تقديم ذبائح الحيوانات يرفع خطايا البشر فكمل الإنجيل هذا النقص بما ورد فى الباب العاشر من رسالة «بولس» الى العبرانيين، ونصها لأن الناموس إذ له ظل الخيرات العتيدة لا نفس

---

(١) ميزان الحق ص ٧٤ وما بعده .

صـورة الأشيـاء لا يقـدر أبدا بنفس الذبائح كل سنة التى يقـدمـونهـا على الدوام أن يكمل الذين يتـقدمون وإلا أفـما زالت تقدم من أجل أن الخادمين وهم مطهـرون مرة لا يكون لهم أيضـا ضـمـير خطايا، ولكن فيها كل سنة ذكر خطايا، لأنه لا يمكن أن دم «ثيران وتيوس» يرفع خطايا، لذلك عند دخوله (المسيح) إلى العالم يقـول ذبيحة وقربانا لم ترد، ولكن هيـأت لى جسـدا بمحرقـات وذبائح للخطيـة لم تسر، ثم قلت ها أنا ذا أجىء فى درج الكتاب مكتوب على لأفعل مشيئتك يا الله إذ يقول آنفا إنك ذبيحة وقربانا ومحرقـات وذبائح للخطيـة لم تسر، ولا سررت بها التى تقدم حسب الناموس ثم قال ها أنا ذا أجىء لأفعل مشيئتك يا الله ينزع الأول لكى يثبت الثانى[1] .

ومعنى هذا الكلام المكرر المعقد أن الناموس (التوراة) لا يقصد بالتكاليف الواردة فيها صورها الظاهرية وإنما يراد منها الحقائق الثابتة. وأرجو القارئ ألا يعترض على بأن عبارة «بولس» لا تفيد هذا المعنى فان ظل الخيرات وصور الخيرات شىء واحد فإن لهم أن يعترضوا ما يشاءون ولكن هذا المعنى هو الذى يريدوه، والغرض منه ابطال التكاليف العملية. ثم أرادوا أن يبرهنوا على دعواهم هذه فقالوا إن الناموس الذى فرض الذبائح سنوياً لا يقدر أن يكمل الذين يتقدمون بالذبائح، لأنهم إنما يقدمونها كل سنة مرة، والغرض من التكاليف تنظيف قلوبهم. وقلوبهم فيهـا ذكر الخطايا كل سنة ودم الثيران والتيوس لا يرفع الخطايا المستديمة.

وإذا تقرر أن الذبائح لا فائدة فيها وإن فرضها فى التوراة على بنى إسرائيل غير معقول فلابد إذا من تشريع كامل معقول عندهم. وهو أن المسيح أو الإله عند دخوله إلى العالم يخاطب الإله الأب ويخاطب نفسه يقول ذبيحة وقربانا لم ترد، أى أنك يا الله لاتحب ذبيحة ولا تحب قربانا، ولكنك قد هيأت لى جسدا فهو يحل محل الذبائح والقرابين السنوية، ويكون ذبيحة مستـمرة وقد صرح المبشرون بهذا فقالوا إن هذا الذبح العظيم (يريدون الإله تعالى عما يقول المبطلون) الذى كانت تشير إليه الذبائح الحيوانية قد حدث تقديمه فلا لزوم لتلك الذبائح الحيوانية بعده، أما المسيحيون فلا يقدمونها إكتفاء بذبيحة المسيح، وكذلك لا يقدمها اليهود لأنهم أمروا فى التوراة ألا يقدموا ذبيحة إلا فى أورشليم داخل هيكل سليمان، ومن المعلوم أن الهيكل خرب وزال من الوجود وبنى على آثاره جامع عمر بن الخطاب وهو باق إلى اليوم.

على أن مقدسهم «بولس» أراد أن يستدل على نظريته بأحكام التوراة نفسها فأتى بنص ما ورد فى المزمور الأربعين آية ٦ بعد أن حرفه تحريفا عظيما وإليك نصه فى المزمور .

(بذبيحة وتقدمة لم تسر. أذنى فتحت . محرقة وذبيحة خطية لم تطلب حينئذ قلت ها أنا ذا جئت بدرج الكتاب مكتوب عنى أن أفعل مشيئتك يا إلهى، سررت وشريعتك فى وسط أحشائى).

---

(١) رسالة بولس إلى العبرانيين الإصحاح عدد ١ ـ ٩ .

فهذا الكلام نقل عن داود ومعناه واضح وهو أن الله تعالى لم يرض عن الذبائح إذا لم تكن مقرونة بالإخلاص ثم هو يعلن ذلك الإخلاص فيقول إننى أنفذ مشيئتك يا الله فاننى قد سمعت أمرك بآذان مصغية مفتوحة وتمكنت شريعتك من قلبى. ولا يعقل غير هذا. ولكن الإنجيليون حرفوا فتحت أذنى بقولهم هيأت لى جسدا ونسبوا قول داود بذبيحة وتقدمة لم تسر إلى عيسى وذلك خيال غريب مدهش .

ومن الفكاهات اللذيذة فى هذا المقام أنهم قالوا أن المحرف هو التوراة [1] فقالوا فى شرح هذه الجملة أن المتن العبرانى المتداول محرف. ولكن فى تفسير «دوالى ودجردمينت» أن المحرف هو الإنجيل فقد قالوا من العجب أنه وقع فى الترجمة اليونانية وفى الآية الخامسة من الباب العاشر من الكتاب إلى العبرانيين بدل تلك الفقرة، هذه الفقرة (قد هيئت لى جسدا) فهم يتعجبون من تحريف الترجمة اليونانية وتحريف الإنجيل .

وبالجملة ففريضة الذبائح الموجودة فى التوراة قد مسخها المسيحيون مسخا تاما ولم يقتصروا على أنفسهم بل هم مسخوها عند اليهود لعدم وجود الهيكل، وعلى هذا فيكون اليهود والنصارى قد انسلخوا عن التكاليف الشرعية رأسا، فما بالهم لا يستحيون، ويقولون إن الكتب المقدسة لا يصح نسخها. ما بال المبشرون لا يخجلون من ذلك القول ومقدسهم بولس ينزع الأول (وهو فريضة الذبح الموجودة فى التوراة) ويحل محلها الثانى، وهو ذلك الكلام الذى تقشعر منه جلود المؤمنين وهو ذبح إلههم.

فلسفة المبشرين فى مسألة الذبائح والقرابين . وللمبشرين غرام شديد بالفلسفة الدينية فى مسألة الذبائح والقرابين فتراهم دائما يحاولون الإنتفاع بذبح المسيح فى كل التكاليف الشرعية، لأنهم يزعمون أنه قد أغناهم عن كل شئ، فيقولون (إن الغسل المفروض فى التوراة على بنى إسرائيل هو فى الإنجيل رمز إلى غسل أجل وأسمى، وهو الغسل الروحى السماوى الذى يمكن الحصول عليه بدم المسيح فقط، الذى من أجل الإيمان به نطهر من كل خطية).

فالمبشرون ومن يصدقهم لا تنفك أرواحهم تسبح فى دم المسيح لتتطهر به وذلك يغنيهم عن تطهير الأجسام وتنظيفها، وإياك أن تسألهم عن كيفية انغماس تلك الأرواح فى ذلك الدم، وأين هو؟ لأن السؤال يدل على عدم روحية السائل، وعدم ادراكه للخيالات التى امتازت بها أرواح المبشرين الذين لا يعبدون الله ربهم إلا بمثل هذه الإدعاءات التى يستطيع كل واحد منهم أن يدعيها، فلا يمتاز منهم عامل عن عاطل، ولا صالح عن طالح، كيف لا وكلهم مؤمنون بالمخلص وأرواحهم

---

(١) انظر المجلد الثالث من تفسير آدم كلارك .

تسبح فى دمه؟. فكلهم مستوون فى نظر الرب لا فرق بين مجرم وغيره، وكفى بذلك خروجا على سنن الله فى خلقه، وجهلا بقواعد التشريع الإلهى التى جعلها الله ليميز بها العاملين الصالحين، من الكسالى الفاسقين، ويعتقد المبشرون بعدم مشروعية تخصيص بقعة من الأرض للعبادة بعد أن قدم المسيح نفسه ذبيحة خارج أسوار أورشليم، فذبيحة واحدة أغنتهم عن سائر الذبائح، ومعنى ذلك أن الإنجيل قد نسخ ما جاء فى التوراة من تخصيص مكان واحد للعبادة. ودليل ذلك النسخ عندهم هو أن المسيح قد ذبح نفسه بعيدا عن المكان المخصص للعبادة لأنه صلب خارج أسوار أورشليم وبعيدا عن بيت الرب. وإنتحار المسيح عندهم عبادة كبرى ليس وراءها من عبادة. هكذا يقول المبشرون ومن الأسف أننا منينا بمناقشة قوم من أشد الناس عداوة للنظريات العقلية والمنطق وإلا فكيف يليق بالرسول أو الإله أن ينتحر مهما كانت الأسباب وأى عقل يرضى بأن يكون إنتحار الإنسان العاقل عبادة. وهب أن وسائل تخليصهم من الخطايا قد إنحصرت فى إنتحار الإله الكامل كما يزعمون. فكيف يكون عمله فى هذا الباب حجة لهم على نسخ المكان الخاص بالعبادة، لأن الإله لا يصح أن يكون مكلفا حتى يكون عمله عبادة. وهب أنه مكلف كغيره من عباده ولكنه مسكين لم يصلب فى هذا المكان بإختياره، بل أرغم عليه باجماع أناجيلهم، لأن «بيلاطس» خانه وسلمه للعسكر أو لغيرهم وهم قد أخذوه مكرها ذليلا مهانا، بعد أن بصقوا فى وجهه وضربوه على رأسه وألبسوه تاجا من الشوك إلى المكان الذى صلبوه فيه. فكيف بعد ذلك كله يكون ذبح المسيح خارج أسوار أورشليم حجة على نسخ العبادة فى مكان خاص؟. ويظهر أن المبشرين لم يعولوا على هذا الدليل كثيرا، ولذلك قالوا انه مؤكد للنسخ، أما النسخ فقد ثبت بما ورد فى الباب الرابع من إنجيل «يوحنا» ونص ما ورد من ذلك فى إنجيل «يوحنا» (الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا) وقد قال المسيح ذلك لأمرأة من السامريين جاءت تملأ جرتها من البئر فطلب منها أن تسقيه، فقالت له أنت يهودي واليهود مقاطعون للسامريين فكيف تطلب منى الماء؟ فقال لها إننى أنا معى ماء الحياة الحقيقية ثم أخبرها ببعض تاريخ حياتها، وأنها تزوجت خمسة ثم استولى عليها رجل ليس بزوجها وهى التى معه الآن. فعند ذلك قالت له أنت نبى وسألته عن محل العبادة، فقالت إن أباها من السامريين يسجدون على الجبل، ولكن اليهود لا يعبدون إلا فى أورشليم فقال لها ما نصه (يا أمرأة صدقينى إنه تأتى ساعة لا فى الجبل ولا فى أورشليم تسجدون للأب) إلى أن قال (ولكن تأتى ساعة وهى الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للأب بالروح والحق).

وهذا الكلام المكرر معناه الذى فهمه منه المبشرون أن السجود الفعلى قد نسخ فلا حاجة حينئذ للمكان فلا سجود على الجبل ولا سجود فى أورشليم لأنه يكفى أن تسجد الروح للأب وسجود الروح فى نظرهم عبارة عن إيمانها بالمخلّص، وذلك يستوى فيه جميع المسيحيون المجرم والبرىء.

وبعد هذا كله تعلم أن المبشرين يمسخون جميع الأحكام الشرعية والتكاليف الإلهية، ثم يزعمون أن الإنجيل غير ناسخ للتوراة. وإذا سألتهم فى ذلك أجابوا أن الجوهر الحقيقى لم ينسخ وهو البشارة بالمخلص والوصايا الأدبية. وما دام ذلك محفوظا فعلى الدنيا العفاء.

ملخص ما رفضه المسيحيون من احكام التوراة ـ ويجمل أن نذكر هنا ملخص ما رفضه المسيحيون من بعض أحكام التوراة مضافا لما قدمناه .

١ ـ فرض الله على اليهود ثلاثة أعياد وأمر ذكورهم أن يصعدوا فى كل عيد إلى المكان الذى اختاره الرب إلخ، أما المسيحيون فإنهم يمكنهم أن يتقدموا إلى الله بغير أعياد بل بالإيمان الحى بكفارة المسيح.

٢ ـ فرض الله الختان فى التوراة والمسيحيون لا يعتبرونه . لأن الغرض منه هو ختن القلوب من الشهوات الحيوانية، وسيأتى لذلك مزيد بيان قريبا.

٣ ـ حرمت التوراة الزنا والإنجيل حرمه وزاد عليه حرمة النظر (تقدم الكلام فى ذلك).

٤ ـ التوراة حرمت القتل الفعلى أما المسيح فقد شرح القتل باحساسات الغضب التى إن لم تخمد أدت إلى القتل. ولم يستطع المبشرون أن يقولوا أنه حرم ثورة الغضب التى تفضى إلى القتل ولا أدرى كيف يستطيع رسول أن يحرم هذا المعنى ويجعله شرحا للقتل فالذى ينبغى تحريمه إنما هو التمسك بالأساليب التى تؤدى إلى تلك الحالة، وعلى كل حال فإن كل ما يترتب عليه جناية القتل كبيرة من الكبائر فى كل الشرائع، لأن التوراة لا تحل الوسائل التى يترتب عليها القتل طبعا، وإلا كانت هازلة، فإذا لم يترتب عليها شىء فإنها وإن كانت مذمومة، لا يقول عاقل إن من اتصف بها يكون مرتكبا لجريمة القتل.

٥ ـ أحل موسى الطلاق فحرمه عيسى .

٦ ـ حرمت التوراة القسم بغير الله وكذا حرمت النطق به كذبا أو باطلا والمسيح حرم اليمين مطلقا. أما الدين الإسلامى فقد حرم القسم بغير الله أو صفة من صفاته أيضا كما حرم الحلف كذبا، وأحل القسم لتأكيد الأغراض الصحيحة بين الناس لتزداد الثقة بينهم، وذلك لازم قد تتوقف عليه مصالح هامة، فلا معنى لتحريمه مطلقا نعم إنه لا يحل أن يحلف الشخص بغير غرض وبدون أن يطلب منه الحلف كما قال تعالى: **«ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم»**.

٧ ـ نهت شريعة موسى عن كل عمل شرير، أما شريعة عيسى فقد تجاوزت ذلك إلى النهى عن الأفكار الشريرة، وكما أنها نهت عن فعل الشر أمرت بفعل الخير حتى أنها أوجبت إدانة كاهن لم يسعف رجلاً جريحًا ومثل ذلك العبد الذى أخذ من سيده صرة من المال فلم يستغلها.

والنهى عن الأفكار الشريرة حسن ولكن لا يؤاخذ عليها الإنسان إلا إذا صمم على فعل الشىء الذى يترتب عليها ولم يعدل عنه خوفا من الله، فإن لم يصمم أو عدل عنه بعد التصميم خوفا من الله فإنه لا يعاقب وذلك هو حكم الشريعة الإسلامية.

وأما إدانة الكاهن الذى لم يسعف الجريح ضرورية لأن الإنسان إذا وجد أخاه فى خطر وتوقف إنقاذه عليه، كان فرضا عليه أن ينقذه. فتركه وشأنه فعل للشر، يستحق عليه العقوبة ـ أما العبد الذى أخذ من سيده صرة من المال ولم يأمره باستغلالها فحفظها بدون استغلال فلا أدرى كيف يدينه عاقل بذلك .

٨ ـ وأخيرا قالوا إنه يوجد فى العهد القديم فرائض كثيرة ضربوا عنها صفحا وأنهم اكتفوا بالذى عددوه والمراد منها توجيه القلب إلى حقائق روحية واستيعابها وانهم بادخالهم هذه الحقائق الروحية لم تبق حاجة إلى ممارسة فرائضها المنظورة، بل تكون مضرة ويخشى على الذين يستعملونها أن يتمسكوا بالعرض دون الجوهر كما جرى لليهود الذين تمسكوا بطقوس ورسوم كثيرة تشير إلى المسيح ورفضوا المسيح نفسه.

الأساس هو انتحار الإله لتخليصهم من الخطيئة • يتضح مما سبق أن غرض المبشرين الأساسى هو الإيمان بالمسيح على الوجه الذى ذكروه غير مرة من أنه إله صلب لفدائهم وكل ماعدا ذلك من تكاليف فإنه لا قيمة له بل هو ضار لمن يؤمن بعقيدتهم هذه، وذلك منتهى ماوصلت إليه العقول البشرية من النقص .

وبعد هذا كله فما لهؤلاء وللتوراة ، وعلى أى وجه يزعمون أنها كتابهم الذى به يؤمنون وأغرب من هذا أنهم يقولون إن العهد القديم كان بين الله وبين إسرائيل فقط ومدته انتهت بمجىء المسيح وتأسيس ملكوته، وأما العهد الجديد الذى تنبأ به «أرميا» النبى فعهد بين الله والمؤمنين بالمسيح سواء كانوا من بنى إسرائيل أو من الأمم. فهذا العهد الأخير أعم وأهم من الأول لأن الأول كان قائما على فرائض وطقوس ورسوم تدرب بنى إسرائيل فقط على إدراك الحقائق الروحية تدريجيا .

فإذا اضيف إلى ذلك ما قاله «بولس» (فى الآية الثانية عشر من الباب السابع من الرسالة العبرانية) ونصه: (فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها) وما قاله فى الباب الثامن من هذه الرسالة: (فإنه لو كان الأول بلا عيب لما طلب الثانى) فإذا قال جديدا عتق الأول، وأما ما عتق فهو قريب من الإضمحلال، ويريد بالأول التوراة وكذلك بالوصية. وما نقلناه لك عنه قريبا من قوله: (لا تصغوا إلى خرافات يهودية) كانت النتيجة البديهية من كل ذلك أن التوراة معيبة عند المسيحيين وأنها مرفوضة عندهم بنصوص كتبهم المقدسة. فمن الخرق بعد ذلك أن يقولوا إنها كتابهم الذى به يدينون وإنه غير منسوخ .

وكذلك قولهم إن الطبيعة البشرية واحدة فى كل العصور فهى محتاجة إلى شىء واحد وهو ما يخلصها من الخطية، وذلك ثابت فى الإنجيل وهو كاف ومغن عن كل تشريع، فيقولون إن ابن آدم مائل للخطية ومحتاج إلى يد تنشله وتقربه إلى الله على الرغم من أمياله الطبيعة، وهذه اليد

الناشلة لا يمكن الوصول إليها إلا إن كان يتفضل الله علينا ويحبنا أولا، ويكون هو البادىء بالصلح، نعم هذا الإنجيل بعينه لأنه أعلان محبة الله للعالم الأثيم . ثم قالوا من أجل ذلك لا يمكن أن يتصور العقل البشرى وسيلة دينية تحمل الإنسان على أنكار نفسه والعروج إلى أرقى درجات الصلاح، والتعبد لله مثل الإيمان بأن الله أحبنا أولا وبذل ابنه من أجلنا.

فكل ما يطوف المبشرون حوله وكل قبلتهم التى يتوجهون إليها هو تقرير تلك النظرية الغريبة وهى انتحار الإله لتخليصهم من الخطية، فلا شريعة ولا دين إلا فى ذلك المعنى. ومن طرائف ما يقولوه قولهم إن الله هو الذى يبدأ بالصلح. ويبذل فى سبيله ابنه الوحيد. أى نعم ياحضرات المبشرين صلح خطير، ولكن الإله قد غبن فيه غبنا فاحشا إلى حد أن يقول أعداؤه إنه صلح غير شريف، لأنه مسكين ذلك الإله مع عباده، فإنه خلقهم فعصوه وأخطئوا معه، ثم طلب منهم الصلح، وكان البادئ بذلك الطلب ويصح أن يترفق هؤلاء العصاة فيطلبوا ما فيه تخفيف، ولكنهم أبوا إلا أن يطلبوا مطلبا صعبا هو ذبح ابن ذلك الإله المسكين الذى لا ذنب له وإن شئت قلت لهم يصطلحوا بدون ذبح ذلك الإله المظلوم معهم (لأنك ستعلم بعد أن المسيح إله كامل عندهم). فهل الذى يقول ذلك الكلام فى إلهه يكون له دين يصح أن يفاخر به الموحدون الذين يعبدون إلها منزها عن كل النقائص البشرية، وأى نقيصة أكبر من تلك النقائص التى يصف بها المسيحيون إلههم، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

القول بأن دعوى النسخ منقوضة بأقوال الانبياء . ويقول المبشرون إن الدعوى بأن التوراة منسوخة دعوى منقوضة بأقوال الأنبياء والرسل الصريحة الدلالة بل بأقوال المسيح نفسه التى وردت ضمن أسفارهم ومن ذلك قول أشعيا النبى مشيرا إلى أسفار العهد القديم (طبعا يبس العشب ذبل الزهر وأما كلمة الهنا فتثبت إلى الأبد).

فهل سمعت خللا فى النظريات العقلية أشد من هذا الذى يقوله المبشرون لقد قرروا ألف مرة ومرة أن الإنجيل نسخ التوراة فى كل أحكامه القابلة للنسخ ويا ليتهم اقتصروا على ذلك بل وصفوا تلك الأحكام بأنها ضارة، ووصفها «بولس» بأنها خرافات، يردون على أنفسهم بقولهم إن دعوى النسخ منقوضة بدعوى الأنبياء. حسن ياحضرات المبشرين فى أمان الله. أنتم تقولون إن أحكام التوراة الطقسية كلها عتقت وشاخت وكانت خاصة ببنى إسرائيل وانتهى أمرها بظهور المسيح الذى نهى عنها - ثم تقولون فى الوقت نفسه إنها غير منسوخة بأقوال الأنبياء. فمن هو الذى خالف أقوال الأنبياء سواكم أنتم وأناجيلكم الصريحة فى ذلك.

فإذا قلتم إن غرضنا وغرض أناجيلنا أن الجوهر وهو انتحار الإله لتخليصنا من خطايانا هو والوصايا التى فيها لا تقتل لاتسرق لاتزن، قلنا لكم إن الوصايا غير قابلة للنسخ باتفاق، فإن

المسلمين أيضا يقولون إنها لا تنسخ أبدا لأن طبيعة النوع الإنسانى لا تختلف بالنسبة لها، وأما مسألة ذبح الإله فهى خارجة من الموضوع رأسا لأنها من باب العقائد، فلا تقبل النسخ أيضا، وإنما الكلام فيها داخل فى باب التحريف لا باب النسخ، فالمسلمون يقولون إنه يستحيل وجودها فى كتاب مقدس لأنها شر من الوثنية بالنسبة للإله تعالى. واليهود مثلهم فى هذا الباب، فليست فى التوراة حتى تنسخ، فماذا عسى أن نقول لمن يتناقض فى كلامه ذلك التناقض المعيب. ليس لنا إلا أن نكل أمرهم للعقلاء ليحكموا بما يحبون.

أمثلة أخرى لنسخ التوراة عند المسيحيين . أظن أن ما ذكرناه فى مسألة النسخ فيه كفاية ولكن بقيت أمثله لا بأس بذكر مافيه مزيد دلالة على نسخ التوراة عند المسيحيين منها :

١ ـ حكم يوم السبت . فإنه قد نص عليه فى التوراة: وهو أنه يحرم العمل فيه حرمة مؤبدة. جزاء من يخالفها الإعدام . وقد ذكر ذلك فى غير موضع من توراتهم من ذلك ما ورد فى الإصحاح الحادى والثلاثين من سفر الخروج آية ١٣ وما بعدها (وأنت تكلم بنى إسرائيل قائلا سبوتى تحفظونها. لأنه علامة بينى وبينكم فى أجيالكم لتعلموا أنى أنا الرب الذى يقدسكم. فتحفظون السبت لأنه مقدس لكم. من دنسه يقتل قتلا. إن كل من صنع فيه عملا تقطع تلك النفس من بين شعبها. ستة أيام يصنع عمل. وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة مقدس للرب. كل من صنع عملا فى يوم السبت يقتل قتلاً. فيحفظ بنو إسرائيل السبت ليصنعوا السبت فى أجيالهم عهداً أبديا. هو بينى وبين بنى إسرائيل علامة إلى الأبد. لأنه فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض وفى اليوم السابع استراح وتنفس).

وقد ورد فى عدة مواضع من التوراة التى بين أيديهم تحريم العمل يوم السبت تحريما باتا جزاء من يخالفه القتل. وقد رجم شخص فى عهد موسى بالحجارة حتى مات، لأنه عمل عملا يوم السبت.

أما المسيح فإنه نسخ ذلك الحكم تماما وكان نفسه يعمل يوم السبت ولا يقدسه. فقد جاء فى الإنجيل ما نصه: (ولهذا كان اليهود يطردون يسوع ويطلبون أن يقتلوه لأنه عمل هذا فى سبت) (١).

وجاء فى الإنجيل ما نصه: (فقال قوم من الفريسيين هذا الإنسان ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت) (٢).

وقال بولس فى رسالته إلى أهل كولوسى (فلا يحكم عليكم أحد فى أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت . التى فى ظل الأمور العتيدة وأما الجسد فللمسيح) (٣).

---

(١) إنجيل يوحنا الإصحاح الخامس عدد ١٦ .

(٢) إنجيل يوحنا الإصحاح فى التاسع عدد ١٦ .

(٣) رسالة بولس إلى أهل كولوسى الإصحاح الثانى عدد ١٦ ، ١٧ .

٢ ـ مسألة الختان . هى فريضة دائمة فى شريعة موسى من لم يفعلها جزاؤه إن يقطع من الشعب كما هو مصرح به فى الإصحاح السابع عشر من سفر التكوين فى الآية ١٠ وما بعدها ونصه: (هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك. يختن منكم كل ذكر) إلى أن قال (فيكون عهدى فى لحمكم عهدا أبديا. وأما الذكر الأغلف الذى لا يختن فى لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها) . أما عند المسحيين فالختان منهى عنه لأن مقدسهم بولس قال فى رسالته إلى غلاطية ما نصه. (وها أنا بولس أقول لكم إنكم إن اختتنتم لن ينفعكم المسيح بشىء، لأنى أشهد أن كل مختون ملزم بإقامة جميع أحوال الناموس، إنكم إن تزكيتم بالناموس فلا فائدة لكم من المسيح، وسقطتم عن نيل النعمة).

٣ ـ نسخ باقى أحكام التوراة . ومن الغريب أن هذا النص ليس مقصورا على نسخ مسألة الختان. بل هو نسخ لكل أحكام التوراة وحث على تركها لأنه يقول إن أحكامها لا يتزكى بها أحد، ومن أراد أن يتزكى بأحكام التوراة فلا فائدة له من المسيح، وقد صرح بذلك فى أعمال الحواريين آية ٢٤وما بعدها (ثم إنا قد سمعنا أن نفرا من الذين خرجوا من عندنا يضطربونكم بكلامهم ويزعجون أنفسكم ويقولون إنه يجب عليكم أن تختتنوا وتحافظوا على الناموس ونحن لم نأمرهم بذلك لأنه قد حسن للروح القدس ولنا أن لا نحملكم غير هذه الأشياء الضرورية. وهى أن تجتنبوا من قرابين الأوثان والدم والمخنوق والزنا، التى إن تجنبتم عنها فقد أحسنتم والسلام).

فهذا نص صريح بنسخ جميع أحكام التوراة ماعدا هذه الأمور الأربعة ثم جاء بعد ذلك مقدسهم «بولس» فنسخ من الأربعة ثلاثة ولم يبق سوى حرمة الزنا وقد عرفت أن جريمة الزنا لم يعاقب المسيح عليها الزانية . وبذلك لا يكون المسيحيين مقيدين بشىء مطلقا من التكاليف الشرعية .

وصرح بولس فى رسالته إلى غلاطية الإصحاح الثانى بأوضح من ذلك ونص عبارته: (وأنا لا أبطل نعمة الله لأنه إن كانت العدالة بالناموس فقد مات المسيح عبثا) ومعنى ذلك أن الفضائل لا تدرك بالتكاليف الشرعية الواردة فى التوراة إذ لو صح ذلك لذهب دم المسيح عبثا لأن المسيح قد مات من أجلهم، فرفع عنهم موته كل التكاليف الواردة فى التوراة.

هكذا يقول رسولهم بولس، فالرجل قد أخرجهم عن كل دين، وعن كل شريعة، وعن كل أدب، وعن كل فضيلة، وحثهم على الإباحة والفوضى، وكل ذلك اكتفاء بانتحار الإله إذ لو كانوا مكلفين بشىء لذهب دم المسيح عبثا.

٤ ـ ملعون من يعمل بالتوراة . وأغرب من هذا وأعجب ما ذكره بولس هذا فى الباب الثالث من رسالة غلاطية المذكورة ونصه:

(المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون من علق على خشبة) .
وهذا الكلام من أفظع مايذم به عاقل دينه وذلك لأنه يقول إن الذى يعمل بالتكاليف الشرعية يكون ملعونا ، فالعمل بالتوراة التى هى الناموس موجب اللعنة ، والمسيح قد صلب لتخليصهم من هذه اللعنة ، مع كونه بذلك قد صار ملعونا لأنه مكتوب فى كتابهم المقدس من صلب على خشبة يصير ملعونا .

فقل لى بربك أيها القارئ المنصف هل رأيت بين الناس عقلية أغرب من هذه العقلية التى تتصور أن العمل بما يأمر الله به يوجب اللعن ، وترضى أن إلهها الذى تعبده ينتحر لافتدائها من ذلك اللعن ، ثم إن ذلك الإله المسكين يصبح ملعونا لصلبه ، فيصح أن يقال إن عيسى ملعون بنص كتابهم.

إن ما ذكر فى كتابهم من تنقيص عيسى بن مريم وتحقيره يجعلنا فى حيرة ولا ندرى ماذا نقول فمن هوان إلى تعذيب إلى لعن إلى دخول الجحيم ، كل هذا البلاء والعذاب المهين لا لذنب جناه ، لأجل أن يخلص فئة من الناس من الخطايا . وممن يخلصهم؟ يخلصهم من نفسه لأنه هو الإله وفى إمكانه أن يقول لهم غفرت لكم ، فاعذرونا إذا قلنا لكم اننا حائرون وماذا عسانا أن نقول لقوم تسع عقولهم هذا الكلام ويؤمنون به ، وياليتهم يقولون إنه بشر بل يقولون إنه إله كامل بروحه ، تالله لولا أنهم يتوارثون هذا الكلام عقيدة عن آبائهم الأولين ثم قيل لصغار تلاميذهم لأبوا أن يذعنوا له. ولكنها العقيدة تفعل بعقول أولى الألباب أكثر مما تفعل الخمر .

الأدلة على تحريف التوراة

قبل أن نتكلم فى هذه الأدلة يجمل بنا أن نلفت نظر القارىء إلى أمور أشرنا إليها فيما مضى من كلامنا وهى :

أسف المسلمين على ما أصاب التوراة . إن المسلمين يأسفون شديد الأسف على ما أصاب التوراة التى أنزلت إلى موسى عليه السلام من الضياع بسبب اهمال بنى إسرائيل وانصرافهم عن العمل بأحكامها النافعة وتعاليمها الرشيدة وانقيادهم إلى شهواتهم الفاسدة إلى حد أنهم تركوا عبادة الله وعبدوا الأصنام ، فسلط الله عليهم من حرق كتابهم ، وحرق دار عبادتهم ، وصيرهم وثنيين لا كتاب لهم كما ستعرف ، فلما أفاقوا من غفلتهم لم يجدوا أمامهم من التوراة إلا بقايا يسيرة من أحكامها محفوظة عند بعضهم فأضافوا إليها ما شوه جمالها وسموها توراة ولكن الله العليم القدير لم يشأ أن يضيع كلامه الذى أنزله ، فأوحى بكل ما اشتملت عليه التوراة من فضائل وأخلاق وتاريخ وغير ذلك إلى سيدنا محمد رسول الله فى القرآن الكريم فكان حافظا لها إلى يوم يبعثون.

علاقة المسيحيين بالتوراة . إنك قد عرفت مما تقدم أن علاقة المسيحيين بالتوراة غير مفهومة بل هى واهية واهنة إلى أبعد مدى ، وذلك لأنهم لم يعملوا بشىء من أحكامها ، لأن كل ما فيها من

شرائع هرم وشاخ فى نظرهم، ولكنهم مع ذلك يقولون إنها كتابهم الذى يؤمنون به ويقدسونه، فإذا سألتهم عما يقدسونه منها قالوا لك إنها قد بشرتهم بالمخلص وتنبأت عنه وعن إنجيله، ولكن علماء اليهود الاخصائيين يسخرون من قولهم هذا وينكرون عليهم تطفلهم أشد الإنكار، والواقع أن التوراة الموجودة الآن ليس فيها شىء يشير إلى المعنى الذى يفهمه المسيحيون منها، بل بالعكس موجود فيها ما يدل على عكس المقصود للمسيحيين، وإذا شئت أن تعرف مثالا لذلك هنا فأقرأ النص الذى تنبأت به التوراة عن الإنجيل فى نظر المسيحيين وهو أن «أرميا» النبى أشار إلى العهد الجديد فى التوراة [1] بقوله: (هاأيام تأتى يقول الرب وأقطع مع بيت اسرائيل ومع بيت يهوذا عهدا جديدا ليس كالعهد الذى قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدى فرفضتهم يقول الرب بل هذا هو العهد الذى أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام أجعل شريعتى فى داخلهم وأكتبها على قلوبهم، وأكون لهم إلها وهم يكونون لى شعبا).

ومن هذه الآيات أخذ المسيحيون العهد الجديد وجعلوها اسما للإنجيل، وهو الجزء الثانى من الكتاب المقدس.

فهذا هو النص الذى تنبأت به التوراة عن الإنجيل فى نظر المسيحيين، ولكن هل هذا الكلام صحيح ومعقول؟ كلا إن تاريخ بنى اسرائيل يفسر لنا هذا الكلام أوضح تفسير، وذلك لأنهم أولا كانوا بمصر عبيدا لفرعون وقومه، فأرسل الله إليهم موسى ليخلصهم من هذه العبودية فقست قلوبهم وعصوه، وكان من أمرهم ما قصه الله علينا فى القرآن من عبادة العجل وغير ذلك من اقتراف الجرائم والموبقات، فلم يحفلوا بعهد الله الذى جاءهم به موسى، فأذلهم ثانيا وأخرجهم من أرض مصر، وظلوا تائهين فى أرض التيه ثم عرض لهم عهد جديد بعد موسى، وهو أنهم رجعوا إلى الله فامتثلوا أمره وأطاعوه مع يوشع بن نون وصى موسى، فقاتل بهم الجبارين فانتصر عليهم، وفتح لهم الشام، وذلك هو العهد الجديد وحاصله أن بنى اسرائيل عصوا الله ونقضوا عهده الذى جاءهم به موسى فأخرجهم من أرض مصر وأذلهم، ولكن أبناءهم أطاعوا وامتثلوا أمره الذى جاءهم به يوشع وهو العهد الجديد فنصرهم لأنهم عملوا بشريعة الله تعالى باخلاص. ولا ريب فى أن بين هذا الكلام وبين الإنجيل بعد مابين السماء والأرض فأى عاقل يفهم من هذا الكلام أن فيه إشارة إلى الإنجيل، فضلا عن كونه نصا فيه؟ وأيضا فإن الإنجيل لا تشريع فيه فما هى الشريعة التى كتبها الرب على قلوبهم؟.

على أن هذا التفسير مذكور فى سفر يوشع بن نون فى نفس التوراة، فإن ذلك السفر قد اشتمل على قصة يوشع ومحاربته القوم الجبارين بالشام حتى هزمهم بمن معه من بنى إسرائيل وملكوا بلادهم. ومن الغريب أن كل ماتمسك به الإنجيليون من التوراة على هذا المنوال لا يمكن حمله على عيسى إلا إذا خرج الناس عن قوانين المنطق والبيان وآمنوا بما يتخيله هؤلاء الإنجيليون.

---

(١) أرميا إصحاح ٣١ ـ ٣٣ .

على أن الذى يتأمل فى التوراة يجد فيها ما يدل صريحا على أن عيسى ليس برسول فضلا عن كونه إلها مخلصا، ومن أراد أن يعرف ذلك فليقرأ الإصحاح السادس والثلاثين من كتاب «أرميا» وملخصه أن «أرميا» النبى استدعى شخصا إسمه «باروخ» وكلفه أن يكتب زواجر شديدة أوحى الله إليه بها، ليقرأها على الشعب وعلى الملك «يواقيم» ملك يهوذا، فقرأها على الشعب وأخذها بعضهم ليقرأها على الملك فلما سمع بعضا منها أخذها وألقاها فى النار التى كان يستدفىء بها فأحرقها، فغضب الله عليه غضبًا شديداً، وقال إنه لا يمكن من نسله أحد يجلس على كرسى داود وعيسى من نسله فإذا صدقت التوراة، فإن عيسى لا يكون رسولاً فى نظر التوراة لأنه لابد أن يكون جالسا على كرسى داود عندهم، فقد صرح «لوقا» فى الإصحاح الأول من إنجيله أن جبريل بشر مريم بأن الرب سيعطى عيسى كرسى داود ونص عبارته: (ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه ويملك عنى بيت يعقوب إلى الأبد) إلخ آية ٢٢ و٢٣. فلوقا قد نص على أن جبريل قال لمريم إن يسوع سيملك كرسى أبيه داود وأنت ترى فى نسب المسيح المذكور فى أناجيلهم أن يواقيم من أجداده. والتوراة تقول إنه لا يملك أبدا والإنجيل يقول إنه يملك أبدا. فبأيهما نأخذ؟ وعلى أيهما نعتمد؟ ومن المضحك أن يوحنا روى ما يناقض عبارة «لوقا» هذه فقد ذكر فى الباب السادس: ١٥ ما نصه (وأما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ملكا انصرف أيضا إلى الجبل وحده) وهذه العبارة تدل على أنه هرب من الملك ورفض أن يكون ملكا، ومحصل ماذكره «يوحنا» فى ذلك الباب أن عيسى خرج وتبعه أناس كثيرون أحصى عددهم بخمسة آلاف شخص فالتفت إلى أحد تلاميذه وقال له من أين نبتاع خبزا ليأكل هؤلاء؟ فقال له لا يكفيهم خبز بمئتى دينار ليأخذ كل واحد منهم شيئا يسيرا فقال له تلميذ آخر يقال له «اندراوس»، هنا غلام معه خمسة أرغفة (شعير) وسمكتان فأخذها المسيح وأطعم بها الناس جميعا وبعد أن أكلوا وشبعوا زاد منهم ما ملأ (اثنى عشرة قفة) فلما رأى الناس هذه المعجزة أرادوا أن يختطفوه ليجعلوه ملكا فهرب منهم، وقد صرح يسوع لبيلاطس بأنه ليس ملكا.

وأغرب من هذا أن الذى يكتب هذه المعجزات ويقرر أن الشعب أراد اختطافه ليقلده الملك قسرا، هو الذى يكتب أن الشعب قد هاج عليه بأجمعه ولم يوجد له نصير. حتى أن الوالى لم يستطع إنقاذه من الصلب خوفا من الشعب الذى كان ينادى أنه مضل، وعلى كل حال فالمسيح لم يجلس على كرسى «داود» لحظة واحدة، ولم يحكم آل يعقوب عشية أو ضحاها باعتراف أناجيلهم، فإذا قالوا إن ملكه لم يأت بعد وأنه سيكون فى آخر الزمان، فإنهم لا يقولون إنه يجلس على كرسى داود فقط وإنما يقولون إنه يكون إلها يدين الأحياء والأموات، ويحكم بين الناس جميعا، فالإخبار بكونه سيكون ملكا على آل يعقوب ويجلس على كرسى داود باطل بلا نزاع، ومع ذلك فإن مملكته فى الآخرة مملكة ألوهية عندهم لا مملكة بشرية. فما كرسى داود أبيه بشىء له قيمة.

ومن المتناقضات الظريفة فى هذا الموضوع أن «ميخا» وهو من رواة توراتهم صرح فى الإصحاح الخامس ما بما نصه (أما أنت يابيت لحم أفراتة وأنت صغيرة أن تكونى بين ألوف يهوذا فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطا على اسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل) فأخذ هذه العبارة «متى» فذكرها فى الإصحاح الثانى ٦ على أنها نبوءة من النبى ميخا قد تحققت فى عيسى، ولكنه ذكرها محرفة متغيرة وإليك نص ما قال: (مكتوب بالنبى . وأنت يابيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبى إسرائيل) فـ «ميخا» يقول يابيت لحم أنت وإن كنت قرية صغيرة وأما «متى» فإنه يقول يابيت لحم أنت لست صغيرة ولو لم ينسب «متى» هذه العبارة إلى «ميخا» النبى لكان من الممكن تأويلها ولكنه نسبها إليه، فمن أدب الأنبياء الملهمين ألا يتناقض بعضهم بعضا فى العبارة، فهذا يقول أنت صغيرة وذاك يقول لست صغيرة. وعلى كل حال فلم تنطبق هذه النبوءة على عيسى بأى حال من الأحوال كما هو صريح أناجيلهم جميعا فإن عيسى لم يتسلط على إسرائيل طرفة عين، بل بالعكس أقام بينهم زمنا يسيرا يصارعهم ويصارعونه ويحاورهم ويحاورونه ثم انتهى الأمر بصلبه على أشنع حال، بحيث لم يجد مخلوقا يواسيه حتى أن أقرب الناس إليه وألصقهم به وهو«سمعان بطرس» أنكره وأنكر معرفته إياه، بقسم ولعن، فأين تلك السلطنة وأين ذلك التدبير. فإما أن يكون المراد بما قاله «ميخا» شخصًا آخر سوى المسيح المذكور فى أناجيلهم، وإما أن تكون العبارتان المذكورتان فى «ميخا ومتى» كاذبتين معا. ولهذا نقل فى إظهار الحق أن (هورن) من محققى المسيحيين قال إن عبارة التوراة محرفة إلخ وقد حكم هورن بالتحريف بناء على عدم تطابق العبارتين فى الصورة ولكن العبارتين متناقضتين فى المعنى أيضا لأن الواقع يكذب عبارة متى خصوصا أن التوراة قد حكمت بأن نسل يواقيم لايوجد منه من يملك كرسى داود وحكم متى بأنه لابد من أن المسيح يملك كرسى داود وهو من نسله وذلك تناقض ظاهر لا يخفى على أحد من العقلاء.

ما ذكره اليهود فى تواريخهم عن التوراة والتلمود. ذكر اليهود فى تواريخهم أن اسم التوراة خاص بالأسفار الخمسة المكتوبة ، فلا تطلق حقيقة إلا عليها وهى: (١) سفر التكوين ويسمى سفر الخليقة (٢) سفر الخروج (٣) سفر الأحبار (٤) سفر العدد (٥) سفر التثنية.

فهذه الأسفار هى التى كتبها موسى عليه السلام وأما غيرها من باقى الأسفار فهى مقدسة عندهم ويشملها اسم توراة، ولكن لا على طريق الحقيقة، لأنها من تصنيف الأنبياء الذين جاءوا من بعد موسى، وكل ما فيها من أحكام وتعاليم منقولة عن موسى شفويا ولكنهم يسمونها بالتلمود ، فالتلمود معناه التعاليم الشفوية التى جاء بها موسى من قوانين سياسية وشرعية وغيرها. ثم إن موسى سلم الأسفار المكتوبة والشفوية ليوشع بن نون خليفته ولأحبار بنى إسرائيل وأولهم «العازر بن هارون»، وهو الحبر الأعظم، ثم من بعده ابنه «فينحاس»، ولباقى الشيوخ السبعين الذين اختارهم

»«موسى من أسباط بنى إسرائيل. وكان يتألف منهم المجلس الأعلى للقضاء والإفتاء». على أن التعاليم الشفوية كان يحرم عليهم أن يكتبوا شيئا منها. ولكن بعض التلاميذ كان يكتب بعض مذكرات خاصة فجمعت ووجدت متضاربة فحذف علماؤهم ما فيها من تضارب ووحدوها إلخ ما ذكر فى تواريخ اليهود[1]. على أنهم يقولون إن الأسفار المنسوبة إلى الأنبياء هى من الكتاب المقدس عندهم كالأسفار الخمسة بلا فرق. وهى ثلاثة وثلاثون سفرا أولها سفر يوشع بن نون ثم سفر القضاء ..إلخ .

كيف فقدت التوراة وتاريخ كتابتها . أما المسيحيون فإنهم نقلوا التوراة عن اليهود ثم هم يتناقضون تناقضا غريبا لأنهم يقررون أن اليهود سقطوا بعد موسى فى الوثنية جميعا سواء مملكة اسرائيل أو مملكة يهوذا، ويعترفون أنهم كانوا مضطهدين اضطهادا عظيما حتى أن بختنصر أبادهم وقضى على معالم ديانتهم. ولم يقتصر الأمر على ذلك بل قد نكبوا نكبة أخرى أدهى وأمر بعد بختنصر، ثم يصفونهم بأخس الصفات وأحقرها ومع هذا يقررون أنهم أساتذتهم الأولون وأمناؤهم الذين نقلوا عنهم كتابهم الذى به يدينون.

أما نحن معاشر المسلمين فإننا نوافق المسيحيين على ماذكروه من انقلاب بنى إسرائيل وثنيين بعد موسى ونتخذ من آرائهم هم أنفسهم حجة لنا على ما نقول من أن التوراة التى بين أيديهم قد انقطع سندها إلى موسى عليه السلام انقطاعا تاما وإليك البيان:

قد أخبرنا القرآن الكريم بأن الله سبحانه قد أنزل إلى موسى التوراة وأخبرنا بأن التوراة فيها هدى ونور، ولكن لم يخبرنا بأن عبارتها مما يحفظه أحد فلم يتعبدهم الله بتلاوتها كما تعبدنا بالقرآن.

وهذا المعنى توافقنا عليه تواريخ اليهود فإنهم يقولون أن التوراة التى كتبها موسى لم تحفظ، وإنما الذى كان يحفظ هو التعاليم الشفوية وهى الأحكام التى كانت لازمة للقضاء ونحوه، وكان يحرم على من يتعلمها أن يكتبها بل عليه أن يحفظها شفويا. وهذا المعنى هو الذى أشار إليه القرآن الكريم بقوله: **«يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله»**[2] فهم كانوا يحفظون الأحكام اللازمة للقضاء والإفتاء وكانوا مكلفين بذلك .

وهذه الأحكام يطلق عليها اسم توراة لأنهم نقلوها عن موسى عليه السلام. أما نص التوراة المكتوبة فإن الذى يستفاد من التواريخ الصحيحة هو أن سيدنا موسى عليه السلام كتب منها نسخة واحدة وسلمها لأحبارهم على الوجه الذى نقلناه لك عن مقدمة التلمود، ثم أمرهم أن يضعوها فى التابوت (صندوق خاص) مع لوحين من الحجر كتب عليها العهد الذى قطعه بنو إسرائيل على أنفسهم حين خرجوا من أرض مصر، ثم أمرهم أن يخرجوها من هذا الصندوق كل سبع سنين مرة فى

(1) راجع مقدمة التلمود .

(2) سورة المائدة : الآية ٤٤ .

يوم العيد ليسمعوا الناس ما فيها ، فعمل الجيل الأول الذى كان فى زمن موسى بوصيته، فلما انقرض ذلك الجيل تغير حال بنى إسرائيل فانصرفوا عن دينهم إلى حد أنهم ارتدوا وعبدوا الأوثان، فلم تكن التوراة محلا لعنايتهم، على أن الله سبحانه بعث إليهم أنبياء بعد موسى فكانوا يجاهدون معهم فيحولونهم عن عبادة الأوثان، ويقيمون بينهم أحكام التوراة التى كانت محفوظة لهم، وكان الله تعالى يقرهم عليها، واستمروا على هذه الحالة يرتدون تارة ويسلمون أخرى إلى زمن داود عليه السلام فحسنت حالهم فى ذلك الزمن، وأنزل الله على داود الزبور المشتمل على توحيد الإله وتقديسه عما لا يليق به مع الزواجر التى تنهى عن الموبقات، وكانت أحكام التوراة المحفوظة معمولا بها فى هذا الزمن، وكل ذلك يؤيده القرآن الكريم كما تقدم.

فكل الذى يستفاد من ذلك أن بعض الأحكام التى حفظها الأحبار شفويا عن موسى، كان يحكم بها النبيون الذين جاءوا من بعده. أما نفس التوراة المكتوبة فإن الإنقلاب الذى عرض على أنفس بنى إسرائيل بعد موسى وحبهم فى عبادة الأوثان، يدل من غير شك على أنها قد فقدت من ذلك الحين، لأن من يرتد عن دينه لا يعنيه الكتاب الذى رفضه ولم يؤمن به طبعا.

على أن التوراة التى بين أيديهم الآن صرح فيها بما يدل على فقدانها من التابوت، فقد ورد فى سفر الملوك الأول (الباب الثامن) أن سليمان فتح التابوت فلم يجد فيه سوى الحجرين اللذين كتب عليهما العهد، وهذا نصه: (لم يكن فى التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك فى حوريب حين عاهد الرب بنى إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر) فيستفاد من هذا أن التوراة التى كتبها موسى قد ضاعت قبل عهد «سليمان» ثم إن عهد سليمان يقول فيه المسلمون إنه كعهد داود كانت أحكام التوراة مستمرة فيه، وكان «سليمان» نبيا معصوما عن الذنوب والآثام كسائر الأنبياء، وأما المسيحيون واليهود فإنهم يقولون إن «سليمان» كان فى أول أمره رجلا صالحا، ولكنه تأثر فى آخر عمره بالنساء فارتد عن دينه وعبد الأصنام وبنى المعابد لها، وإذا كان سليمان رقيق الدين إلى هذا الحد فكيف يكون نبيا؟ وكيف يكون حال التوراة وأحكامها؟ مما لا شك فيه أنه يقضى على كل مايفضح حاله ولا يوافقه على ردته فلابد أن يكون قد ألغى كل أحكام التوراة المعمول بها على رأيهم ، ثم بعد موت سليمان تفرق بنو إسرائيل فصاروا فرقتين منهم عشرة أسباط مملكة، وسبطان مملكة أخرى، وعين «يوربعام» ملكا على الأسباط العشرة، وعين «رحبعام »بن سليمان سلطانا على السبطين الآخرين، وسميت المملكة الأولى بالإسرائيلية والثانية بمملكة يهوذا، وفشا الفساد فى المملكتين، فارتدت المملكة الإسرائيلية على بكرة أبيها أولا هى وملكها، ولم يبق منها سوى بعض الكهنة الذين هاجروا إلى يهوذا واستمروا على ردتهم مائتين وخمسين سنة، ثم سلط الله عليهم الأشوريين فأسروهم وفرقوهم فى أنحاء العالم، ولم يبق منهم فى تلك المملكة سوى شرذمة قليلة

اختلطوا بالوثنيين، فتزاوجوا وتناسلوا وسميت أولادهم بالسامريين. وبديهي أن هؤلاء الأسباط جميعا لم يكن لهم أي علاقة بالتوراة في هذه الحالة، بل هم إذا وجدوها لابد أن يعدموها، وقد عرفت أنها عبارة عن نسخة واحدة كتبها موسى ولم يبح لهم تداولها، بل أمرهم بحفظها وإخراجها من محلها كل سبع سنين مرة، فكيف يعقل أن تبقى هذه النسخة محفوظة بين هؤلاء الوثنيين المفتونين المضطهدين. أما يهوذا فلم يكونوا أحسن حالا من بني إسرائيل، فقد شاعت عبادة الأوثان في عهد «رحبعام»، حتى وضع تحت كل شجرة صنما. وأغرب من هذا أن سلطان إسرائيل نفسه قبل أن يتسلط عليهم الأشوريون نهب بيت المقدس وبيت الله الذي بناه «سليمان». وهذا كان حال جميع بني إسرائيل سواء مملكة إسرائيل أو مملكة يهوذا فإن الوثنية قد عمت الجميع، ولا يخفى أن الأحكام التي كانوا يتوارثونها عن موسى شفويا على أنها وحي من عند الله ملحق بالتوراة، لم تكن أحسن حالا من التوراة المكتوبة لأن الحفاظ في هذه الحالة قد انقرضوا بانقراض شريعة موسى، ولولا أن الله تعالى كان يجدد تلك الأحكام بالأنبياء من حين لآخر، لذهبت جميعها ولم يبق لها آثر. وقد استمرت الوثنية إلى أن تولى السلطنة «يوشيا بن آمون»، فهجر عبادة الأوثان ورجع إلى الله وقضى على الأوثان وأخذ يبحث عن شريعة «موسى»، ويستجمع الأحكام التي كان معمولا بها، فكان يحكم بكل ما وصل إلى سمعه منها بحسب ما يتاح له، على أنه بحث عن التوراة فلم يظفر بها حتى مضى على حكمه ثمان عشرة سنة، فأرسل إلى كاهن في عهده يقال له حلقيا أحد كتبته ليحاسبه على الفضة التي يجمعها حراس البيت من الناس وينفقها على العمال اللذين قاموا بترميمه، فلما ذهب إليه الكاتب قال له حلقيا إنني قد وجدت سفر الشريعة في بيت الرب. فأخذها الكاتب ورجع بها إلى الملك وقرأها عليه، فشق ثيابه أسفا على عصيان بني إسرائيل. وذلك مصرح به في توراتهم في الباب الثاني والعشرين من سفر الملوك الثاني.

ومنه يتضح جليا أن التوراة كانت مفقودة، وأن الأحكام التي كانت محفوظة يومئذ كانت نادرة ولا دليل على أنها هي الأحكام المنقولة عن سيدنا موسى جزما ألا ترى أن «يوشيا» الملك مضت مدة طويلة عليه وهو يبحث عن التوراة فلم يجدها.

أما كون «حلقيا» الكاهن قد وجدها بعد ذلك، فإنه فضلا عن كونه خبر شخص واحد لا يعول عليه في اثبات كتاب الله تعالى، فإن الدلائل تدل على أن ذلك الكاهن قد خدع يوشيا على فرض صحة هذه الرواية وذلك لأن بيت المقدس قد نهب مرتين قبل «يوشيا»: الأولى نهبه إسرائيل وحطم مافيه، وسطا عليه سلطان مصر وأخذ أثاثه وكل شيء وجده فيه فكيف يعقل أن يترك أحد هذين الملكين التوراة مع أنه وثني. وأيضا كيف يعقل أن يظل «يوشيا» مدة ثماني عشرة سنة وهو يبحث عن التوراة بجد وهي خافية عليه في بيت المقدس الذي يدخله كل يوم غير مرة، ولا يعقل أن يقال إنها كانت

مدفونة لأن التوراة لابد أن تكون موضوعة فى مكان بارز، وإذا كانت مدفونة فكيف عثر عليها ذلك الكاهن. لاشك أن كل هذه القرائن تؤيد الشك فى صحة خبر ذلك الكاهن الذى هو خبر آحاد لا يفيد اليقين بطبيعته، على أن هذه الرواية تدل دلالة جازمة على أن التوراة لم تكن محفوظة لأحد إلى ذلك العهد . وإلا لم وقع «يوشيا» فى هذه الحيرة الشديدة ؟ ومكث زمنا طويلا يبحث عن التوراة وعن الأحكام التى كانت فى شريعة موسى فلم يجدها وذلك ظاهر . على أننا لو سلمنا أن يوشيا قد ظفر بالتوراة وأن حلقيا الكاهن صادق فيما يقول وسلمنا بأن رواية سفر الملوك صحيحة، فإننا نقول إنه بعد موت يوشيا قد ملك ابنه (ياهو آحاز) فارتد وشاع الكفر فى عهده، ورجعت الوثنية كما كانت فسلط الله عليه ملك مصر فأسره وعين أخاه بدله، فكان أسوأ حالا منه، ثم ملك من بعده ابنه فاقتفى آثارهم فى الشر والوثنية، فسلط الله عليهم بختنصر فأبادهم، وكل ذلك مصرح به فى سفر أخبار الأيام الثانى الإصحاح ٣٦، ثم بعد أن قص أمر هؤلاء الملوك ، قال فى آية ١٤ ما نصه: (حتى أن جميع رؤساء الكهنة والشعب أكثروا الخيانة حسب كل نجاسات الأمم ونجسوا بيت الرب الذى قدسه فى أورشليم، فأرسل الرب إله آبائهم إليهم عن يد رسله مبكرا ومرسلا لأنه شفق على شعبه وعلى مسكنه فكانوا يهزءون برسل الله ورذلوا كلامه وتهاونوا بأنبيائه حتى ثار غضب الرب على شعبه حتى لم يكن شفاء، فأصعد عليهم ملك الكلدانيين فقتل مختاريهم بالسيف فى بيت مقدسهم ولم يشفق على فتى أو عذراء ولا على شيخ أو أشيب بل دفع الجميع ليده وجميع آنية بيت الله الكبيرة والصغيرة وخزائن بيت الرب وخزائن الملك ورؤسائه أتى بها إلى بابل وأحرقوا بيت الله وهدموا سور أورشليم وأحرقوا جميع قصورها بالنار، وأهلكوا جميع أبنيتها الثمينة وسبى الذين بقوا من السيف إلى بابل فكانوا له ولبنيه عبيدا إلى أن ملكت مملكة فارس).

فهذا النص الذى ذكر فى كتابهم المقدس عندهم يدل دلالة واضحة على ماكانت عليه الحال بعد يوشيا ، فإنه صريح فى أن الملوك اللذين جاءوا بعده كانوا من شر الوثنيين ولم يقتصر الفساد على الملك وعامة الشعب بل قد تعداهم إلى رؤساء الدين ورؤساء الشعب فنجسوا بيت الله بعبادة الأوثان واستهزؤا بكلامه، ثم قص ما وقع لهم من بختنصر على تلك الحالة التى تدل أوضح الدلائل على ابادتهم وابادة ديانتهم ومحو أثرها من الوجود، ومن بقى منهم سباه إلى بابل واتخذهم عبيدا له ولأبنائه. فأين التوراة فى هذه الحالة ومن كان منهم يحفظها أو يعرف حكما واحدا منها ؟ إنه لا أحد مطلقا ، فسند التوراة فى هذه الحالة قد انقطع بلا نزاع، ولا يعقل أنها باقية عند أحد، فكل ما جاء بعد هذا الكلام عن التوراة إنما جاء من طريق الأنبياء الذين جاءوا بعد هذه الحوادث قطعا، فهؤلاء قد أوحى الله إليهم ببعض أحكام التوراة التى أنزلت إلى موسى ليجعلها شريعة له. (وبعد) فلنشرع فى تحرير أدلتنا على تحريف التوراة.

الدليل الأول : وجود أسفار عند الكنيسة الكاثوليكية غير موجودة عند البروتستانت :

يتضمن الكتاب المقدس عند الكنيسة الكاثوليكية أسفارا معدومة منه عند كنيسة البروتستانت ويرد المبشرون على ذلك بأن أسفار العهد الجديد موجودة بذاتها عند عموم المسيحيين من بروتستانت وكاثوليك وأرثوذكس وأما أسفار العهد القديم فقد زادت عليها الكنيسة الكاثوليكية أسفارا لم تكن مدرجة ضمن التوراة عند المسيحيين الأولين ولا عند اليهود فضلا عن كونها لا توجد فى الأصل العبرانى.

أما البروتستانت فيعتمدون أسفار العهد القديم حسب ماهى مدرجة فى قانون اليهود وثبتت عن المسيح ورسله. ولتوضيح مايقوله المبشرون يستلزم بيان الآتى:

ماهى الأسفار التى زادتها الكنيسة الكاثوليكية ولم يعتمدها البروتستانت؟. إن الأسفار التى يشير إليها المبشرون هى التى ذكرناها فى أدلتنا على تحريف الإنجيل وهى تسعة: باروخ. بعض دانيال طوبيا. يهوديت. وزدم. ايكليزيا. ستكيس. المقابيين الأول. المقابيين الثانى. فهذه الأسفار محذوفة من التوراة التى تستعمل فى كنيسة البروتستانت ماعدا بعض باب استير فإنهم يبقونه فيها أما التوراة المستعملة فى كنائس الكاثوليك فإنهم يثبتون فيها هذه الأبواب جميعا.

وذلك أمر خطير لا يشعر المبشرون بخطورته لأنه يتعلق بكلام الله تعالى عندهم، فأحد الفريقين هالك لا محالة لأنه إما أن يدخل فى كلام الله ما ليس منه وإما أن يخرج منه ما هو منه وذلك من أعظم الجنايات التى يتصور وقوعها من الإنسان.

فمن من الطائفتين على الحق ومن منها على الباطل؟ فهل الكاثوليك زادوا فى كلام الله ما ليس منه فاستحقوا جميعا لعنة الله وسخطه فى كل زمان ومكان، أو البرتستانت هم الذين حذفوا من كلام ربهم ما هو منه فاستحقوا ذلك السخط والغضب العظيمين.

إن كلا منهما يدعى أنه على الحق وصاحبه على الباطل، ولو كان هذا الخلاف فى أمر فرعى لهان الأمر، ولكنه خلاف فى أصل الأصول خلاف فى الكتاب المقدس عندهم الذى يزعمون أنه وحى من عند الله رب العالمين، ولكن المبشرين قد هونوا أمر ذلك الخلاف على أنفسهم وعلى قومهم فقالوا إن *فرضنا أن هذه الأسفار المزيدة موحى بها فإنها بجملتها لا تؤثر على أى عقيدة من عقائد الديانة* المسيحية (أنعم وأكرم بهذا الإعتذار الذى يدل على نهل المبشرين وفطانتهم!) فهم يقولون إنه لو سلم الكاثوليك أن هذه الأسفار الزائدة عندهم وحى من عند الله فإنه لا يضر البروتستانت حذفها لأنها لا تؤثر على العقائد المسيحية. يقولون ذلك وهم غافلون أن ذلك القول يهدم كل التوراة من أولها إلى آخرها، لأنهم يصرحون بأن الذى يعنيهم منها هو الذى يؤثر على العقائد المسيحية فقط،

أما غيره فسيان عندهم أن يحذف أو يبقى، وإذا نحن استعرضنا التوراة بابا بابا وقلنا للمبشرين أرونا ما يؤثر على العقائد المسيحية من هذه الأبواب لما أمكنهم أن يستخرجوا منها سوى بضع مسائل تعد على الأصابع، وهي التي زعموا أنها تشير إلى المخلص، أما أحكامها وتشريعها وما يتعلق بذلك فلا يؤثر على الديانة المسيحية في شيء. لأنهم رفضوها رفضا باتا، فبأي وجه بعد ذلك التصريح يدافع المبشرون عن التوراة ويقولون إنها بجملتها وتفصيلها وحي من عند الله؟ وكيف تكون برمتها وحيا من عند الله ثم يجاهرون بأن الذي يعنيهم من أمرها هو الذي يؤثر على العقائد المسيحية؟ لاشك في أن ذلك تناقض لا يصح صدوره عن عاقل.

على أنك عرفت مما مضى أن المبشرين قد صرحوا غير مرة بأن المعول عليه عندهم في جوهر الكتاب هو الايمان بالمخلص، وأنهم لايهتمون بشيء في التوراة سوى الإشارة الى صلب المسيح وإذا كان كذلك فيمكن للمبشرين أن يصرحوا بذلك ويسلموا للمسلمين مايقولون من تحريف الكتاب المقدس عندهم ويحصرون الخلاف في مسألة الصلب والفداء ليريحوا ويستريحوا.

هل جميع اسفار الإنجيل متفق عليها عند المسيحيين ؟- إن ما ادعاه المبشرون من أن جميع أسفار الإنجيل متفق عليها عند المسيحيين غير صحيح وذلك لأن الإختلاف الذي وقع في بعض أسفار التوراة قد وقع مثله في بعض أبواب الانجيل كما تقدم، فقد ذكرنا لك أنهم قد اعترفوا بأن أسفار الإنجيل قد تم احصاؤها في سنة ١٧٠ ميلادية، وسمى هذا الإحصاء بالقانون الموراتوري، وقد اشتمل على كل أسفار العهد الجديد المتداولة اليوم ماعدا رسالة يعقوب الرسول والرسالة الثانية لبطرس الرسول والرسالة إلى العبرانيين، وبعد التحري أبطلوا هذا القانون وعملوا إحصاء جديدا أدعوا أنهم تحروا فيه الضبط بأكثر تدقيق، ويتضمن هذه الرسائل أيضا مع الاشارة بأن الرسالة الثانية لبطرس كانت مشكوكا في وجودها ضمن الإحصاءات الأولى وهذا صريح في أن الرسائل التي ذكروها لم تكن موجودة عند المسيحيين الأولين الذين عملوا بالقانون الموراتوري، فادعاؤهم بأن جميع أبواب الإنجيل معمول بها عند عموم المسيحيين قديمهم وحديثهم باطل بلا نزاع لأنه متناقض فيه، فدليلهم على بطلان هذه الأسفار بعدم وجودها ضمن التوراة المستعملة عند قدماء المسيحيين دليل بطلان الأبواب الموجودة في الأناجيل التي لم تكن موجودة. ومن هذا يتضح لك أن المسيحيين أنفسهم مختلفون في أسفار التوراة والإنجيل ولم يستطع فريق منهم أن يبرهن على صدق ما يقول.

الدليل الثاني : المتناقضات الواردة في التوراة

يقول المبشرون إن المتناقضات الواردة في الكتاب المقدس ليست حقيقية ولكنها متناقضات ظاهرية فقط، ويقولون إنها مثل المتناقضات الموجودة في القرآن في سورة المائدة وآل عمران.

ويقولون إن علماءهم المحققين وفقوا بين كثير منها، والتى لم يهتدوا إلى التوفيق بينها، فصعوبتها قائمة على عدم معرفتهم كل ظروفها، ويعترفون بأنه يوجد فى التوراة ما يشبه التناقض فى أخبار بعض الوقائع والمسائل التى لا مساس لها بالجوهر وأن هذا ليس بتناقض، فوجود شىء من هذا القبيل فى أسفار التوراة مع سكوت اليهود عنه وعدم تجاسرهم على تسويته لدليل قوى على تمسكهم بالمتون الأصلية.

إن أمر هؤلاء المبشرين غريب فبينما تراهم يزعمون أن المتناقضات الموجودة فى التوراة ليست حقيقة، نراهم يصرحون بأن من بين هذه المتناقضات مالا يمكن تأويله، ويعللون ذلك بعدم معرفة الظروف التى وردت بشأنها، ولا ريب فى أن ذلك تسليم بوجود التناقض فى التوراة، لأن مضى الأزمنة الطويلة على تداولها مع عدم إزالة التناقضات التى فيها دليل على أن ذلك التناقض حقيقى ويكون حجة قاطعة على من يقول إنه من عند غير الله ومن طرائف هؤلاء المبشرين أنهم يستدلوا على نزاهة اليهود بعدم إزالة هذا التناقض وإلا فإنه كان يصح أن يحرفوا التوراة بإصلاحه. ما شاء الله لقد رضى المبشرون عن اليهود الذين وصفوهم فيما مضى بأخس الصفات وأقذرها وأى خسة أعظم من أن يسقطوا جميعا فى الوثنية. أى خسة فى نظر المبشرين أكبر من أن يرفض اليهود الإيمان بالمسيح ويتهموه هو وأمه بما ينزهه المسلمون عنه كل التنزيه. كيف يصح لعاقل أن يذم آخر منتهى الذم، ثم يجعله أمينا على دينه لحاجة فى نفسه؟ أى عاقل يقول إن هذا الإنسان فاجر فاسق وثنى لا دين له، ثم يقول فى الوقت نفسه إنه أمين على الكتاب الذى أعمل به؟ أى عاقل يقول لشخص كفر برسوله أو إلهه هو وأمه ووصفهما بأخس الصفات التى يوصف بها الإنسان، إنك رجل نزيه على الكتب السماوية، أليس من نزاهته أن يصدقه فى سب رسوله أو إلهه؟ أليس ذلك من غرائب التصورات العقلية؟.

وبعد فأى نزاهة هذه التى يصفهم بها المبشرون؟ إنها نزاهة الجاهلين الذين وجدوا أنفسهم أمام أمرا واقعا فلم يجرءوا على إزالته خوفا من إفتضاح أمرهم. وأغرب من هذا أنهم يحاربون الإسلام ويعادونه عداءً شديدا مع أنه هو الدين الوحيد الذى تقره العقول وتطمئن لقضاياه النفوس، فضلا عن كونه قد كرم عيسى صلوات الله عليه هو وأمه غاية التكريم، وقد ذكرهما الله تعالى فى القرآن الكريم فى غير موضع فكان يجدر بهم أن يحترموا ذلك الكتاب الذى يمدح رسولهم وهو مع ذلك له عليهم الفضل الأول فى تربية مدارك عقلائهم وتقويم ألسنتهم وتعليمهم كيف ينطقون. ولكن ماذا عساهم أن يقولوا فى الجواهر الثمينة التى كلما مر عليها الزمان وطال عليها الأمد زادت قيمتها وظهرت أصالة معدنها. ماذا عساهم أن يقولوا فى القرآن الكريم الذى تقهقرت أمامه دولة البلاغة والفصاحة وخضعت له فحول العلماء، ماذا عساهم أن يقولوا وهم مساكين فى كل شىء فقد تورطوا

فى التمسك بعقائد وتعاليم وضعها أسلافهم الجهلة فى العصور المظلمة، وحاولوا أن يجعلوها دينا مقدسا، فاضطربوا وتناقضوا كل التناقض حتى إنك لتجد أمهرهم فى باب الجدل وأقدرهم على المنطق عاجزا عن أن يأتى بنظرية واحدة خالية من التناقض المضحك.

يقولون إن الذى يوجد فى التوراة يشبه التناقض وفى الوقت نفسه يقولون إن بعضه لا يمكن تأويله ونحن نقول لهم إن ذلك تناقض صريح لا شبيه بالتناقض وإلا فكيف تحكموا بأنه شبيه بالتناقض وأنتم عاجزون عن تأويله. ومن أين أتاكم أنه شبيه بالتناقض. ومن المضحك أن يتمسك المبشرون بالقرآن ويحاولون أن يستظلون بظله. لعلهم يجدون لهم مخلصا يخلصهم من هذه الورطة فقالوا إنها متناقضات ظاهرية فقط كمثل الموجود فى القرآن فى سورة المائدة وآل عمران. ونحن نتحدى جميع المبشرين بأن يأتوا بآيتين فى القرآن متناقضتين بحيث لا يمكن تأويلهما تأويلا واضحا كالشمس فى رائعة النهار وأما الذى يقولون عنه فى سورة المائدة وآل عمران فقد تقدم بيانه فى تفسير الآيات القرآنية وأنا موقن بأن كل من يطلع عليه لا يرتاب فى أن القوم لا يكادون يفقهون حديثا.

نسخ التوراة القديمة المعتمدة عند اليهود والنصارى . إن النسخ المعتمدة عند اليهود والنصارى ثلاث: (١) النسخة العبرانية. (٢) النسخة اليونانية ويقول المبشرون إنها هى الشهيرة بالترجمة السبعينية (٣) النسخة السامرية وقال عنها المبشرون إنه كان فى سالف الزمان بغض شديد بين السامريين واليهود من أجل ذلك لم يعتمد السامريون من التوراة سوى أسفار موسى الخمسة واعتبروها كما هى موحى بها من الله تعالى ولم يعلم بالتأكيد متى تحصلوا على نسخة الأسفار الخمسة.

فهذه هى النسخ المعتمدة عند اليهود والنصارى. أما آراء علمائهم فى هذه النسخ فإليك نص ما يقولون عن هورن فى المجلد الأول من تفسير هنرى واسكات «ان اكستائن[1] كان يقول إن اليهود قد حرفوا النسخة العبرانية فى بيان زمان الأكابر الذين قبل زمن الطوفان وبعده إلى موسى عليه السلام، وفعلوا هذا الأمر لتصير الترجمة اليونانية غير معتبرة، وكان قدماء المسيحيين يقولون مثله، وكانوا يقولون إن اليهود حرفوا التوراة فى سنة مائة وثلاثين من السنين المسيحية» انتهى كلام التفسير.

أما النسخة السامرية فقد قرظها هورن فى المجلد الثانى من تفسيره فقال: «إن المحقق هيلز أثبت بالأدلة القوية صحة النسخة السامرية، ولا يمكن تلخيص دلائله هاهنا إلى أن قال ولو لاحظنا أمورا أخرى لاقتضى الكل أن اليهود قد حرفوا التوراة قصدا».

ومن هذا يتضح لك أن النسخ اليونانية محرفة حتما لأنها منقولة عن النسخة العبرانية وإلى هذا أشار «اكستائن» بقوله إن اليهود حرفوا العبرانية لتصير اليونانية غير معتبرة.

---

(١) اكستائن هو أعلم المسيحيين فى القرن الرابع من القرون المسيحية .

وأعلم أن البروتستانت يعتمدون النسخة العبرانية وقد عرفت فيما مضى أنهم يقولون إنهم نقلوا التوراة كما هى عن اليهود ، وهذه النسخة هى المعتمدة عند اليهود ، على أنهم قد يضطرون فى بعض المواضع إلى تقديم اليونانية على العبرانية، أما النسخة اليونانية فإنها معتبرة عند الكنائس الشرقية واليونان، وأما السامرية فقد عرفت أن كثيرا من علمائهم المحققين يعتمدونها ولا يعتمدون العبرانية واليونانية. ومن هذا يتضح لك اضطراب القوم فى أصول كتابهم الذى يقدسونه.

اختلاف أعمار الآباء الأولين بنسخ التوراة المختلفة . يقول المبشرون إنه اختلاف لفظى لا يضر كاختلاف القراءات، وإنى أعتقد أن المبشرين قد فروا من بيانهم لأنه تناقض فى الأرقام ويستحيل أن يصدر عن الوحى الإلهى لما فيه من خطأ واضح، وإليك البيان:

اختلفت النسخ الثلاث فى بيان الزمان من خلق آدم إلى طوفان نوح عليهما السلام فالنسخة العبرانية صرحت بأن مقدار الزمان من خلق آدم إلى الطوفان ١٦٥٦ ألف وستمائة وست وخمسون سنة. أما النسخة اليونانية فقد صرحت بأن ذلك الزمان ٢٢٦٢ ألفان ومائتان واثنتان وستون سنة. وأما النسخة السامرية فقد صرحت بأن ذلك الزمان ١٣٠٧ ألف وثلاثمائة وسبع سنين. وقد اتفقت النسخ على أن عمر آدم جميعه ٩٣٠ تسعمائة وثلاثين سنة وأن عمر نوح كان عند الطوفان ستمائة سنة.

ومن ذلك يتضح أن آدم أدرك نوحا وعاش معه ٢٢٣ مائتين وثلاثا وعشرين سنة وذلك لأننا إذا طرحنا الزمن الذى عاشه آدم وهو ٩٣٠ من ١٣٠٧ كانت النتيجة ٣٧٧ وهو فرق بيان الوقت الذى مات عنده آدم قبل الطوفان فإذا طرح من ٦٠٠ وهو الزمن الذى ولد فيه نوح إلى الطوفان كان الباقى ٢٢٣ وهو الزمن الذى عاشه آدم مع نوح فيكون آدم قد مات وعمر ابنه نوح ٢٢٣ وهذه نظرية باطلة باتفاق مؤرخى جميع العالم، فضلا عن أنها تكذبها العبرانية واليونانية لأن العبرانية تفيد أن آدم قد مات قبل نوح بمائة وست وعشرين سنة واليونانية تفيد أنه قد مات قبل ولادة نوح بسبعمائة واثنين وثلاثين سنة كما بيناه لك.

وكذلك اختلفت فى الزمن الذى ولد فيه شيث فالنسخة العبرانية تقول أن آدم رزق «شيث» بعد مائة وثلاثين سنة، والسامرية توافق العبرانية فى ذلك أما اليونانية فإنها تقول إنه رزق بـ «شيث» بعد مضى ٢٣٠ سنة من خلقه.

وكذلك اختلفت فى الزمن الذى ولد فيه أنوش بن شيث فالعبرانية والسامرية اتفقا على أن شيثا رزق بأنوش بعد أن بلغ من العمر ١٠٥ سنة وخالفتهما اليونانية فقالت بل بعد ٢٠٥ وهكذا إلى نوح.

وكذلك قد وقع اختلاف آخر فى الزمان من الطوفان إلى ولادة إبراهيم عليه السلام فالعبرانية تقول انه ٢٩٢ مائتان واثنتان وتسعون سنة، واليونانية تقول أنه ١٠٧٢ ألف واثنتان وسبعون سنة، والسامرية تقول أنه ٩٤٢ تسعمائة واثنتان وأربعون سنة.

وقد صرحت التوراة فى الإصحاح التاسع من سفر التكوين آية ٢٨ أن «نوحًا» قد عاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة وقد عرفت أن النسخة العبرانية تقول إن ابراهيم ولد بعد الطوفان بمائتين واثنين وتسعين سنة، فيلزم من ذلك أن يكون عمر «إبراهيم» حين مات «نوح» ثمان وخمسين سنة وهو باطل باتفاقهم، ويكذبه أيضا النسخة اليونانية والسامرية لأنه يستفاد من الأولى أن «ابراهيم» ولد بعد وفاة نوح بسبعمائة واثنتين وعشرين سنة، ويستفاد من الثانية أنه ولد بعد وفاة «نوح» بخمسمائة وتسعين سنة، فهذا هو معنى اختلاف أعمار الآباء الأولين الذى أشار إليه المبشرون وهو كما ترى اختلاف يستحيل معه الوفاق لأنه فى الأرقام وذلك موجب لرفع الثقة من النسخ الثلاث بلا نزاع فقول المبشرين إن هذا اختلاف فى القراءات قول مضحك حقا وإلا فإنه يصح أن يقول شخص أن عدد اثنين وأربعة يساوى واحدا ويكون قوله صحيحًا.

ومن لطائف المبشرين أن يمثلوا لهذه الإختلافات الواقعة فى الأرقام باختلاف القراءات فى قوله تعالى: **«ما ننسخ من آية أو ننسها»** فمنهم من قرأ ننسها بشد السين وضم النون الأولى مع فتح الثانية. ومنهم من قرأ بتخفيضها مع إبدال النون الأولى تاء مفتوحة وإسكان الثانية تنسها. ومنهم من قرأها كذلك مع ضم التاء الأولى تنسها ومنهم من قرأ تنسكها. ومنهم من قرأ ننسك أو ننسخها ونحو ذلك.

وكذلك الإختلاف فى قوله كتبه وكتابه وقوله تعالى لا نفرق ولا يفرقون فهذا هو اختلاف القراءات الذى ذكروه نقلا عن المفسرين.

ومما لا شك فيه أن تمسك المبشرين بمثل هذا يزيد فى بلوائهم ويظهرهم عند العقلاء بالمظهر الذى يليقون به من التعسف فى الإستدلال والتمسك بالخيال وإلا فأى تناقض فى الإختلاف الواقع بين ننسها أو تنسها أى خلاف بين هذه الألفاظ والغرض منها واحد والمخاطب منها واحد ومعناها واحد وأى خلاف فى قوله تعالى كتابه وكتبه مع أن الإيمان بالكتاب وهو القرآن إيمان بباقى الكتب المشتمل عليها، على أن لفظ كتابه يشمل كل الكتب لغة.

ولو عرف المبشرون أن قوله تعالى: **«لا نفرق بين أحد من رسله»** مرتبط بقوله تعالى: **«كل آمن بالله»** لأدرك أنه لا فرق بين يفرق ونفرق ويفرقون لأن لفظ كل مفرد ولكنه فى معنى الجمع فمن لاحظ المعنى جمع وقال لا يفرقون ومن لاحظ اللفظ أفرد وقال لا يفرق وعلى كل حال فالمعنى واحد لم يختلف أدنى اختلاف.

ومع هذا فقد عرفت أن المسلمين لا يعتمدون من القراءات إلا ماكان متواترا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فالقراءات المتواترة مسندة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يختلف فيها أحد من المسلمين. أما المتناقضات التى لا حد لها فيما يسمونه كتابا مقدسا فهى أغلاط حقيقية

يستحيل أن يكون مصدرها سيدنا موسى أو عيسى عليهما السلام. وهم مع ذلك حائرون فى أمرها مختلفون فيها كل الإختلاف فكيف يعقل قياسها على القراءات التى تقتضيها اللغة ويؤيدها العلم لاشك فى أن ذلك شطط فى القياس وخلل فى النظريات العقلية لم يسبق له مثيل.

التناقض بين نسخ التوراة المختلفة ٠ إن قول المبشرين بأن التناقض بين نسخ التوراة مقصور على أعمار الآباء الأولين غير صحيح ويدل على جرأتهم لأن التناقض بين هذه النسخ بعضها بعضا كثير جد الكثرة باعتراف علمائهم أنفسهم.

وإليك أمثلة من هذه المتناقضات لتعلم صدق ما نقول :

ذكر فى الباب السابع والعشرين من سفر التثنية فى النسخة العبرانية ما نصه . (فإذا عبرتم الأردن فانصبوا الحجارة التى أنا اليوم أوصيكم فى جبل عيبال وشيدوها بالجص تشييدا) وفى النسخة السامرية هكذا (فانصبوا الحجارة التى أنا أوصيكم فى جبل جرزيم).

ومعنى العبارتين أن موسى عليه السلام قد أمرهم ببناء دار للعبادة ولكن مكانه فى النسخة العبرانية جبل عيبال وفى النسخة السامرية جبل جرزيم والجبلان متقابلان كما يفهم من الآية الثانية عشرة من هذا الباب.

ويجيب المبشرون على هذا بالطعن فى النسخة السامرية وأن السامريون قد حرفوا نسختهم لرغبتهم الخصوصية فى الجبل الذى سموه بهذا الإسم وهذا الطعن ليس بوجيه لأن كثيرا من علمائهم يقدمها على العبرانية كما عرفت.

وقد دافع هورن عن النسخة السامرية فى هذا المقام فقال ما ملخصه:

أنه قد ورد فى الباب الرابع من إنجيل يوحنا أن عيسى وجد امرأة سامرية تملأ ماء فطلب منها أن تسقيه فاستغربت ذلك، لأن اليهود كانوا يقاطعون السامريين فوقعت بينها وبين المسيح محاورة، عرفت منها أنه نبى، فسألته عن أعظم شىء يختلف فيه اليهود والسامريون وهو العبادة فى جبل جرزيم أو عيبال، فأجابها المسيح بأن التقيد بالمكان فى العبادة غير ضرورى فلا فرق بين جرزيم وغيره فلو أن السامريين قد حرفوا التوراة فى هذا الموضع لقال ذلك عيسى للمرأة حتما، لأنه لا يصح أن يقر الخطأ، فسكوته دليل على صدق ما عليه السامريون وأن اليهود هم الذين حرفوا التوراة عمدا. ودفاع هورن هذا وجيه بحسب أدلتهم أما نحن فإننا نقول أن الثقة قد أصبحت مرفوعة من الإثنين معا .

وليس هناك دليل ولا شبه دليل يثبت أن إحداهما مستندة إلى موسى على التحقيق وعبارة المرأة السامرية لم تثبت نسبتها إلى عيسى عليه السلام فلا تصلح حجة .

جاء فى الإصحاح التاسع والعشرين الآية الثانية وما بعدها النسخة العبرانية ما نصه . (ونظر

وإذا فى الحقل بئر وهناك ثلاثة قطعان غنم رابضة عندها لأنهم كانوا من تلك البئر يسقون القطعان والحجر على فم البئر كان كبيرا فكان يجتمع إلى هناك جميع القطعان فيدحرجون الحجر عن فم البئر ويسقون الغنم ثم يردون الحجر إلى فم البئر إلى مكانه) إلى أن قال فى الآية الثامنة (فقالوا لا نقدر حتى تجتمع جميع القطعان ويدحرجوا الحجر عن فم البئر ثم نسقى الغنم).

ومحصل هذا المعنى أن يعقوب وهو يسير إلى جهة وجد حقلا فيه بئر مسدودة بحجر كبير ووجد عليها أغناما كثيرة فقال للرعاة الموجودين اسقوا الغنم واذهبوا لرعيها فأجابوه بأنهم لا يقدرون حتى يحضر جميع الرعاة وذلك هو المعنى المقصود ولكن العبارة محرفة فى النسخة العبرانية بدليل النسخة السامرية واليونانية فإنه موجود فيها بدل قطعان الغنم لفظ الرعاة وهو الذى يظهر من العبارة لأن المناسب أن الذى يجتمع ويدحرج الحجر هم الرعاة لاقطعان الغنم.

فى الإصحاح الرابع والعشرين الآية ١٣ من سفر صموئيل فى النسخة العبرانية . فأتى جاد إلى داود وأخبره وقال له تأتى عليك سبع سنين جوع فى أرضك إلخ وجاء فى الإصحاح الحادى والعشرين من أخبار الأيام الأول آية ١١ وما بعدها :

فجاء جاد إلى داود وقال له هكذا قال الرب أقبل لنفسك أما ثلاث سنين جوع إلخ.

وذلك تناقض صريح بين العبارتين لأن القصة واحدة . وشراحهم يعتبرون المحرف هو الوارد فى صموئيل .

ولهذا جاءت الترجمة اليونانية مطابقة لذلك فإن فيها ثلاث سنين فى سفر صمويل وسفر الأخبار .

فى الإصحاح التاسع من أخبار الأيام الأول فى النسخة العبرانية آية ٣٥ . (وفى جبعون سكن أبو جبعون يعوئيل واسم أخته معكة) وفى النسخة اليونانية لفظ امرأته. وهذا تحريف لاشك فيه لأن الموضوع صريح فى أنها امرأته لا أخته ولهذا نرى نسخ البروتستانت التى بين أيدينا قد اتبعوا فى هذه العبارة النسخة اليونانية فكتبوا فى نسخهم امرأته لا أخته. وهذه من المواضع التى اعتمدوا فيها اليونانية.

فى الإصحاح الحادى والعشرين من أخبار الأيام الثانى . قصة يهورام فقال أنه ظلم وطغى وقتل أخوته الذين هم أفضل منه نسلط الله عليه مرضا خرجت به أمعاؤه ومات غير مأسوف عليه ثم قال فى آية ٣٠ كان ابن اثنين وثلاثين سنة حين ملك وملك ثمانى سنين، (فتكون مدة حياته أربعين سنة).

فى الإصحاح الذى يليه أن سكان أورشليم ملكوا ولده اخزيا عوضا عنه ثم قال فى الآية الثالثة: (كان اخزيا ابن اثنين وأربعين سنة حين ملك وملك سنة واحدة).

وعلى هذا البيان يكون الابن أكبر من أبيه بسنتين (فى أمان الله) وقد نص فى الإصحاح الثامن من سفر الملوك الثانى آية ٢٦ أن الابن حين ملك كان عمره إثنين وعشرين سنة.

على أن شراحهم يعترفون بغلط النسخة العبرانية وينسبون ذلك الغلط الى الكاتب ولكن

المبشرين لا يزالون متمسكين بها ويعتبرون ما فيها مقدسا وإن كان يشتمل على أن الابن أكبر من الأب بسنتين.

فى الإصحاح الثامن والعشرين من أخبار الأيام الثانى آية ١٩ فى النسخة العبرانية . لأن الرب ذلل يهوذا بسبب آحاز ملك إسرائيل وذلك غلط يقينا لأن آحاز ملك يهوذا لا ملك إسرائيل. وقد وقع فى اليونانية لفظ يهوذا بدل إسرائيل . ويظهر أن المترجم كان ذا نباهة فأصلح هذا الخطأ لأن الأصل هى العبرانية واليونانية منقولة عنها .

ورد فى المزمور المائة والخامس آية ٢٨ فى العبرانية . ما نصه: (ولم يعصوا كلامه) وفى النسخة اليونانية (هم عصوا كلامه) وقد نقل فى إظهار الحق عن تفسير هنرى واسكات مانصه: (لقد طالت المباحثة لأجل هذا الفرق جدا وظاهر أنه نشأ إما لزيادة حرف أو لتركه) انتهى. ولكن التفسير لم يستطع أن يجزم ببيان الخطأ من الصواب وهذا التناقض صريح بين نفى وإثبات فلابد من غلط إحدى النسختين فأيتهما الصحيحة. إنه لا دليل فالثقة مرفوعة من الإثنين معا .

ورد فى الإصحاح الثانى عشر من سفر الخروج آية ٤٠ فى النسخة العبرانية . هكذا (فكان جميع ما سكن بنو إسرائيل فى أرض مصر أربعمائة وثلاثين سنة) .

أما السامرية واليونانية فورد فيها ذلك هكذا (فكان جميع بنو إسرائيل وآباؤهم وأجدادهم فى أرض كنعان ومصر أربعمائة وثلاثين سنة) وظاهر أن الأولى عينت مدة إقامتهم فى مصر فقط بذلك الزمن أما الاثنتان الأخيرتان فقد احتسبت منه المدة التى أقاموها فى أرض كنعان أيضا .

ورد فى النسخة العبرانية بالإصحاح السابع من سفر التكوين آية ١٧ . (وصار الطوفان أربعين يوما على الأرض) وفى اليونانية (وصار الطوفان أربعين يوما وليلة على الأرض) .

ورد فى العبرانية بالإصحاح الخامس والثلاثين من سفر التكوين . (وضاجع بلها سرية أبيه فسمع إسرائيل) . أما اليونانية ففيها (وضاجع بلها سرية أبيه فسمع إسرائيل وكان قبيحا فى نظره) . وهو اختلاف بالزيادة والنقص. ومعنى هذه العبارة الأخيرة أن «رؤلين بن يعقوب» زنى بامرأة أبيه فلما سمع أبوه استقبح ذلك العمل من ابنه. وقد روت توراتهم أيضا أن يهوذا بن يعقوب زنى بامرأة إبنه فأحبلها فى ولدين وهما أجداد الأنبياء كما سبق وروت أن «لوطا» زنى بابنتيه بعد أن سقتاه خمرا فأحبلهما وسيأتى بيان ذلك فى القسم الثالث، كأن التوراة لا عمل لها إلا تسجيل العار والخزى فى أجداد الأنبياء.

ورد فى اليونانية فى آخر الآية الثانية والعشرين من الإصحاح الثانى من سفر الخروج . (وولدت أيضا غلاما ثانيا ودعا اسمه العازار فقال من أجل أن الله أبى أعاننى وخلصنى من سيف فرعون) وهذه محذوفة برمتها من العبرانية.

ورد فى اليونانية بالإصحاح العاشر من سفر العدد آية ٦ . (وإذا نفخوا مرة ثالثة ترفع الخيم الغربية للإرتحال. نفخوا مرة رابعة ترفع الخيام الشمالية للإرتحال) وهذه محذوفة برمتها من العبرانية.

ورد فى الإصحاح الأول من سفر التثنية آية ٦ وما بعدها ما نصه . (الرب إلهنا كلمنا فى حوريب قائلا كفاكم قعود فى هذا الجبل تحولوا وارتحلوا وادخلوا جبل الأموريين وكل ما يليه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر أرض الكنعانى ولبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات قد جعلت أمامكم الأرض ... إلخ.

وهذه الآيات بنصها توجد فى النسخة السامرية فى الباب العاشر من سفر العدد بعد الآية العاشرة ومحذوفة من العبرانية وذلك خلط غريب يدل على أنه ما كتب فى هذه النسخ مجموع من هب ودب.

ورد فى النسخة السامرية بالباب الثلاثين من سفر التكوين بعد آية ٦ هذه العبارة . (وقال ملك الرب ليعقوب فقال أبوك قال الملك ارفع طرفك وانظر إلى التيوس والفحول التى تضرب النعاج والمعز فإنهم بلقاء ومسمرة ومنقطعة فقد رأيت ما فعل بك لا بأن أنا إله بيت ابل حيث مسحة قائمة الحجر ونذرت لى نذرا والآن قم فاخرج من هذه الأرض إلى أرض ميلان) ٢٢ وهذه العبارة محذوفة برمتها من النسخة العبرانية.

ورد فى الإصحاح الحادى عشر من سفر الخروج بعد الآية الثالثة من النسخة السامرية . (وقال موسى لفرعون الرب يقول إسرائيل ابنى بل بكرى فقلت لك أطلق ابنى ليعبدنى وأنت أبيت أن تطلقه ها أنذا سأقتل ابنك بكرا) وهذه العبارات محذوفة من النسخة العبرانية.

وبهذا تعلم جرأة المبشرين الذين يزعمون أن التحريف مقصور على أعمار الآباء الأولين وأن النسخة السامرية ليس فيها تحريف إلا فى مسألة جبل عيبال وجريزم وأن هذا التحريف ليس بضار لأنه يشبه القراءات.

ضياع أسفار من التوراة كانت معدودة منه يوما ما . يعترف المبشرون أنه قد ضاع من بين دفتى الكتاب المقدس أسفار كانت معدودة منه يوما ما كسفر ياشر كما فى سفر يشوع ١٠ : ١٣ وكتاب حروب الرب كما فى سفر العدد ٢١ : ١٤ ويقولون أن السفرين المذكورين لم يندرجا قط فى سلسلة أسفار التوراة، وإن كانت أشارت إليهما التوراة، وحكمها حكم الأسفار التى أشار إليها القرآن وهى ليست منه كصحف إبراهيم.

ونحن نذكر لك أولا عبارة يشوع وهى: (حينئذ كلم يسوع الرب يوم أسلم الرب الأموريين أمام بنى إسرائيل وقال أمام عيون إسرائيل يا شمس دومى على جعيون ويا قمر على وادى ليكون فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه أليس هذا مكتوبا فى سفر ياشر إلخ ونص عبارة سفر العدد (لذلك يقال فى كتاب حروب الرب وأهب فى بحر سوف وأودية أرنون) إلخ.

وأهل الكتاب لا يعرفون ما هو سفر ياشر ولا من ألفه، كما لايعرفون كتاب حروب الرب. والذى يقرأ فى توراتهم ويعرف أساليبها لا يسعه إلا أن يجزم بأن هذين السفرين كانا فى التوراة وحذفا منها، لأن أسفارها تحيل على بعضها، وإليك الدليل: ورد فى الإصحاح السادس والثلاثين من أخبار الأيام الثانى ما نصه: (وبقية أمور يهوياقيم ورجاسته التى عمل وما وجد فيه ماهى مكتوبة فى سفر ملوك إسرائيل ويهوذا).

ورد فى الإصحاح الحادى والعشرين من سفر الملوك آية ١٧ ما نصه . (وبقية أمور منسى وكل ما عمل وخطيته التى أخطأ بها أما هى مكتوبة فى سفر أخبار الأيام للملوك يهوذا) إلخ.

وإذا كان من عادة توراتهم أن تحيل على بعضها بعضا فمما لاريب فيه أنه لا يسع القارئ إلا أن يجزم بأن سفر حروب الرب وسفر ياشر كانا فى التوراة وحذفا منها. أما ما أجاب به المبشرون فهو جواب خيالى لم يرتكز على أى أساس لأنه يزعم أنهما سفران من غير التوراة أشارت إليهما قياسا على صحف إبراهيم المذكورة فى القرآن ولكن القياس باطل لأن القرآن الكريم قد نسب هذه الصحف إلى ابراهيم فدلنا على أن إبراهيم قد أنزلت إليه صحف . أما التوراة فذكرت السفر ولم تذكر صاحبه ومن عادتها أن تحيل على بعضها كما قلنا فلا مناص من نسبته إليها.

وبعد هذا فلماذا يجزع المبشرون من حذف سفرين من أسفار التوراة مع أن البروتستانت قد حذفوا منها عدة أسفار واعتبروها غير قانونية وغيرهم أثبتها، ثم أنهم مع ذلك قالوا إنه على فرض أن هذه الأسفار كلها موحى بها من عند الله وحذفناها فإنه لايضرنا، لأن المعول عليه إنما هو الجوهر ومادام الجوهر محفوظا فعلى الدنيا السلام، فليقولوا أيضا إن سفر ياشر وسفر حروب الرب لا يؤثران على الجوهر فلا يضرنا أن يحذفا أو يبقيا وبذلك يريحوا ويستريحوا .

بقى علينا أن نشرح هذه العبارة المنسوبة إلى يوشع. وهى أن الشمس وقفت فى كبد السماء كما وقف القمر.

لست ممن ينكر معجزات الأنبياء صلوات الله عليهم جميعا بشرط أن لا يترتب عليها محال عقلى وأن تثبت بدليل قطعى فهل هذا الذى نسب إلى يوشع عليه السلام كذلك؟ كلا.

أولا : ذكر فى سفر يوشع فى نفس الإصحاح العاشر قبل هذه الجملة ما يفيد أن يوشع ومن معه هزموا الأعداء شر هزيمة وأن الله تعالى قد أمطر على من بقى حجارة من برد فأهلكهم والذين ماتوا بالحجارة أكثر من الذين قتلوا كل ذلك قبل أن تكون الشمس فى كبد السماء فما حاجة يوشع إلى امتداد الشمس ووقوفها فى كبد السماء خصوصا أنه كان متعقبا لأعدائه من أول الليل ولم يمنعه الليل من مطاردتهم. وليس من المعقول أن يطلب يوشع خرق نظام الكون ووقف حركات الفلك بتمامها من غير ضرورة تدعو إلى ذلك .

ثانيا : إن يوشع أمر الشمس أن تقف وهى فى كبد السماء وذلك هو وقت الزوال فما لهم والقمر فى هذه الحالة وكيف يراه الناس بالعين المجردة لا شك أن هذا القول لا معنى له.

ثالثا : قد عرفت أن نسبة هذا الكلام إلى يوشع لا ترتكز على أى سند ولو ضعيفا (وأخيرا).

نقول للمبشرين الذين يقولون عن حكاية ذى القرنين فى الكهف إنها من مختلق الحديث لأن الشمس لا تدور حول الأرض، ماذا تقولون فى عبارة يوشع ألم تصرح بأن الشمس هى المتحركة ألم يقل توقفت الشمس فى كبد السماء ولم يقل فوقفت الأرض مع أنكم تزعمون أن علماء الهيئة يقولون أن الأرض هى التى تدور؟.

أما آية القرآن هنا فليس فيها ذلك صريحا لأنه يخبر بما يشاهده الناس عيانا ويظهر لهم بالحس سواء كان هو فى الواقع كذلك أولا ومما لا شك فيه أن الشمس لا تنزل فعلا فى العين وإنما يظهر للرائين أنها كذلك، ألا ترى أن الواقف تحت الجبل يجزم بأن الشمس قد غربت فوقه والذى لا يراها كذلك .

وأغرب من هذا وأبدع ما ذكروه أن تلفا أو ضررا يعمل بإحدى مخلوقات الله كالقمر يكون علامة على قوة عظيمة، ولكنه لايثبت أن عاملها رسول من الله ولو كان قد حصل أمرا مثل هذا يختص بالطبيعة لكان قد علم فى جميع الأرض وسجل فى تاريخ أمم كثيرة كحادثة خارقة للعادة ومدهشة .

قالوا ذلك ليبرهنوا على أن حادثة إنشقاق القمر لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم غير صحيحة ولم يعلموا أنه إنما يطعنوا فى التوراة التى يؤمنوا بها طعنا شديدا يترتب عليه تكذيبها صريحا، لأن عبارة التوراة لا تقبل تأويلا فإنها تدل دلالة قاطعة على أن نظام المجموعة الشمسية قد اختل مدة، قدرها بعض مفسريهم بأربع وعشرين ساعة. ولا شك أنها لا تقل عن إنشقاق القمر فهى من أعظم الحوادث التى لا تخفى على أحد، خصوصا أنها وقعت فى رائعة النهار ولابد أن تكون معلومة لكل سكان الأرض، فهل هى كذلك ، كلا أن كل كتب التواريخ المعتمدة لم تذكرها ومعظم العقلاء يكذبونها. ويقولون إنها خرافة لاشك فيها، أفلا يستحى هؤلاء المبشرون من أن يكذبوا معجزة إنشقاق القمر لأن بعض المؤرخين لم يذكروها. على أن إنشقاق القمر ليس كوقف الشمس بل هو أقل ظهورا منه، لأنه واقع بالليل والناس غافلون فقد لا يراه إلا الذين طلبوا هذه المعجزة. ثم ماذا يقول الذين يهاجمون رسول الله حقا فى المعجزة التى ذكرها متى، يقول ساعة صلب المسيح من إنشقاق القبور وخروج الأموات منها وقد أظلم النهار إلخ أليست هذه المعجزة قد انفرد بذكرها ولم يذكرها غيره من نفس الإنجيليين ؟ فإذا كان عدم ذكر المؤرخين للحادثة دليلا على عدم وقوعها فقد كذب المبشرون كتابهم الذين يدينون به تكذيبا صريحا.

على أننى أؤكد للمبشرين أن أئمة المسلمين وعلمائهم لا يحفلون كثيرا بأمر هذه الخوارق لأن لديهم من الأدلة القاطعة على صدق نبيهم وكتابهم ما فيه غنئ عن كل هذه الخوارق وستعرفها عما قريب .

وبعد فإن الذى يقول إن الشمس ثابتة لا تتحرك أبدا جاهل لا عالم يقول ظنا لا جزما ، فإن مما لا شك فيه أن الشمس متحركة أما كون حركتها فى مكانها أوتنتقل فتلك مسألة أخرى ولقد صدق الله تعالى الذى يقول: «والشمس تجرى لمستقر لها » وغيره كاذب نعم إن هذه النظرية إذا تحققت لا تصطدم مع هذه الآية لأنه يصح أن يقال أن جريانها إنما هو بحسب ما يشاهده الناس الذين يدعون إلى الإيمان ولكنه خلاف الظاهر ولا حاجة إليه بل كل شيء يخبر به القرآن هو فى الواقع أساس العلم الصحيح الذى لا يختلف أبدا لأنه من عند الإله العليم الخبير أما غيره فروايات ملفقة بدون شك ولا ريب. وللكلام بقية فى ردنا على القسم الثالث.

امثلة اخرى كثيرة من المتناقضات الموجودة فى التوراة . نذكر لك فى هذا الدليل أمثلة كثيرة من المتناقضات التى أحصاها علماء المسلمين فى التوراة كما نذكر لك بعض آراء علماء المسيحية الفضلاء فى هذا الباب .

الاختلاف فى عدد أبناء بنيامين . فى الباب السابع من سفر أخبار الأيام الأول أن أولاد بنيامين ثلاثة ونص عبارته أبناء بنيامين بالع. وباكر. ويديعئيل ـ ثلاثة. وفى الباب الثامن من ذلك السفر نفسه أن أولاد بنيامين خمسة. ونص عبارته وبنيامين ولد بالع بكره. واشبيل الثانى، وأخرج الثالث. ونوحه الرابع. ورافا الخامس ولا يخفى أن ذلك تناقض واضح لا يمكن تأويله.

ومن الأسف أنه تناقض مع نفسه فلم يستطع أن يحرر ما يقوله ومع ذلك فالسفران المتناقضان مع نفسيهما متناقضان أيضا مع التوراة الأصلية التى يقولون أنها أنزلت إلى موسى. وذلك لأن سفر أخبار الأيام الأول مصنفه عزرا (العزير) ويقولون إنه قد ساعده فيه حجى وزكريا الرسولين فقد اشترك فى تحريره ثلاثة رسل كرام. ونص ما ذكر فى التوراة الأصلية سفر التكوين ص ٤٦ آية ١٥ (وبنوا بنيامين. بالع. وباكرواشبيل وجيرا. ونعمان. وَايجى، ورُوش. ومفيم وحفيم. وأرد) فأنت ترى أن الإصحاح السابع من سفر الأخبار صرح بأنهم ثلاثة. والإصحاح الثامن من ذلك السفر صرح بأنهم خمسة. والإصحاح السادس والأربعين من سفر التكوين صرح بأنهم عشرة فمن نصدقه. لقد اعترف علماؤهم بذلك الخطأ وقالوا إن عزرا مصنف هذا السفر خلط بين الأبناء وأبناء الأبناء لأن الأوراق التى نقل عنها النسب كانت ناقصة. أما تعليلهم بأنه خلط بين الأبناء وأبناء الأبناء فهو غير ظاهر لأنه نقص عما فى التوراة النصف وأزيد فكيف أتى بأبناء الأبناء وهو لم يذكر كل الأبناء وأما كون الأوراق التى نقل عنها النسب كانت ناقصة فهو يدل دلالة قاطعة على أن عزرا عندهم كان مؤرخا ملهما لأن الذى يوحى إليه لا يعول على ما فى الأوراق بل هو يستند إلى الوحى الذى لا يخطئ أبدا.

الخطأ فى عدد بنى إسرائيل . ذكر فى سفر التكوين فى الإصحاح السادس والأربعين آية ١٥

أسمـاء بنى إسرائيل الذين جاءوا إلى مصر واحدا واحدا ثم ختم العدد بقوله (جميع نفوس بنيه وبناته ثلاث وثلاثون والواقع أن الذى ذكره يساوى أربعة وثلاثين وذلك لأنه ذكر يعقوب وأبناءه وهم ستة. رأوبين. وشمعون. ولاوى. ويهوذا. ويساكر. وزبلون. وذكر للأول أربعة أولاد وللثانى ستة والثالث ثلاثة والرابع سبعة والخامس أربعة وللسادس ثلاثة وهؤلاء ثلاثة وثلاثون كما قال إلا أنه ذكر بنت يعقوب أيضا وهى دينة ولا يمكن إسقاطها من الحساب لأنه قال جميع نفوس بنيه وبناته فلابد من عدد دينة أيضا فالمجموع أربعة وثلاثون).

وهذا الغلط يستحيل أن يصدر عن الوحى وقد اعترف بهذا الغلط مفسرهم المشهور هارسلى.

أبناء الزنا وغضب الله عليهم. ورد فى سفر التثنية الإصحاح الثالث والعشرين ما نصه: لا يدخل ابن زنى فى جماعة الرب حتى الجيل العاشر لا يدخل منه أحد فى جماعة الرب وورد فى الإصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين أن فارص بن يهوذا بن يعقوب ابن زنا ومحصل ماورد فى ذلك الإصحاح أن يهوذا ابن يعقوب زنا بامرأة إبنه المتوفى لأنها تنكرت له وأوهمته أنها زانية فمال إليها وفسق بها فحملت منه باثنين وهما فارص وزارح ... إلخ.

وورد فى الإصحاح الأول من إنجيل متى نسب المسيح وقد نص فيه على أن فارص الجد العاشر لداود فهل ترى لا يدخل داود جماعة الرب لأن جده العاشر ابن زنى أو يدخل. أنه لا يدخل بلا نزاع لأن الجيل معناه الصنف من الناس فيقال للعربى جيل وللتركى جيل فاستعمال الجيل هنا لابد أن يكون الغرض منه الطبقة المغايرة للطبقة التى قبلها ففارص طبقة وابنه حضروم طبقة ثانية وأرام بن حصرون طبقة ثالثة وعمينا داب طبقة رابعة وهكذا إلى داود هو العاشر والتوراة صريحة فى أن الجيل العاشر لا يدخل منه أحد فى جماعة الرب. وكيف يصح ذلك وداود مقدس عندهم وكان يفتخر المسيح بالإنتساب إليه.

ومع هذا فإننا إذا أغضينا عن التناقض ونظرنا إلى هذه العبارات نظرا نزيها فهل يمكننا أن نحكم بأنها وحى من عند الله.

كلا إن ذلك لا يمكن أن يكون وحيا لأمرين الأول أنه يستحيل أن يسجل الله فى كتاب مقدس حرمان الناس من رحمته ورضوانه ويخرجهم من حزبه بدون ذنب اقترفوه وما ذنب فارص وأبنائه وهم لم يشتركوا فى جريمة والدهم «يهوذا» بل هو وحده الذى جنى على أمهم وعليهم.

فكيف يعقل أن يوحى الله تعالى إلى موسى أن أبناء الزنا لايرضى عنهم عشرة أجيال كاملة مهما كانوا صالحين نعم إن ولد الزنا يكون ملوما إذا كان شريرا مجرما أما إذا عمل صالحا فإنه يستوى هو وغيره عند الله تعالى حتما. ومع ذلك فإن هذا يناقض ما صرح به حزقيال فى الإصحاح

الثامن عشر آية عشرين ونصه: (النفس التي تخطىء هي تموت الابن لا يحمل من إثم الأب والأب لايحمل من إثم الابن. بر البارّ عليه يكون وشر الشرير عليه يكون). وذلك هو الحق الذي يقره القرآن الكريم فلقد قال تعالى: «ولا تزر وازرة وزر أخرى» أما كون الزاني يعذب الله أبناءه إلى الجيل العاشر فذلك لا يمكن أن يكون وحيا إلهيا: وأما الثاني فلأن جريمة الزنا من الجرائم التي يجب إخفاؤها لأنها ليست مقصورة على الجاني بل تتعداه إلى غيره فإن الزانية يتعير بها أهلها زمنا طويلا وقد يلحقهم بسبب ذلك مضار لا حد لها فليس من المعقول أن يسجل الله في كتاب مقدس جريمة الزنا على يهوذا من غير أدنى فائدة تعود على الشعب . من أجل ذلك قال الله تعالى في كتابه العزيز: «إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم»[1] . وذلك هو الحق الذي يطابق العقل والحكمة وقد يقال إن الله سجل على يهوذا وإخوته عملا شائنا في القرآن الكريم وهو ما عملوه في يوسف.

والجواب أن الذي عمل في يوسف من الذنوب الخاصة التي لاتتعدى فاعلها فلا يتعير بها غيره على أن هذا العمل قد ترتبت عليه آثار عظيمة ومصالح كثيرة فهو وإن كان في ظاهره شر ولكن كان وسيلة لانقلاب كبير ومآثر كثيرة أصبحت مثلا صالحا للأخلاق الكريمة . والعدل الشامل . والإدارة الحسنة ونحو ذلك من العظات البالغة التي اشتملت عليها قصة سيدنا يوسف عليه السلام .

وقد هال هذا التناقض الصريح المفسرون الكبار من علماء المسيحيين فلم يسعهم إلا التسليم به وإليك بعض ما يقولون.

١ ـ قال آدام كلارك في المجلد الثاني من تفسيره في شرح آيات الباب الرابع والعشرين من سفر صموئيل ما نصه: (وقعت في كتب التواريخ من العهد العتيق تحريفات كثيرة بالنسبة إلى المواضع الأخرى والاجتهاد في التطبيق عبث والأحسن أن يسلم من أول الوهلة الأمر الذي لا قدرة على إنكاره. ومصنفوا العهد العتيق وإن كانوا ذوي الهام لكن الناقلين لم يكونوا كذلك).

٢ ـ قال نهيو فلكت: (إن الكتب المقدسة انعدمت رأسا فأوجدها عزرا مرة أخرى بالهام).

٣ ـ قال كليمنس اسكندر يانوس: (إن الكتب السماوية ضاعت فألهم عزرا أن يكتبها مرة أخرى بالهام).

٤ ـ قال ترتولين: (المشهود إن عزرا كتب مجموع الكتب بعدما أغار أهل بابل يروشالم).

٥ ـ وقال جان ملز كاتلك في الصفحة ١١٥ من كتابه الذي طبع في بلدة دربي سنة ١٣٤٣ [2] : (اتفق أهل العلم على أن نسخة التوراة الأصلية وكذا نسخ كتب العهد العتيق ضاعت من أيدي عسكر بختنصر ولما ظهرت نقولها الصحيحة بواسطة عزرا ضاعت تلك النقول أيضا في حادثة انتيوكس).

---

(١) سورة النور : الآية ١٩ .

(٢) ميزان الحق ص ١٣٤ .

وهذه التصريحات تشتمل على ثلاثة أمور:

أحدها : أن علماء المسيحيين يوافقون المسلمين على القول بتحريف التوراة.

وثانيها : إنهم يقررون أن التوراة قد عدمت تماما ولم يبق لها حافظ حتى جاء عزرا (العزير) فأوحى الله إليه التوراة ومع ذلك فقد ضاعت فى الحوادث التى وقعت بعد عزرا).

ثالثها : النصوص المحرفة المتناقضة لا يمكن تأويلها بل محاولة تأويلها عبث لا فائدة منه لما فيها من التناقض الواضح وللمبشرين آراء خاصة جريئة فى هذه الأمور منها أنهم ينكرون أن العلماء المسحيين اعترفوا بتحريف التوراة ويزعمون أن الذى قال ذلك هم جهلة المسيحيين القدماء أما المتعلمون والمفكرون فى عصر العلم والمدنية الحاضرة فإنهم لم يقولوا ذلك .

وهؤلاء المبشرون [1] فى منتهى الجرأة لأن الذين قالوا ذلك هم مشاهير علمائهم الذين يعولون عليهم فى كل قضايا ديانتهم. ولاريب فى أن الحق إلى جانب هؤلاء العلماء لأنه ليس من المعقول أن يقف الإنسان أمام التناقض الصريح الواقع فى الأرقام ويقول إنه اختلاف لفظى كاختلاف القراءات والذى يقول ذلك يبرهن على أنه رجل مكابر لا يحترم الحقائق الثابتة أو هو رجل جاهل يهرف بما لا يعرف. فالرجل الذى يحترم الحق ويؤيده سواء كان له أو عليه هو العالم حقا الذى نفعه علمه فليس من الإنصاف أن يوصف هؤلاء الذين يعترفون بالحق الواضح بالجهل ويوصف المكابرون الذين ينكرون المحسات بالعلم والفضل.

وقد عرفت مما نقلناه لك عن نفس التوراة التى بين أيديهم وعن مؤرخيهم المتقدمين والمتأخرين. أن التوراة التى أنزلت إلى موسى يستحيل أن تبقى على حالها بعد أن رفض اليهود جميعهم عبادة الله وعبدوا الأوثان. على أن الدليل قائم من توراتهم أيضا على أنها فقدت قبل يوشيا وأخذ يوشيا يبحث عنها مدة ثمان عشرة سنة فلم يجدها ثم كان ما كان من أمر الكاهن حلقيا إلخ ما تقدم .

فكيف يعقل أن تبقى التوراة سليمة بين أيدى هؤلاء الوثنيين الذين عمتهم الوثنية فلم ينج منها أحد حتى رؤساء الكهنة وعظماء الشعب وإذا فرض وكان لهؤلاء الوثنيين غرام بالتوراة بالرغم من كونهم أعداءها فكيف يعقل بقاؤها سليمة بعد ما دهمهم بختنصر فأباد معظمهم وسبى من بقى منهم وجعلهم عبيدا له ولأبنائه وبعد أن هدم معبدهم وقضى على آثار ديانتهم قضاء مبرما فإذا أضيف إلى ذلك كله أن التوراة لم يكن مكتوبا منها سوى نسخة واحدة وأن تعاليم موسى كان يحرم على اليهود كتابتها بل ينقلونها بطريق الحفظ كانت النتيجة البديهية أنه يستحيل بقاء التوراة سليمة بعد انقلاب أهلها وثنيين وبعدما دهمهم من الحوادث التى قضت على ديانتهم وأخلاقهم. وذلك هو المعقول الذى تطمئن له قلوب المنصفين.

---

(١) كتاب البراهين العقلية والعملية فى صحة الديانة المسيحية .

وبعد هذا البيان الصريح نعود إلى الكلام فى مسألة عزرا وما عمله فى التوراة فأما علماء المسيحية المتقدمون فإنهم يقولون أن عزرا كتب التوراة مرة أخرى بعد ضياعها بوحى جديد ثم ضاعت مرة أخرى فى حادثة انتيبوكس. وقد اعتمد ذلك بعض المفسرين من المسلمين. وأما المبشرون فإنهم ينكرون ذلك ويكذبون السفر الذى فيه هذا الكلام.

وهذا السفر غير مقبول عند البروتستانت ويقولون أنه ليس بسماوى ولكن غيرهم يعتمده فهو من الأسفار المختلف فيها ويسمى سفر سيدراس أو سفر عزرا وهو يصرح بأن عزرا جدد التوراة بعد ضياعها. أما أنا فسيان عندى أن يكذب هذا السفر أو يصدق لأن الدلائل كلها دلت على أن التوراة قد فقدت من جراء الإنقلابات الكثيرة التى بيناها لك على أننى أعتقد أن عزرا لم يجدد التوراة التى أنزلت إلى موسى وإنما ألهم أحكاما ووصايا منها مطابقة لها وما نقله بعض المفسرين من أنه ألهم التوراة بنصها وأنهم وجدوا يومئذ النسخة الأصلية مدفونة فوجدوا ما ذكره لهم عزرا مطابقا للنسخة الأصلية روايات واهية واهنة لا يقام لها وزن.

وبعد فإن المبشرين فى محاولاتهم الإستدلال على سلامة الكتاب المقدس يعترفون بأمور خطيرة هى:

أولا : أن فى العهد القديم أغلاطا ومناقضات لا يمكن حلها (١) .

ثانياً : يعتذرون عن ذلك بأن العهد القديم لم يدون فى وقت واحد وإنما دون فى أزمنة طويلة على أن هذه المتناقضات واضحة فلاتضر.

ثالثاً : يصرحون بأن فى الكتاب المقدس بعض العيوب ويعتذرون عن ذلك بأن الكتبة الذين نسخوها لم يصلحوها أو يبينوها وهذه الحالة تدل على أنهم أمناء نقلوا النسخ الأصلية .

رابعاً : يصرحون بأن الأغلاط الموجودة فى التوراة تنقسم إلى قسمين قسم فى الأرقام وقسم فى المعانى ويسلمون بوجود القسمين إلا أنهم يعتبرونها هفوات لابد منها للمؤرخ وإن كان حاذقا.

ويظهر أن الكتاب المسيحيين لا يقدرون معنى الوحى الإلهى حق قدره بل يحسبونه كغيره من الأخبار المحتملة للصدق والكذب. وذلك خطأ واضح لأن الوحى الإلهى لا يخطىء أبدا فكل شىء احتمل الصدق والكذب يجب ألا ينسب إلى الله تعالى ولهذا جاء فى القرآن الكريم: **«والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى»**(٢) وقال تعالى: **«ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين»**(٣) ومعنى ذلك أن الرسول لا ينطق بكلمة واحدة على حسب هواه من غير أن يوحى بها

---

(١) كتاب البراهين العقلية والعملية فى صحة الديانة المسيحية .

(٢) سورة النجم : الآية ١ ـ ٦ . (٣) سورة الحاقة الآية : ٤٤ ـ ٤٧ .

ربه ثم يقول إنها من عند الله ولو فعل ذلك يعرض نفسه للهلاك وذلك هو معنى الوحى الإلهى ومعنى كلام الله حقا فلا يصح لمخلوق أن يزيد فيه أو ينقص منه كلمة واحد بل هو بلفظه من عند الله.

وإذا كان الكتاب المسيحيون الذين يستدلون على صحة كتبهم يسلمون بوجود أغلاط فيها ويسلمون بأنها دونت كما تدون كتب التاريخ التى تحتمل الصدق والكذب والخطأ والصواب ويسلمون بأن فيها عيوبا وهفوات لأنها تاريخ لا يسلم من تلك الهفوات يسلمون بكل ذلك وهم راضون مطمئنون فماذا تركوا للمسلمين بعد ذلك ؟ إن المسلمين لا يقولون أكثر من ذلك فهم يقولون إن هذه الكتب تشتمل على الخطأ والصواب والفاسد فهى كمجموعة تاريخية تحتمل التغيير والتبديل والزيادة والنقصان حسبما يصادفها من ظروف الزمان والمكان.

والعجب كل العجب أن الكتاب المسيحيين العقلاء يقررون ذلك الكلام بأنفسهم ثم هم يقولون إن كل هذه الكتب من عند الله فينسبون إلى الله الغلط صريحا وبديهى أن الغلط لا يصدر إلا عن الجاهل الذى لا يعلم حقائق الأشياء . والجاهل لا يصلح أن يكون إلها لأن الجهل نقص بين فى مقام الألوهية. وأيضا يعترفون بأن هذه الكتب بها عيوب ثم يقولون إن هذه العيوب وحى من عند الله ولا يدرون أن وحى الله إذا كان فيه عيب كان الله (تعالى) مصدرا للنقص ومحال أن يكون الإله الكامل من جميع الوجوه مصدرا للنقص وإلا كان ناقصا لا يصلح أن يكون إلها وهذه المقدمات بديهية التسليم وإذا عرضت عليهم ابتداء يسلمونها لأنهم يقولون إن الله عليم بكل الأمور جزئيا وكليا ويقولون إن الله كامل من جميع الوجوه. فإذا أردت أن تقارن بين نظرياتهم هذه وبين ما يقولون وجدت تناقضا واضحا لا يخفى على صغار التلاميذ تضطرهم إليه العقيدة ويحملهم عليه التقليد.

هل من الإنصاف أخذ أقوال الكتاب المسيحيين حجة على كتابهم . وبعد فربما يتوهم بعض القراء إننا اتخذنا من أقوال هؤلاء الناس حجة على كتابهم فيقولون لنا إن كثيرا من المفسرين ومن بعض فرق المسلمين قد ذكروا أقوالا تمس القرآن الكريم إما جهلا أو خبثا وكفرا فليس من الإنصاف أن نحتج بأقوال الناس على نصوص الكتاب. والجواب أننا نوافق على هذه النظرية من كل وجه. ونقول إننا لا نتخذ من كلام شخص مهما عظم قدره دليلا على نصوص الكتاب الصريحة ولا نحتج برأى عالم إلا إذا كان هذا الرأى مجمعا عليه عند جمهورهم، ولا نعامل المبشرين الذين يتصدون لتأييد دينهم وهدم الإسلام إلا باعترافاتهم. ومع ذلك فإننا لانستدل بآراء هؤلاء إلا إذا كانت مشتملة على اعتراف يخلل نص الكتاب فأردنا أن نجارى سفهاء هم الذين ينقلون خرافات بعض جهلة المسلمين أو ملاحدتم ويجعلونها حجة على كتاب الله المبين. لسنا نجاريهم فى نقل القصص الخيالية التى يذكرها بعض المفسرين على أنها تكملة ضعيفة ويحتج بها على عقائد المسلمين وثقافتهم، مثل مدينة إرم ذات العماد المبنية من ذهب وفضة إلخ ولست أجارى هؤلاء

السفهاء فيما نقل عن بعض المرتدين من أن القرآن ليس بليغا ولا فصيحا ولست أجاريهم فيما نقل عن بعض مرتدى الشيعة من أن القرآن حذفت منه سورة ذى النورين.

فهذا هو شأننا مع المبشرين لا نحيد عنه قيد شعرة فلا نحتج عليهم بآراء ملاحدتهم الذين يسبون دينهم سبا ذريعا ، ويسخرون منهم سخرية شائنة.

الدليل الثالث : آراء كبار العلماء المبشرين فى التوراة

قال لوثر فى صحيفة ٤٠ و ٤١ من المجلد الثالث من كتابه [1] (لانسمع من موسى ولا ننظر إليه لأنه كان لليهود فقط ولا علاقة له بنا فى شىء ما) .

وهذا الذى قاله لوثر صرح به بولس فى الباب الثالث من رسالته إلى غلاطية وسوف يأتى نصه فى مبحث التوراة والإنجيل، وهو يتضمن نهيا شديدا عن العمل بالتوراة حتى قال إن الناموس (التوراة) لعنة والمسيح افتدانا من هذه اللعنة .

فإذا كان لوثر يقول إنه لا علاقة لنا بموسى ولا بكتابه فإنما يقول ما صرح به كتابهم الذى يقدسونه وهو المعقول الذى يلائم المنطق، وإلا فكيف أن الناموس لا يكمل الأشخاص وأنه معيب وأنه ناقص وأنه لعنة ثم يكون فى الوقت نفسه كتابا مقدسا غير محرف، ويكون اليهود الوثنيون الضالون الذين رفضوا المسيح واتهموه وأمه بأخس الصفات من أنزه الناس وأشرفهم وأصونهم لكتابهم المقدس. هذا عيب لا ينبغى صدوره عن العقلاء. فلو أن المبشرين كانوا أوفياء حقا لزعيمهم لوثر لنفضوا أيديهم من التوراة وسلموا للمسلمين ما يقولون بشأنها لأن المسلمين أدرى بها وعلاقتهم بها أشد، فإنها اشتملت على كثير من الأحكام التى يقرها القرآن الكريم فلو كان كل ما فى التوراة صحيحا لكان المسلمون أول العاملين بها والحافظين لها.

ولكن مع الأسف الشديد قد حرفها المفسدون تحريفا مخجلا وأغرب من هذا إن المتقدمين من علماء المسيحية صرحوا أيضا بأن اليهود حرفوا توراتهم كما أشرت إلى ذلك قريبا فلم تكن التوراة موثوقا بها عند القدماء أيضا. قال آدم كلارك فى شرح الآية الثامنة عشرة من الباب السابع عشر من سفر صموئيل الأول إن فى هذا السفر آيات كثيرة ليست منه بل أدخلها فيه غير مصنفه، ثم نقل عن كنى كات أن الذى زاد هذه الجمل هم اليهود فى عهد يوسيفس فإنهم كانوا يريدون أن يزينوا الكتب المقدسة باختراع الصلوات والأغانى، واختراع الأقوال الجديدة مثل الآيات التى زادوها فى كتاب استير كحكاية الخمر والنساء. والصدق التى زيدت فى كتاب عزرا ونحميا. وحكاية غناء الأطفال الثلاثة التى زيدت فى كتاب دانيال ... إلخ.

---

(١) انظر كتاب وارد كاثلك المطبوع سنة ١٨٤١ ص ٣٨ .

وهذا هو الذى يقوله المسلمون ويشير إليه القرآن الكريم فى غير موضع. فإن الله قد أخبر عنهم بأنهم يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله .

وإذا كانوا على هذا الحال فكيف يكونون أمناء على التوراة عند جماعة المبشرين وقال كريزاستم فى تفسيره التاسع لإنجيل متى (قد امحى كثير من كتب الأنبياء، لأن اليهود ضيعوا كتبا لأجل غفلتهم بل لأجل عدم ديانتهم، ومزقوا بعضها وأحرقوا بعضها).

وهذا المفسر قد ألجأته الضرورةالشديدة إلى التصريح بهذا الكلام، لأنه قد ورد فى الاصحاح الثانى من إنجيل متى آية ٢٣ هكذا (وأتى وسكن فى مدينة يقال لها ناصرة. لكى يتم ما قيل بالأنبياء إنه سيدعى ناصريا). فلما أراد أن يشرح هذه العبارة رجع إلى أسفار التوراة فلم يجد فيها كلمة (سيدعى ناصريا) .

فلم يكن له بد من أحد أمرين إما أن يكذب عبارة الإنجيل، ويقول إن الذى قالها يخبط خبط عشواء وإما أن يقول أن هذه العبارة كانت موجودة فى التوراة، وحذفها اليهود، فاختار الرأى الثانى على الأول. وقد نقل فى إظهار الحق أن بعض علماء المسيحية ألف كتابا سماه سؤالات السؤال، مطبوع فى لندن سنة ١٨٤٣ من الميلاد، قال فيه هذا الكلام وزاد عليه أن اليهود لما رأوا الحواريون يتمسكون بهذه الكتب فى إثبات مسائل الملة المسيحية أعدموا هذه الكتب، وقد نقل عن جوستن أنه قال: (اليهود أخرجوا كتبا كثيرة من التوراة كى يظهر بذلك أن العهد الجديد مخالف للعهد القديم) .

وهذا الذى يقوله كريزاستم ويقوله مؤلف كتاب سؤالات السؤال، هو بعينه الذى يقوله المسلمون فى دلائل نبوة سيدنا محمد الصريحة التى فى التوراة، فإن اليهود قد حذفوها وبقى منها ما خفى عليهم فهمه. وإنى لا أمانع فى أن اليهود حذفوا ما يدل على نبوة سيدنا عيسى من التوراة أيضا فإننا معاشر المسلمين نؤمن بأن عيسى رسول من عند الله حقا فيصح أن تتنبأ عنه التوراة.

وبهذا تعلم أن ما يذكره المبشرون [1] من أنه لا مصلحة لليهود فى حذف اسم محمد لغو من القول لا يقصدون به إلا التعمية والتمويه .

كذلك ما ذكروه أن اليهود قد أطلعوا على آيات كثيرة فى توراتهم تدل على المسيح دلالة واضحة، واحتج المسيحيون بها عليهم، وعداوتهم للمسيح مشهورة، ومع ذلك فلم يحرفوا شيئا منها يكون لغوا من القول .

فما هو رأى أمثال هؤلاء المبشرين فى هذا الذى يقوله علماؤهم العظماء ولنفرض أن هؤلاء العلماء يتحاملون على اليهود ولا ينصفونهم فما رأيهم فى النبوءات التى صرحت بها أناجيلهم

---

(١) ميزان الحق ص ١٤٤ ، ١٤٥ .

وليست موجودة فى التوراة. فإما أن يكون اليهود قد حرفوا التوراة، وإما أن تكون تلك النبوءات كاذبة لا محالة فليختر المبشرون ما يحلو لهم فإننا راضون بما يختاروه من ذلك .

هذا والفِرَق التى اختلفت فى أصل الدين المسيحى كثيرة ولا يزالون يفترقون إلى يومنا هذا. فمن الفرق القديمة. الفرقة الأبيونية، وهذه الفرقة كانت فى القرن الأول من القرون المسيحية معاصرة لبولس منكرة عليه أشد الإنكار، وكانت تقول أنه مرتد، ويظهر أنها كانت تقاومه علانية ، فقد شكا من أحدهم فى رسالته الثانية إلى تيموثاوس فقال له: اسكندر النحاس أظهر لى شرورا كثيرة وهذ الفرقة كانت تؤمن بإنجيل متى ولكن بإرة إنجيلهم مغايرة لإنجيل متى الموجود الآن فى كثير من المواضع وقد ذكر هذه الفرقة (بل) فى تاريخه فقال: (هذه الفرقة كانت تسلم من كتب العهد العتيق التوراة فقط وكانت تنفر عن اسم داود وسليمان وأرميا وحزقيل عليهم السلام وكان من العهد الجديد عندها إنجيل متى فقط لكنها كانت حرفته فى كثير من المواضع وأخرجت البابين الأولين منه).

ومنها الفرقة المارسيونية وقد ذكرها (بل) فى تاريخه أيضا فقال إن هذه الفرقة كانت تنكر كتب العهد القديم كلها وتقول إنها ليست بوحى من عند الله وكذلك تنكر جميع كتب العهد الجديد ما عدا إنجيل لوقا فإنها كانت تؤمن به بعد تنقيحه وحذف كثير من أبوابه وآياته .

ومنها فرقة مانى كيز وقد ذكرنا لك بعض ما عليه هذه الفرقة فيما تقدم وهى كانت فى القرن الرابع من القرون المسيحية. قال فاستس رئيسها (إننى أنكر الأشياء التى ألحقها فى العهد الجديد آباؤكم وأجدادكم بالمكر وعيبوا صورته وأفضليته لأن هذا الأمر محقق أن هذا العهد الجديد ما صنفه المسيح ولا الحواريين بل صنفه رجل مجهول الاسم ونسبه إلى الحواريين) ... إلخ. فهذه الفرقة ترفض كل الرسائل والملحقات التى زيدت على الإنجيل وكذلك العبارات التى لم يقلها المسيح.

وأما الفرق الجديدة فقد عرفت الخلاف الشائن بين البروتستانت، (ومنهم طائفة المبشرين الذين يحاولون تأييد هذيانهم بالطعن فى الدين الإسلامى) وطائفة الكاثوليك، فالبروتستانت يزعمون أن كثيرا من الكتاب المقدس عندهم زاده الكاثوليك مع كونه ليس منه، والكاثوليك يزعمون أن البروتستانت حذفوا من كتاب الله ما هو منه. وهاتان الفرقتان هما ركنا الديانة المسيحية فى ذلك الزمان فلا نذهب بعيدا فى حجتنا ولا نقول لهم إن المتقدمين المسيحيين اختلفوا فى أصول ديانتهم، وقرروا أن هذه الكتب ليست من عند الله، بل نقول لهم أنتم أنفسكم تقولون ذلك. ومن كان هذا حاله فعليه أن ينكس رأسه خجلا ولا يشهر سلاحه فى وجه أمة أجمعت على أن كتابها واحد بلغه إياها رسول ثبتت رسالته بالبراهين القاطعة، وهم يتوارثونه حفظا وتلقينا جيلا بعد جيل حتى أنهم وضعوا لكتابه رسما خاصا لا يخرجون عنه، ووضعوا للنطق به قواعد خاصة ليحفظوا بها العبارة التى سمعوها من الرسول كما هى ووضعوا له آدابا لاستماعه وقراءته وجعلوه مرجعا لهم فى كل شؤونهم الدنيوية والأخروية .

ومن الغريب أن أحد المبشرين [1] يقول إن مؤرخى المسلمين ومفسرى القرآن قد أتوا من أخبار العرب البائدة والمستعربة بما هو محض أقاصيص يهودية تهافتوا عليها من غير تثبيت وتناقلها خلفهم عن سلفهم وشحنوا بها تواريخهم وتفاسيرهم ومن ذلك الغلط الفاضح أنهم قالوا إن عادا من ذرية إرم وأنه متقدم على إسماعيل مع أن إسماعيل متقدم عليه كما يعلم من التوراة ... إلخ ما قال .

وهذا الفيلسوف السفيه لو كان يعرف للتناقض معنى لخجل من أن يكتب هذا الكلام، لأن التوراة التى يعتمد عليها فى تحقيقه أقاصيص يهودية وجميع كُتّابهم من المبشرين وهو أولهم يصرحون بأن اليهود هم أساتذتهم الأولون الذين نقلوا عنهم التوراة كما هى. وهؤلاء هم البروتستانت يفخرون بأنهم متمسكون بالتوراة التى نقلوها عن اليهود كما هى، أما الكاثوليك فإنهم يزيدون على كتابهم المقدس ما ليس منه، ويستدلون على ذلك بأن اليهود لم يقروا هذه الزيادة .

ومن هذا يتضح لك أن اليهود عند المبشرين هم الذين عليهم المعول فى نقل الكتاب المقدس فكيف يصح لرجل هذا شأنه أن يعير المسلمين بنقل أقاصيص تاريخية عن اليهود لا علاقة لها بالدين ولا بالكتاب؟ إن المسلمين لا يجزمون إلا بالقدر الذى يرويه لهم كتابهم الكريم الذى تواترت نسبته إلى سيدنا محمد باعتراف كتابهم، وأما مايرويه الناس فليس مقدسا عندهم إلا ما يقره القرآن ويرضاه العقل السليم، وهذه قاعدة من القواعد الأساسية وأغرب من هذا أن ذلك المبشر المتناقض يذكر كلاما [2] عما يرويه بعض المفسرين من الأقاصيص فى تفسير قوله تعالى: «إرم ذات العماد» من أنها اسم لمدينة مبنية من الذهب والفضة كما بنيت الجنة. ثم قال وأغرب من هذا أنهم يوردونها فى كتب التفسير التى تكاد تكون من كتب الدين عندهم ويعضدونها بأحاديث معنعنة تتصل بكعب الأحبار إلخ.

وإذا سألت هذا السفيه هل القرآن قد ذكر ذلك أجاب كلا وإذا سألته هل أحد من أئمة المسلمين قال إن ذلك صحيح يجب اعتقاده قال كلا وإذا سألته من مِنَ المفسرين قال ذلك لا يستطيع أن يرشدك إلى تفسير له قيمته عند علماء المسلمين وحينئذ فما معنى قوله إنها تكاد تكون من الدين وما غرضه من ذلك إنه لا غرض له إلا تضليل العقول أو هو رجل جاهل تمام الجهل بقواعد الإسلام وأصوله التى تنفى كل ما لا ينطبق على العقل والمنطق الصحيح. وهل ذلك القسيس عليم بإنجيله ياترى أو جاهل أيضا به وإذا كان عليما به فهل يستطيع أن يذكر لنا معنى المعجزة الكبيرة التى روتها لنا أناجيلهم من أن عيسى أخرج الشياطين من أجسام الناس الكثيرين إلى قطيع الخنازير فصارت الخنازير (تنط) إلى أن ألقت بنفسها إلى البحر وهل يستطيع أن يرشدنا عن ذنب الخنازير الطاهرة عند المسيح حتى يسلط عليها الشياطين وهل يستطيع أن يفهمنا ماروته أناجيلهم فى غير

---

(١) تذييل مقال فى الإسلام ، الفصل الأول .

(٢) تذييل مقال فى الإسلام : ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

موضع من أن المسيح كان كل ما مر على قوم وجد فيهم أجساما خبيثة فيخرجها منهم وأن تلاميذه شكوا له عدم قدرتهم على إخراج هذه الأجسام. وهل يستطيع فيلسوف المبشرين الذين يظنون أن مطاعنه لها أثرها أن يرشدنا إلى خرافة كهذه فى القرآن الكريم.

إن الذى يريد أن ينال من القرآن فعليه أن يأتى بمثل ما نأتى به من نصوص الأناجيل الصريحة أما كونه يأتى بعبارة مفسر ذكرها تكملة فإنه يعرض نفسه للضحك منه والسخرية به لأن المسلمين لا يقدسون الأشخاص مهما عظم شأنهم ولا يتخذون من كلام أحد حجة على كلام الله رب العالمين فليفهم المبشرون ذلك وليعلموا أنهم أهون عند الله عند العقلاء من أن ينالوا من كتاب الله شيئا وإنما هم ينالون من أنفسهم نيلا عظيما .

(وبعد) فإن عقلاء المفسرين مجمعون على أن معنى الآية ليس كما ذكرها قسيس ذيل مقالة فى الإسلام. بل معناها أن الله أهلك عادا الأولى بظلمهم وطغيانهم وقد بين سبحانه هذه القبيلة فذكر أن اسمها إرم سميت باسم رئيسها وأن أهلها كانوا أقوياء ذا أجسام معتدلة كالعمد ولا نظير لهم يومئذ فى البلاد المعمورة بالناس فيما آتاهم الله من قوة الأجسام فلما طغوا أبادهم الله. وتلك سنة الله فى الأمم السابقة فإنه كان يستأصلهم بالعذاب بسبب كفرهم. هذا هو معنى الآية الذى ذكره المفسرون وأما حديث رواية أن إرم ذات العماد مدينة كالجنة فهى محل سخريتهم .

أليس جديرا بهؤلاء أن يختفوا فى مغاور الجبال وكهوفها كى لايراهم الناس فيضحكوا منهم ويهزؤا بهم .

هذا ولو أردنا أن نحصى الأغلاط الواردة فى التوراة والإنجيل لاستغرقنا زمنا طويلا وكتبا كثيرة فلنقتصر على هذا الذى ذكرناه فإنه فيه كفاية لقوم يريدون أن يعرفوا الحق من الباطل والصحيح من الفاسد أما المكابرون المعاندون الذين يعرفون الحق كما يعرفون أبناءهم ولكنهم يعرضون عنه ابتغاء الحصول على حطام الدنيا فإننا لا نطمع فى إقناعهم بما نقول والله يتولى هدايتهم إنه سميع الدعاء .

القسم الثانى

العقائد المتعلقة بذات الله سبحانه

اسس الإعتقاد عند المسحيين :

يعتمد المسيحيون فى عقائدهم على ثلاث قوانين وضعتها لهم مجتمعاتهم . أحدها قانون الإيمان الرسولى. ثانيها القانون النيقوى. وثالثها القانون الإثناسيوسى وليس فى أناجيلهم الأربعة شىء يدل على ألوهية المسيح أو الثالوث أو التجسد، نعم ورد فى بعض الرسائل الملحقة بالأناجيل ما قد يؤيد اعتقاد الثالوث فقد قال يوحنا فى الباب الخامس من الرسالة الأولى: (فإن الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد. والذين يشهدون فى الأرض هم ثلاثة الروح والماء والدم والثلاثة هم فى الواحد) .

ولكن هذه العبارة إما أن تكون محرفة لأنها تناقض ما ورد فى الأناجيل الأصلية من أن الإله واحد، وإما أن تؤول، وعلى كل حال فهم لا يعولون فى إثبات عقائدهم إلا على القوانين التى وضعتها لهم مجتمعاتهم .

وذلك لأن المجتمعات هى التى أثبتت كتبهم المقدسة فهى الأصل الذى يرجعون إليه، وسواء كان هذا من الخروج على النظم الإلهية التى تحتم ألا ينسب إلى الله شىء إلا بطريق الوحى أو لا، فتلك مسألة أخرى سنتكلم عليها ولنبدأ الآن الكلام فى شرح عقيدة الثالوث.

الثالوث عند المسيحيين :

يوضح القانون الإثناسيوسى عند المسيحيين (عدد ٣ ـ ٦) وهو كما يلى :

(٣) الإيمان الجامع هو أن نعبد إلها واحدا فى ثالوث وثالوثا فى وحدانية .

(٤) لا تخلط الأقانيم ولا تفصل الجوهر .

(٥) فإن للأب أقنوما على حدة وللابن إقنوما آخر وللروح القدس إقنوما آخر .

(٦) ولكن لا هوت الأب والابن والروح القدس كله واحد والمجد متساو والجلال أبدى معا. وقد فسر

المسيحيون هذا القانون أنهم يعبدون إلها واحدا بالنسبة لجوهره فى ثالوث بالنسبة لأقانيمه وثالوثا من الأقانيم فى وحدانية الجوهر، ولا تخلط الأقانيم لأن كلا منهم قائم بذاته ولايفصل الجوهر لأنه كله واحد [(١)] .

ولكنهم لم يوضحوا الموضوع على الوجه الأكمل وإننا سنوضحه لك إيضاحا تاما وذلك من آراء شراحهم المعول عليها عندهم وإليك البيان .

يقولون إن الله ـ تعالى عما يقولون علوا كبيرا مركب من ثلاثة أقانيم كل أقنوم متميز عن الآخر بوجوده الخاص وهو ذات لاصفة وهو مع ذلك لا يقال له جوهر بل الجوهر اسم لمجموع الثلاثة [(٢)] . وإذا قلت لهم إذا كان الأقنوم ذاتا لا صفة فلماذا لا يطلق عليه جوهر. أجابوا بأنهم لا يعرفون حقيقة الأقنوم، فلا يمكنهم أن يعبروا عنه بعبارة ما. وإذا قلت لهم إن عدم معرفة الأقنوم تستلزم حتما عدم معرفة الإله المركب من الثلاثة، فلا يصح أن يطلقوا عليه جوهرا قالوا إن ذلك فوق العقل فلا يناقشون فيه. ويعبر بعضهم عن الأقنوم بأنه الأصل الموجود فى كل واحد من الثلاثة بطريق التساوى وعلى كل حال فهم مجمعون على أن كل أقنوم متميز عن صاحبه بوجوده الخاص، وأن كل واحد من الأقانيم الثلاثة له أوصاف تميزه عن الآخر فأحدها يقال له الأقنوم الأول وهو أقنوم الأب ويعتبرونه أصل الأقانيم، يليه الأقنوم الثانى هو أقنوم الابن ويقولون أن الأقنوم الثانى صدر عن الأقنوم الأول وكيفية صدوره عن الأقنوم الأول أن للأول وهو أقنوم الأب عقلا وتفكيرا، ففكر الأب فى لاهوته (ذاته الإلهية) وعقلها فتولد من ذلك التفكير أقنوم الابن، وذلك الأقنوم مماثل لأقنوم الأب تماما وطبيعتهما واحدة، كالصورة التى تنطبع فى المرآة فتكون مماثلة لأصلها من جميع الوجوه، فالأقنوم الثانى هو كالأقنوم الأول من جميع الوجوه إلا أن له وجودا خاصا به ويسميه بعضهم صورة عقل الأقنوم الأول، لأنه تولد عن تفكيره فكان صورة لعقله كما بينا لك ويسمونه أيضا كلمة الأقنوم الأول لأن التفكير يعبر عنه بالكلام ويسمونه أيضا إبنا، لأن الابن يصدر عن الأب وفيه بعض الشبه أما هذا فإنه مثل الأب من جميع الوجوه فهو أحق بتسميته إبنا من الأبناء الشرعيين.

أما الأقنوم الثالث فقد صدر عن الأب والابن معا بفعل الإرادة والمحبة لا بفعل العقل فالإله الممتزج من الأب والابن وهما الأقنوم الأول والثانى أحب ذاته، فتولد من هيجان الحب أقنوم ثالث، ويعبر عن ذلك بعضهم بالإنبثاق فيقول انبثق من هيجان الإرادة ذلك الأقنوم الثالث وهو مساو فى طبيعته للآخرين ويسمونه روح القدس .

فالإله مكون من ثلاثة أقانيم كل واحد منها كصاحبه من جميع الوجوه، ومع ذلك فكل واحد منها متميز عن الآخر، فالكل واحد لأنه مركب من ثلاث طبائع متجانسة متحدة وكل واحد منها هو

---

(١) انظر كتاب البراهين العقلية فى صحة الديانة المسيحية ص ١٣ .

(٢) البراهين العقلية ص ١٣١ .

الكل، فيقال لأقنوم الأب إنه إله ولما كان مساويا فى طبيعته لأقنوم الابن كان أقنوم الابن موجودا فيه ومثل ذلك يقال فى باقيها وإنما اختص روح القدس بهذا الاسم مع أنهم يقولون أن الأب روح والابن روح لأنهم يعتبرون للأقانيم ثلاثة مراتب مرتبة الأب وهى العليا ويليها مرتبة الابن ويليها مرتبة روح القدس فسموا الأول أبا وسموا الثانى ابنا ولم يبق إلا الثالث فلم يبق له اسم يناسب مرتبته فسموه بالاسم العام، ويمثلون لذلك بآدم وقابيل وحواء فإن آدم أب وقابيل ابن وليس من المناسب أن تكون حواء بنت آدم فسموها حواء .

ورغم أنهم يطلقون على هذه الثلاثة (أقانيم) بمعنى حقائق وجودية لكل واحد منها وجود خاص تمتاز به عن الأخرى، فإنهم يسمون أقنوم الأب بالوجود الواجب، ويسمون أقنوم الابن بالعلم والعقل، ويسمون أقنوم روح القدس بالارادة والمحبة، فالله مركب من ثلاثة أمور متميزة وهو مع ذلك واحد. ثم يقولون إن أقنوم الابن قد اتحد مع دم مريم فتجسد وظهر فى جسد المسيح، فالمسيح من حيث كونه أقنوما روحيا إله كامل ومن حيث كونه جسدا بشريا إنسان كامل ويطلقون على الأول (لاهوتا) وعلى الثانى (ناسوتا) .

هذا هو الذى يقولونه فى الإله ذكرته لك بالإيضاح التام ولا أظن أن عقلا فى الوجود يرضيه هذا القول أو يعبد إلها بهذا المعنى. ومن العجيب أن يجيب المسيحيون على هذا التناقض أن التثليث ليس خطأ بل هو سر عجيب، ويجب انتظار أسرار كثيرة فى الكتب المقدسة (خصوصا) ما يتعلق بجوهر الله إذ لو خلت حقيقة الله من الأسرار لأدركتها العقول البشرية كما تدرك سائر الأشياء المحدودة وهذا محال [1] .

وهذا يتناقض تناقضا صريحا مع ما تقدم لهم، لأنهم حكموا بأن الله مركب من أقانيم، وحكموا بأنه يشبه خلقه من حيث كونه روحا، ومثلوا لتركيبه بتركيب الإنسان، ولكنهم مع ذلك يقولون إنه سر ينبغى ألا تجول فيه العقول .

ومن المضحك أنهم يقولون إن رفض المسلمين لعقيدة الثالوث رفض لوجود الإله لأنهم يعتقدون أن الإله يجب أن يكون مركبا من ثلاثة، أحد الثلاثة لاهوت المسيح وهو أقنوم الابن الذى سبقت الإشارة إليه ورفض لاهوت المسيح مصيبة عندهم .

فظنوا أن المسلمين يقعون فى تلك المصيبة التى هى نكران أقنوم المسيح ولاهوته، ونسوا أن المسلمين يؤمنون برفض لاهوت المسيح إيمانا جازما طبعا، ويشهدون أنه عبد الله ورسوله وأنه بشر كسائر المخلوقات لم يتميز عن غيره إلا بالرسالة التى ميز الله بها بعض عباده الذين اصطفاهم لرسالته. هذه هى عقيدة المسلمين فى المسيح.

---

(١) كتاب ميزان الحق ص ٢٠٤ .

اقوال المبشرين فى عقيدة الثالوث ودفاعهم عنها . وتتلخص عبارات المبشرين فى هذا الموضوع فى أمور ثلاثة أحدها :

١ ـ أن الله تعالى عما يقولون، مركب من ثلاثة أقانيم متميزة كل واحد منها مغاير لصاحبه ولكنه مساو له فى معنى الألوهية، ومع ذلك فهو إله واحد، وكل واحد له خاصة لا يشترك معه فيها أقنوم آخر، وهذه الأقانيم الثلاثة وحدة متماسكة غير قابلة للإنفصال أزلا ولو فرض (وهذا الفرض مستحيل) أنه لو انفصل أحد الأقانيم لا يكون إلها ، بالرغم من كونه مساويا لصاحبيه من جميع الوجوه، فذاتهم واحدة ومجدهم واحد وصفاتهم واحدة ومشيئتهم واحدة وهكذا فى كل الصفات الإلهية .

٢ ـ قرروا أن هذه النظرية فوق العقل فلا يمكن ادراكها على أنهم يمثلونها بأمثلة يقولون إنها أمثلة تقريبية ومن ذلك حكمة يحيى ابن معاذ التى ذكروها وهى من عرف نفسه عرف ربه .

فكما أن الإنسان مركب من ثلاثة أشياء جسم ونفس وروح فكذلك الإله مركب من ثلاثة أقانيم كما بيناه آنفا .

٣ ـ ومع ذلك فإنهم يقولون أن لهذا نظيرا عند المسلمين، وهو أنهم يقولون إن ذات الله لا تعرف ولا تحيط بها العقول، على أنهم احتجوا أيضا بأن المسلمين يقولون بتعدد صفات الإله فالتعدد عندهم لا ينافى وحدته، وكذلك تعدد الأقانيم لا يبطل وحدة الجوهر.

الرد على اقوال المبشرين فى الثالوث . هذه هى المسائل الثلاث التى قررها المبشرون فاستمع لردها واحدة واحدة :

١ ـ أما المسألة الأولى فقد قلنا لك آنفا أن القول بتركيب ذات الإله من ثلاثة أقانيم على الكيفية التى وردت فى العقيدة المسيحية لايرضى بها أحد من خلق الله لأن وقوعها مستحيل ولا يمكن لعاقل أن يقول أن معتقدها موحد ومنزه لإلهه، ومن المدهش أن عقيدة كهذه تتملك نفوس عدد عظيم من الناس تحت تأثير أنها فوق العقل ومادام قد أتى بها كتاب مقدس فينبغى الإذعان لها ، حتى ولو كانت بديهة العقل تقتضى بطلانها مع أن الأديان ماجاءت إلا بما ينطبق على العقول السليمة، فهى تبرهن جميعها للناس على وجود إله واحد وتقيم لهم الأدلة على تنزيهه، ومحال أن يأتى رسول يدعو الناس إلى إله واحد ثم يقول لهم إن هذا الواحد مركب من ثلاثة حقائق متماثلة متميزة متحدة، ومع ذلك هو واحد، لو جاء رسول للناس بهذه النظرية وقال لهم إن التناقض الظاهر لكم فوق عقولكم، لما آمن به أحد، وفضلوا عبادة الأوثان التى لا تعقيد فيها ، أو عبادة آلهة متعددة، على هذه العقيدة المعقدة التى تصادم الحس وتخالف بديهة العقل .

والغريب أنهم يقولون إن الثلاثة حقائق وجودية قائمة بنفسها لا صفات، وإنها متميزة ومعدودة، غاية ما هناك إنها متماثلة، فهل رأيت أو سمعت أن المثلين يمكن اتحادهما بحيث يصير أحدهما عين الآخر، مثلا زيد وعمر والتوأمان مشتركان فى الإنسانية والوجود وجميع الصفات ما عدا الوجود

الخاص الذى يميز أحدهما عن الآخر فهل يقبل العقل أن زيدا وعمراً قد اتحدا وصار أحدهما الآخر! كلا إن ذلك محال بالبداهة، فإذا وجد من الناس من ينكر البديهى قيل له إنهما لا يمكن اتحادهما إلا بعد زوال شخصية زيد وشخصية عمرو فإذا زالت شخصيتهما لابد أن تحل بعد زوالها شخصية أخرى وحينئذ فلا يكون الاتحاد بين زيد وعمرو. أما إذا بقيت شخصية كل منهما ولم تزل فلا يكونان متحدين وإذا انعدمت شخصية أحدهما ولم تنعدم الأخرى لا يتأتى الاتحاد إذ لا اتحاد بين الموجود والمعدوم .

ولنفرض سريرين مركبين من مادة مساوية للأخرى من جميع الوجوه، ولكن لكل منهما وجود خاص يميزه عن الآخر بحيث يشار إلى كل منهما على حِدة، ثم ألصق أحد السريرين بالآخر مع بقاء شخصية كل سرير على حالها، فهل ذلك الإلصاق يغير شخصيتهما أو يظل كل واحد منها باق على وجوده الخاص؟ لا شك فى بقاء السريرين على حالهما، فإذا أريد اعدام شخصيتهما لابد من ازالة تركيبهما أولاً، وعمل سرير آخر من مجموع خشبهما وعند ذلك تحدث هيئة أخرى يتكون منها سرير جديد غير السريرين الذين انعدمت شخصيتهما، ذلك هو الذى اتفق عليه العقلاء فى كل زمان ومكان. نعم قالوا يصح أن يطلق الاتحاد على انتقال شىء من حالة إلى حالة أخرى كانتقال المسمار والخيط من حالتهما بالتركيب والجمع بينهما إلى حالة الحصير، فإن أراد أن الإله مركب من ثلاثة أجزاء كل جزء لا يوجد فيه الكل، كالحصير المركبة من الأجزاء الثلاثة، يكون ذلك القول ممكن الوقوع فى الخارج، وإن كانت ذات الإله، تعالى وتقدس، منزهة عن التركيب من أجزاء، لأن الكل لايتحقق بدون أجزائه طبعا، فإن الحصير لا توجد إلا إذا وجد أولا المسمار والخيط، حينئذ يكون الكل محتاجا إلى أجزائه، فالإله المركب محتاج إلى أجزائه التى يتركب منها، مع أن الإله يكون غنيا عن كل ما سواه، فلو احتاج فى وجوده إلى شىء ما لكان حادثا لا يصلح أن يفيد العالم الموجود، فكيف يمكنه أن يعطى العالم الوجود، وهو مثلهم محتاج ولا يصح أن يقال أن أجزاء الشىء عينه فاحتياجه إليها احتياج لنفسه، لأنه لو صح ذلك أصبح اطلاق اسم الحصير على الخيط والمسمار قبل تركيبهما، وذلك باطل بالبداهة، وأيضا لو كان الإله مركبا من أجزاء لكان كل جزء من أجزائه مقدما عليه فى الوجود بالضرورة، لأن الجزء مقدم على الكل عند جميع العقلاء، ولو كان الجزء مقدما لكانت مرتبته فى الألوهية مقدمة، فكان هو أحق بأن يكون إلها من الكل. فالتركيب فى ذات الإله محال قطعا على أى حال، ولكن التركيب من أجزاء كل جزء منها غير الكل ممكن الوقوع فى الخارج، فى غير ذات الإله، أما التركيب بمعنى الاتحاد الحقيقى وهو أن يجتمع ثلاثة جواهر متميزة لكل واحد منها وجود خاص يمتاز به عن صاحبه بحيث يكون أحدهما أول وثان وثالث، وكل واحد منها يصدق عليه الكل لتماثلهم فى الحقيقة، فذلك مستحيل الوقوع بالنسبة للإله وللمخلوقات، ومن يمكنه أن يتصور أن زيدا أو عمرا قد اتحدا مع بقاء شخصية كل منهما فإنه يمكنه أن يتصور اتحاد الأقانيم الثلاثة مع بقاء شخصية كل واحد منهم .

ومع هذا كله فلنسلم جدلا بأنه يمكن أن يقع فى الوجود اتحاد ثلاثة جواهر متماثلة اتحادا حقيقيا، بحيث يصير أحدهم عين الآخر. ولكنا نسأل المبشرين ماهو غرضهم من اتحاد الأقانيم فى الأزل فى الذات والصفات؟ فإن كانوا يريدون به أنهم متساوون فى الرتبة أيضا فإن ظاهر نصوص الانجيل تنافيه. أما أولا فلأنهم نقلوا عن الكتاب المقدس أن لقب الأقنوم الأول الأب والخالق والثانى ابن الله والفادى والثالث المقدس والمعزى، وذلك ظاهر فى أن الأب له مرتبة أعلى من مرتبة الابن وهو مايعطيه ظاهر قول المسيح أيضا (أبى أعظم منى) والتأويل الذى يذكره المبشرون لهذه الجملة من أنه يريد أنه أعظم منه من حيث ناسوته غير ظاهر لأن المراد بالناسوت هو الجسم البشرى بقطع النظر عما يتعلق به من المعانى الروحية وتفضيل الإله على الجسم ليس من مقاصد العقلاء فضلا عن الأنبياء فضلا عن الآلهة لأنه لا يخفى على أحد أن الإله أفضل من الأجسام فما هى الفائدة من إخبار المسيح بذلك وهل من المناسب أن يقول المرء أن الله أفضل من أجسام عباده فلابد أن يكون الغرض تفضيل أقنوم الأب على أقنوم الابن .

وأما الثانى فلأنهم إذا قالوا إنه لا تفاضل بين أقنوم الأب والابن فلا يكون لتسمية الأقنوم الأول أبا والثانى ابنا معنى لأن مرتبتهما واحدة فلماذا جعل الأول أبا وكذلك لا يكون لتسمية الابن كلمة الأب معنى وأيضا فلا يكون لتسمية صورة عقل الأب معنى وذلك هو أساس شرح عقيدة الثالوث عندهم فذلك دليل على أن مرتبة الأب أعلى من مرتبة الابن وذلك يستدعى أن يكون الأقنوم الثانى أثرا للاقنوم الأول فيكون ممكنا والذى يطلع على كتبهم يرى أنهم يجمعون على أن الأب ينبوع الابن وأن الابن صادر عن تفكير الأب فى ذاته فيكون أثرا له حتما فكيف يكون مركبا منه مع أن البداهة تجزم بأن المركب من الممكن ممكن. وإذا سلمنا أنهم متساوون فى كل شىء أزلا فليس أحدهما أثرا للآخر ولكنا نقول لهم إذا وجد ثلاثة حقائق قائمة بنفسها مجردة عن المادة أزلا كل واحد منهم تقتضى ذاته الوجود فلا معنى لهذا إلا وجود ثلاثة آلهة كاملة لأن الذى ذاته تقتضى الوجود يكون إلها كاملا من جميع الوجوه ومتى وجد آلهة ثلاثة تقتضى الوجود كان من طبيعة كل منهم التفرد بالسلطان المطلق لأن ضعف السلطان نقص وذلك يفضى إلى التنازع حتما فيختل نظام العالم ويتنازع الآلهة **«قل لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا»** ومن السخرية أن يقال إن الآلهة الثلاثة قد اتحدوا وصاروا إلها واحدا بل من السخرية أن يقال إن الثلاثة لهم مشيئة واحدة وقدرة واحدة وسلطان واحد لأن المفروض على زعمهم أن لكل أقنوم خاصة تميزه عن صاحبه وأن كل واحد منهم أزلى إذ من البديهى الذى لا يرتاب فيه أحد أن الإله يجب أن يكون كاملا من جميع الوجوه فيجب أن يكون أقنوم من الأقانيم متصفا بصفات كاملة فينبغى أن تكون مشيئة كل واحد منهما كاملة وقدرته كاملة وسلطانه كامل ومتى ثبت أن هذه الصفات يجب أن تكون كاملة فإنه يستحيل اتحادها كما يستحيل اتحاد الذوات وذلك لأن معنى الاتحاد فناء إحدى الصفات فى

الأخرى بحيث تصير أحدهما عين الأخرى وبديهى أن التى تفنى فى غيرها لا تكون كاملة فإذا فرضنا أن قدرة كل أقنوم منهم كاملة ولكن فنيت اثنتان وهما قدرة الابن وقدرة روح القدس فى قدرة الأب فلا نشك فى أن يكون الفانى ناقصا ويلزم من ذلك أن يكون نفس الأقنوم ناقصا أيضا فإن المتصف بالناقص ناقص حتما ويلزم من ذلك أن يكون مجموع الإله ناقصا لأن المركب من الناقص ناقص وذلك بديهى فقولهم إن لهم مشيئة واحدة وقدرة واحدة إلخ لا معنى له .

لعلك تقول إنهم يريدون من اتحادهم فى الصفات أنهم يعملون بالاتفاق فكل منهم له قدرة كاملة مثلا ولكنهم يوجهونها معا إلى الأثر الذى يريدون ايجاده أو يتفقون على أن قدرة أحدهم تعمل وحدها والجواب أن هذا واضح الفساد . أما الأول فلأن القدرتين إذا تعلقتا معا بايجاد شخص مثلا والمفروض أن احداهما كافية فيه كان ايجاده باحداهما فقط أما الأخرى فتكون ملغاة لا عمل لها ألا ترى إنك إذا وضعت قدرا فيه ماء على نار حامية حتى وصل الماء إلى نهاية درجة الغليان ثم سلطت عليه نارا أخرى مثلها فإنها لاتزيد فى غليانه شيئا لأنه قد وصل إلى نهايته فكذلك القدرة التامة إذا تعلقت بشيء كان أثرا لها وحدها فتكون الثانية ملغاة لاعمل لها فإن قلت إنها أحدثت فيه أثراً مماثلا لأثر القدرة الأخرى بأن أوجدته الأولى ثم أوجدته الثانية كان الخلل أشد ظهورا فإنه لامعنى لإيجاد الموجود وإذا قلت إن القدرتين تعاونتا على إيجاده كان معنى ذلك أن كلا منهما لا يكفى فى إيجاده فتكون القدرتان فى هذه الحالة ناقصتين ويكون المتصف بهما إلهين ناقصين أو أقنومين ناقصين وأما الثانى فلأنه إذا عملت قدرة أحدهما وتعطلت قدرة الثانى كان المعطل ناقصا بالبداهة والمفروض أنه كامل فالنتيجة الطبيعية لذلك إنه يستحيل اتحاد صفات الأقانيم كما يستحيل اتحاد ذواتهم وبذلك يتضح جليا أن القول بوجود ثلاثة أقانيم مجردة عن المادة متميزة عن بعضها متحدة فى الذات والصفات وإن مجموع الثلاثة إله واحد هو قول هراء كما قال الأستاذ الأبوصيرى مخاطبا لهم بقوله: إن قولا أطلقتموه على الله تعالى شأنا لقول هراء .

لعلك تقول إن بطلان عقيدة الثالوث لا تخفى على أحد من خلق الله ولهذا قد نقل المؤرخون إنها لم يوجد لها أثر فى الأمم الماضية من لدن آدم إلى موسى عليه السلام اللهم إلا عند بعض فلاسفة الوثنية. والمسيحيون أنفسهم يشعرون بذلك التناقض ولكنهم يعتذرون عنه بأنه فوق العقل وخارج عن دائرة البحث والتفكير وإذا كان كذلك فلسنا فى حاجة إلى كل هذه الأدلة . والجواب إننا وإن كنا نوافق حقا على أن هذه العقيدة واضحة البطلان وإننا على رأى صاحب الملل والنحل والذى يقول لولا أننا نرى بأعيننا أناسا يقررون هذه العقيدة ويدينون بها، ما صدقنا أن العقول البشرية تقبل عقيدة كهذه . ولكننى أردت أن أتمشى مع المبشرين وخصوصا أنهم لم يقفوا عند حد أن هذه العقيدة غير معقولة حقا ويعتذروا بأنه ليس كل غير معقول يجب رفضه بل حاولوا أن يبرهنوا عليها وأن

يمثلوا بما يقربها من العقول ويجعلها جارية على سنن المنطق. هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنهم قد فهموا خطأ فيما يقوله المسلمون من أن ذات الإله لا يمكن إدراكها فأردت أن أفهمهم أن المسلمين لايقبلون إلا ماكان منطبقا على العقل وذلك أنموذج من أدلة المسلمين على توحيد الإله سبحانه .

امثلة المبشرين على صحة نظرية الثالوث والرد عليها . وإذ قد عرفت الرد على نظرية المبشرين بوجود ثلاثة أقانيم مجردة كل واحد منها متصف بصفات الكمال ثم اتحدوا في الذات والصفات وصاروا إلها واحدا و عرفت أن ذلك مستحيل بداهة فاستمع للرد على ما مثلوا به في إمكان ذلك وعدم استحالته .

زعموا أن الإنسان مخلوق على مثال الله وهو مركب من ثلاثة أشياء متميزة إلا أنه واحد، فزَيْد مثلا مركب من جسم وروح ونفس فإذا أراد أن يتكلم عن جسمه فإنه يصح له أن يقول (أنا) بمعنى أنه هو ومتحد معه وإذا أراد أن يتكلم عن روحه فإنه كذلك يقول أنا بمعنى أنه هو روحه ومتحد معها وإذا أراد أن يتكلم عن نفسه فإنه يقول كذلك ومع ذلك فإن نفسه ممتازة عن جسمه وممتازة عن روحه ويلاحظ أنهم لم يقولوا إنها مميزة بالفعل بل قالوا (يكاد يتميز أحدها عن الآخر) فيصح حينئذ أن يكون كل واحد من الثلاثة هو زيد فالنفس زيد والجسم زيد والروح زيد ومع كون الثلاثة ممتازة فلم يكن فيها إلا شخص واحد وهو زيد فحينئذ يمكن أن يكون الثلاثة واحدا والواحد ثلاثة هكذا يقرر المبشرون ويقرروا مع هذا أنه إذا انفصل كل واحد عن الآخر كانا موجودين فيه نظير الإله المركب من الأقانيم تماما. ولكن هل مثل هذا القول يصدر عن تفكير صحيح وهل يؤمن المبشرون حقا بصحة هذا الكلام فلننظر.

لا ريب في أن الإنسان مركب من أجزاء مادية محسة ومتصف بصفات مشاهدة أيضا وإلى جانب هذا يتعلق به أمور معنوية فأما الأمور المادية فهي الخلايا المركب منها الجسم الإنساني المكونة من العناصر المختلفة كالفسفور والأكسجين والايدروجين والأزوت. والخلية هي عبارة عن كتلة صغيرة ذات شكل معين ويمكن تمثيلها باللبنة (الطوبة) ويتركب كل عضو من أعضاء ثانوية تسمى بالأنسجة وتنقسم إلى أنسجة مختلفة نسيج عظمي ونسيج غضروفي ونسيج عضلي ونسيج طلائي وهو الجلد الذي يغطي هذه الأنسجة كالحائط المبنية من الطوب أولا ثم تغطى بالجص والبياض كما هو مبين في موضعه .

فإذا شئت أن تقتصر قلت إن الجسم الإنساني هو ذلك المحس المشاهد المركب من اللحم والدم والعظم والعروق والأعصاب والأعضاء الباطنة والظاهرة التي يمدها المخ بواسطة النخاع الشوكي ويعمل القلب في توزيع الدم .

هذه هي الأجزاء المادية التي يتركب منها جسم الإنسان وأما غير ذلك من الأمور المعنوية فلم يقل

أحد من العقلاء إنها جزء من أجزاء جسم الإنسان أو إنها هى عين جسم الإنسان وإنما الذى يقال إن هناك أمور معنوية قائمة بالإنسان كالروح المجردة عن المادة عند من يقول بها من المفكرين فإنما يقولون إنها متعلقة بالإنسان تعلقا معنويا كتعلق العاشق بمعشوقه ولم يقل أحد منهم إنها جزء من أجزاء الجسم أو أنها متحدة مع الجسم ثم إنها إذا انفصلت عن الجسم الإنسانى لا يكون موجودا فيها ولا تكون موجودة فيه حتما لأنها مجردة عن المادة وهو مادى فكيف يعقل أن تكون هى عينه ومتحدة به وكيف يتحد مع المادى المجرد. ألا ترى معى أن كبوة المبشرين فى تمثيلهم أشد من كبوتهم فى تقرير قاعدة الثالوث .

على أن هناك أمر آخر خفى على المبشرين فقد ضربوا لنا المثل وهم غافلون لاهون لم يتفطنوا إلى ما عساه أن يسألوا عنه وإلا فماذا يكون حالهم إذا قال لهم قائل ليس فى الوجود إلا أن الإنسان مركب من مادة وغير مادة فأما المادة فهى الجسم وأما غير المادة فهى الروح وماهى النفس الثالثة التى تكاد تتميز عن هذين الأمرين هل هى مادة أخرى أو هى مجردة عن المادة فى شكل آخر أم ماذا هى وبديهى أنهم لا يستطيعون أن يجيبوا عن هذا مطلقا، لأن الإنسان حقا إما هو مادى صرف على رأى من يقول ليس هناك سوى الجسم الإنسانى، وإما هو مادة وروح مجردة على رأى من يقول بذلك من فلاسفة اليونان وبعض فلاسفة المسلمين، وهذا حصر عقلى، أما أن هناك شيئا آخر غير الجسم وغير الروح يسمى بالنفس فلا. لأنه لابد أن يكون داخلا فى هذين الأمرين فالنفس أما أن يكون مدلولها مجردا عن المادة وهى الروح وأما أن يكون مدلولها ماديا وهو جزء من الجسم فإنها تطلق على الدم وتطلق على مجموع الشهوة والغضب فما تخيلوه من أن هناك شيئا آخر غير الجسم وغير الروح خطأ ظاهر يدل على أنهم لا قَدَمَ لهم فى الفلسفة التى يجب على من يكتب فى هذا المقام أن يكون له قدم راسخ فيها لأن الذى يزعم أنه وصل إلى أن الإله أقانيم ثلاثة مجتمعة وزعم أن هذه الأقانيم أرواح وأنها قد اتحدت لا يصح له أن يجهل الإنسان المشاهد .

ولعلك تقول إن المبشرين لم يصرحوا بالروح المجردة عن المادة وإنما يريدون أن يقولوا أن الإنسان مركب من حقيقة طبيعية وهى الحيوانية والناطقية ويطلق على هذه الحقيقة روحا ومركب من جسم هو ظاهر ومركب من شخصية وهى وجوده الخاص ويسميها نفسا فالإنسان مركب من هذه الثلاثة وهى وإن كانت متميزة إلا أنها موجودة فى شخص واحد فهى ثلاثة فى واحد وكل واحد منها متحقق فيه الآخران فالجسم متحقق فيه الحيوانية والناطقية متحقق فيها الجسم والوجود الخاص متحقق فيه كل منهما وبذلك يسلم تمثيله من هذه المشاكل .

والجواب أن المبشرين لا يريدون ذلك لأنهم صرحوا بأن الإنسان على مثال الإله باعتبار عقله وروحه وهم لا يقولون أن روح الإله مادية فالروح عندهم هى مجردة عن المادة كالإله على أن الحيوانية

والناطقية لم يطلق عليهما أحد اسم روح وعلى فرض أنهم يريدون ذلك فإنه لا يكون لهم فيه دليل مطلقا لا حقيقى ولا تقريبى لأن الحيوانية والناطقية أمور اعتبارية والشخصية صفة لأنها عبارة عن الوجود الخاص فليس هناك جواهر متماثلة تكاد تتميز عن بعضها وإنما هو الجسم المكون من الخلايا وما يتعلق من الصفات الخاصة أو المشتركة .

ومع ذلك فلنسلم جدلا أن الإنسان مركب من جسم وروح ونفس وكل واحد من الثلاثة (يكاد يتميز عن صاحبه) ولكن كيف يمكننا أن نحكم بأن هذه الثلاثة شىء واحد من غير أن نلاحظ أن الجسم مركب من هذه الثلاثة وأن التركيب حدثت منه هيئة هى التى نحكم عليها بأنها واحدة بقطع النظر عن الأجزاء وهل يصح أن يحكم الإنسان بأن الجسم شىء واحد مع ملاحظة العروق والأعصاب وغيرها من أجزاء الجسم لا ريب فى أننا إذا نظرنا إلى هذه الأجزاء لايسعنا إلا أن نحكم بتعدد الجسم وذلك بديهى لا نزاع فيه . فإذا قيل إن هذه الأشياء جزئيات لا أجزاء فالنفس والروح والجسم ثلاثة أشخاص متميزة كما هو صريح كلامهم كزيد وعمرو وبكر قلنا إن اتحاد هذه الثلاثة بحيث يصير أحدها عين الآخر محال وهل إذا انفصلت الروح عن الجسم يصح أن يقال أن الجسم باق فيها وأنها عينه إن ذلك واضح البطلان.

هذا نقض ما قرروه فى عقيدة الثالوث وما ضربوه لها من مثال وبقى نقض قولهم إن ذلك وإن كان فى ظاهره متناقض ولكن فى الحقيقة هو ليس بخطأ لأن ذلك فوق العقل وله نظير عند المسلمين. هذا الذى يقولوه جهل واضح بالكتب الكلامية التى ألفها علماء المسلمين ولو أنهم كلفوا أنفسهم مؤونة البحث بل مؤونة سؤال أهل الذكر لعرفوا أن الدين الإسلامى أساسه النظر والبرهان العقلى الصحيح وأن علماء الكلام لم يتركوا شيئا من الشبه التى قد ترد على الأدلة العقلية إلا أوردوها من تلقاء أنفسهم وأجابوا عنها بما لاسبيل إلى نقضه على أى حال.

والقاعدة العامة عند المسلمين هى أن كل شىء يمكن للعقول السليمة أدراكه على وجه صحيح فإنه يجب تطبيق قضايا الدين وأحكامه عليه وأنهم لا يكتفون فى عقائدهم إلا بالأدلة العقلية والنظر الصحيح فإذا قرر كتاب الله الكريم عقيدة من العقائد فى ظاهرها شىء من الشبه ببعض خلقه فإنه يجب عدم الأخذ بظاهرها وتنزيه الله تعالى تنزيها تاما عن مماثلته للحوادث وذلك القدر متفق عليه عند علماء المسلمين .

أما ما لا يمكن للعقول البشرية السليمة جميعها أن تدركه فذلك هو الذى يقول الدين الإسلامى عنه أنه اشتغال بما يضيع الوقت ويضلل العقل بدون جدوى وذلك كالبحث عن حقائق الأشياء وماهيتها سواء كانت مادية أم مجردة لأن الإنسان لا يمكنه إلا أن يعرف أجزاء المركبات بتحليلها إلى أجزائها كتحليل الهواء ومعرفة أجزائه فإذا انتهى إلى جزء لا يمكنه تحليله فإن العقل يقف عنده

ولايعرف حقيقته وذلك القدر تشترك فيه كل عقول البشر السليمة وإذا كان العقل الإنسانى يعجز عن ادراك حقيقة المادى فكذلك يعجز عن ادراك حقيقة المجرد عن المادة فلا يمكنه أن يدرك حقيقة ذات الإله سبحانه وما هيته على ما هى عليه من باب أولى. أما ما وراء ذلك فإنهم مكلفون بإدراكه فعليهم أن ينظروا ويفكروا فى الأدلة التى تثبت وجود خالقهم وعليهم أن يدركوا أن ذلك الخالق واجب الوجود بمعنى أن وجوده من ذاته فلم يحتاج إلى غيره وأنه واحد من جميع الوجوه فليست ذاته مركبة من أجزاء لا مادية ولا مجردة وقد تقدم الدليل القاطع على بطلان تركيب ذاته وكما أنه يستحيل أن تتركب ذاته من أجزاء فكذلك يستحيل أن يكون معه إله آخر لأن الإله واجب الوجود يجب أن يكون تام القدرة والسلطان فلو وجد إلهان لكان ذلك نقصا طبيعيا فيهما سواء اتفقا أم اختلفا لأنهما إن اتفقا فإن قدرة أحدهما وسلطانه ينقصان بقدر ما أثرت فيه القدرة الأخرى وذلك نقص فى الإله وإن اختلفا فقهر أحدهما صاحبه لم يكونا إلهين بل يكونا كرجلين يتناضلان فغلب أحدهما صاحبه وكذلك إن عجزا عن قهر بعضهما فإن العجز نقص فى الإله فيستحيل عقلا أن يوجد إلهان.

وكذلك عليهم أن ينزهوا الله سبحانه عن كل مالا يليق به فيجب عليهم أن يؤمنوا بأنه تعالى ليس كمثله شىء فهو مخالف لخلقه فليس بمادة من المواد وليس له جسم ولا يحل فى غيره من المواد لأن المواد محدودة فإذا حل فيها كحلول الماء فى الكوز أو حلول الماء فى العود الأخضر كان محدودا ولا يتحد مع غيره بأن يصير أحد المثلين عين الآخر لأن المسلمين يؤمنون قبل كل شىء بأن الله الواحد من جميع الوجوه هو خالق الموجودات جميعا وكل من عداه فمستمد منه الوجود فكيف يعقل أن يتحد القديم الأزلى بغيره ممن خلق بأن يصير هو، لا شك فى أن ذلك يترتب عليه أن يكون القديم حادثا وذلك بديهى البطلان .

وكذلك عليهم أن يؤمنوا بأنه تعالى متصف بكل صفات الكمال ومنزه عن كل صفات النقص فهو تام القدرة والإرادة فلا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء، ولا يكرهه أحد على فعل شىء من الأشياء، لأن ذلك نقص ينافى عظمة الإله تعالى وكذلك تام العلم، فلايعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء «ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير» .

وقد ظن المبشرون أن قول المسلمين بتعدد صفات الله تعالى مع كونهم يوحدون الله تعالى حجة على قولهم أن التثليث لا ينافى الوحدة فيقولون إنه حيث أن العقيدتين معلنتان فى كلام الله لايمكن أن يكون بينهما تناقض لأن التوحيد لا ينفى كل نوع من أنواع التعدد مثال ذلك من المعلوم أن متعدد الصفات يقال رحيم حكيم قادر عادل إلخ حتى وصفه المسلمون بأنه مجمع الصفات الحسنة جامع صفات الكمال لكن تعدد الصفات لا يبطل وحدة الذات، ومثل ذلك تعدد الأقانيم لا يبطل وحدة الجوهر الإلهى .

وكان يكفى أن نسوق قولهم هذا للدلالة على سقوط هذه النظرية سقوطا بينا لأن البداهة تقضى بالفرق بين تعدد ذوات حقيقية تتحد على بعضها اتحادا حقيقيا مع بقاء شخصيتها وبين تعدد صفات تتعلق بذات واحدة، ولكننا نؤكد لهم كل التأكيد أن تعدد الجواهر المتميزة عن بعضها بخاصة من الخواص يستلزم عدم اتحادها حتما لما قدمناه من الأدلة فلم يبق لهم مفر عن القول بوجود آلهة ثلاثة إذا كانوا يريدون أن يجروا على سنن العقل والمنطق لأنه هو الذى يمكن أن يقع، ثم جاء بالدليل على بطلانه. أما اتحاد الذوات فلا يمكن وقوعه فى الوجود أصلا فهو باطل من أول الأمر. فمن قال أن هذه العقيدة تنافى التوحيد فإنه قال حقا، يؤيده البرهان بلا خفاء. أما تعدد الصفات فإنه لا ينافى وحدة الذات فإن الإنسان الواحد مثلا يتصف بالكرم والشجاعة والعلم والقدرة ومع ذلك هو لم يتغير لأن هذه الصفات أمور معنوية قائمة به وتابعة له، وقد يكون متصفا بصفات مشاهدة كالبياض والسواد ونحوهما وهى وإن كانت غيره حتما بحيث إذا لاحظها العقل وحدها يمكن الحكم عليها ولكنها تابعة له فى الإشارة الحسية، فإذا أشير إلى الإنسان كانت الإشارة إلى صفاته المحسة تبعا، على أن المسلمين يقولون أن ذات الإله واحدة من جميع الجهات وأن صفاته هى عين ذاته، وإنما وصف الإله سبحانه فى كتابه الكريم بالصفات المتعددة من القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام ليرشد العقول البشرية إلى الآثار المترتبة على تلك الصفات فخلق السموات والأرض وما فيها من عجائب هو أثر لذاته وحدها، وإن كان المعروف لهم أن المقدور أثر للقدرة، وكذلك المعلومات سواء كانت قريبة أو بعيدة، صغيرة أو كبيرة، دقيقة أو جليلة، فهى منكشفة لذاته بدون شىء آخر، ولكن لما كان المعلوم أثرا لصفة العلم، وصف الله نفسه بالعلم، وهكذا. وبالجملة فكل ما تحسبه العقول البشرية السليمة كمالا لله تعالى، فيجب أن يوصف به الله تعالى، باعتبار الآثار المترتبة عليه بقطع النظر عن كون هذه الآثار مترتبة على أمر زائد على الذات أو مترتبة على نفس الذات.

فقول المبشرين أن تعدد الصفات عند المسلمين كتعدد الأقانيم الثلاثة ليس بصحيح على أى حال، لأننا إذا جرينا على رأى من يقول أن ذات الله تعالى واحدة من جميع الوجوه، وهى وحدها كافية فى ترتيب آثار الصفات عليها فالأمر ظاهر، وإذا جرينا على رأى من يقول أن هناك صفات حقيقية زائدة على ذاته تعالى، فإنه لا يلزم من تعدد الصفات تعدد الذات قطعا .

ومن هذا يتضح لك أن المسلمين قد أطلقوا للعقل العنان فى التكلم فى صفات الله سبحانه وتعالى، وأنهم لم يذروا شيئا من الكلام فى ذات الله وصفاته إلا وقد عرضوه على محك النظر، وبحثوا فيه من جميع جهاته، فما أمكن للعقل أن يصل إليه نتيجة مسلمة فهو مايجب اعتقاده، وما عجزت عنه العقول البشرية ولم تجد للخوض فيه مجالا وقفوا عنده، وكلهم مجمعون على تنزيه الإله سبحانه وتعالى عن كل مالا يليق به، فإن تنزيه الإله لا يرتاب فيه العقل ولا يخفى عليه شىء

منه، بل هو ضرورى عند كل عاقل يعبد إلها كاملا إذ لا يليق بالعاقل أن يتخذ إلها معبودا ناقصا فى أى جهة من جهاته لأن المعبود الناقص سواء كان إنسانا أو حجرا أو شمسا أو قمرا أو حيوانا أو غير ذلك ليس أحق بالعبادة من الإنسان الذى يعبده فى الواقع، ونفس الأمر فعار عليه أن يتخذ إلها مثله أو دونه ومن يفعل ذلك فقد برهن على جهة نقص ظاهر فيه وضعف شديد مُسْتَوْلٍ على نفسه .

ولما كان تنزيه الإله هو الأصل الذى ترجع إليه مباحث المسلمين فى ذات الله وصفاته كانت كل أدلتهم على ما ذهبوا إليه ترمى إلى هذه الغاية فإذا وصل الدليل بواحد إلى مافيه شائبة عدم تنزيه الإله عما لا يليق بعظمته وجلاله، أجمع الكل على نبذ مادل الدليل عليه من عدم التنزيه .

ومن الغريب أنهم يقولون إن عقل الإنسان القاصر المحدود ، لا يستطيع إدراك الخالق الأزلى الذى لا يتميز أو إدراك ذاته العالية التى لا تحدها بداءة ولا نهاية، وأنه لا جدال فى أن الإنسان يستطيع أن يعرف بعض الأمور عن الله من غير طريق الوحى، وذلك من معاينة أحوال الخلق ومشاهدة أحوال ذاته، فهم يعرفون أن الله موجود ، وأنه متعال عن جميع خليقة يديه مما على الأرض أو فى السماء، وأن حكمته تعالى غير مدركة وأن المرء لايستطيع أن يعرف الله بدون وحى كما يعرف الصديق صديقه، والولد أمه، ولكن قد يعلم أن الله حكيم وأن رحمته فوق كل أعماله.

وهذا الكلام الذى يقولونه صحيح فى ذاته لأن عقل الإنسان لايستطيع أن يدرك حقيقة ذات الله التى لا يمكن للعقول البشرية أن تدركها ، ولكن يستطيع أن يدرك أن الله موجود أزلى، منزه عن التركيب من أجزاء مادية، أو مجردة، ومنزه عن الاتحاد بغيره بحيث يصير أحدهما عين الآخر، ومنزه عن الحلول فى غيره، كل ذلك داخل فى دائرة المعقول الذى لا يعجز العاقل عن إدراكه، فواجب عليه أن يؤمن به حقا ، وأن يصدقه تصديقا جازما لاشك فيه ولا ريب، وإلا كان عابدا لإله ناقص، فهو مستو مع من يعبد الوثن، ومن يعبد البشرية والبقر. فلو كان هؤلاء المبشرين ممن يتبعون سنن المنطق فى أقوالهم لكانت مقدمتهم هذه أحسن زاجر لهم عن القول بالأقانيم واتحادهم، فإن العقول البشرية السليمة تذعن بأن ذلك نقص فى ذات الإله، لأنه يستلزم التركيب فى ذاته تعالى، كما يستلزم تعدد الآلهة قطعا ، مهما يتستروا بستار وحدة اللاهوت بعد اتحادهم، فإن ذلك الستار شفاف لا يحجب العقل عن الإيمان بأن الشخصيات المتعددة المتميزة عن بعضها بخاصة الوجود ، لا يمكن أن تكون واحدة مهما اختلط بعضها ببعض .

ادلة المبشرين على اثبات عقيدة الثالوث ونقضها :

نصوص الإنجيل والتوراة . الإنجيل هو الدليل الأول الذى عليه المعول عندهم فهم يقولون أن الدليل على صحة التثليث هو الكتاب المقدس وكفى به دليلا لأنه صادر من الله وهو يعرف نفسه أكثر مما نعرفه وغاية مانقصده من سرد الأمثلة أن ندفع الشبه التى يتعرض بها على هذا الموضوع

ونبرهن على أنها صادرة عن سوء فهم. وأن ليس من الصواب رفض كتاب الله لاشتماله على مسائل تفوق عقولنا ونستبد بآرائنا الخصوصية.

ويقولون إن كل مطلع جيد بالكتاب المقدس يعلم أن عقيدة الثالوث مأخوذة منه بدلالة آيات كثيرة فى غاية الصراحة وهى التى منها صاغ المسيحيون نصها (مع اختلاف قليل فى اللفظ) ولكنهم لم يذكروا لنا من هذه الآيات شيئا حتى نعرف مقدار ذلك الاختلاف . فهل حقيقة ورد فى الإنجيل (سواء كان محرفا أو صحيحا) نص يدل على عقيدة الثالوث على الوجه الذى بيناه لك وأقره المبشرون؟ الواقع أنك ستعرف قريبا أن الأناجيل لاشىء فيها ومع ذلك فقد ذكروا نصين: الأول نقلوه من التوراة وهو (اسمع يا اسرائيل الرب إلهنا رب واحد) وهذه العبارة مذكورة فى الإصحاح السادس من سفر التثنية آية ٤ وبعد هذه الجملة ما نصه: فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن نفسك ومن كل قوتك ولتكن هذه الكلمات التى أنا أوصيك بها اليوم على قلبك) .

أما النص الثانى فقد نقلوه من إنجيل «متى» وهو عمدوهم باسم الأب والابن وروح القدس وهو فى الإصحاح الثامن والعشرين وبعد هذه الجملة التى نقلوها من إنجيل متى ما نصه وعلموهم جميع ما أوصيتكم به .

هذان النصان هما اللذان استدل المبشرون بهما على الوحدة والثالوث. فالتوراة نصت على أن الله واحد والإنجيل نص على أنه أب وابن وروح قدس فتكون ثلاثة وهذا تناقض لابد من دفعه لذلك يجب القول بأن الثلاثة فى الأزل اتحدوا اتحادا حقيقيا وصاروا واحدا فلا تناقض وهل من الضرورى العمل بآية التوراة مادام الإنجيل يخالفها ؟ فلماذا لم يأخذ بآية الإنجيل ويقطع النظر عن آية التوراة كما قطع النظر عن كل ما فيها من أحكام ؟ .

والجواب أن العمل بها عندهم ضرورى لأن الإنجيل أخذ بها بنصها ولهذا قال المبشرون إن المسيح قد أخذ بهذه الآية كما فى إنجيل «مرقص» ونصه: (فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسنا سأله أية وصية هى أول كل شىء فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا اسمع يا اسرائيل الرب إلهنا رب واحد) ... إلخ .

ولا ريب فى أن كل قارئ منصف للتوراة والإنجيل فى هذا الموضوع لا يسعه إلا أن يدهش من الذين يأخذون منهما عقيدة الثالوث فإن التوراة قد نصت صريحا على الوحدة المطلقة وكذلك إنجيل «مرقص» فإنه عمل بآية التوراة من جميع الوجوه وجعلها أول الوصايا فلم يبق إلا ما ورد فى إنجيل متي وهو عمدوهم باسم الأب والابن وروح القدس على أنه قال بعد هذه الكلمة وعلموهم جميع ماأوصيكم به ومن أول وصاياه التوحيد .

أليس من الواجب فى مثل هذه الحالة أن نفهم هذه الآية فهما يتناسب مع التوحيد الذى صرح به

فى التـوراة والإنجـيل تصـريحـا قـاطعـا ؟ نعم الواجب هو ذلك عند كل عـاقل مـفكر يعـرف عظمـة الألوهية ويقدر تنزيه خالقه حق قدره.

ولكن من الأسف الشديد أن جمهور المسيحيين سواء كانوا كاثوليك أو بروتستانت أو غيرهم يعتقدون أن ذات الإله مركبه من الأقانيم الثلاثة على الوجه الذى بيناه .

معنى الجملة الواردة فى إنجيل متى • على أن الجملة الواردة فى إنجيل متى لا تفيد مطلقا معنى الثالوث ولا تفيد أن الابن حقيقة مماثلة لحقيقة الله ولا روح القدس كذلك ، بل المعنى المتبادر منها أنه يقول لهم عـمـدوهم باسم الله وباسم رسوله وباسم روح القدس الذى يحمل الوحى إلى الرسـول وهذا المعنى حسن لا مانع منه وليس فى العبارة ما ينافيه بل هو المتبادر لأن الذى يجعل التوحيد المطلق من أول وصاياه لا يصح أن يقول للناس إن الإله ثلاثة أقانيم متميزة متحدة لأن ذلك تناقض ظاهر لا يصلحه ذلك التأويل الفاسد الذى لا يقره عقل ولا نقل .

أما التـعبيـر عن الرسول بالابن فإنه مألوف فى التوراة والإنجيل وهو كناية عن القرب من الله تعالى فالرسول ابن الله بمعنى أنه مقرب منه ومحبب لديه ومن ذلك اطلاق خليل الرحمن على سيدنا ابراهيم، على أن التوراة والإنجيل قد توسعت فى هذا فأطلقت ابن الله على غير المسيح أيضا فى غيـر موضع فـفى الإصحـاح الخامس من إنجيـل «مـتى» (طوبى لصـانع السـلام لأنهم أبناء الله يدعون) وفى الإصحاح الثامن من إنجيل «يوحنا» ما نصه: (أنتم تعملون أعـمال أبيكم فقولوا إننا لم نولد من زنا لنا أب واحد هو الله) وغير ذلك من العبارات الدالة على أن اطلاق ابن الله على الناس أمر شائع فى أناجيلهم وقد اطلق ابن الله فى التوراة أيضا على الناس فقد ورد فى الإصحاح الثالث والستين من كتـاب أشعـيا مـا نصه: (فـإنك أنت أبونا وإن لم يعـرفنا ابرهيم وإن لم يدرينا اسرائيل أنت يارب أبونا ولينا منذ الأبد اسـمك ، الآية ١٦) فـالابن بمعنى الحبيب أو المقرب شائع مستعمل فى التوراة والإنجيل فى الآيات التى ذكرناها لك وفى غيرها وقد حكى الله عنهم ذلك فى القرآن الكريم فى قوله: **«وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه»** وبديهى أنهم لا يريدون من إطلاق البنوة على غير المسيح ذلك الذى يريدونه من بنوة المسيح بل لابد أن تكون أبوة الله المذكورة فى مثل هذه الآيات لا معنى لها سوى رحمته بهؤلاء الناس ورأفته بهم فلماذا اختصوا المسيح بتلك البنوة التى هدموا بها التوحيد من أساسه وهم لا يشعرون؟ ما هو السبب الذى جعلهم يتشبثون بتلك العقيدة المعقدة التى لا أساس لها فى دين من الأديان ولا فى كتاب من الكتب المنزلة؟ .

وقد أجاب المبشرون عن ذلك السؤال بشبه أوهن من بيت العنكبوت وظنوا أنها أدلة قاطعة فقالوا إن المسيحيين فهموا عقيدة الثالوث (وهى أن لذات الله القدوسة ثلاثة أقانيم فى جوهر واحد

الأب والابن والروح القدس) من مؤلفات المسيحيين الأولين الذين بقيت كتابتهم إلى عصرنا الحاضر مما يدل على أنهم فهموا الكتاب من هذه الحيثية كما فهمها المبشرون.

ويدل هذا القول دلالة واضحة على أن عقيدة الثالوث لم تصرح بها أناجيلهم وإنما هم مقلدون أسلافهم فى فهمها. وإن شئت قلت إنهم مقلدون القانون الاثناسيوسى وكفى بذلك التصريح دليلا على ضعف هذه العقيدة وعدم ارتكازها على دليل صحيح فإن العقائد لاتثبت إلا بالبراهين القاطعة التى تذعن لها العقول ويجب أن يكون طالب العقيدة حرا فى تفكيره لا يقيد بآراء الغير حتى يطمئن إلى صدق ما يعتقده ويذعن له اذعانا صحيحا أما أنه يقلد غيره فى فهم عقيدة من العقائد التى ينبنى عليها أساس الدين فذاك لا يقال له مؤمن حقا، نعم يصح له أن يقلد ما يثبت عنده أنه من عند الله بدون بحث إذا كان صريحا فى المطلوب ولم يكن فيه نقص فى ذات الله تعالى وإلا وجب تأويله كما ذكر لك آنفا.

فالمسألة ليست مسألة كتاب مقدس وإنما مسألة جماعة يقررون مايشاءون . من أجل ذلك خرج على عقيدة الثالوث هذه كثير من مفكريهم فقالوا إن لفظة الثالوث لا توجد فى الكتاب المقدس وأنه لايمكن أن يؤتى بآية من العهد القديم تصرح بتعاليم الثالوث ولكن قد اقتبس المؤلفون المسيحيون القدماء آيات كثيرة تشير إلى وجود صورة جماعية فى اللاهوت ولكن لم تكن هذه الآيات كبرهان قاطع على الثالوث لأنها قابلة لتفاسير مختلفة ولكن يؤتى بها كرموز إلى الوحى الواضح الذى يعتقدون أنه مذكور فى العهد الجديد .

وفى قولهم هذا نصا صريحا على أنه لم يوجد لفظة ثالوث فى الكتاب المقدس عندهم ولا يمكن أن يؤتى بآية من العهد القديم تصرح بتعاليم الثالوث وأن الآيات التى اقتبسها المؤلفون المسيحيون لاتصلح دليلا . على أنهم أرادوا ستر قولهم هذا فقالوا انهم يأتون بها كرموز إلى الوحى الواضح الصريح ـ وليت شعرى اذا كان الوحى واضحا وصريحا فكيف لا يكون فيه دليل على المطلب .

على أنهم يقولون إن الجدال هذا ابتدأ فى اللاهوت فى العصر الرسولى وقد نشأ على الأكثر عن تعليم الفلاسفة الهيلاتيين وأول من استعمل الثالوث ترتليانوس .

وواضح من هذا أنه لم تكن تلك العقيدة موجودة فى عهد المسيح ولا أثر لها فى الوحى الإلهى مطلقا وغريب أن يسلموا بأن المسيح لم يقل لهم إنه إله وابن إله ولم يبين لهم هذه العقيدة ثم يجيبوا عن هذا بأن تعاليم المسيح لم ينشرها كلها حال حياته بل أخبر تلاميذه بأنه سيكملها لهم بعد وفاته. لأن هذا إن صح فى الأمور الفرعية فإنه لا يصح أن يكون فى أول الوصايا فإن معنى كون التوحيد من أول الوصايا أن ما جاءهم به المسيح هو معنى توحيد الإله، وإذا كان كذلك فمن الواجب المحتم أن يبين لهم حقيقة التوحيد وأظن ذلك ظاهر لا ريب فيه .

ومن أجل ذلك فإن كثيرا من المسيحيين خرجوا على هذه العقيدة فالأبيونيون كانوا يعتقدون أن المسيح انسان محض والسابليون كانوا يعتقدون أن الأب والابن والروح القدس إنما هى صور مختلفة أعلن الله بها نفسه للناس والأريوسيون كانوا يعتقدون أن الإبن ليس أزليا كالأب بل هو مخلوق منه قبل العالم ولذلك هو دون الأب خاضع له والمكدونيون أنكروا كون الروح القدس أقنوما على أنهم يقولون إن هذه الآراء اعتبرتها الكنيسة إلحادية .

وأما تعاليم الكنيسة فقد قرره المجمع النيقاوى سنة ٣٢٥ للميلاد ومجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ وقد حكما بأن الابن والروح القدس مساويا للأب فى وحدة اللاهوت وأن الابن قد ولد من الأزل من الأب وأن الروح القدس منبثق من الأب وجاء مجمع طليطلة المنعقد سنة ٥٨٩ حكم بأن الروح القدس منبثق من الابن أيضا على خلاف فى ذلك .

ومن ذلك يتضح أن المسألة ليست مسألة كتاب مقدس أنزله الله على رسوله وإنما هى مسألة جماعة يقررون ما يشاءون ويحكمون بما يريدون. وهل مسائل الوحى الذى من عند الله تعالى تفصل فى أمرها المجتمعات كما تفصل فى الأمور السياسية إن ذلك لمن أوضح الأدلة على أن هذه العقيدة الفاسدة هى من وضع البشر بلا نزاع على أننى لاحظت فى بيان عقيدة الثالوث الذى ذكرته لك فيما مضى رأى مجتمعاتهم وما عليه العمل فى كنائسهم ومن أجل ذلك قدمت لك الشرح كاملا لتعرف الأدلة عليه كاملة وها أنت ذا قد عرفت أن الدليل الأول وهو الذى عليه المعول فاسد من أساسه لا حجة لهم فيه ولا فائدة لهم لأن الكتاب المقدس عندهم لا يستطيعون أن يأتوا منه بدليل أو شبه دليل على ما يزعمون ولقد صدق الأستاذ الأبوصيرى حيث قال :

خبرونا أهل الكتابين من أيـ ـــن أتاكم تثليثكم والبداء

ما أتى بالعقيدتين كتاب واعتقاد لا نص فيه ادعاء

والدعاوى إن لم تقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء

هل كون باسم ذكرت بصيغة المفرد فى عبارة عمدوهم باسم الأب.. إلخ. دليل على التوحيد؟

يقول المبشرون أن جملة إنجيل متى: وهى عمدوهم باسم الأب.. إلخ تدل على حقيقة التوحيد كما تدل على تثلث الأقانيم لأنه قال باسم بصيغة المفرد لا الجمع مع أنه ذكر الأقانيم الثلاثة كلا على حدته ومن هذه العبارة نفهم أنه لايمكن أن يكون الإبن والروح القدس مخلوقين بدليل أنهما مقرونين باسم الأب كشىء واحد بخلاف عدم ملاءمة الاسم نفسه لما يكون مخلوقا فإن كلمة ابن الله والروح القدس لا يصلح أن يسمى بهما الشىء المخلوق. فهم يريدون أن يقولوا إن هذه العبارة تدل على الثالوث ولوجوه من وجهين.

الوجه الأول : أنه قال باسم الأب والإبن وروح القدس فقد قرن الثلاثة ببعضهم وسلط الاسم على الأب فقط وهذا يدل على التماثل التام والتساوى فى الجوهر والقدم وكل شىء فالابن وروح القدس كالأب فى القدم وكل شىء فالابن وروح القدس كالأب فى القدم ولا يصح أن يكونا مخلوقين ولو كان الابن وروح القدس مخلوقين لقال بأسماء الأب والابن وروح القدس لأن تعدد الأسماء يفيد تغاير المسميات .

الوجه الثانى : أن اسم ابن الله وروح القدس لايصح اطلاقهما على المخلوقات أولا يلاثمان المخلوقات فلا يصح أن يقال زيدا بن الله ولا روح القدس وإنما يقال ذلك للقديم فقط فهل يستطيع مفكر أن ينقض هذا البيان العجيب الذى جاء به المبشرون لابد أن يكون الجواب سلبا لأن نقض المنقوض بطبيعته محال .

ونحن نقول لهم إن اللغة التى يتكلمون بها الآن لا تدل على شىء مما يقولون مطلقا لأن العطف بالواو يقتضى أن المعطوف مشارك للمعطوف عليه فى الحكم فقط لفظا ومعنى فإذا قلت جاء محمد وعلى وموسى كان معنى ذلك أن عليا وموسى اشتركا مع محمد فى المجىء حقيقة فكل منهما جاء ومعلوم أن العطف يقتضى المغايرة أيضا فلابد أن يكون على غير موسى. فلنطبق هذه القاعدة على ماهنا لنعلم أن الابن وروح القدس يشتركان مع الأب فى طلب التعميد باسمهما وأن روح القدس والابن غير الأب ولا فرق فى الاشتراك بين أن يذكر الاسم مفردا أو جمعا مضافا إلى أحدهم فقط أو إلى كل واحد منهم ولا دلالة فى العطف على الاشتراك فى الماهية أو اتحاد المعطوف عليه وصيرورتهما شيئا واحدا من ذا الذى يفهم من قول استعين باسم الله والملك والأمير بأن الملك والأمير متحدان مع الله فى ذاته ومساويان له فى جوهره وأن الثلاثة شىء واحد. أظن أن الذى يفهم ذلك من هذه العبارة يدل على أنه لا يتكلم إلا مع نفسه وإنه لايخاطب أحدا من العقلاء وربما أساء به الظن بعض سامعيه فأخذ به إلى طبيب يعالج له قواه العقلية على أننا إذا قطعنا النظر عن كل ماتقتضيه اللغة وقلنا إن اقتران المعطوفات يقتضى التماثل التام فإنه لا يمكننا أن نقول أن العطف لا يقتضى المغايرة فلابد أن يكون المعطوف غير المعطوف عليه فإذا قلنا جاء زيد وعمرو وبكر فلابد أن يكون كل واحد منهم مغايرا لصاحبه مهما قلنا بتماثلهم وإذا كان كذلك فمن أين تأتى الدلالة على اتحاد الأب والابن وروح القدس ببعضهم .

وأما الوجه الثانى فقد عرفت الرد عليه آنفا وهو أن التوراة والإنجيل قد سميا المخلوق ابن الله وذلك المخلوق غير رسول فالرسول أولى بهذه التسمية وإذا ثبت أن الابن يطلق على المخلوق بدون حرج فإطلاق روح القدس على المخلوق أقل حرجا منه بلا ريب لأن مرتبة الابن لا خلاف فيها عندهم بخلاف روح القدس فإن فيها اختلافا كبيرا لأن المجمع النيقاوى قرر أنه منبثق من الأب فقط

ومجمع طليطله قرر أنه منبثق من الأب والابن معا ومع ذلك اختلفت الكنائس فبعضهم يقول يجب العمل بما قرره المجمع النيقاوى وبعضهم يوجب العمل أيضا بما قرره مجمع طليطله كما ذكره البستانى فى دائرة المعارف وذلك الخلاف وحده يوجب الشك فيه على الأقل فتكون مرتبته أضعف من مرتبة الابن على أنهم قرروا أن الإنسان مماثل لله من جهة عقله وروحه ومن يقرر هذا لا يستنكف أن يطلق روح القدس على الإنسان. وبذلك تعلم أنه لادليل من الإنجيل على الثالوث مطلقا وإنما هو أوضاع الفلسفة الإلحادية التى تحاول أن تدخل على العقول أنه لا تناقض بين الوحدة والتعدد كما أنها تحاول أن تزخرف للعقول نظرية اتحاد المجرد بالمادى لترجع بكثير من ضعاف التفكير إلى العقائد الوثنية من حيث لا يشعرون .

وإذا قارنا ما يقوله المسيحيون من اتحاد المسيح بدم مريم بما قاله الهنود الوثنيون فى كرشنا وبوظا فقد نجدهما متطابقتان فالهنود يقولون إن كرشنه هو المخلص والفادى والمعزى وابن الله والأقنوم الثانى من الثالوث المقدس (الأب والابن وروح القدس) وولد من العذراء ديفاكى التى اختارها الله والدة لابنه بسبب طهارتها وعفتها إلخ وبمقارنة الذى يقوله الوثنيون وبين النص الذى ذكر فى الإنجيل نجد أنهما متطابقان حرفا بحرف ومثل ذلك بوظا فإنهم قالوا إنه تجسد بواسطة روح القدس على العذراء مايا وأنه ابن الله إلخ .

الرد على أن الله ذكر فى القرآن بصفة الجماعة . وأرجو القارىء الكريم ألا يسخر منى فى نقل قولهم هذا فإنى مضطر لأن أشرح للناس كل أدلتهم حتى لا تقوم لهم حجة بأننى تركت شيئا .

يقول المبشرون: ومما لا يصح إغفاله أن القرآن يتفق مع الكتاب المقدس فى إسناد الفعل وضمير المتكلم فى صيغة الجمع إلى الله أن أمثلة ذلك أقل بكثير فى التوراة عما هى فى القرآن ومما ورد فى التوراة هذه المواضع (تك ١:٢٦ و ٣:٢٢ و ١١:٧) وفى القرآن ما ورد فى سورة العلق وهى عند المسلمين أول ما نزل من الوحى على محمد فقد ورد فى عدد ٨ لفظ الرب اسما للجلالة وعدد ١٣ لفظ الله وكلا من اللفظين فى صيغة المفرد ولكن فى عدد ١٨ ورد ضمير الجلالة بصيغة الجمع حيث يقول : «سندع الزبانية» .

ويقولون : حيث أن الكتاب المقدس والقرآن يتفقان على هذا الأسلوب من التعبير عن ذات الجلالة بضمير الجمع، وأنهم أوردوا ذلك اشعارا بأنهم لم يخطئوا إذا اعتبرنا عقيدة التثليث موافقة لإسناد ضمير الجلالة بصيغة الجمع إلى الله فى القرآن.

وهم بقولهم هذا جاهلين جهلا تاما بأبسط قواعد اللغة العربية وتحملهم الجرأة والتعصب لعقيدتهم إلى الحكم على بلاغة القرآن وفصاحته فيتحقق صدق ما وصفناه بهم فى المقدمة .

أما الذى يريدونه من قولهم هذا فهو أن التوراة والإنجيل والقرآن العظيم تارة يعبر فيها عن

ذات الله تعالى بالاسم المفرد كلفظ الله ولفظ رب وتارة يعبر عنها بضمير الجماعة ولكن التعبير بلفظ الجماعة فى التوراة أقل من التعبير به فى القرآن وهم يشيرون إلى ماورد بنون العظمة فى التوراة بالمواضع التى رمز لها بهذه الرموز ولنبينها بنصها وكلها فى سفر التكوين ففى الإصحاح الأول عدد ٢٦ ما نصه: (قال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا) فقد أعاد ضمير الجماعة «وهونا» على الله وفى الاصحاح الثالث عدد ٢٢ وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر (يريد آدم) فقد قال منا وهو ضمير الجماعة وفى الإصحاح الحادى عشر عدد ٧ (هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم) فقال ننزل ونبلبل بنون الجماعة أما فى القرآن فالأمر ظاهر وقد استدلوا بسورة اقرأ فإن الله سبحانه عبر عن نفسه فيها بالمفرد تارة فقد قال «إقرأ باسم ربك» وعبر بنون الجماعة «فليدع ناديه سندع الزبانية» .

وحيث أن القرآن والتوراة والإنجيل اتفقت فى التعبير عن ذات الإله مرة باللفظ المفرد ومرة بنون الجماعة فليس لذلك معنى عند المبشرين إلا بأنه يدل على أن الإله ثلاثة فى واحد . أى نعم ياله من دليل تضرب من أجله أكباد الإبل وإن شئت قل يا للعار فإنه لا يصلح لمن يريد أن يثبت عقيدة دينية بالبراهين القطعية التى تذعن لها عقول الناس وتطمئن لها قلوبهم بمثل ذلك الخيال الذى لاحقيقة له إلا فى مخيلة صاحبه. ومع ذلك فلنسر معهم حيث يريدون ونؤكد لهم أن ضمير المتكلم، منه ماهو موضوع للمفرد الذى لا يريد أن يعظم نفسه كقمت وقعدت ونحو ذلك، ومنه ماهو موضوع للمفرد المعظم نفسه كنحن وقمنا وقعدنا إذا كان المتكلم واحدا ومثل هذا يستعمل فى المتكلم الذى معه غيره فاللغة العربية قد وضعت ضمير المتكلم للمعظم نفسه. ومن ذا الذى أحق باستعمال ضمير العظمة من الخالق سبحانه وتعالى فإذا قال الله تعالى خلقنا السموات أو سندع الزبانية فإن ذلك نون العظمة من غير نزاع وهو معنى لغوى لا يحتاج أحد فى فهمه إلى كبير عناء ومع ذلك فلنفرض أن ذلك الضمير للجماعة بخصوصها فإنما يدل على جماعة متعددة متباينة كما إذا قال شخص قمنا أو قعدنا وكان معه غيره فإنه لا يفهم منه لغة إلا أن المتكلم معه زيد وعمرو وهما غيره فمن أين يأتى هذا الاتحاد وذلك التركيب المخزى فإذا قال الإله نحن وكان معه مثله كانوا ثلاثة آلهة غير متحدين وإذا قال أنا كان المتكلم واحدا منهم .

وهل الأوضاع اللغوية يمكن أن يؤخذ منها أن الثلاثة صاروا واحدا فتارة يعود الضمير عليها باعتبار كونها ثلاثة وتارة يعود عليها باعتبار كونها واحدا كلا وعجيب أن هذا البرهان أخذ به كثير من المفسرين وأعجب من هذا أن يقول المبشرون أن تعليل المسلمين بالتعظيم سخيف لا يشفى غليل الباحث فليعذرنى إذا قلت لهم أن أسخف قول سمعته ذلك القول الذى يستدل به صاحبه على أن معنى نون العظمة هو الثالوث وما كنت أتصور أن مخلوقا ينحط به التفكير إلى هذا الحد.

الرد على قولهم إن الله ودود ويلزم أن يكون له مودود . يقول المبشرون إن من أسماء الله الحسنى عند المسلمين كونه ودودا أى محبا وهذا يوافق ما جاء فى التوراة والإنجيل وبما أنه غير متغير فهو ودود من الأزل ويلزم من ذلك أن يكون له مودود . أى محبوب من الأزل قبل خلق العالم فمن عساه أن يكون ذلك المحبوب الموجود من الأزل عند الله ففى عقيدة التثليث الجواب الصريح والوحيد لهذا السؤال وهو أن أقنوم الأب هو الودود وأقنوم الابن المودود وما أحسن ما قال يسوع فى هذا المعنى خطابا لأبيه أحببتنى قبل إنشاء العالم وعليه لا يمكن الاعتقاد بوجود صفة المحبة فى الله من الأزل مالم نعتقد بتعدد الأقانيم مع وحدة الجوهر وإلا كان الله متغيرا ابتداء أن (يحب) من الوقت الذى خلق له محبوبا من الملائكة أو البشر وهذا باطل لأنه قال (أنا الرب لا أتغير) .

وهذا ايضاح يصح أن يكون موضع دهشة الناظرين لأنه إذا صح قولهم هذا فلا يصح وصف الأقانيم بالألوهية إلا إذا كان العالم كله موجودا معهم لأن معنى الإله الغالب ويجب على نظريتهم أن يكون غالبا بالفعل بالقوة لأن الغلبة بالقوة نقص فى الإله ولا يصح على رأيهم أن يكون غالبا بالقوة تارة وغالبا بالفعل تارة أخرى لأن ذلك يوجب تغيير ذاته والإله لا يتغير فيلزم أن يكون المبشرون موجودين مع الإله أزلا أليس كذلك ؟ .

والواقع أن هذه النظرية لفلاسفة اليونان الذين يقولون أن العالم قديم بمواده وعقوله ولكنهم يسمون ذلك بالقدم الزمانى ويفرقون بين القدم الزمانى والقدم الذاتى بأن القديم لذاته هو الذى لا يحتاج لغيره فى شىء ما ويخصون بذلك الله وحده فهو الذى تقتضى ذاته الوجود ولا يحتاج لغيره على أى حال وأما القدم الزمانى فهو أن يكون الشىء صادرا عن القديم لذاته بطريق التعليل بمعنى أن الله علة فى وجوده والعلة تؤثر فى معلولها ولكن لا تنفك عنه طرفة عين فلم يفصل بينهما زمان وهذا هو معنى القدم الزمانى مثال ذلك أنهم يقولون أن أول ما صدر عن الإله جوهر مجرد عن المادة يسمونه بالفعل الأول وهو لا ينفك فى الوجود عن الإله طرفة عين ولكن الإله هو الذى أثر فيه الوجود فهو ممكن فى ذاته قديم لكون الإله علة فيه ولكنهم يستدلون على نظريتهم هذه بكلام يصح أن يكون محل نظر بخلاف مبشرينا الذين يجازفون فى القول بدون حساب وحاصل ما يستدلون به هو أن الإله معناه الغالب، والغالب لابد له من مغلوب ولا يصح أن يكون غالبا فى المستقبل فقط لأن ذلك نقص فى الإله فيجب أن لا ينفك عنه المغلوب طرفة عين وقد مثلوا لوجود الغالب والمغلوب معا فى الخارج بحركة الإصبع الذى فيه خاتم فإنه إذا تحركت الإصبع يتحرك الخاتم تبعا له والحركتان موجودتان فى الخارج معا ولكن حركة الأصبع هى المؤثرة وهى المتقدم عقلا لا زمانا .

ويظهر أن المبشرين اطلعوا على هذه النظرية ولم يفهموها فقالوا أن الودود يقتضى مودودا فى الأزل وإلا لزم التغير فى ذات الله تعالى وذلك خطأ واضح لأن الله تعالى متصف بصفات أزلية

باد. ق ومع ذلك تتعلق بالممكنات التى تستوجب أزمنة مختلفة ولم يخطر على بال أحد من العقلاء أن تغيير فى تعلق الصفة يوجب التغير فى الصفة أو فى الذات وإلا لو كان هذا صحيحا لاستحال أن يوجد الله تعالى شيئا من الممكنات فى المستقبل. على أن الذى ذكره الفلاسفة إنما يريدون به تنزيه الله وقد قرروا أن كل ما عداه يستمد الوجود منه فالكل ممكن وهو وحده الواجب ولكنهم قالوا بقدم بعض الممكنات بالزمان ليكون الله غالبا بالفعل لكن قد فاتهم أن ذلك يوجب كون الله علة فى الممكنات والمعلول يصدر عن العلة بغير اختيارها ورغم ارادتها وذلك نقص فى الإله . ومن ذلك يتضح لك أنهم لم يفقهوا ما قاله هؤلاء الفلاسفة وأرادوا أن ينسجوا على منواله فوقعوا فى الخطأ الصريح. على أننا إذا سلمنا لهم أن الودود يقتضى مودودا بالفعل فإن ذلك لا ينفعهم شيئا لأنه لا يلزم من ذلك أن يكون المودود مساويا للودود فى القدم الذاتى بل كل ما يلزم هو أن يكون الودود والمودود مقترنين فى الوجود الخارجى بمعنى أن يكون الودود علة مؤثرة والمودود أثرا فهو قديم بالزمان كما يقول الفلاسفة فمن أين يأتى أن أقنوم الابن مساويا لأقنوم الأب فى القدم الذاتى ؟ .

وبالجملة فقولهم أن صفة الود أو المحبة فى الله فى الأزل لا توجد إلا إذا قلنا بتعدد الأقانيم مع وحدة الجوهر وإلا كان الله متغيرا قول هراء لأن الله يتصف بالصفات الأزلية باعترافهم فى كتبهم وهى تتعلق بالممكنات فى أزمنة متعددة ولا يلزم من تغير التعلق تغير الصفة أو الذات وعلى فرض أن الصفة تقتضى شيئا تتعلق به فى الأزل فإن ذلك الشىء يكون ممكنا فى ذاته أما كونه أقنوما مساويا لله فذلك من أسخف ما سمعته ورأيته ومن الغريب أن ما نقلوه من إنجيل يوحنا وهى أن المسيح قال لأبيه (أحببتنى قبل إنشاء العالم تقتضى إلها ومألوها وتستلزم ربا ومربوبا وأن المسيح رسول) وإنى أذكر لك نصها وهو (وليعلم العالم أنك أرسلتنى وأحببتهم كما أحببتنى أيها الأب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنى يكونون معى حيث أكون أنا لينظروا مجدى الذى أعطيتنى لأنك أحببتنى قبل إنشاء العالم أيها الأب البار إن العالم لم يعرفك أما أنا فعرفتك وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتنى) فأى عاقل عنده مثقال ذرة من التفكير يفهم من هذا الكلام أن المسيح يمثل أقنوم الابن المتحد مع الله تعالى وأن ذلك الأقنوم مساو لأقنوم الله فى الجوهر وأى عاقل لا يفهم من هذا الكلام أكثر من أن المسيح رسول كما هو صريح عبارته فإنه يخاطب الله تعالى ربه بكلمة الأب التى معناها الرحمة والرأفة ولكن ما العمل وقد طغت عقيدة الثالوث على كل منطق وعلى كل بيان وعلى كل تفكير فأصبح معتنقها يتلمس المحال ليدلل به على صحتها .

قولهم إن الله تعالى صمدا ومتكلما وغنيا وودودا والرد عليه . يقولون إن الله تعالى لايصح أن يكون واحدا محضا من جميع الوجوه لأنه وصف نفسه بكونه صمدا وكونه متكلما وكونه غنيا وودودا كما تقدم وهذه الصفات اضافات لا تتحقق إلا بوجود شىء تتعلق به فالكافى لا يوجد إلا إذا

كان معه من يكفيه والمتكلم لا يتحقق إلا إذا وجد من يتكلم معه والودود لا يتحقق إلا إذا وجد المودود والصمد هو الذى يقصده الغير فى حاجته فإذا لم يوجد الغير لا يتحقق معنى الصمد وهكذا فدل ذلك على أن الله تعالى متعدد فى الأزل. وهم يقولون إن فائدة الإيمان بالتثليث ليست أقل من الإيمان بالتوحيد لجملة أسباب منها حل المعضلات الكثيرة التى يعترض بها على الوحدانية المحضة مثل كيف يكون الله هو الكافى والصمد والمتكلم والغنى والودود من قبل أن يكون كائن سواه لأن هذه الصفات وما شاكلها لا يمكن التعليل عنها إلا بتعدد الأقانيم الإلهية مع توحيد الذات كما مر بيانه فى كلامنا عن وصف الله بالودود.

ليعذرنى القراء إذا قلت إن المبشرين لا يفرقون بين ما هو دليل لهم وبين ماهو دليل عليهم لأننى إذا سلمت لهم أن هذه الصفات تستدعى وجود ما تتعلق به أزلا فإن ذلك المتعلق لا يعقل إلا إذا كان ممكنا وإن الله مؤثر فيه الإيجاد حتما لأن الصمد معناه الذى يقصده المحتاج فإذا سلمنا لهم وجود أقنوم الابن فإنما نسلم بأن ذلك الأقنوم محتاج إلى الأب حتما فيكون ممكنا وإذا سلمنا بأن الكافى يستدعى وجود من يكفيه شئونه وذلك هو الأقنوم الثانى كان محتاجا إليه أيضا فكيف يستدل بهذه الصفات على وجود أقانيم متساوية أزلا ؟ على أنك قد عرفت أن الله تعالى متصف بهذه الصفات أزلا ثم تتعلق بالموجودات فى المستقبل حسبما يشاء الله ولا يترتب على هذا تغير فى صفات الله تعالى ولا فى ذاته . ألا ترى أنه يعلم أن فلانا سيولد فى يوم كذا فتتعلق قدرته بإيجاده فى ذلك اليوم ثم يموت فى يوم كذا فتتعلق قدرته بإعدامه فى ذلك اليوم وقدرة الله هى لم تتغير وإنما الذى تغير هو تعلقها حسب علمه تعالى القديم .

الرد على قولهم بأن المسيح ذكر فى القرآن على أنه كلمة الله .يقولون أن عقيدة الثالوث تمهد السبيل لتصديق دعوى المسيح أنه كلمة الله المثبوتة فى الإنجيل والقرآن لأن الكلمة أو القول هو ما يعبر به المتكلم عن فكره والمتكلم هنا الله وحيث أنه دعا المسيح كلمته فيكون هو المعبر الوحيد الكامل عن فكر الله فهو الواسطة الوحيدة لإعلان الله وإذا كان الواسطة الوحيدة لإعلان الله فيجب أن يعرفه حق المعرفة ولا يمكن للمخلوق أن يعرف ربه حق المعرفة ألا ترى أن سيدنا محمد رسول الله قال فى حديث له (ما عرفناك حق معرفتك). أما المسيح فإنه قال: (أما أنا فأعرفه) ، (الأب يعرفنى وأنا أعرف الأب) وإذا ثبت أن المسيح كلمته التى يعبر بها عن فكره وأنه يعرفه ثبت أنه غير مخلوق إذ لا يعرف الله إلا الله فعقيدة الثالوث تزيل كل صعوبة فى قبول دعوى المسيح بأنه كلمة الله ويمتاز هذا الدليل بأنه مقصور على إثبات أقنوم الابن أما أقنوم روح القدس فهو من باب زيادة نغمة فى الطنبور أو من باب زيادة الطين بلة ويقولون فى الأمثال العامية (إن زيادة الخير خير) فحيث أن معنى كلمة الله جوهر مساو لله فى الأزل من جميع الوجوه وتعدد الجوهر فيه فوائد

فما المانع من زيادة جوهر ثالث مثل الإله من جميع الوجوه إن ذلك ليس بغريب بل الغريب أن يقتصر على ثلاثة فقط . ألا يضحك العقلاء من مثل ذلك الكلام وهل يظن عاقل (أن معنى كلمة الله) أقنوم مساو لله تعالى فى جوهره من جميع الوجوه ولا يمتاز عنه إلا بوجوده الخاص وأن ذلك الأقنوم قد اتحد معه أزلا. هل ذلك معنى للكلمة لغة أو عقلا أو يؤخذ منها من أى وجه أو أى ناحية قريبة أو بعيدة .

إن العقلاء مجمعون على أن الكلمة أو الكلام صفة من الصفات ولم يفهم أحد مطلقا أنها ذات فيكون معنى كون المسيح كلمة الله أنه أثر لكلمة الله تعالى كما هو الشأن فى كل الممكنات بلا فرق ما وتلك الكلمة هى أمره تعالى المشار إليه بقوله تعالى: «**إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون**»[1] فهو يقول سبحانه فى القرآن لهؤلاء المخلوقات الذين افتتنوا بالمسيح لأنه ولد من غير أب أن ذلك هين علينا لأننا إذا قلنا لشىء كن فإنه يكون فالمسيح أثر لنا كغيره من سائر المخلوقات ولا شك فى أن الذى يوجد السموات والأرض وما بينهما وما فيهما لا يعجزه أن يوجد إبنا بدون أب وكم لله من مخلوقات لا عداد لها كلها عجائب قد لا تخطر لأحد على بال إلا عند رؤيتها فلا يصح بالعقلاء أن يفتتنوا بالمسيح الذى جاءهم برسالة من عند الله وأمرهم بتوحيد الله إلى هذا الحد الشائن ولقد صدق من قال :

وإذا أراد الله فتنة معشـ ـــر وأضلهم رأوا القبيح جميلا

ومن المدهش حقا أن يقولوا أن ذات الإله لا يمكن أن يعرفها مخلوق حق معرفتها فلابد من وجود جوهر آخر لا يكون مخلوقا ليعرفها على ذلك الوجه لأن كل من عنده أدنى تميز يمكنه أن يقول له وأى ضرورة لمعرفة حقيقة ذات الإله حتى يترتب عليها ذلك التعدد المنافى للألوهية وإذا كان لابد من معرفة حقيقة الذات وأنه لا يعرفها إلا القديم المساوى لله فيصح الاكتفاء بالله فى ذلك فليعرف ذاته وحده إذ لا حاجة للمخلوقات فى معرفة حقيقة الذات بل هم محتاجون إلى معرفة الآثار المترتبة عليها. أما قولهم أن محمدا قال ما عرفناك حق معرفتك فهو كذب على رسول الله وسيأتى الكلام عليه فى القسم الثالث .

الرد على قولهم بأن عقيدة القضاء والقدر اضرت بالمسلمين واخرتهم . زعموا أن الشرقيين والهنود يعتقدون بالقضاء والقدر وهذه العقيدة قد أخرتهم وأضرت بهم فلو أنهم اعتقدوا أن الإله يحبهم وأنه مات بالجسد من أجلهم فلم يضمر لهم سوءاً لما بقى عندهم محل للشك فى حسن مراد الله من جهتهم .

ولابد أن يكون المبشرين قد بنوا نظريتهم هذه على أن صلب جسد المسيح (وهو الذى حل فيه اقنوم الابن) لا يتحقق إلا باعتقاد الثالوث حتى يصح أن يقال أن الإله قد صلب فداء للعالم وإلا

---

(١) سورة النحل : الآية ٤٠ .

فلا وجه لارتباط عقيدة القضاء والقدر بعقيدة الثالوث مطلقا لأن من يعتقد أن الله هو الفعال لا يبنى عقيدته هذه على أن ذات الإله بسيطة أو مركبة من أجزاء نعم قد بناها بعضهم على أن الله واحد فى أفعاله لا بمعنى أن أفعاله متعددة بل بمعنى أن ليس لأحد معه فعل .

ويمكننا أن نصرح ها هنا بأن المسلمين مجمعون على أن للإنسان عملا يثاب عليه ويعاقب ويمدح به ويذم وأن كل واحد منهم من ذكر وأنثى مكلف بعمل الصالحات وترك السيئات ومطالب بأداء واجبات دنيوية يعاقب على تركها أشد العقاب كالعمل لتحصيل قوت عياله والنفقة على زوجه وتحصيل ما يكون به عضوا عاملا فى هذه الحياة ومكلف بأن يتقن كل مايستطيع من عمل يرقى به فى هذه الحياة الدنيا وأن يزاحم غيره فى الحياة، ويفرض الدين على الأمة الإسلامية أن تكون من أقوى أمم العالم حتى أن الواحد منهم يجب عليه أن يثبت أمام اثنين من أعدائه وقد كانوا كذلك أيام كانوا متمسكين بدينهم حقا فقد أخضعوا لسلطانهم الفرس والرومان وقت أن كانوا أقوى دول العالم على أنهم مكلفون بأن يستمسكوا بالوسائل المشروعة التى لا يترتب عليها ظلم لأحد فى ماله أو نفسه أو عرضه. هذه هى قواعد الإسلام، على أن عقيدة القضاء والقدر عندهم من وسائل الإقدام على العمل لأن من يؤمن بأن الله الذى كلفه بالعمل هو الذى يرجع إليه نجاح المطلوب فإنه يقدم عليه وقلبه مؤمن بالله تعالى الذى يسخر له من الوسائل ما ينجحه فإذا فشل بعد ذلك لا يجد فى نفسه غضاضة من ذلك الفشل ولا تتأثر نفسه بالحزن والأسى لأنه من أول أمره يعتقد أن الله هو المرجع الحقيقى لكل الأمور وقد كان المسلمون فى صدر الإسلام من أشد الناس إقداما على أعمال البر فكانوا لا يبالون بالموت فى سبيل الانتصار لعقائدهم ولا يحجمون عن اقتحام المخاطر خوفا من الفشل ، فمن أجل ذلك كتب الله لهم النصر على أعدائهم الأقوياء وأصبحوا سادة الدنيا من أولها إلى آخرها وكان رائدهم فى أمورهم قوله تعالى: «**قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون**»[1] .

فهل كانت عقيدة القضاء والقدر حجر عثرة فى سبيل رقى المسلمين كما فهم المبشرون كلا وإنما عاجلت القراء بهذه الكلمة ليفهموا بأن المسلمين لا يرتبون على عقيدة القضاء والقدر إلا الإقدام على العمل وهم مع ذلك موقنون بأن الأعمال الصالحة لها عند الله أحسن الجزاء والأعمال السيئة لها أسوأ الجزاء وسيأتى للكلام بقية فى القسم الثالث .

وبعد فهل حقيقة يصح أن يكون لهم هذا دليلا ولو فى الجملة ؟ كلا إنه على فرض أن الكلام فى صلب الإله تعالى الله عما يقول المبطلون علوا كبيرا وأن صلبه دليل على محبته لعباده فهل يكون

---

(١) سورة التوبة : الآية ٥١ .

معنى ذلك أنهم يعملون ويجدون أو بالعكس لاشك فى أن المنطق يقتضى أن تكون النظرية معكوسة لأن الذى يعتقد أن الإله صلب من أجل أن يكفر خطيئته وأن الإله القادر يحبه إلى هذا الحد فإنه لايعمل الصالحات بعد ذلك. وإن كان الإله قد صلب وضحى بنفسه ليخلص عباده من الموبقات فأى ضرر على الإنسان بعد ذلك وأى خوف عليه من ارتكاب الموبقات. ثم إن القادر الذى يقتل نفسه رحمة بى أفلا يكون من المعقول أن أتوكل عليه فى أن يرسل لى كل ما أشتهيه بعد ذلك وأنا نائم فى منزلى إن ذلك لا يخفى على من له أدنى إلمام بالمنطق فما بال المبشرين عكسوا الحقائق إلى هذا الحد وما بالهم يخبطون خبط عشواء فلا يفرقون بين ما هو لهم وما هو عليهم.

ومن ذلك كله يتضح لك جليا أن أول العقائد المسيحية وأكبر وصية تقرها التوراة والإنجيل وهى وحدانية الله تعالى قد رفضها جمهور المسيحيين وأحلوا محلها عقيدة لم يسبقهم إليها أحد من الأمم ولم تعرفها شريعة من الشرائع ولم تؤخذ من كتاب من الكتب وهى أن الله ثلاثة أقانيم متماثلة من جميع الوجوه ولكن لكل واحد منها خاصة تميزه عن الأخرين وهؤلاء الثلاثة قد اتحدوا ببعضهم فصاروا إلها واحدا غير متعدد لأن كل واحد منهم صار عين الآخر وهذا الذى قالوه قد عبر عنه القرآن الكريم بعبارات مختلفة تنطبق عليه تمام الإنطباق فمرة قال: **«لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم»** ومرة قال: **«لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة»** .

وإذا كنت على ذكر مما بيناه لك فى معنى الثالوث عندهم فإنك تعلم أنهم يقولون إن المسيح بن مريم هو الله لأنه هو أقنوم الابن قد تجسد وكل أقنوم من الأقانيم مساو للآخر فى الماهية الإلهية فكل واحد منهم إله تام فالمسيح بن مريم من حيث كونه أقنوما إله تام ولا ينافى ذلك كونه بشرا من حيث تجسده .

وكذلك الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة فإنهم هم الذين قالوا إن الله هو المسيح إذ لا فرق بين الفريقين .

وهذه العقيدة فاسدة فسادا واضحا لا دليل مطلقا لا عقلا ولا نقلا أما العقل فهم أنفسهم يقولون إن هذه العقيدة فوق العقل وأما النقل فلم يستطيعوا أن يأتوا عليها ببرهان من الإنجيل المحرف فضلا عن الإنجيل الصحيح .

وبعد هذا فليقارن أولوا الألباب بين ما يعتقده المسيحيون فى توحيد الإله سبحانه وبين ما يعتقده المسلمون الذين يقولون إن الله سبحانه منزه عن التركيب فى ذاته وصفاته ومنزه عن أن يكون له شريك يماثله ومنزه عن كل نقيصة ، وكل ما عداه محتاج إليه فى وجوده وبقائه . فهم يشهدون أن لا إله إلا الله الذى لم يلد ولم يولد ولم يتصف بصفات الحوادث ويشهدون أن محمداً عبده ورسوله ميزه الله بالرسالة إلى عباده فضلا منه وكرما وهو بالنسبة لمقام الألوهية عبد خاضع

مبلغ عن ربه «قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد»[1] «قل إنما أتبع مايوحى إلى من ربى»[2] إلى غير ذلك من الآيات التى تدل على توحيد الله وتفرده بالعظمة التامة وأن كل ماعداه محتاج إليه لا فرق بين عيسى وغيره من سائر المخلوقات .

فهل يصح بعد ذلك لعاقل يمكن أن يميز الحق من الباطل ويعرف الصحيح من الفاسد أن يترك دينا يدعو إلى إله واحد منزه عن كل نقص ومتصف بكل كمال وأنه ليس كمثله شيء من خلقه و... دينا يقول للناس إن إلهكم مركب من ثلاثة أقانيم معدودة مميزة عن بعضها وإن كل أقنوم إله تام فى ذاته مادام متحدا مع الآخرين ثم إذا انفصل لا يكون إلها لأن اتحاد تلك الأقانيم أزلى وأن أحد الأقانيم اتحد بدم مريم فصار جسدا وهو المسيح فأصبح المسيح إلها وبشرا من جهتين مختلفتين (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا) ومن يضلل الله فما له من هاد .

ملخص ما يقوله المبشرون عن صلب إلههم . إن هذا العنوان وحده كاف فى الدلالة على قبح هذه العقيدة الفاسدة عند ذوى العقول السليمة إذ لا يستطيع عاقل أن يذعن إذعانا صحيحا ويؤمن إيمانا جازما بأن الإله المجرد عن المادة صار جسدا ثم أسلم نفسه صاغرا إلى اليهود فصلبوه . أى عاقل يرضى أن يعبد إلها هذا شأنه ولكن هكذا قرر على إخواننا المسيحيين أن أقنوم الابن الحقيقة الثانية من مجموعة الأقانيم الثلاثة (الأب والابن وروح القدس) اتحد بدم مريم فصار وهو عيسى عليه السلام وقد عرفت مما تقدم أن كل أقنوم من الأقانيم إله كامل تام القدرة فأقنوم الابن إله كامل تام القدرة فأمكنه بقدرته أن يحتل رحم مريم ويتحد بدمها فيصير جسدا فهو على هذا إله كامل وهو الله من حيث كونه أقنوما روحيا وبشر من حيث كونه جسدا فهو من هذه الحقيقة كسائر الأجسام البشرية يجوز عليه ما يجوز عليها لأن الصورة الجسدية قد حكمت ...

فالإله عندهم يشبه الجن عند من يقول أنهم فى حال تشكلهم بالأشكال ... تحكم صورتهم فإذا رمى أحدهم بحجر فإنه يشج رأسه وإذا قبض على أحدهم أصبح أسيرا فى يد من قبض عليه وهكذا .

فأف لإله يتشكل وتحكم عليه صورته .

وعجيب أن يكون ذلك الإعتقاد أساسا للديانة المسيحية فمن لم يؤمن به لا يكون متدينا بالمسيحية وأعجب من هذا أنهم يقولون أنه بعدما صلب دخل جهنم وعذب فيها ثلاثة أيام ويعللون ذلك العذاب الأليم الذى منى به هذا الإله المسكين بتعليل غريب ومدهش وهو أن آدم أبا البشر قد أخطأ فكان النوع الإنسانى جميعه مقرا للخطايا .

وهذه الخطيئة لا تمحوها توبة ولا يغفرها عفو ولا يمكن أن تزول إلا بسلسلة من الجرائم لا حد لها :

---

(١) سورة الكهف : الآية ١١٠ .　　(٢) سورة الأعراف : الآية ٢٠٣ .

أحدها : أن يصبح الإله جسدا ويرضى لنفسه أن يكون ذليلا مهانا كسائر البشر .

ثانيها : أن ينتحر ذلك الإله ويقتل نفسه وياليته قتل نفسه بيده لأن ذلك يكون فيه شيء من الكرامة فى الجملة ولكن أسلم نفسه صاغرا مهانا لليهود وهم أشد أعدائه فصلبوه وعذبوه ولم يمكنوه من أن يشرب جرعة ماء على الوجه الذى بيناه فى حادثة الصلب .

ثالثها : أن يدخل نار جهنم ويعذب نفسه فيها عذابا أليما .

رابعها : أن يكون ملعونا بذلك الصلب. كل ذلك فعله الإله ليمحو خطيئة آدم وذريته .

وهذا ملخص ما يقولون :

يتلخص ما يقوله المبشرون فى هذا الموضوع إنه لما عرف الرسل أنه ابن الله وأنه المسيح المنتظر أخذ يعلمهم درسا آخر عظيم الأهمية ألا وهو أنه ينبغى أن يصلب ويقوم من بين الأموات لخلاص الجبلة البشرية كما فى أناجيل متى ومرقص ولوقا . وكلما دنت ساعة آلامه زادهم إيضاحًا بانبائهم عن موته والكيفية التى يموت بها كما فى إنجيل لوقا وقال لهم مرة بأنه سيتحمل تلك الآلام ليس مرغما بل بإرادته حبا لبنى البشر حتى يمنحهم حياة أبدية كما فى إنجيل يوحنا إذا قبلوا هبة الله . أى أن المسيح من أجل محبته الفائقة لبنى آدم ورغبة فى خلاصهم من خطاياهم سمح لليهود أن يقبضوا عليه ويسخروا به (ويلكموه) ويسلموه ليد الحاكم الرومانى بيلاطس وإلى اليهودية للجلد.

وأن المسيح كان قد تنبأ عن نفسه أنه يقوم من الموت فى اليوم الثالث كما فى إنجيل متى وغيره. ثم قام وظهر لتلاميذه بعد قيامته مرارا كثيرة مدة أربعين يوما وعلمهم أن ذلك هو حسب إرادة الله ثم فوض إليهم أن يتلمذوا جميع الأمم وبعد هذا صعد إلى السماء بمرأى منهم كما فى إنجيل لوقا وإذ من المحال أن يخلص المسيح العالم من الخطيئة ومن بغضهم لله لو كان مجرد مخلوق من مخلوقات الله ولو كان رئيس الملائكة لأن الخلاص يتوقف على الثقة الكاملة وقد استحق هو هذه الثقة بما أعلنه عن حقيقة شخصه وما شهدت له به أسفار العهد القديم والجديد فليس الاعتقاد بلاهوت المسيح إذا فسادا لحق النصرانية. بل هو جوهر الدين الحق لأنه لو فرضنا أن المسيح لِسُمُوِّهِ كان مخلوقا لا يمكن أن يتخذ صلاحه وآلامه من أجلنا دليلا على محبة الله لنا بعكس ذلك تخالجنا الشكوك فى محبة الله العظيم ونعمته لأنه أسلم أفضل مخلوقاته للآلام. ويمكننى أن أقول وأنا واثق من أن كل من عنده أدنى تفكير يوافقنى أن هذه العقيدة لا يمكن أن يأتى بها كتاب منزل من عند الله حقا وأن يبلغها رسول عن الخالق العظيم، لأن الرسل ما جاءوا إلا ليحاربوا الوثنية ويرشدوا الناس إلى عبادة الله منزه عن صفات النقص ومتصف بصفات الكمال، ويقيموا لهم البراهين القاطعة على صدق ما يدعونه من ذلك فلابد أن يكون قولهم فى الإله واضحا جليا ينطبق على العقل . وذلك هو الوارد فعلا فى بعض الآيات التى لم تحرف فى كتابهم مثال ذلك ما جاء فى

التوراة: (لايكن لك آلهة أخرى أمامى. لا تصنع لك تمثالا منحوتا، ولا صورة ما مما فى السماء من فوق، وما فى الأرض من تحت، وما فى الماء من تحت الأرض. ولا تسجد لهن ولا تعبدهن) [1] . وقد أقر المبشرون أنفسهم هذه العقيدة من حيث لا يدرون. فيقولون إنهم ينكرون بملء أفواههم أن الله اتخذ ولدا بالمعنى الذى أنكره القرآن أى أنه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ومن النصارى من يتجاسر وينسب إليه تعالى التناسل الحيوانى كما زعم الوثنيون والجاهلية من العرب الذين جعلوا لله البنات ويقولون إنه أنكر لاكتنتوس هذه البنوة قبل الهجرة بثلثمائة سنة حيث قال: إن سمع أحد هذه العبارة (ابن الله) فلا يخطرن على باله هذا التصور المتناهى فى الفظاعة أى أن الله أنتج ولدا بزواجه بأنثى فإن فعلا كهذا لا ينطبق إلا على ذوى الأجساد الحيوانية ولكن الله روح غير محدود وهو واحد فيمن يتحد.

ويمثلون النصارى الذين أكرموا مريم إلى حد العبارة بل أكرموا كثيرا من القديسين وقدموا لهم العبادة التى لا تجوز إلا لله وحده. كما أن كثيرا من جهلة المسلمين يفعلون ذلك مع الأولياء وهذا ليس بحجة على الدين فلا تحسبن أن القرآن حرم عبادة العذراء، والكتاب المقدس يجيزها حاشا وكلا.

فأنت ترى من ذلك كله أنهم يحاولون أن يتنصلوا من الوثنية وأن يبينوا أن المسيحيين إنما يعبدون إلها واحدا كاملا ومن الأسف الشديد أن ذلك لا يتفق والقول بتجسد الإله وصلبه لأنه ليس وثنية فحسب بل هو وثنية معقدة يستحيل أن تتحقق فى الخارج بحال فإن هذه العقيدة يترتب عليها عدة مجالات عقلية .

أولا : إنه يستحيل اتحاد المجرد بالمادى بالمعنى الذى يريدون سواء أرادوا من الاتحاد معنى التركيب أو أرادوا منه صيرورة شيء عين الآخر كما تقدم . ويدركون أيضا خطورة موقفهم من هذه الناحية .

اتحاد الطبيعة الإلهية بالطبيعة البشرية بأنه مثل إمكانية أن تتحد فى الإنسان الروح بالجسد والباقى بالفانى فما يريده الله كلى القدرة الخالق العظيم الضابط الكلى يكون. ويضيفون أن الإنجيل يعلمهم أن العلاقة بين ناسوت المسيح ولاهوته علاقة الاتحاد فقط بحيث لم تتحول الطبيعة الواحدة إلى الأخرى ولا امتزجت أو اختلطت بها وأن هذه العلاقة تفوق عقولهم المحدودة ولا يعرفونها إلا من وحى الله فى كلامه المقدس ... إلخ .

ولكن هل هذا الذى ذكروه يصلح أن يكون جوابا ولو من بعض الوجوه كلا لم يجيبوا بشيء ما بل هم فى الواقع قد اعترفوا باستحالة الاتحاد المطلوب للنصارى. لأنه إذا كانت حقيقة كل منهما باقية على حالها ولم يحصل مزج ولا خلط فليس هناك اتحاد قطعا وحينئذ لا يكون لديهم شيء يمكن أن يبينوا به الاتحاد إلا أن يقولوا أن الاتحاد معناه التعلق المعنوى كما مثلوا بتعلق الروح

(١) سفر الخروج : الإصحاح العشرون : الآية ٣ وما بعدها .

بالبدن وعلى هذا يكون معنى اتحاد الإله بجسم عيسى تعلق قدرته بإيجاده كسائر المخلوقات بلا فرق ما إذ لا يعقل أن يكون تعلقه به كتعلق الأرواح الممكنة بالأجساد . إذ لو كان كذلك لكان ممكنا مع أن المبشرين نقلوا فى صفات الله أنه واجب الوجود كما ستعرفه وبذلك ينهار كل ما بنوه على ذلك الاتحاد من أن عيسى هو الله من حيث لاهوته وأن الإله قد صلبه اليهود لأنه مادامت حقيقة الإله القادر المجرد عن المادة باقية على حالها لم تتغير وحقيقة الجسم المادى القابل للأغراض البشرية باقية على حالها ومن البديهى المسلم به أن ذات الواجب المجردة عن المواد لا تتأثر بشىء مما تتأثر به الأجسام البشرية من عوارض اللذة والألم وإلا كانت ممكنة كسائر الممكنات ومجرد تعلق الواجب بإيجاد الممكنات لا يترتب عليه أى تغير فى الذات كما تقدم فكيف يمكن للمبشرين بعد هذا كله أن يحكموا بأن الإله تجسد وأنه صلب، لا شك فى أن ذلك الحكم مفارق للمقدمات المذكورة تمام المفارقة ومن أجل ذلك شعر المبشرون بحرج مركزهم فقالوا إن اتحاد الإله بجسم عيسى فوق العقل ولكنهم لم يشاءوا أن يقرروا ذلك من أول الأمر بل حاولوا أن يجروا على سنن المنطق والبيان فوقعوا فى ذلك التناقض المبين وإلا فما بالهم حكموا بأن حقيقة كل منهما باقية على حالها وحكموا بعدم الخلط والمزج ومن أين أتى لهم ذلك إذا كانت المسألة كلها فوق العقل ثم إذا كانت أصول الديانة المسيحية كلها فوق العقل وأنها معقدة هذا التعقيد الذى لا ينفذ فيه العقل من أى ناحية من النواحى فكيف يمكنهم أن يحاربوا بها الوثنية البسيطة فإن الوثنى الذى يعتقد أن الحجر إلهه لأنه ينفعه ويضره عند الله الخالق لا يسهل عليه أن يترك دينه إذا قيل له إن إلهك قد اتحد بدم مريم فتجسد وصار عيسى بن مريم ثم سلم نفسه لليهود ليذيقوه ألوان العذاب والمهانة ثم دخل جهنم بعد ذلك ليعذب نفسه عذابا أليما بل هو على العكس من ذلك يفضل دينه لأن دينا لا يمكن لمعتنقه أن يدرك أصوله المتعلقة بالإله لأنها فوق العقل من جهة وكلها سخرية واستهزاء بالإله من جهة أخرى، ليس فيه مايحمل الوثنى على ترك دينه السهل البسيط الذى ليس فيه ذلك التعقيد وأيضا إذا كان الإله قد ابتلى بمثل هذه البلوى فهل يصح فى العقول البشرية أن يرتجى لدفع ملمة أو يقصد لنفع أو ضر. اللهم كلا لأن العقول البشرية مرتكز فيها بطبيعتها أن إلهها فوق الجميع وأنه يجب أن يكون منزها عن كل مالا يليق فهو كامل من جميع الوجوه وليس أذل من إله تجسد فصلب فلعن فدخل جهنم .

ثانيا : إنهم يقولون إن هذا العذاب الأليم حقيقى لا صورى وبالجملة فقد تألم المسيح إلى الحد الذى فى وسعه أن يحتمله فى ناسوته المتحد باللاهوت فلم يتأثر فى جسده فقط بل فى ذهنه وروحه لأن حزنه على خطايا الناس كسر قلبه المحب كما فى إنجيل يوحنا وقالوا إن الذى مات على الصليب بناسوته كان إلهًا تامًا كما كان إنسانًا تامًا .

فأنت ترى من هذا التصريح أن لاهوت عيسى هو أقنوم الابن . وأقنوم الابن وإن كان جزءً من الإله إلا أنه عين الإله وهو الذى يعبرون عنه بروح عيسى وقد صرحوا بأن اللاهوت تجوز عليه الأعراض لأنه يتألم ويحزن بل يموت فعلا فالآلام لم تقف عند جسم عيسى الممكن بل تعدته إلى لاهوته ومن يقل ذلك فكيف يمكنك أن تسلك معه سبيل البرهان لتفهمه أن واجب الوجود لا يصح أن يكون محلا للأغراض البشرية من اللذة والألم وإلا كان بشرا مثلهم فلا يصح أن يكون مصدرا لإيجادهم، إلا أن إقناع مثل هؤلاء متعذر حقا لأن سلطان العقيدة جعلهم يستسلمون لكل ما تزينه لهم مهما كان فساده واضحا .

ثالثا : يقول المبشرون إن وحدة الأقانيم الثلاثة أزلية غير قابلة للإنفصال . فلو فرض وانفصل واحد منهم لا يكون ذلك المنفصل إلها وعلى هذا لا معنى لتخصيص أقنوم الابن بالتجسد والصلب لأن ذلك إنما يكون معقولا إذا أمكن انفصاله أما إذا كان متصلا بالأقنوميين الآخرين فإن الاتحاد يكون حاصلا من الأقانيم الثلاثة لأنه يلزم من اتحاد أقنوم الابن المتصل بأقنوم الأب وروح القدس اتحاد الأب وروح القدس حتما وقد عرفت أنهم يقولون إن الإله بعد الاتحاد يتأثر بما تتأثر به الأجسام البشرية وذلك يوجب بالبداهة أن الإله المتحد بجسم عيسى بأقانيمه الثلاثة قد مات فى حالة صلبه أى تعطلت روحه عن العمل كما يأتى فى الصفات وقد صرح المبشرون به فى قولهم أن الذى مات على الصليب كان إلها تاما ومتى مات الإله فمن شاء بعده فليمت . أنا لا أدرى ماذا أقول بعد هذا الكلام .

وكيف يمكننى أن أسجل البرهان ؟ أشخاصا يقولون إن الإله قد مات موتا حقيقيا زمنا ما وبقى العالم بلا مدبر مدة موته إن ذلك لهو البلاء المبين. اللهم إنا نؤمن بأنك منزه عن كل صفات الحوادث فأنت الحى الذى لا يموت أبدا الذى لا تأخذه سنة ولا نوم ولا يغفل عن تدبير خلقه طرفة عين ولا أقل من ذلك كما قال تعالى فى كتابه الكريم: **«الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له مافى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم»**[1] هذه بعض صفات الإله الخالق الذى يعبده المسلمون فليقارن بينها أولوا الألباب وبين هذا الذى يقوله المبشرون فى إلههم الذى نكل به اليهود أشد التنكيل ثم أماتوه على الصليب وكفى . ومن العجائب أنهم بعد ذلك يعبرون بما يفيد أن المصلوب غير الإله فيقولون إن كون ذبيحة المسيح قد حازت القبول عند الله فيدل عليه قيامته من الأموات وصعوده السموات ليظهر أمامه لأجلهم نيابة عنهم. وقالوا إن محبته

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٥٥ .

الفائقة قد ظهرت ببذله ابنه الوحيد بهاء مجده ورسم جوهره وأمثال ذلك كثير أكتفى منه بذلك كى أبين للقارىء مقدار غفلة هؤلاء الناس عما يقولون فإن الذى يقرر أن الذى مات على الصليب كان إلها تاما يجب عليه أن يعبر بغير هذه العبارات إذ لا معنى أن يقال إن الذى ذبح نفسه قد قبل ذبيحة نفسه وكذلك لا معنى لقولهم إنه قد بذل ابنه الوحيد بل هو قد بذل نفسه ولكن ما الحيلة وقد ضل النصارى فى المسيح وأقسموا ألا يهتدون إلى الرشاد سبيلا كما قال الأبوصيرى .

وأعجب من هذا وذاك ما ذكرته أناجيلهم فى قصة صلبه، فإن كل من يطلع عليها لا يرتاب فى أنه عبد مسكين ضعيف جزع من هول ما سيلاقيه من الموت جزعا شديدا. فمن ذلك ما ورد فى الإنجيل: (ثم أخذ معه بطرس وابنى زبدى وابتدأ يحزن ويكتئب. فقال لهم نفسى حزينة جدا حتى الموت . امكثوا هنا واسهروا معى. ثم تقدم قليلاً وخر على وجهه وكان يصلى قائلا يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس. ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت) [1] . وورد: (ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا، ايلى ايلى لما شبقتنى) [2] أى إلهى إلهى لماذا تركتنى. كما تقدم وليت شعرى إذا كان قد سلم نفسه باختياره كما يقول لوقا فما باله يصلى لربه ويطلب منه أن يرفع عنه هذه البلوى .

فهل مع ذلك كله يكون هو الإله. وهل ألغى الناس عقولهم إلى هذا الحد فلم يدركوا للكلام معنى. إن الذى يقرأ هذه العبارة لايرتاب أدنى ريب فى أن ذلك المصلوب المسكين يعلم أن هناك قوة أخرى فوقه وهى قوة الإله فهو يلتجىء إليها. وقد يكون من الظرف ههنا أن يتأمل الإنسان فى إعتقاد المسلمين فى هذه الحالة فإنهم مع كونهم يقررون أن عيسى عبد الله ورسوله فحسب وأنه لا يمتاز عن البشر بأى ميزة فإنهم يقولون إن الله لم يمكّن منه أعداءه بل ألقى شبهه على ذلك الفاجر الذى أراد أن يسلمه فصلب هو دون المسيح. أما المسيحيون الذين يقولون إنه إله كامل فإنهم يقولون إنه هو قد صلب حتما. أليس فى ذلك بيان واضح للفرق بين متانة العقيدتين فإن المسلمين يقررون أن عظمة الإله القادر لا تستطيع قوة أن تغالبها فهو سبحانه يحمى من يشاء من رسله ويصونهم فى مواطن الحرج ولا يرضى لتلك الأيدى الأثيمة أن تنال منهم ليعلم الناس أن قدرته تعالى فوق الجميع ويتأكدوا أنه هو القاهر فوق عباده. أما المسيحيون فقد رضوا بأن الإله نفسه يمكن أن تمتد إليه الأيدى وتميته فعلا. فاعتبروا يا أولى الألباب.

بقى هنا شىء آخر وهو أن اتحاد الأشخاص فى الديانة المسيحية كان مثار كل هذه العقائد الفاسدة. فقد ورد فى الإنجيل ما نصه: (وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى

---

(١) إنجيل متى : الإصحاح ٢٦ الآيات ٣٧ ـ ٣٩ .   (٢) إنجيل متى : الإصحاح ٢٧ الآية ٤٦ .

التلاميذ وقال خذوا كلوا. هذا هو جسدى. وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا اشربوا منها كلكم. لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا) [1] .

فتلاميذ المسيح قد أكلوا لحمه وشربوا دمه فاتحدوا معه .

على أن هذا النص قد اختلفت فيه الكنائس فالكاثوليك يزعمون أن ذلك قد أصبح تعليما مستمرا ويسمونه العشاء الربانى فعندما يريدونه يحضرون الخبز والخمر وينطق الكاهن بكلمات التقدير التى يريدها فيستحيل الخبز إلى جسد المسيح والخمر إلى دمه. ويقولون إن هذه الإستحالة حقيقية وقد عرفت أن ذلك أحد معانى الاتحاد إلى الأخرى. أما البروتستانت فإنهم يقولون إن هذه الإستحالة معنوية لا حقيقية فقول المسيح هذا لحمى وهذا دمى معناه أن هذا الخبز يمثل لحمى وهذا الخمر يمثل دمى. فهو من باب التمثيل لا من باب الحقيقة ويستدلون على ذلك بأن الحس يكذب الإستحالة الحقيقية فإن الكاهن الذى يريد أن يضع العشاء الربانى عندما ينطق بكلمات التقديس لا يتغير الطعام عن حقيقته فالخبز هو الخبز والخمر هو الخمر فكيف يعقل أنه قد استحال استحالة حقيقية .

ومثل هذا النوع من التأويل يفتح باب الأمل فى المناظرة العقلية من بعض الوجوه على أن الذى يقول هذا القول كان ينبغى له أن يتأمل أيضا فى (عمدوهم باسم الآب والابن وروح القدس). فإن الحس يكذب اتحاد الأشخاص المتميزة فى الوجود ببعضها مع بقاء كل واحد منها على حاله. نعم يصح أن تتحد إذا فنيت شخصيتها كما تقدم. ولكن من المؤسف أنهم أجمعوا على عقيدة الثالوث كما أجمعوا على عقيدة الصلب .

حكمة صلب إله المسيحيين والرد على ذلك . قد اتفقوا فى كلمتهم على أن الإله صلب حبا فى خليقته وفداء لهم ليكفر عنهم خطاياهم وهذه العلة لا تخطر على بال عاقل لعدة وجوه :

١ ـ إذا كان الإله هو الذى خلق الخلق وهو الذى فطرهم على هذه الحالة ويعلم أن منهم المسيىء ومنهم المحسن أزلا وأعد لكل جزاءً عادلا فلأى شىء يحزن ويجزع وينكسر قلبه لأجل خطاياهم . لعل بعضهم يقول إن الذى حزن هو ناسوت المسيح فقط والجواب كلا فإنهم يقولون إن الذى حزن هو الناسوت واللاهوت معا كما صرح به المبشرون . أما كان الأجدر بالإله القادر أن يخلق ما لا يحزنه ابتداءِ فإن قلتم إنه لم يعلم ابتداء فقد وصفتموه بالجهل الذى لايرضى به أحد .

٢ ـ لنفرض جدلا أن ذلك ممكن بالنسبة لإلهكم الذى تعبدون (لا بالنسبة لما نعبد طبعا) ولكنا نقول لماذا ينتحر الإله لتخليص هؤلاء المذنبين؟ إن الذى تقره العقول السليمة فى هذه الحالة أن يعفو عنهم لأنه صاحب الأمر وحده أو يعذبهم فإنهم ظالمون أما كونه ينتحر لتخليصهم فتلك جريمة فظيعة لا مبرر لها ولا داعى، وربما تكون مقبولة إذا كان الذى يعذبهم غيره. أما إذا كان هو صاحب الشأن فالأمر بيده فليقل عفوت وهى أقرب من كل هذا الهذيان.

---

(١) إنجيل متى : الإصحاح ٢٦ الآيتان ٢٦ و٢٧ .

٣ ـ أخطأ آدم فما بال النوع الإنسانى كله يتحمل وزر هذه الخطيئة مع أن كل الشرائع الإلهية والوضعية لا تأخذ بريئا بجريرة غيره وقد صرح فى توراتهم بأن الأب لا يحمل إثم الابن والابن لايحمل وزر الأب وما بال المسيح المسكين يحتمل وزر جريرة آدم ويَصْلى ذلك العذاب الذى استغاث منه استغاثة تفتت الأكباد ثم ياليته كان المسيح إنسانا فحسب بل الإله برمته حل فيه فالخطيئة لم تقتصر مسئوليتها على النوع الإنسانى وحده بل تعدته إلى الإله فذاق مرارة العذاب ألوانا (وهو يستحق لماذا خلق آدم وحرم عليه الأكل من الشجرة).

٤ ـ أصل وضع العقوبات فى الدنيا والآخرة لا تقصد منها الشرائع الإلهية إلا تأديب الجناة ليكف غيرهم عن ارتكاب الجرائم فمن المعقول حينئذ أن تقع العقوبة على نفس المجرم وإلا كان وضعها عبثا فكيف يصح أن يعاقب المسيح، بل الإله الذى لم يقع منه جرم على جريرة غيره.

٥ ـ لنفرض أن كل ذلك هين وأن الإله قد مات وذاق مر العذاب ودخل الجحيم من أجل خلقه فهل هذا من أجل كل الناس حتى الذين صلبوه ونكلوا به أم من أجل فئة خاصة وهم الذين آمنوا به. إذا قلتم بل هو لتخليص الذين آمنوا به فقط (وهو ما صرح به المبشرون فى غير موضع) فإن المسعى قد خاب تماما لأن الخطيئة التى انقلبت الطبائع الإلهية من أجلها لا تزال موجودة على أتم معناها وأبشع صورها وأين خطيئة آدم الضعيفة في جانب خطيئة قتل الإله وغيرها من الجرائم وعلى هذا لم يفد صلب الإله شيئا ولم يشف غليلا.

٦ ـ إذا كان الإله صلب باختياره ليخلص الذين آمنوا به فقد مهد لهم بذلك السبيل إلى الإباحة المطلقة لأنهم يزنون ويلوطون ويقامرون ويسرقون ويقتلون ولا يبالون، ألم يمت الإله فداء لهم ؟ ألم يصلب ليخلصهم من خطيئاتهم ؟ وأن هذا الصلب قد قبل فعلا فلا خوف على من آمن بصلب المسيح حينئذ من جريرة مطلقا.

ويظهر أن مثل هذا المعتقد يسهل للناس اعتناق الشيوعية والإباحة فى كل شىء ولا ريب فى أن دينا يدعو إلى مثل هذه الفوضى لا يكون من عند الله حتما .

٧ ـ إذا كان صلب الإله ضروريا إلى هذا الحد وهو وقع باختياره وارادته فلماذا يذم الذين صلبوه ولماذا يقع الجفاء بين اليهود وبين النصارى إلى هذا الحد . إن الإنصاف يقضى أن يكون اليهود محل احترام النصارى لأنهم خلصوهم من الخطايا وأحيوهم حياة أبدية .

(وبعد) فإن الذين يعتقدون هذه العقائد وتطمئن لها قلوبهم ويحاولون أن يبرروها بمثل هذه الفلسفة التى تضحك الثكلى هل يصح للعقلاء أن يعولوا على رواياتهم ويعتمدوا على أحاديثهم. إن هذه العقول التى تسع كل ما يقال لها، وتؤمن بأن الذم مدحا. والإهانة كرامة . والعار فضيلة هل يصح أن يركن العقلاء إلى ما يصدر عنها من قول أو فعل. اللهم إن الفكر الإنسانى قد ميز الحسن من القبيح. والحق من الباطل والخطأ من الصواب . بموازين صحيحة لا تختل، فإذا كان ميزان العقل السليم يرضى أن يكون إلهه على هذا الحال الذى يصفه به المبشرون وأتباعهم فيالضيعة

المنطق وبالخسارة القرائح الإنسانية، التى أنتجت أحسن النتائج بموازين النظر الصحيح . أما إذا كان لموازين العقول قيمتها وكان للحقائق العلمية منزلتها من الإحترام فلا يشك عاقل فى ضعف عقل من يؤمن بمثل هذه النظريات ويتخذها دينا. ولا يرتاب أحد مفكر فى أن من يجعل أساس دينه اهانة معبوده ولعن إلهه لا يؤمن على نقل ولا يصدق فى رواية فكل ما يرويه الإنجيليون من صلب المسيح واه لايصح النظر إليه فضلا عن التصديق به .

إنجيل برنابا وما تنبأ به . من ذلك ترى أن الصحيح هو ما رواه القرآن الكريم وهو أن المسيح عبد الله ورسوله وأنه لم يقتل ولم يصلب بل أنجاه الله تعالى وألقى شبهه على من خانه وهو يهوذا وقد أيد هذا ما تنبأ به إنجيل برنابا فقد نقل فى إظهار الحق صحيفة ١٥٨ عن القسيس سيل أنه قال فى مقدمة ترجمته للقرآن المجيد إن إنجيل برنابا بشر بمحمد ثم نقل نص بشارته وهى (إعلم يا برنابا أن الذنب وإن كان صغيرا يجزى الله عليه لأن الله غير راض عن الذنب. ولما اجتنى أمى وتلاميذى لأجل الدنيا سخط الله لأجل هذا الأمر وأراد باقتضاء عدله أن يجزيهم فى هذا العالم على هذه العقيدة الغير اللائقة ليحصل لهم النجاة من عذاب جهنم ولا يكون لهم أذية هناك وإنى وإن كنت بريئا لكن بعض الناس لما قالوا فى حقى إنه الله وابن الله كره الله هذا القول واقتضت مشيئته بألا تضحك الشياطين يوم القيامة على ولا يستهزئون بى فاستحسن بمقتضى لطفه ورحمته أن يكون الضحك والإستهزاء فى الدنيا بسبب موت يهوذا ويظن كل شخص أنى صلبت لكن هذه الإهانة والإستهزاء يبقيان إلى أن يجىء محمد رسول الله فإذا جاء فى الدنيا ينبه كل مؤمن على هذا الغلط وترتفع هذه الشبهة من قلوب الناس) هذا أنموذج من إنجيل برنابا الذى رفض المسيحيون العمل به قبل ظهور محمد صلى الله عليه وسلم بزمن طويل لأنه صرح بأن عيسى عبد الله ورسوله وهم يزعمون الآن أن هذا النص أدخله المسلمون فى هذا الإنجيل وهذا الزعم فاسد لعدة وجوه .

أحدها : إن هذا الإنجيل ثبت وجوده قبل سيدنا محمد بمئات من السنين فليس بمعقول أن يكون واضعه مسلما .

ثانيها : أن المسلمين فى أيام سلطانهم لم يلتفتوا إليه حتما وإلا فقد كان أولى أن يلتفتوا إلى أناجيلهم المستعملة ويجعلوها مطابقة لنصوص القرآن .

ثالثها : إن كل النسخ التى وجدت من إنجيل برنابا وجد فيها هذا النص . ولا يعقل أن يحرف المسلمون جميع النسخ فالصواب الذى لاشك فيه صدق إنجيل برنابا الذى طابق القرآن الكريم من جميع الوجوه .

صفات الله المذكورة فى التوراة والإنجيل والقرآن :

قد عرفت أننا قلنا أن نصوص التوراة والإنجيل التى بأيديهم الآن ، كلها تصرح بأن الله واحد وأن عقيدة الثالوث التى قررها مجمعهم لم تكن موجودة فى التوراة والإنجيل وقد عرفت أدلتها

عندهم وردها فلا حاجة إلى العودة إليها إنما الذى نريد أن نقوله هنا إن المسلمين يقررون أن ذات الإله واحدة بمعنى أنه ليس مركبا ولا متبعضا ولا محدودا ولا ممدودا ولا متحدا مع غيره ولا يحل فى غيره وأنه سبحانه قادر قدرة لا يعجزها شىء فى الأرض ولا فى السماء فإذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون وأنه ليس له شريك مثله فذلك هو معنى التوحيد عندهم .

معنى الروح عند المسلمين والمسيحيين . أما الروح فإن المسلمين لا يطلقونها على الله تعالى وإنما سمى بها القرآن وعيسى وجبرائيل عليهما السلام وذلك لأن المسلمين يتأدبون مع الله تعالى فلا يطلقون عليه إسما ولا يصفونه بصفة إلا بالوحى فالذى يسمى به نفسه تعالى أو يصف به نفسه هو الذى يطلقونه عليه ولم يرد عندهم تسمية الإله روحا .

ثم الروح لها معنيان: أحدهما يتنزه الله عنه لفظا ومعنى وهو أنها الجوهر المجرد عن المادة المتعلق بالأجساد تعلقا معنويا فتتأثر بما تتأثر به الأجساد من عوارض اللذة والألم . وفهذا المعنى يستحيل على الله تعالى كما عرفت لأن ذلك من خواص الحوادث والإله يجب أن يكون منزها عن كل صفات الحوادث ثانيهما أنها الجوهر المجرد عن المادة التى تقتضى ذاتها الوجود وهذا المعنى وإن كان صحيحا فى ذاته فإن الله تعالى منزه عن المواد الجسمانية وقائم بذاته فلا يحتاج إلى شىء يقومه كما هو معنى الجوهر ولكن لا يصح إطلاق روح ولا جوهر على الله تعالى لأنه لم يسم نفسه بذلك فضلا عما فى تسميته روحا أو جوهرا من إيهام المعنى الحادث فالمسلمون لا يسمون الله روحا أما المسيحيون فإنهم يطلقون عليه أنه روح ويقولون أن الروح صفة ويظهر لك مما قدمناه فى بيان عقيدتهم فى الصلب أنهم لا يبالون أيضا بأن يقولوا إن الإله روح بالمعنى الأول أى أنه روح ممكنة تتألم وتحزن وتفرح .

صفات الله التى يؤمن بها المسيحيون ويقرها الدين الإسلامى . غير منظور : وأما كونه (غير منظور) وهو أنه سبحانه لايرى فالمسلمون يوافقونهم على أنه لا يرى فى الدنيا وأما الآخرة فإنهم يقولون إن الله قبل كل شىء ليس ماديا ولا يتحيز فى مكان وأحوال الدار الآخرة مغايرة لأحوال الدنيا فيجوز أن يخلق الله فى الإنسان قوة خاصة يمكنه أن يرى بها الله تعالى فى الدار الآخرة بلا كيف ولا انحصار وبعضهم يقول إنه لا يرى بالبصر ولكن يخلق سبحانه فى المؤمنين علما به فى الجنة فيدركون ذاته الكريمة وذلك منتهى النعيم . وما ورد فى القرآن الكريم من ذلك فإنه قابل للتأويل على رأى الفريقين .

غير محدود : وأما كونه غير محدود فذلك حسن متفق عليه ولكن هل العقائد المسيحية تتفق مع كون الله غير محدود كلا وذلك لأن كل مركب لابد أن يكون محدودا لأن الأجزاء التى تركب منها لها

حدود حتما وإلا لما كان مركبا فالذى يقول إن الإله مركب من أب وابن وروح قدس يجب عليه أن يميز الأب عن الابن بنهاية ينتهى إليها فإذا لم يعرف حد أحدهما لم يوجد تركيب حتما ولم يوجد متعدد حتما. وأيضا فإن كل معدود لابد أن يكون محدودا .

أزلى : وأما كونه أزليا غير متغير فإن المسلمين يؤمنون بأنه سبحانه أزلى بمعنى أنه لا أول لوجوده فهو قديم لا أول له لأن وجوده من مقتضى ذاته وما كان من مقتضى الذات فإنه لا يتخلف عنها أبدا كما عرفت وأما المسيحيون فقد عرفت من بيان عقائدهم فى الثالوث والصلب أنهم لا يبالون بأن يصفوا الإله بصفات الحوادث إلى أبعد مدى وذلك ينافى أنه أزلى .

غير متغير : وأما كونه غير متغير فإنه حق فإن ذات الله تعالى لا يطرأ عليها تغير مطلقا . ولكن المبشرين رتبوا على كون ذات الله لا تتغير ضرورة كونه مركبا من أقانيم ثلاثة لأنه متصف بصفات إضافية كالودود أزلا وهذه تقتضى أن يكون معه مودودا وإن لم يكن معه لتغير الله تعالى لأنه يكون غير ودود لغاية وجود المودود فيكون ودودا ولم يجدوا حلا لهذا السؤال إلا أن المودود موجود معه فى الأزل وهو أقنوم الابن وقد عرفت أن هذا قول هراء لأنك قد عرفت أن الله متصف بهذه الصفات فى الأزل على أنها تتعلق بالممكنات فى المستقبل فهو ودود فى الأزل بود يتعلق بالمودود الذى سيوجد ومتكلم فى الأزل بالكلام الذى يتعلق بالمخاطبين فى المستقبل لايوجب تغيرا فى ذات الإله ولا صفاته مطلقا كما تقدم .

ويقولون إنه محيط بكل مكان وبكل علم كما فى سفر المزامير ١٣٩ وكلى القدرة والحكمة كما فى سفر التكوين وكما أن الله موصوف فى الكتاب بالأوصاف المتقدمة فهو موصوف بالقداسة كما فى سفر الرؤيا ٤ ٠ ٨ وأنه بار وعادل ورءوف رحيم طويل الأناة . كما فى سفر الخروج . وخالق وضابط كل شىء .

وهذه الصفات كلها يقرها الدين الإسلامى بمعنى يليق بعظمة الإله الخالق تعالى فإن المسلمين يقولون إن الله بكل شىء محيط إحاطة علم فليس بجسم ولا متحيز فى مكان ويقولون إنه بكل شىء عليم فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة من خردل وهو عليم بذات الصدور ويقولون إنه تعالى بر وعدل ويقولون إن قدرته تعالى تتعلق بجميع الممكنات فلا يخرج عنها شىء فى العالم العلوى والسفلى فالكل أثر لقدرته وباق بقدرته وسينعدم بقدرته فهو وحده المتصرف وكما أنه عليم قدير فهو حكيم خبير فلا يعلم شيئا إلا وله فيه حكمة جليلة تنفذ إليها العقوبة الكاملة ولا تخفى على أولى الألباب وأما خالق كل شىء فذلك مما لا شك فيه وقد وردت كل هذه الصفات فى القرآن الكريم فى غير موضع وأما ضابط كل شىء فإنه قد ورد فى وصفه سبحانه بالمحصى قال تعالى: **«وكل شىء**

أحصيناه فى امام مبين»[1] . وقد عرفت أن المسلمين لايطلقون على الله إلا ماورد فلا يقال له ضابط عندهم وإن كان بمعناه وأما رءوف ورحيم وقدوس بمعنى الظاهر فإن هذه الصفات قد وردت أيضا فهى صفات الله تعالى ولكن المسلمين يقولون إن الله تعالى منزه عن صفات الحوادث فالرأفة مثلا فى الحادث رقة فى القلب تقتضى التفضل والإحسان، ورقة القلب من صفات الحوادث فهى مستحيلة على الله تعالى فيجب أن يكون معنى الرأفة والرحمة بالنسبة له تعالى هو التفضل والإحسان والمترتب على الرأفة والرحمة وهكذا فهم ينزهون الله تعالى عن كل مافيه شائبة الحدوث .

هذه هى صفات الله التى أوردها المبشرون ومعظمها منقول من التوراة ولكن من الأسف قد نقضوا كل كمال لله تعالى بعقيدة الثالوث وصلب الإله فكل كمال بعد ذلك نقص لا يفيد ولايعيد .

أما صفات الرسل فإنك ستعرف فى القسم الثالث أنهم يصفونهم بأخس الصفات وأحقرها. أما نحن فنصفهم بالصدق والعصمة عن كل ما يخل بمقام النبوة فاقرأ هذا فى بابه .

---

(١) سورة يس : الآية ١٢ .

القســـم الثالـــث

مطاعن المبشرين فى صدق رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

هذا القسم يشتمل على مطاعن بذيئة فى خير كتاب أنزله الله لهداية البشر وتعريض دنىء بمقام سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وهجوم عنيف على دين التوحيد الخالص دين القيمة. دين الحكمة البالغة والهداية الحقة. ومن نكد الدنيا وخسة قدرها أن يصدر ذلك عن الذين يجهلون مبادئ اللغة العربية وأساليبها جهلا مطبقا ولكن ماذا فعل هؤلاء المبشرون بمطاعنهم فى الدين الإسلامى الحنيف إنهم لم يفعلوا أكثر من أن أعلنوا بين الملأ سخافاتهم وأظهروا ما كان خافيا للناس من أمر جهالاتهم وبرهنوا على أنهم أعداء الحق أعداء المنطق الصحيح والحقائق العلمية الواضحة وكيف يتاح لمن يزعم أن إلهه ثلاثة فى واحد أن ينال من دين أساسه توحيد الإله الخالص الذى لا شائبة فيه. وكيف ينال من القرآن الكريم قوم يقولون إن إلههم تجسد فى رحم امرأة واختلط بدمها فأصبح بشرا يبول ويتغوط ويأكل ويشرب ويجربه إبليس إلى حد أن يطمع فى أن يسجد له؟ أما القرآن فإنه ذلك الكتاب الذى يقول فى وصف الإله **«ليس كمثله شىء وهو السميع البصير»**[1] ويقول: **«قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد»**[2] . وكيف يكون لطعن هؤلاء قيمة وهم يقولون إن كتابهم المقدس عندهم صرح بأن إلههم ملعون وأنه صلب على خشبة وأنه قد مات موتا حقيقيا ودفن فى التراب وأنه دخل الجحيم ويصرحون بدون خجل بقولهم إن الذى مات على الصليب إله كامل . أليس من نكد الدنيا حقا أن يجرأ هؤلاء الذين يدينون بمثل هذه النظريات التى لا ترضى بها العقول البشرية السليمة على القرآن الكريم الذى جاء بتوحيد الإله الخالص وقضى على الوثنية من جميع نواحيها وحث النوع الإنسانى على التمسك بكل فضيلة ونهاه عن كل رذيلة وبين لكل فرد ماله وما عليه من الحقوق والواجبات فلم يترك صغيرة ولا كبيرة من الكمالات الإنسانية إلا أحصاها وحث عليها ونهى عن ضده. لا شك فى أن الطاعنين فى القرآن الكريم هم أعداء الفضيلة أعداء التوحيد. أعداء

---

(١) سورة الشورى : الآية ١١ .

(٢) سورة الإخلاص : الآيات ١ ـ ٣ .

مكارم الأخلاق. أعداء النظر الصحيح والعلم النافع. أعداء كل ما فيه سعادة المجتمع وصلاحه. فهم شر ووبال على المجتمع الإنسانى فى كل زمان ومكان وإلا فبربك قل لى أيها المنصف لماذا ينقم هؤلاء المبشرون على القرآن الكريم. أينقمون عليه إنه حارب الوثنية ومحا آثارها فى كل مكان أشرق عليه نور الإسلام. أينقمون عليه إنه عرف الإنسان قدره وبين له أنه لا يليق به (وهو ذلك الإنسان الذى ميزه الله بالعقل والعلم) أن يعبد صنما أو حجرا أقل منه أو بشرا مثله. بل قال له إنه لا ينبغى له أن يعبد إلا الله المتصف بكل صفات الكمال المنزه عن كل صفات النقص الواحد من جميع الوجوه فليس مركبا من أجزاء مادية أو مجردة وليس متحدا بعبد من عباده أو حالاً فيه أينقمون عليه أنه نزه الأنبياء والمرسلين عن المخازى التى ألصقتها بهم كتبهم المقدسة عندهم؟ أينقمون عليه أنه أمر الإنسان بكل المكارم التى تقتضيها الإنسانية الصحيحة من بر الوالدين وصلة الأرحام والقيام بواجبات الأزواج والأبناء والمحافظة على حقوق الجوار؟ أينقمون عليه أنه أمر بإقامة العدل بين الناس ونهى عن الظلم والتعدى على أعراض الناس وأرواحهم وأموالهم نهيا شديدا لا فرق فى ذلك بين قريب وبعيد وعدو وصديق حتى ولو كان مخالفا له فى العقيدة. فقد ورد فى الصحيح ما معناه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (اتق دعوة المظلوم ولو كان كافرا) أينقمون عليه إنه نهى الناس عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن قال تعالى: **«قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن»**[1]. فلا يحل لفرد أن ينقاد لشهوته الفاسدة فيضعها فيمن لا يملكه وبذلك يكون من المجرمين المتعدين الجانين على المجتمع الإنسانى شر الجنايات وأفظعها. وقد قرره الله تعالى فى غير موضع من كتابه الكريم ويكفى فيه قوله سبحانه: **«إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون»**[2]. أينقمون عليه أنه قد حث على الوفاء بالعهود، وأمر بالبر بالفقراء والبؤساء حتى فرض قدرا معينا لهم من أموال الأغنياء كما قال تعالى: **«والذين فى أموالهم حق معلوم. للسائل والمحروم»**[3]. أينقمون عليه أنه نهى عن الكذب والزور وخلف الوعد؟. أينقمون عليه أنه نهى عن النمائم والوشايات والحقد والحسد والغيبة والبغضاء والكبر والعجب والرياء وفحش القول وكل ما يترتب عليه إيذاء أحد من خلق الله تعالى؟. أينقمون عليه أنه نهى الناس عن الإنغماس فى الشهوات الضارة بعقولهم وأبدانهم، وأحل لهم الطيبات التى لا ضرر فيها؟. أينقمون عليه أنه سوى بين الناس فى الحقوق العامة بدون فرق بين أمير وحقير وغنى وفقير؟. أينقمون عليه أنه نهاهم عن الغش والخيانة والخديعة وحرم عليهم أكل أموالهم بينهم

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٣٣ .
(٢) سورة النحل : الآية ٩٠ .
(٣) سورة المعارج : الآيتان ٢٤ و٢٥ .

بالباطل وأمرهم بإيفاء الكيل والميزان؟. أينقمون عليه أنه أمر بحفظ أموال اليتامى والقيام بتربيتهم حتى يبلغوا أشدهم؟. أينقمون عليه أنه فرض على الناس أن يتعاونوا على البر والتقوى ولا يتعاونوا على الإثم والعدوان؟ أينقمون عليه أنه حث الناس على العمل لدنياهم وآخرتهم ونهاهم عن الكسل والتقاعد عن الخير أينقمون عليه أنه شرع للناس كل مافيه مصلحتهم وسعادتهم وحرم عليهم كل ما فيه شقاؤهم ومضرتهم إلى غير ذلك مما لا نستطيع إحصاءه فى هذا المقام وكيف يمكننا أن نحصى ما جاء به القرآن الكريم فى كتابنا هذا وقد أتى القرآن بكل ما هو أساس صالح لعلوم الإجتماع والأخلاق والتشريع النافع والفلسفة المعقولة والتاريخ الصحيح وغير ذلك مما يحتاج إليه المجتمع الإنسانى وقد نبغ بين المسلمين علماء عظماء جمعوا كل ذلك فى مؤلفات عظيمة ومجلدات كثيرة كانت سببا فى إخراج كثير من الأمم من ظلمات الجهالة إلى نور العرفان. أليس الذى يطعن فى ذلك الكتاب الذى يشتمل على كل الفضائل الإنسانية مجرم حقا، يريد أن يصرف الناس عما فيه سعادتهم الصحيحة ويحول وجوههم عما فيه صلاحهم وفلاحهم؟ نعم إنه لكذلك وإن المبشرين المسيحيين الذين يطعنون فى ذلك الكتاب الكريم لهم الخزى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة وما الله بغافل عما يعمل الظالمون .

مزاعم المبشرين فى الأدلة على صدق رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

والآن فلننظر فيما يقوله المبشرون : يقولون إن المسلمين استدلوا على صدق رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالأدلة الآتية :

(١) أن أسفار العهد القديم والعهد الجديد تنبأت عنه .

(٢) أن لغة القرآن وتعاليمه مما ليس له نظير فى كل الكتب وعليه فالقرآن بمفرده هو الدليل الأعظم على صدق دعوى محمد .

(٣) آيات محمد ومعجزاته كخَتم الله على رسالته .

(٤) حياته وأخلاقه برهان على أنه خاتم الأنبياء وسيد المرسلين .

(٥) سرعة انتشار دينه برهان على أن الله أرسله بالكتاب النهائى .

وأوردوا على هذه الأدلة الشبه التى يظنون أنها تبطلها، وإنى أقول إن هذه الأدلة بصريح العبارة تستحق الإعتبار وتثبت صدق رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد ناقشها المبشرون دليلا دليلا وسأرد على كل ما أوردوه بالبرهان القاطع الذى لا يرتاب فيه إلا المكابرون .

يقول المبشرون فى مناقشة الدليل الأول وهو أن الكتاب المقدس عندهم يتنبأ برسالة سيدنا محمد، إن مجىء المسيح قد سبق الإنباء به فى أسفار العهد القديم فى مواضع كثيرة تفوق الحصر وذلك من المسلم به ، وبنوا على هذه النظرية أنه من الضرورى أن تتنبأ الرسل المتقدمة عن الرسل المتأخرة فمحمد لايكون رسولا إلا إذا أخبرت عنه التوراة والإنجيل، فمن أجل ذلك اضطر المسلمون

لإنتحال نبوات من التوراة والإنجيل وأنها غير صحيحة ثم انتقدوا المسلمين الذين يحتجون بالكتاب المقدس مع كونه محرفا .

وهذا الذى ذكروه يشتمل على ثلاث مسائل :

أولهما : هل صحيح أن التوراة تنبأت بالمسيح فى مواضع كثيرة تفوق الحصر ولم تتنبأ بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ؟ .

ثانيها : هل صحيح أن نبوءة الرسل المتقدمة عن الرسل المتأخرة شرط فى صدق رسالة المتأخرين ؟

ثالثها : هل الكتاب المقدس عندهم الآن يصح الاستدلال به عند المسلمين مع كونه محرفا ؟ .

أما الجواب عن الأول فإن التوراة المحرفة التى بين أيديهم لم تتنبأ عن المسيح مطلقا بل بالعكس أنكرت المسيح بالمرة ، وأنا لاأقول ذلك من تلقاء نفسى وإنما الذى قاله هو نفس هؤلاء المبشرين.

ولا تعجب أيها القارىء فإننى أسوق إليك نص عبارة أحدهم [1] التى يقررون بها ذلك (واليهود أعلم من غيرهم بلغتهم (ويعرفوا) التفسير الحقيقى لعبارة من إخوتك) بنصه ملحونا قالوا هذا ليردوا به على المسلمين الذين فسروا عبارة التوراة تفسيرا ينطبق على نبينا صلوات الله وسلامه عليه فقالوا لهم إن اليهود لم يعتبروا هذا التفسير وهم المرجع الذى يجب أن يرجع إليه فى تفسير كتابهم . أى نعم إن للمبشرين على أن أترك لهم كل استدلال بالتوراة التى بين أيديهم إذا آمنوا بما يقوله اليهود فى المسيح وأمه عليهما السلام . وياليت اليهود اقتصروا على تفسير الآيات التى يستمسك بها المبشرون من توراتهم تفسيرا لا يربطها بالمسيح فقط بل هم فسروها تفسيرا يدل على أن المسيح ليس برسول مطلقا وقد صرحوا بأنه لم يقم نبى من الجليل أبدا بل قالوا فى المسيح وأمه ما لا يحل لمسلم أن ينطق به بل يجب عليه أن يؤمن إيمانا جازما بأن المسيح وأمه بريئان مما يقولون فإذا كان اليهود هم المرجع فى تفسير توراتهم فيجب على المبشرين أن يؤمنوا بما يقوله اليهود فى المسيح أليس ذلك واضحا لا شبهة فيه فياأيها العقلاء تعالوا واحكموا بيننا هل الكاتب الذى صدر عنه ذلك التناقض المخزى فى مقالة واحدة لا تزيد عن أربعين سطرا يصح له أن يحكم على بلاغة القرآن وفصاحته فيقول أن القرآن غير بليغ القرآن الذى هزم فحول البلاغة وهو أساس المنطق العربى الرائع فى جميع العصور باتفاق العقلاء يحكم عليه بعدم البلاغة مخلوق يتناقض هذا التناقض الذى يهدم له كل أحلامه وآماله فى مقالة واحدة صغيرة إن ذلك لهو البلاء المبين. هذا وإننى قد ذكرت لك أنموذجا من تعسف الإنجيليين فى فهم التوراة، فى الكلام على تحريف التوراة وسأذكر لك هنا ما أوردوه من التوراة متعلقا بالمسيح فى زعمهم فانتظر قليلا .

وأما الجواب عن الثانى وهو أن الأنبياء المتقدمين لابد أن يتنبئوا عن الأنبياء المتأخرين فهو غير صحيح جزما. ولا أدرى من أين أخذ المبشرون هذا إلا أنه إذا صح ذلك فياضيعة الأنبياء والمرسلين

---

(١) ميزان الحق ص ١٠٧ .

الذين لم يذكروا فى كتب من قبلهم أو على ألسنتهم بل ياضيعة نوح وإبراهيم إذ لم يتنبأ عنهما أحد من قبل فهذا الكلام لا وجود له إلا فى مخيلة المبشرين الذين يفترون على الله وعلى رسل الله.

إننى أقول هذا مع أننى سأبين للقراء قريبا أن فى التوراة المحرفة الموجودة الآن نبوءات صريحة عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لا يمكن لعاقل أن يشك فيها، وإنما الواقع الذى لا شك فيه هو أن النبوءات التى توجد فى الكتب المقدسة عن الرسل ليس الغرض منها الدلالة على صدقهم وإنما الغرض منها لفت نظر الذين يدينون بهذه الكتب إلى ذلك الرسول ليسارعوا إلى الإيمان به، فإذا انصرفوا عن الحق بعد ما تبين لهم، كان عذابهم مضاعفا. وإن كانت تدل على صدق ذلك الرسول طبعا .

وهذا هو الذى كان موجودا فعلا فى التوراة فى عهد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فإنه قد ثبت بالتواتر توتر العلاقات بين اليهود وبين مزاحميهم من بعض عرب اليمن الذين هاجروا إلى المدينة وهم الأوس والخزرج وثبت أن اليهود كانوا يقولون لهم أنه سيظهر فى هذا الزمن جدنا رسول الله العربى ونتبعه وننتصر به عليكم فلما جاءهم الرسول وسبقتهم إليه الأوس والخزرج، فآمنوا به غلب عليهم العناد، وحملهم الحقد على الكفران ، كما قال تعالى: «**ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به**»[1] . وقال تعالى: «**الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث**»[2] . فالقرآن الكريم يوبخ اليهود والنصارى الذين كانوا فى زمنه وهم يشاهدون دلائل نبوته الواضحة التى من بينها ما هو مسطور فى كتبهم، وكانوا يجاهرون به هم ويقررونه بأنفسهم، ومع ذلك قضى عليهم عنادهم بأن يكونوا أسوأ حالا من المشركين الذين آمنوا به وانقادوا للبراهين الصحيحة التى جاءهم بها . هذا كل ما فى الموضوع فلم تتوقف نبوة سيدنا محمد رسول الله على ما كان موجودا فى التوراة من الأمارات الدالة عليه. ولو كان كذلك لما آمن به أحد من المشركين الذين كانوا يعبدون الأوثان ولا توراة عندهم مع أن الأمر معكوس فإن الذين آمنوا به ونصروه أولا إنما هم المشركين أما اليهود فإنه لم يؤمن به إلا أحبارهم ومن اقتدى بهم ممن كان متمسكا بدينه. وقد مثلوا من فصول النفاق والسخف مالا يسع المقام ذكره على أن المشركين لم يؤمنوا به إلا بعدما أقام لهم من الأدلة التى أرغمتهم على هجر معبوداتهم وما كان ذلك بالأمر الهين فقد بذلوا فى الدفاع عن عقيدتهم ما استطاعوا من قوة واضطهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اضطهادا عظيما لا يستطيع أن يحتمله ويثبت أمامه إلا من أيده الله بالمعجزات .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٨٩ . (٢) سورة الأعراف : الآية ١٥٧ .

وأما الجواب عن الثالث هل الكتاب المقدس عندهم الآن يصح الإستدلال به عند المسلمين مع كونه محرف فكيف يستدلون به على صدق رسالة نبيهم .

فنقول لهم إننا لا نحتاج فى اثبات صدق رسولنا صلى الله عليه وسلم إلى كتابهم المحرف لأننا لا نؤمن به فلم نستدل به لأنفسنا وإنما نحن نلزم به الذين يؤمنون به ومع ذلك فإن الفرق بيننا وبين المبشرين فى هذا المقام ظاهر لا يرتاب فيه عاقل لأننا لا نقول إن كل ما فى التوراة والإنجيل محرف بل نقول إن المحرف منهما ما خالف القرآن الكريم وقد ذكرت ذلك فى غير موضع من كتابى هذا أما هم فإنهم ينكرون رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وينكرون كون القرآن من عند الله فما كان لهم أن يحتجوا به على صحة كتبهم رأسا أما المسلمون فإنهم يقولون إن الآيات الدالة على صدق رسالة نبيهم هى من عند الله حقا وهى قسمان:

قسم صريح لا خفاء فيه وذلك قد امتدت إليه يد المفسدين الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هو من عند الله كما أخبر عنهم القرآن الكريم بقوله: **«فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا»**[1] .

وقسم لم يفقهوه لغباوتهم وجهلهم فتركوه على حاله ولم يحذفوا منه شيئا .

ومن طرائف المبشرين أنهم يقولون إن مجرد احتجاج المسلمين بالكتاب المقدس على رسالة نبيهم دليل على أنهم معترفون أولا بأنه موحى به من الله وثانيا أنه غير محرف بل باق على أصله .

ما شاء الله هل رأيت منطقا أبلغ من هذا المنطق وفصاحة أعذب من هذه الفصاحة. كيف لا والمبشرون يتناقضون فى كل نظرية من نظرياتهم فلا يمكنك أن تظفر منهم بقضية إلا وينقضوها بغيرها ثم هم مع ذلك يقفون موقف الطاعنين فى دين الإسلام ذلك الدين الذى قد ربى رجال التشريع والفلسفة والإجتماع والأخلاق والمنطق الصحيح. أليس ذلك من مهازل الدهر؟ أليس من الخلل الواضح أن يستدل المبشرون على صدق توراتهم وإنجيلهم بالآيات القرآنية الكريمة فى معظم كتبهم؟ ثم يقولون إن مجرد استدلال المسلمين بهما على صدق النبى صلى الله عليه وسلم دليل على أنهما موحى بهما. حسن فلماذا لم يذعن المبشرون بآيات القرآن الكريم لمجرد استدلالهم بها. وقالوا إنهم يستدلون بها لمجرد اقناع الخصم. إنهم لايكادون يفقهون شيئا.

مزاعم المبشرين فى نبوءات التوراة والإنجيل عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

النبوءة الاولى من نبوءات التوراة : آية سفر التكوين : إصحاح ٤٩ آية ١٠ ونصها.

(لايزول قضيب من يهوذا ومشترع بين رجليه حتى يأتى شيلون وله يكون خضوع شعوب) . يقول

---

(١) سورة البقرة : الآية ٧٩ .

المبشرون إن المسلمين يزعمون أن هذه الآية تشير إلى نبوة محمد خصوصا لأن كلمة يهوذا عدد ٨ مشتقة فى الأصل العبرانى من الفعل «حمد» كما اشتق اسم «محمد» وأن هذا الزعم باطل لأنه ظاهر من القرينة أن شيلون المقولة فى شأنه النبوة يولد من ذرية يهوذا وظاهر أن محمدا لا هو من ذرية يهوذا ولا هو من ذرية إسرائيل.

وإنى أشرح لك أولا هذه العبارة ثم ننظر فيمن تنطبق عليه: معنى هذه العبارة أن سيدنا يعقوب عليه السلام حينما حضرته الوفاة جمع أبناءه حوله، وأخذ يتنبأ عما يقع لكل واحد منهم ولذريته من بعده فقال ليهوذا إن القضيب لا يزول من ذريته ويأتى من بين رجليه (من أبنائه) من يشرع للناس. ثم يأتى بعد ذلك شيلون فيمكن حمل عبارة يعقوب هذه على التنبؤ بثلاثة أشياء هامة الأول شريعة موسى وهو من ذرية يهوذا. الثانى شريعة عيسى وهو ابن مريم وهى من ذريته أيضا.

الثالث شريعة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام. وهو ليس من يهوذا وهو الذى اجتمعت عليه الشعوب وخضعت له فمعنى عبارته أن اثنين من ذريته يكونان من المشرعين. فليس من أبنائه وله تخضع الشعوب وهو سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

فقول المبشرين إنه ظاهر من القرينة أن شيلون المقولة فى شأن النبوة، يولد من ذرية يهوذا خطأ محض لاشك فيه لأن معنى العبارة البديهى أن القضيب يكون فى ذريته حتى يأتى شيلون الذى ليس من ذريته قطعا، فتنتهى بذلك الرئاسة من ذرية يهوذا كما هو معنى «حتى» التى للغاية وضعا، فما هى القرينة التى تصرف «حتى» عن معناها وتعين أن شيلون يكون من ذرية يهوذا. لا شىء سوى خيال المبشرين.

بقى أنهم يقولون إن قضيب الملك زال من الأمة اليهودية قبل ولادة محمد بأكثر من خمسمائة وخمسين سنة والآية تقول: إنه لايزول حتى يأتى شيلون إلخ. وعليه فالآية المذكورة لا تشير إلى محمد وقد اتفق مفسروا اليهود أن كلمة شيلون من ألقاب المسيح وكذلك السامريون فهى تشير إلى المسيح لأنه هو الذى ولد من سبط يهوذا وإياه أطاعت الشعوب.

هكذا يقول المبشرون فلننظر هل هذا كلام مركب مفيد أو هو من المهملات التى لا يصح النظر فيها إنهم قد فسروا القضيب بالملك (مع أنهم فسروه فى أول العبارة بالنبوة ولكن ما الحيلة وهم مضطربون مرتبكون متناقضون فى كل شىء) ثم زعموا أن الملك قد زال من الأمة اليهودية قبل ولادة محمد بأكثر من خمسمائة وخمسين سنة وزعموا أن المراد بشيلون المسيح ولم يخبرونا بأن الملك قد زال من يهوذا قبل ظهور عيسى بمقدار ستمائة سنة من عهد بختنصر وهو أنه قد أسر اليهود وأجلاهم من أورشليم إلى بابل، ومكثوا فى الأسر ثلاثا وستين سنة، ثم أعادهم إلى أورشليم ملك فارس ثم ابتلاهم الله بنكبة أشد وأفظع فى عهد انتيوكس فقد نهب أورشليم وقتل ثمانين ألفا

وسلب ماكان في الهيكل من ذخائر كانت تقدر بثمانمائة وزنة من الذهب وأهان المذبح ورجع إلى أنطاكية وأقام فيلبس أحد الجبابرة حاكما على اليهودية بعد أن أحرق كل ماوجده من كتب العهد القديم وحتم عليهم عبادة الأوثان ومن وقتئذ لم يقم لليهود ملك خاص فكانوا ولا يزالون يعللون أنفسهم بالمسيح المنتظر الذى يكون ملكا عليهم تحقيقا لهذه النبوءة. ومن هذا تعلم أن المبشرين إما غافلون عن البديهيات وإما أنهم يريدون تضليل عقول العامة. فإذا أرادوا أن يجعلوا عبارة يعقوب صحيحة فلا مناص لهم من تفسير القضيب بالشريعة ولا مناص لهم من حمل شيلون على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وإلا كانت لغوا من القول.

ومن المضحك أن يقول المبشرون إن مفسرى اليهود والسامريين اتفقوا على أن شيلون من ألقاب المسيح وحيث أن اليهود اتفقوا على أن شيلون من ألقاب المسيح فيجب أن يعمل برأيهم لأنهم أخصائيون فى تفسير توراتهم وعلى هذا يكون اليهود والنصارى متفقين على رسالة المسيح عيسى بن مريم ولم يبق إلا المسلمون الذين لا سند لهم. أليس كذلك. ولكن قبل أن نصدق المبشرين يجب علينا أن نسأل مفسرى اليهود هل حقيقة آمنوا بعيسى بن مريم أو المبشرون كاذبون مضللون يريدون أن يستظلوا بظل اليهود الذين هم من أشد الناس عداوة للمسيح عيسى بن مريم لضعفهم وغباوتهم، فإن قال اليهود آمنا بعيسى وأن شيلون لقب المسيح عيسى عملنا برأى اليهود الأخصائيين وتنازلنا عن هذا الدليل أما إذا قالوا (وهو الواقع الذى لا يشك فيه صبى من صبيان مكاتبهم) أنهم لا يؤمنون بالمسيح ولا بأمه ويتهمونها بأشنع التهم التى نزهها الله عنها فإن لنا الحق فى أن نرد قول المبشرين ونقول لهم أنتم تكذبون على مفسرى اليهود.

(وبعد) فإن اليهود حقا يفسرون شيلون بالمسيح ولكن لا يقولون إنه المسيح عيسى بن مريم ، بل هم ينتظرون مسيحا آخر يكون ملكا عليهم، لأن المسيح معناه فى لغة اليهود السلطان، سواء كان بارا أو فاجرا، ومن ذلك ما ورد فى التوراة: (كذلك أحمدك يارب فى الأمم وأرنم لاسمك . برج خلاص لملكه والصانع رحمة لمسيحه داود ونسله إلى الأبد) (١) . فقد أطلق المسيح فى هذا المزمور على داود وقد أطلق داود المسيح على شاول وهو من أشرار ملوك اليهود. فقد جاء فى التوراة ما نصه: (فقال داود لرجاله حاشا لى من قبل الرب أن أعمل هذه الأمر بسيدى بمسيح الرب فأمد يدى إليه لأنه مسيح الرب هو . فوبخ داود رجاله بالكلام ولم يدعهم يقومون على شاول) (٢) . فهذا نص صريح فى إطلاق المسيح على شاول، وغير ذلك كثير فى توراتهم، فقد أطلق المسيح فى التوراة على سلطان فارس الذى خلصهم من أسر بابل، فكل كلمة مسيح الواردة فى توراتهم معناها فى

(١) المزمور ١٨ . الآية ٩ وما بعدها .

(٢) سفر صموائيل : الإصحاح ٢٤ . الآية ٦ وما بعدها .

الغالب ملك من ملوك اليهود ، ويطلقونها من غير الغالب على الملوك الذين من غيرهم، فما ينقله المبشرون عن اليهود من أنهم أطلقوا التوراة على المسيح أو طبقوها على المسيح تضليل لعقول العامة والجهلة الذين يخدعون بمثل هذا التمويه وقد عرفت الحقيقة فاحترس من المبشرين المضللين .

والنتيجة المنطقية التى لا يرتاب فيها عاقل أن عبارة يعقوب لايمكن حملها إلا على ماقررناه وهو أنه يقول ليهوذا إنه يأتى من أبنائك اثنان من الأنبياء الذين لهم شريعة مستقلة. وهما: موسى وعيسى ثم يأتى شيلون وهو محمد بشريعة عامة تشمل كل الشعوب وهو ليس من أبنائك، وعلى هذا تكون هذه النبوءة صحيحة ويكون ذكرها فى التوراة المنزلة على موسى تقريرا لها. وتكون من الآيات التى بقيت على حالها ولم تمتد إليها يد التحريف .

أما إذا فسر القضيب بالملك وفسر شيلون بمسيح النصارى أو بمسيح اليهود فلا يكون لهذه الآية معنى مطلقا لأن معناها البديهى أن الملك يستمر فى نسلك حتى يأتى شيلون الذى هو من غير نسلك حتما فتطبيقها على المسيح عيسى بن مريم يكون كذبا من وجوه :

(١) أن الملك قد انقطع من يهوذا قبل أن يجىء عيسى بن مريم بأزمنة كثيرة.

(٢) أنهم يقولون إن المسيح من نسل يهوذا فكيف يعقل أن يقول له يستمر الملك فى نسلك إلى أن يأتى ملك من نسلك، إن ذلك يكون خللا واضحا فى العبارة .

(٣) أنك قد عرفت أن المسيح لم يتول الملك لحظة واحدة بل بالعكس قد ذكرنا لك فى أول أدلتنا على تحريف التوراة أن فى التوراة نصا صريحا على أن عيسى محرم عليه أن يكون ملكا وقد نصت أناجيلهم بأنه هرب من الناس الذين أرادوا أن ينصبوه ملكا، وأنه قد صرح بأنه ليس ملك .

(٤) أن عيسى لم تخضع له الشعوب حال حياته مطلقا بل بالعكس قد صرحت أناجيلهم جميعا أنه كان مضطهدا من شعب اليهود وحده اضطهادا تاما، بحيث لم يجد عطفا إلا من أفراد تعد على أصابع اليد، ولم يستطيعوا الظهور إلا بعد صلبه فما هى الشعوب التى خضعت له حال حياته ، فإن قالوا أن الشعوب خضعت له بعد وفاته، فإنهم يقولون هراء من القول، لأنه لا معنى لكون الإنسان يكون ملكا بعد وفاته، فإذا قالوا إنه إله مالك بعد وفاته فقد خرجوا عن طور العقل الإنسانى وأصبحت مناظرتهم حماقة من الحماقات حقا .

هذا فى مسيح النصارى أما مسيح اليهود الذى ينتظرون خروجه فكذلك لا يمكن تطبيق الآية عليه، لما عرفت من أن ملك يهوذا قد انقطع من زمان بعيد فكيف يستمر الملك فى ذريته حتى يظهر شيلون إنه لو قال ينقطع الملك من ذريته حتى يأتى شيلون فيجدده لكان انتظارهم معقولا. وعلى هذا فلا مناص من أن المراد بالقضيب النبوة والمراد بشيلون محمد رسول الله ، وذلك يكاد يكون صريحا ولكن لجهلهم بإدراك المعانى الدقيقة لم يحرفوها وتركوها على حالها .

النبوءة الثانية من نبوءات التوراة : ورد فى سفر التثنية إصحاح ١٨ آية ١٥ . (يقيم لك الرب إلهك نبيا من إخوتك مثلى. له تسمعون. حسب كل ما طلبت من الرب إلهك) .

وورد فى بعض النسخ زيادة كلمة من وسطك قبل قوله أخوتك هكذا : (نبيا من وسطك من إخوتك) ولكن هذه الزيادة خطأ فهى من التحريف الشائع فى هذا الكتاب بدليل أنها ليست مكتوبة فى الترجمة السبعينية التى عليها المعول عندهم .

ومعنى هذه الآية أن موسى يقول لبنى إسرائيل أن الله سيرسل نبيا من بنى عمهم مثله .

ومثل ذلك ما ورد فى الآية ١٨ من هذا الإصحاح ونصها :

(وسوف أقيم لهم نبيا من إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ويكون الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه، وأما النبى الذى يطغى فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبى) . فالمسلمون يقولون أن النبى الذى أخبرت به هذه الآية وبشر به موسى بنى إسرائيل هو سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وهى صريحة فى ذلك بحيث لا تحتمل سواه.

تفسير اليهود والنصارى لآية سفر التثنية . أما اليهود والنصارى فإنهم ينكرون ذلك ولكن كل فريق منهم فسرها بما يطابق هواه.

فاليهود قالوا إنها اشارة إلى يوشع عليه السلام، والنصارى قالوا إنها نبوءة عن عيسى بن مريم عليه السلام. وأنا أقول إن المسلمين لا يحفلون فى مثل ذلك إلا بالحق الواضح الصريح الذى لا يحتمل غيره فهم لا يأبون أن تكون هذه الآية نبوءة عن عيسى أو عن يوشع مادامت تدل على ذلك حقا لأن دلائل نبوة سيدنا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام واضحة وضوح الشمس فى رائعة النهار وقد بلغت من الكثرة حدا لا تحتاج معه إلى الاستدلال بآيات التوراة والإنجيل وإنما نريد أن نبين الحق الذى لا ريب فيه فلينظر العقلاء فيما نقول ليحكموا بيننا وبين هؤلاء المبشرين .

أما دعوى اليهود فهى مردودة بقولهم أنفسهم لأنهم كانوا ينتظرون نبيا منهم يكون ملكا عليهم مثل موسى بعد ظهور يوشع والمسيح فإذا كان المراد بهذه النبوءة يوشع فتكون قد تحققت من زمن طويل فلماذا ينتظرون نبيهم ومسيحهم إلى الآن ومع ذلك فلنوضح لك المقام إيضاحًا تاما .

(أولا) قد ورد فى سفر التثنية إصحاح ٣٤ آية ١٠ و ١٢ ما نصه: (ولم يقم بعد نبى فى إسرائيل مثل موسى الذى قد عرفه الرب وجها لوجه فى جميع الآيات والعجائب التى أرسله الرب ليعملها فى أرض مصر بفرعون وبجميع عبيده وكل أرضه فى كل اليد الشديدة وكل المخاوف العظيمة التى صنعها موسى أمام أعين جميع إسرائيل) ، فالذى يريد البحث فى الآية الأولى ينبغى

له أن يقارن بينها وبين هذه الآية حتى لا يتناقض مع نفسه وإليك شرح هذه الآية شرحا وافيا إن معناها هو الإخبار بأن الله لا يرسل نبيا من بنى إسرائيل يكون مشابها لموسى فى أمور:

أحدها : أن يكلمه الله تعالى مباشرة بدون وحى فى بعض الأوقات وذلك معنى قوله الذى عرفه الرب وجها لوجه .

ثانيها : أن يقوم فى بيئة تغلب فيها الوثنية كأرض مصر التى كل أهلها يعبدون البشر والبقر وغيرهما.

ثالثها : أن يقتحم المخاطر ويصارع المخاوف الشديدة وهو وحده بمفرده لا ناصر له من قومه إلا الله ثم يجاهد فى سبيل الله ويتغلب فى النهاية ويقض على الوثنية الفاشية والمظالم المنتشرة بين قومه ويحل محل ذلك شريعة عادلة تنظم عبادة الله ومعاملة الناس مع بعضهم بعضا وتقتص من الظالمين .

وذلك هو معنى الآية، وإننى أعتقد أن كل عاقل يعرف الرشد من الغى ويميز الخطأ من الصواب لا يرتاب فى أن ذلك التفسير هو المدلول المطابق لهذه الآية وهى تدل دلالة صريحة على أن يوشع ليس مثل موسى وأن عيسى ليس مثل موسى عليهما الصلاة والسلام فى هذه الأمور التى ذكرت لأنهما قاما رسولين من بنى إسرائيل فالذى يقول إن هذه الأمور متحققة فيهما يكون مكذبا لها صريحا .

أما آية النبوة فإنها تدل على الإخبار بأن الله تعالى سيرسل رسولا من إخوة بنى إسرائيل وهم بنو عمهم اسماعيل رسولا مثل موسى فى الأمور التى ذكرت فى الآية الأولى وفى غيرها. لأنه قال سوف أقيم لهم نبيا من إخوتهم مثلك ولم يبين وجه الشبه، وجميعها محققة فى نبينا سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

أما أولا : فقد ثبت فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم عرج به إلى السموات العلى وهناك كلمه الله تعالى بدون واسطة وحى، وفرض عليه الصلاة مباشرة فهو مثل موسى فى هذا .

وأما ثانيا : فقد أرسل إلى قوم عمتهم الوثنية من جميع نواحيهم .

وأما ثالثا : فإنه قد أتى بالآيات والعجائب المدهشة فقد قام بينهم وحيدا لا ناصر له إلا الله يتيما لا أب له فاقتحم المخاطر وغالب الشدائد والأهوال وقارع الخطوب وجاهد فى سبيل الله وفى النهاية انتصرعلى الوثنية فمحا آثارها وقضى على المظالم والفوضى وشرع للناس شريعة عادلة خالدة وهذا معنى قوله: (سوف أقيم لهم نبيا من إخوتهم مثلك) .

فالآية الأولى. توضح هذه الآية ، وتعين تطبيقها على سيدنا محمد بن عبد الله، وذلك لأنه أولاً ربما يتوهم أن ذلك الرسول سيكون من نفس بنى إسرائيل فقال لهم إنه من إخواتهم، ولم يقل لهم منكم . وثانيا صرح بأن ذلك الرسول لا يكون من بنى إسرائيل حتى لا يرتاب فيه أحد. ثم بين وجه الشبه فى الأمور التى لا تنطبق إلا على رسول الله سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، على أن فى الآية دلائل أخرى تعين ذلك المراد وهى:

أولا : قوله (واجعل كلامي في فمه) وذلك وصف صريح للنبي والقرآن الكريم لأنه هو ذلك النبي الأمي الذي جعل الله كلامه في فمه قال تعالى: «سنقرئك فلا تنسى».

ثانيا : قوله (فيكلمهم بكل ما أوصيه به) وذلك هو سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام الذي كان يبلغ عن ربه كل ما يوحى إليه بدون زيادة ولا نقص، حتى ولو كان فيه عتبا عليه، كما قال تعالى: «قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي» «إن اتبع إلا ما يوحى إلي» وكما قال: «ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين» .

وأما آخر الآية فإنه بديع وجميل جد الجمال وهو قوله (وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاما لم أوصه أن يتكلم به. أو يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي) .

وذلك لأنه قد وضع حدا فاصلا بين الأنبياء الكذابين وبين ذلك النبي الذي بشرهم به وذلك الحد هو أن المتنبئين الذين يفترون على الله الكذب لا تقوم لهم قائمة لأن الله ينتقم منهم بإماتتهم إماتة حقيقية بأن يسلط عليهم من يقتلهم ويبيدهم كما وقع لمسيلمة الكذاب وغيره من المتنبئين الكذبة، أو يجعل ما جاءوا به من الأباطيل موضع استهزاء العقلاء وسخريتهم في جميع الأزمان، ولو أن المبشرين كانوا يعقلون لكان لهم في هذا الكلام أصدق برهان يرشدهم إلى نبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

وأي دليل أكبر من أن يقوم رجل بمفرده في بيئة وثنية تحارب كل من يدعو إلى توحيد الإله بكل ما تملك من قوة فتألب عليه الرجال والنساء حتى العبيد والأطفال ولم يزالوا يضطهدونه بكل أنواع الإضطهاد ويقاومونه بكل أنواع المقاومة ومع ذلك فقد تغلب على كل هذه الصعاب، وأشرقت شريعته المطهرة فبددت ذلك الظلام الحالك وأضاءت النهج لطلاب الفضائل الإنسانية فدخل الناس في دين الله أفواجا وانتشر الإسلام في جميع أطراف العالم ولا تزال كلمة الله هي العليا ولو كره الكافرون .

لا ريب في أن هذه الآية تدل دلالة جازمة على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولكن المبشرين لا يفقهون .

ثالثا : إن قوله سوف أقيم لهم نبيا من اخوتهم يدل على أن المراد من غير بني إسرائيل وذلك لأن أسباط بني إسرائيل الاثني عشر كانوا موجودين مع موسى في ذلك الوقت حاضرين، فلو كان ذلك النبي منهم لقال لهم سوف أقيم لكم نبيا منكم. والمراد باخوتهم هنا بنو عمهم اسماعيل، لأنه لم يقم رسول من بني عمهم عيسو ولاغيره من أبناء إبراهيم وإسحاق، واستعمال الأخوة في هذا هو الكثير الغالب في التوراة فقد ورد في الإصحاح السادس عشر من سفر التكوين آية ١٢ ما نصه:

(وأما اخوته يسكن) والمراد بذلك أن اسماعيل يسكن أمام بني إسحاق أخيه وغيرهم من ذرية إبراهيم فعبر عنهم بالأخوة. وجاء في الاصحاح العشرين من سفر العدد آية ١٤ ما نصه: (وأرسل

موسى رسلا من قادش إلى ملك أدوم هكذا يقول أخوك إسرائيل قد عرفت كل المشقة التى أصابتنا) فقد استعمل فيها كلمة الأخ فى غير الأخ الحقيقى وفى الإصحاح الثانى من سفر الاستثناء هكذا.

(ثم أوصى الشعب أنكم ستجزون فى تخوم أخوتكم بنى عيسو الذين فى ساعير) وأمثال ذلك كثير، فاصطلاح التوراة شائع فى استعمال الأخوة فى أبناء الأعمام ونحوهم من العصب، على أنه قد يطلق الأخوة على الأخ الحقيقى قليلا .

ويقول المبشرون إن إسماعيل حقيقة أخ لاسحاق من أبيه، إلا أنه إذا صح بناء على هذه القرابة اعتبار بنى إسرائيل أخوة، فكان بالأولى كثيرا أن يكون أسباط إسرائيل الاثنى عشر أخوة بعضهم لبعض.

ولكن ما قاله المبشرون لا يصلح ردا، لأنا نقول أن بنى إسرائيل كانوا حاضرين مع موسى وكان الخطاب لهم جميعا فإذا قال لهم إنه سيكون نبى من أخوتكم فإنه لا يكون له معنى إلا ذلك النبى من بنى عمهم لأنه لو كان المراد منهم لقال لهم إن ذلك النبى يكون منكم دليلنا على ذلك أن التوراة تستعمل الأخوة فى ذلك فى أكثر مواضعها ولا ننكر أنها تستعملها بمعنى الأخوة الحقيقية فكيف يردون بأنه إذا كان استعمال الأخوة صحيحا فى أولاد العم فيكون أشد صحة فى الإخوة الحقيقيين. إن ذلك بعيد عن وجهة نظرنا كل البعد.

على أنهم قد حكموا حكما جازما بعد ذلك بأن إسماعيل لا يأت من نسله أنبياء، فقالوا إنه قد ورد فى التوراة نصوص صريحة تحذر بنى إسرائيل ألا يقبلوا أى نبى من ذرية إسماعيل لأن عهد الله كان مع إسحق لا مع إسماعيل (تك ١٧ : ١٨ ـ ٢١ و ١٠ ـ ١٢) وقالوا إن القرآن نفسه يؤيد رأى التوراة من هذه الحيثية لأنه يصرح فى مواضع كثيرة أن النبوة موكولة إلى بنى إسرائيل، ومن ذلك قوله **«ووهبنا له اسحاق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب»**(١) وقوله: **«ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين»**(٢) .

هكذا يقول المبشرون فقد استدلوا بالتوراة على تحذير بنى إسرائيل ألا يقبلوا نبيا من ذرية إسماعيل، وزعموا أن القرآن يؤيد التوراة من هذه الناحية، فالقرآن الذى أنزل على محمد ابن عبد الله رسول الله وخاتم النبيين، يصرح بأنه غير رسول، ويؤيد التوراة فى ذلك ، فلننظر فيما يقوله المشرون وإن كان بطلانه واضحا لا يخفى على أحد من خلق الله: أما قوله تعالى: **«ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب»** فإنه صريح فى غير ما يقوله المبشرون .

وذلك لأن الضمير فى ذريته عائد على إبراهيم لأن أصل الكلام معه، ومما لا شك فيه أن إسماعيل من ذرية إبراهيم ورأس أسرته، فكيف يخرج بهذه الآية، ولنفرض أن الضمير عائد إلى

---

(١) سورة العنكبوت : الآية ٢٧ .

(٢) سورة الجاثية : الآية ١٦ .

يعقوب ولكن من ذا الذى يفهم من هذه الآية الكريمة حصر النبوة والكتاب فى ذريته؟ إن الآية لا تفيد إلا أن الله تعالى قد اصطفى من ذرية يعقوب نبيين فلا ينافى أنه اتخذ نبيين من غيرهم أيضا وذلك ظاهر لا يرتاب فيه عاقل .

وأما قوله تعالى: «**ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات**» فهى على هذا المنوال الذى بيناه وذلك لأن الآية الكريمة ليس فيها شىء ما يفيد قصر هذه الصفات على بنى إسرائيل ولو كان فيها هذا القصر لم يكن لها معنى إذ ليس من المعقول أن يقول تعالى قد قصرنا الحكم والنبوة على بنى إسرائيل دون غيرهم فيخرج بذلك إبراهيم ونوح ولوط وشيث وغيرهم من الأنبياء الذين لم يكونوا أبناء ليعقوب بل يخرج إسحاق نفسه لأنه أب ليعقوب لا ابنه فمن المضحك أن يستدل شخص بمثل هذا الكلام. ولكن المبشرين رجال بحث وعلم فهم أعلم باللغة العربية وأساليبها من أهلها فقد عرفوا من القرآن أن محمداً ليس برسول، أما العرب الذين تحداهم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فإنهم جهلة بلغتهم، وإلا فلو كانوا مثل هؤلاء المبشرين لقالوا لهم إنكم لستم من ذرية يعقوب.

هذا فهم المبشرون فى القرآن الكريم وليس فهمهم للتوراة بأقل ضعفا من فهمهم للقرآن وإليك نص عبارة التوراة التى زعموا أنها تحرم النبوة على ذرية إسماعيل وأنها تحذر بنى إسرائيل من أن يقبلوا نبيا من ذرية إسماعيل قالوا فى التوراة: (وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا. اثنى عشر رئيسا يلد واجعله أمة كبيرة. ولكن عهدى أقيمه مع اسحاق) (١) .

فلنفرض أن هذه الآية صحيحة وأن المراد بالعهد هو النبوة ولكنا نقول إنه لم يتعرض لذرية إسماعيل فيها مطلقا لا تعريضا ولا تلويحا ولا تصريحا، فمن أين نأخذ أن الله حرم على ذرية إسماعيل النبوة، إن صريح الآية يقضى بأن الله سيبارك ذريته، لا أنه يسجل حرمانها من النبوة ومع ذلك فإن هذه الآية تتضارب مع الآية السابعة وما بعدها من نفس ذلك الإصحاح وإليك نصها: (وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك فى أجيالهم عهدا أبديا لأكون إلها لك ولنسلك من بعدك؟ فالله يخاطب إبراهيم عليه الصلاة والسلام بأن يجعل عهده بينه وبين نسله مطلقا فى أجيالهم لا فرق بين إسحاق وإسماعيل فكيف يصرح بعد ذلك بإخراج إسماعيل وما ذنبه؟ فإذا لم تأوّل الآية الثانية تأويلا يطابق الأولى كأن يراد بالعهد شىء خاص بإسحاق غير النبوة كانت محرفة بلانزاع ويكون اليهود قد حشروها ليحصروا النبوة فى اسحاق ويعقوب أجدادهم، ولكن الله أبى إلا أن يكذبهم بنفس توراتهم، فتركوا الآية السابقة على حالها، وقد أخبرنا القرآن الكريم بأن إسماعيل نبى مرسل. قال تعالى وهو أصدق القائلين :

---

(١) سفر التكوين : الإصحاح ١٧ الآية ٢٠ .

«واذكر فى الكتاب إسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا»[1].

وقد عرفت أن القرآن قد تواتر صدوره عن النبى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد ثبتت نبوته بالدلائل القطعية الجازمة، فما يقوله القرآن الكريم هو الصحيح الذى لا شك فيه وكل ما يخالفه باطل قطعا.

ولم يكتف المبشرون بهذه النظريات المضحكة بل قالوا إن النبى المنتظر فى آية البحث موعود به أن يرسل لبنى إسرائيل وأما محمد فأعلن رسالته بين العرب الذى هو منهم) .

ولا أدرى كيف يفهمون وكيف يستدلون ليعذرنى القراء إذا قلت لهم إنهم يكتبوه بدون حساب لأن سيدنا محمدا أرسل للناس كافة ودعا أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلى الإيمان به وبكتابه، وأقام لهم البراهين الكثيرة على صدقه، وذكر كثيرا من مساويهم التى صرفتهم عن الحق وقد آمن به كثير من أحبارهم ورهبانهم العارفين بالحقائق، وعبارة التوراة (وسوف أقيم لهم نبيا من إخوتهم مثلك) صريحة فى أنه يكون من سلالتهم ولغيرهم من العرب والعجم، إذ ليس فيها قصر أو شبه قصر يدل على أن ذلك الرسول الذى وعدت به التوراة خاصا ببنى إسرائيل فمن أين جاءوا بهذا الكلام؟ أليس ذلك مضحكا؟ .

وأغرب من هذا وأبدع ما قالوه من أن وجوه المشابهة المشار إليها فى آية البحث بين موسى والنبى المنتظر أن يقوم من بنى إسرائيل فمشروحة فى تث ٣٤ : ١٠ ـ ١٢ وقالوا أنها تنحصر فى نقطتين الأولى معرفة الله وجها لوجه عند كل النبيين والثانية المعجزات العظيمة لكل منها، أما عن النقطة الأولى فيقولوا إنها ليست متوفرة فى محمد لأنه قال فى حديث مشهور ما عرفناك حق معرفتك . وأما عن النقطة الثانية فليست متوفرة فيه أيضا بدليل القرآن نفسه فإنه يشهد فى مواضع كثيرة أنه لم يأت بمعجزة واحدة ومن ذلك قوله: «وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون»[2] ... إلخ .

(وقوله: «وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية»[3]. وآية ٣٧ و٥٧ و١٠٩ من الأنعام وآية ٢٠٣ الأعراف وآية ٢٠ يونس وآية ٧ و٢٧ الرعد وآية ٥٠ ـ ٥١ العنكبوت .

فهم يستدلون على أن سيدنا محمدا لا معجزة له بكل هذه الآيات، فلنتكلم معهم أولا فى التوراة التى يزعمون أنها كتابهم :

---

(١) سورة مريم : الآية ٥٤ .
(٢) سورة الإسراء : الآية ٥٩ .
(٣) سورة البقرة : الآية ١١٨ .

أرادوا أن يستدلوا بما هو دليل عليهم ويحتجوا بما هو حجة عليهم، وذلك منتهى الغفلة عن قوانين المنطق والبيان فجاءوا بآية سفر التثنية التي تقدم ذكرها آنفا وهي: (ولا يقوم نبي من بني إسرائيل مثل موسى ... إلخ) وهي التي أشاروا إليها بقولهم (تث ٣٤ : ١٠ ـ ١٢) ويا ليتهم يعترفوا بأن آية وسوف أقيم لهم نبيا مثلك لا تنطبق على عيسى حتى يصح لهم أن يقولوا إن أوجه الشبه التي في آية لا يقوم نبي من إسرائيل مثل موسى في آياته لا تنطبق على محمد، كلا بل يقولون إن الله نفسه فسر في الإنجيل ما أنبأ به في التوراة وأظهر أن النبي الموعود به هو (المسيح لا محمد) فقد استدلوا بالتوراة والقرآن والإنجيل .

فيا لها من مهارة أما أنا فلا أدري كيف يفهم المبشرون في التوراة فيأتوا بالآية التي تصرح بأنه لا يقوم نبي من بني إسرائيل مثل موسى ويتخذونها حجة. أليس عيسى من بني إسرائيل؟ فكيف يكون نبيا مثل موسى والله يقول لا يقوم نبي مثل موسى من بني إسرائيل فاحكموا يا أولي الألباب، ومع ذلك، كيف يرضى المبشرون أن يكون المسيح عيسى بن مريم الذي هو إله كامل عندهم مثل موسى إن موسى لم يدع لا هو ولا أحد أتباعه أنه إله أو ابن إله .

فكيف يكون مثله فلنقل إن عيسى عبد الله ورسوله كما يقول القرآن الكريم فيكون مثل موسى من هذه الناحية، ولكن كتابه الذي بين أيديهم مناقض لكتاب موسى على خط مستقيم، لأنه أبطل كل الشرائع والتكاليف التي جاء بها موسى عندهم، فكيف يكون مثله في التشريع فلنقل إن عيسى أنزل إليه كتاب مشتمل على شرائع وأحكام قضى عليها «بولس» وأمثاله فأنساهم إياها كما يقول القرآن الكريم إن الإنجيل مصدق للتوراة لا ناسخ لجميع أحكامها فيكون مثل موسى من هذه الناحية، ولكن عيسى قد صلب نفسه انتحارا ليكفر عنهم خطيئاتهم، وموسى عليه السلام لم يفعل ذلك، فكيف يكون عيسى مثله، فلنقل إنه لم يصلب ولم ينتحر وإنهم كاذبون فيما يزعمون من ذلك. كما يقول القرآن الكريم: **«وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم»** فيكون عيسى مثل موسى من هذه الناحية أيضا، ولكن عيسى (صلوات الله عليه برأه الله مما يقول المبطلون) ملعون في كتابهم المقدس عندهم ودخل الجحيم وعذب فيها وموسى ليس كذلك، فلنقل إن الذي كتب ذلك عدو للمسيح عيسى بن مريم فانتقم من أتباعه بأن دس عليهم هذا الكلام الذي لا يصدر عن عاقل، وعيسى عليه الصلاة والسلام براء مما يقولون كما قال القرآن الكريم أنه مطهر وعند الله من المقربين، فيكون عيسى مثل موسى من هذه الجهة أيضا، فإذا رضي المبشرون بأن يقولوا إن عيسى بشر كسائر الناس وروحه كسائر الأرواح المتعلقة بأبدان الأفراد الإنسانية، وإن التكاليف الشرعية الواردة في التوراة لم تبطل، وأنهم مكلفون بما فيها وما زاده المسيح أو أنقصه حسبما اقتضاه

التشريع الإلهى، وأن المسيح لم يصلب قطعا وأن ما روى من حادثة صلبه مكذوب من أوله إلى آخره، وأن من قال إن المسيح ملعون يكون قد سب رسولا من خيار المرسلين سبا ظاهرا، وكذلك من قال إن المسيح دخل الجحيم فإنه يكون مكذبا لخبر الله تعالى بأن الأنبياء لهم جنات النعيم، إذا رضى المبشرون بكل ذلك فإن المسيح يكون مثل موسى، وانتى أتنازل لهم عن طيب خاطر عن هذا الدليل، وأقول لهم إنه منطبق على سيدنا عيسى تمام الانطباق، وإنه مثل موسى حقا، وإن هذه النبوءة منحصرة فيه وحده، أما إذا لم يرضوا وأصروا على هذه المعتقدات التى لا مثيل لها فى أمة من الأمم اللهم إلا بعض الوثنيين فليس من المعقول أن يتمسكوا بهذه النبوءة ويقولوا إن عيسى مثل موسى وليت شعرى كيف يتصورون أن يكون الإله مثل فرد من أفراد عباده الذين خلقهم، إن تشبيه الإله بموسى نقص عظيم فى مقام الألوهية، ثم كيف يكون مثله وشريعتهما متباينة فذلك قد جاء بتكليف وحدود وطهارة ونجاسة وذاك ألغاها رأسا، كيف يكون مثله وأحدهما صلب ليخلصهم والآخر لم يصلب؟ لا. لا إن ذلك ضرب من ضروب المحال، فخير للمبشرين أن يتواروا فى هذا المقام خجلا ولا يستمسكون بنبوءات ويتركون الميدان للحقائق الواضحة التى لا تخفى إلا على المكابرين .

أما ما يهرفون به بعد ذلك من قولهم إن أوجه الشبه لا تتحقق فى سيدنا محمد فإنه لغو من الأول وذلك لأنهم زعموا أن أوجه الشبه بين موسى وبين النبى المبشر به منحصرة فى أمرين أحدهما أن يعرف ذلك النبى ربه ومحمد لا يعرف ربه حق معرفته بنص الحديث المشهور وهو ما عرفناك حق معرفتك . ثانيهما أن يأتى ذلك النبى بخوارق ومعجزات ومحمد لم يأت بمعجزات بدليل القرآن .

هكذا يقولون ولو أن المبشرين يقتصرون فى دلائلهم على كتبهم لهان الأمر، ولكن من الأسف أنهم مع جهلهم الشائن وتعسفهم الظاهر فى فهم كتابهم الذى هم أخصائيون فيه، يجرءون على الاستدلال بكتب المسلمين التى لا يدركون لها معنى وإلا فبربك قل لى من قال إن النبى صلى الله عليه وسلم قال ماعرفناك حق معرفتك؟ فى أى كتاب من كتب السنة الصحيحة ذكر هذا الحديث؟. إنهم ينسبون هذه الكلمة للإمام أبى حنيفة قالها تواضعا. أليس ذلك من فضول القول والجرأة التى لا يبالى صاحبها بالفضيحة. ومع ذلك فلنفرض أن بعضهم روى هذا حديثا ولكن ألا يجدر بمن يريد أن يحكم حكما خطيرا فى موضوع دينى كهذا أن يتثبت أولا مما يعتقده المسلمون فى ذلك الموضوع ليكون حكمهم صحيحا. إن المسلمين قد أجمعوا على أن نبيهم سيدنا محمد ابن عبد الله أعرف الناس بربه وأقربهم إليه وأفضلهم عنده من لدن آدم إلى يوم القيامة ولم ينقل عن مسلم أنه قال أن فى النوع الإنسانى أفضل من ذلك النبى الكريم أو أعرف منه بربه لا فرق بين إبراهيم وموسى

وعيسى وغيرهم من سائر الأنبياء والمرسلين صلوت الله عليهم أجمعين . هذا هو اعتقاد المسلمين في نبيهم فكيف يروى شخص منهم حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعرف ربه حق معرفته وهو الذى يعرفه؟ الواقع أن المبشرين يشبهون رجلا غريقا يحاول أن ينجو من غرقه بالتعلق بعود من الحشيش الواهن فكلما أمسكه انقطع به وهلم جرا .

ولنفرض أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه الكلمة فأى حجة فيها على المسلمين؟ إنهم يقولون إن النبي صلى الله عليه وسلم أعرف بربه من عيسى بن مريم صلوات الله عليه وذلك مجمع عليه عندهم، وبناء على هذه النظرية تكون معرفة الأنبياء بربهم متفاوتة وأعلاها منزلة معرفة النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كانت ناقصة وتكون معرفة عيسى أنقص منها وهكذا .

وبعد هذا وذاك فالمبشرون مخطئون في فهم آية التوراة خطأ واضحًا لأن نصها (ولم يقم نبي في إسرائيل مثل موسى الذى عرفه الرب وجها لوجه) وبديهي أن المعرفة في الآية منسوبة إلى الله سبحانه وتعالى لا إلى النبي فالله يعرف النبي وجها لوجه ومما لا ريب فيه أن الله عليم بجميع خلقه لا فرق بين نبي وغيره ولكن المراد المتعين هنا أن الله تعالى يرفع الحجب بينه وبين ذلك النبي فيتصل به بدون واسطة، ولذلك قال يرفع الحجب وجها لوجه ومعنى ذلك الذى ينطبق على موسى ومحمد عليهما أفضل الصلاة والسلام أن الله تعالى كلمهما بدون واسطة وحى أما المبشرون فقد فهموا أن المعرفة منسوبة إلى النبي فهو الذى يعرف الله (ولا أدرى كيف فهموا ذلك بعد قوله يعرفه الله وجها لوجه ولم يقل يعرف الله وجها لوجه، ثم تخيلوا أن هذه الآية منطبقة على المسيح) . ألا فليتعلم الناس فلسفة الأدلة من المبشرين وليقفوا على أسرار المنطق السليم منهم أما أنا فأقول ياللعار أو أقول إننى قد منيت بمناقشة قوم لا يكادون يفقهون قولا ، وإلا فنحن إذا سلمنا للمبشرين بكل ما يقولون من ذلك الهراء المضحك فكيف يستطيعون أن يقولوا إن عيسى مثل موسى في معرفة الإله مع أن عيسى هو الإله نفسه عندهم، وفى أى عقل يصح تشبيه معرفة الإله بمعرفة عبد من عباده مع أن المشبه به أقوى من المشبه بلا نزاع فتكون معرفة موسى بربه على زعمهم أقوى من معرفة الله بنفسه إن ذلك لمن أغرب ما تذهب إليه العقول الإنسانية .

وأغرب من هذا كله أنهم فهموا من قوله في الآية (في جميع الآيات والعجائب التى أرسلها الرب ليعملها في أرض مصر بفرعون وبجميع عبيده وكل أرضه وفى كل اليد الشديدة إلخ) أن المراد به خصوص خوارق العادات وقد عرفت أن أناجيلهم مبنية على الخيالات التى قال عنها بعض شراحهم قد خلطوها بالمعجزات الصحيحة فلم يتميز الكاذب من الصادق، والذى جاء بهذه الخوارق وحده عيسى، أما محمد فلم يأت بمعجزة خارقة للعادة مطلقا فالنبوة لا تنطبق إلا على عيسى.

ولكن فات المبشرون أن الأمر ليس مقصورا على هذه الخوارق بل هو صريح فى الأعمال الهائلة التى قام بها موسى بين قومه والمخاطر الشديدة التى اقتحمها ومحاربة ذلك الطاغية الذى يزعم أنه إله، وإقامة شريعة تشتمل على أحكام عامة من حدود ومعاملات وعبادات وغير ذلك، وبعد هذه الشدائد انتصر انتصاراً باهراً، فهل يستطيع المبشرون أن يدلونا على مثال واحد فى أناجيلهم من ذلك الذى عمله موسى ومحمد، كلا إنهم لن يستطيعوا. وقد لخصت لك أناجيلهم فيما مضى، وليس فيها سوى أن المسيح قد خطب بضع مرات، وناظر الصدوقيين والفريسيين وأتى بالخيالات والمعجزات ثم اضطهده الشعب بأجمعه وصلبوه .

فهل هذه مثل الأعمال التى عملها موسى؟ وهل يوجد عاقل يقرر أن هذه مثل تلك كلا وألف مرة كلا .

أما استدلال المبشرين بالقرآن على أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لم يأت بمعجزة البتة فهو مضحك .

لأننى ما كنت أظن أن تصل الجرأة ببعض الناس إلى هذ الحد من القحة. وإذا كان سيدنا محمد لم يأت بمعجزة واحدة فبماذا تغلب على الصعاب المفزعة والعقبات الهائلة والمواقف العصيبة. والأهوال الشديدة التى وقعت فى سبيل الدعوة إلى الله؟ إنه نشأ وحيدا لا ناصر له إلا الله حتى أن أبا طالب الذى كان ينتصر له توفى وتركه وحيدا فى الميدان، ولم يكن لديه مال يستطيع أن يستخدم به الناس فيما يريد ، وكان قومه جميعهم أعداء له يريدون القضاء عليه فى السر والعلانية ، وكانوا من أشد الناس تعصبا لدينهم وآلهتهم، فما هو الذى أظفره بهؤلاء ؟ ما هو الذى جعلهم يؤمنون به وهم ما كانت لهم أمنية أكبر من أمنية الفتك به، والقضاء عليه انتقاما لدينهم وآلهتهم ؟ لاشك أن ايمانهم به، ثم إخلاصهم له وتفانيهم فى حبه إلى حد أنهم كانوا يقولون له والله لو أمرتنا أن نلقى بأنفسنا فى البحر لفعلنا بدون أن نسألك عن السبب .

وكانوا يتمنون الموت فى سبيل الانتصار له، ويحسبونه نعيما خالدا وملكا مقيما ، فذلك دليل قاطع على أنهم لم يفعلوا ذلك إلا لما رأوا من معجزاته الكثيرة الصحيحة وهى التى أرغمتهم على هجر دينهم الذى كانوا يفدونه بمهجهم وأرواحهم، وهذا هو الغرض المقصود من المعجزة فليست المعجزات عبارة عن خيالات فقط من غير أن يكون لها أثر ما فى البيئة كما تقول أناجيلهم (إن عيسى أخرج الشياطين من أجسام الجمهور إلى جمهور الخنازير فجعلت الخنازير تقوم وتقعد وتقفز وتسكن، وأخيرا ألقت بنفسها إلى البحر) .

وهذه المعجزات من الخيالات المضحكة لأننى لا أدرى ماهو ذنب الخنازير حتى يحكم عليها المسيح بذلك الحكم الجائر خصوصا أنها طاهرة عنده ولها قيمة مالية فهو بعمله هذا قد أضاعها

على أصحابها ولم يعوضهم عنها شيئا وإذا كان المسيح قد نقل الجن من الإنسان إلى الخنازير فإنه كان يمكنه أن ينقلها إلى البحر مباشرة ولكن القوم يؤمنون بالمحال ولا يصدقون بالحقائق الثابتة ومثل ذلك كثير من الخيالات كمشيه على البحر الهائج ومخاطبة المجانين ... إلخ .

وكانت نتيجة لكل هذا أن الشعب قد أجمع على قتله وقال بيلاطس إنه مضل. إن هذه الخيالات التى رواها الإنجيليون حتى قال أحدهم (إنها لو كتبت واحدة واحدة لم تسع الدنيا بأجمعها الدفاتر المكتوبة فيها) لا قيمة لها فى نظر المسلمين ولا يمكن الإحتجاج بها فى أى زمان ومكان مالم يكن لها أثر فعلى يؤكد الإيمان بها ويرفع الشك فى روايتها لأن الأمر الخارق للعادة يكون دليلا قويا للقوم الذين يشاهدونه أولا، ثم ينتقل منهم إلى من بعدهم فإذا ظهر نبى من الأنبياء فى أمة من الأمم وآمنت به بأجمعها وقررت أنها رأت من معجزاته ما جعلها تؤمن بأنه رسول من عند الله ، فلا شك فى أن ما يروى من معجزاته يكون معقولا عند غيرها أما إذا كان العكس فلم يؤمن به أحد من أهل بيئته مطلقا، وقد روت كتبهم أن الأمة قالت عنه أنه مضل فى آخر لحظة من حياته، أفلا يكون رواة معجزاته بعد ذلك مشكوكا فيهم، وذلك هو الذى وقع لسيدنا عيسى من الإنجيليين، أما سيدنا محمد فقد تواتر أن جميع البيئة التى ظهر فيها آمنت به ، ولم يبق فى شبه جزيرة العرب أحد يدين بغير الإسلام ، وإننى أؤكد للقراء أن القرآن الكريم هو الذى حفظ سيدنا عيسى ومعجزاته ولولاه لقضى على الإنجيل الذى فى أيديهم قضاء مبرما .

تفسير الآيات التى استدلوا بها على عدم وجود معجزات للنبى . (وبعد) فلعل القراء يريدون أن يعرفوا تفسير الآيات التى استدل بها المبشرون على أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يأت بمعجزة وها أنا ذا أشرحها لهم آية آية :

الآية الأولى . وهى قوله تعالى: **«وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون»**[1] فالمبشرون يقولون إن الله لم يرسل معجزة على يد محمد لأن الأولين كذبوا بالمعجزات وهذا جهل فاضح بمعنى القرآن الكريم . وكان يصح للمبشرين قبل أن يستدلوا أن يرجعوا إلى أصغر تفسير من كتب التفسير الكثيرة كالجلالين مثلا ليفهموا الغرض من الآية قبل أن يستدلوا .

ومعنى هذه الآية أن المشركين طلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بآيات خاصة حسبما تزين لهم شهواتهم، وقد كانت هذه الحالة معروفة فى الأمم السابقة فكانوا يعلقون إيمانهم على آية خاصة يقترحونها تعجيزا للرسل، ويشترطون على أنفسهم أنهم إذا جاءتهم هذه الآية يؤمنون، وكان الله تعالى يجيبهم إلى طلبهم حتى إذا لم يؤمنوا أنزل عليهم العذاب وأهلكهم، ولكن سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب من ربه أن يؤجل العذاب الدنيوى لجواز أن

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٥٩ .

يؤمن بعضهم أو يخرج من أصلابهم من يوحد الله تعالى فأجابه الله تعالى إلى ذلك . قال تعالى: «**وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم**»[1] وقال تعالى: «**ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى**»[2] ومعنى ذلك أنه لولا أن الله وعد نبيه بأنه لا يعذبهم وهو فيهم وأنه قد أجل العذاب إلى أجل مسمى وهو يوم القيامة لكان العذاب الذى وقع بالأمم الماضية لازما .

فالله سبحانه يقول لكفار قريش إن الأمم الذين اقترحوا آيات خاصة آتيناهم بها ولكن كذبوا بها فأهلكناهم فلو آتيناكم بهذه الآيات تكذبون فنهلككم كما أهلكنا من كان قبلكم ونحن لا نريد هلاككم لأننا وعدنا الرسول بذلك والدليل على أنكم تكذبون بالآيات التى تقترحونها أن لديكم من الآيات ماهو أجل وأكبر منها فلم تؤمنوا .

ولقد بين الله سبحانه هذا المعنى: بيانا كاملا فى قوله تعالى: «**ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا . وقالوا لن نؤ من لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابًا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا**»[3].

فهذه هى الآيات التى طلبها كفار قريش فى مبدأ رسالة النبى صل الله عليه وسلم ولم يجبهم الله تعالى إليها. والواقع أنهم لم يطلبوها ليؤمنوا لأن لديهم من المعجزات القاطعة ما يكفى فى إيمان الذين يريدون الوصول إلى الحق بدون تعنت وعناد وقد اعترفوا قبل ذلك بأن القرآن ليس من كلام الجن وليس من كلام الإنس ثم قالوا إنه ساحر فكل معجزة كانت تأتيهم وقتئذ لابد أن يقولوا إنها سحر مبين .

المعجزات المستحيلة شرعا . على أن مطالبهم هذه بعضها مستحيل شرعا. وبعضها ليس من خصائص الرسل فأما المستحيل فهو طلبهم أن يأتيهم الله والملائكة وذلك لأنهم ظنوا كما ظن المبشرون أن الإله لعبة فى أيديهم يمكنهم أن يروه كسائر البشر، وذلك جهل عظيم بمقام الألوهية لأن الله سبحانه ليس كمثله شىء فليس بجسم ولا مادة من المواد البشرية ولا يماثلها على أى حال، فلا تدركه الأبصار ولا تحده العقول، وقد صرحت بذلك التوراة فى غير موضع فقد ورد فيها ما نصه: (أما عرفت أم لم تسمع. إله الدهر الرب خالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعيا. ليس عن فهمه

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٣٣ .
(٢) سورة طه : الآية ١٢٩ .
(٣) سورة الإسراء : الآية ٨٩ ـ ٩٣ .

فحص) [1] . وورد ما نصه: (حقا أنت إله محتجب يا إله إسرائيل المخلص) [2] . وورد في التوراة أيضا: (إلى عمق الإله تتصل أم إلى نهاية القدير تنتهي) [3]. ولكن المبشرين الذين يقولون أن التوراة كتابهم لا يؤمنون بهذا الكلام .

ويقولون أن الله تعالى عما يقولون تجسد وتربى في رحم مريم وظهر للناس في صورة عيسى بن مريم ولكنا نقول لهم إن مجيء الإله في شكل إنسان لا يرفع الإشكال لأن الناس قد التبس عليهم أمر الإله الذين تزعمون وقتلوه شر قتلة واستراحوا من إلههم .

أما الملائكة فإنهم يمكنهم أن يأتوا في صورة الإنسان ولكن ذلك لايرفع الإشكال كما قلنا وإلى ذلك أشار الله تعالى بقوله: **«ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون»**[4] . أما طلبهم أن تسقط عليهم السماء قطعا فهو مستحيل شرعا لأن في ذلك هلاكهم وهلاك غيرهم وقد عرفت أن الله تعالى لا يهلكهم بذنوبهم كما أهلك من كان قبلهم ومثل ذلك طلبهم **«أن يرقى إلى السماء»** وهم يرونه بأعينهم ثم يرسل إليهم كتابا يوحى به إليهم فهم يريدون أن يحل محمد محل الإله وهم يحلون محل الرسل وذلك مستحيل شرعا لأن الوحي لا يكون إلا من الإله وما كان محمد إلا بشرا ويظهر أن هذا المطلب يوافق عليه المبشرون أيضا لأنهم يقولون إن عيسى ركب فوق الغمام وتلاميذه يرونه وأخذ الغمام يرتفع به شيئا فشيئا حتى غاب عن أبصارهم ثم بعد زمن أرسل بولس الرسول وأنزل عليه جزءا عظيما من إنجيلهم ولكن سيدنا محمدا لم يدع الألوهية كما قال تعالى: **«قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا»** وكذلك المسيح عيسى بن مريم فإنه لم يدع سوى أنه عبد الله ورسوله ولكن المبشرين تخيلوا ما صوره لهم بولس صحيحا فآمنوا به ولا مانع عندهم من الإيمان بالمستحيل.

المعجزات التي ليست من خصائص الرسل . وأما الممكن الذي ليس من خصائص الرسل فهو طلبهم أن تقلب صحاري مكة أرضا خصبة تجري فيها الأنهار وتنبت فيها الجنات وتزول منها الجبال، وذلك لأن خرق السنن الكونية والنظم العالمية لايقع إلا لضرورة الاستدلال على صدق الرسول، وهذا يكفي فيه أن يأتيهم بما يعجز أهل زمانه عن الإتيان بمثله وقد جاءهم بمعجزة القرآن ابتداء واعترفوا بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله وقالوا إنه سحر يؤثر، فكونهم يطلبون بعد ذلك جنات يتنعمون فيها ولا يعملون في حياتهم شيئا، ولا يتمسكون بالأسباب الموصلة إلى ذلك فذلك دليل على تشبثهم بالمحال وما كان الله في حاجة إلى إيمانهم حتى يجعل النظم الكونية تحت شهواتهم. فهذه الآيات التي طلبوها من النبي صلى الله عليه وسلم لارضاء شهواتهم لم يجبهم الله

---

(1) سفر أشعيا : الإصحاح ٤٠ الآية ٢٨ .
(2) سفر أشعيا : الإصحاح ٤٥ الآية ١٥ .
(3) سفر أيوب : الإصحاح ١١ الآية ٧ .
(4) سورة الأنعام : الآية ٩ .

إليها وقال لهم انظروا أولا إلى معجزة القرآن كما قال: **«ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل»**. فإن لم تؤمنوا فإن كل هذه المطالب لا تنفعكم وهذا هو الذى وقع فعلا فإن مشركى مكة الذين كانوا يطلبون هذه المطالب قد أرغمتهم معجزة القرآن وغيرها على الإيمان ودخلوا فى دين الله على بكرة أبيهم كما قال تعالى: **«إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا»**[1] .

ومن طرائف المبشرين أنهم يستدلون على عدم المعجزة المحمدية بآيات من السورة التى ابتدأها الله تعالى بأول معجزة من معجزاته العظيمة فقد قال تعالى وهو أصدق القائلين: **«سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا»**[2] وقد ثبت فى الصحيح أن المشركين تألبوا عليه حين أخبرهم بهذا الخبر وأخذوا يسألونه عن كل شيء يثبت صدق قوله وهو يجيبهم حتى بهتوا وقالوا إنه ساحر .

بعض معجزات النبى صلى الله عليه وسلم . وللنبى صلى الله عليه وسلم معجزات كثيرة ذكرت فى كتب السنة الصحيحة حتى بلغت مبلغ التواتر .

منها تسبيح الحصى فى كفه. ومنها نبع الماء من بين أصابعه. ومنها زيادة الماء فى قربتين لإمرأة كانت تحمل ماء حتى شرب الجيش الذى كان معه صلى الله عليه وسلم وملأ ما معه من قرب ولم ينقص من ماء المرأة شيء. ومنها حنين الجذع الذى كان يخطب عليه ثم تركه بعد أن عمل له المنبر فسمع للجذع بكاء كبكاء الصبى. ومنها زيادة طعام أبى بكر الذى صنعه لأهل الصفة حتى أكل منه وفود كثيرة فكفاهم. ومنها انشقاق القمر. ومنها شكاية الجمل له وسجوده بين يديه ومنها إخباره صلى الله عليه وسلم بكثير من المغيبات كإخباره بمصرع زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة فى معركة مؤتة بالشام وهو بالمدينة ومنها إخباره صلى الله عليه وسلم بكل ما وقع لأصحابه بعد موته مرحلة مرحلة حتى أنهم كانوا يتحدثون بالفتن التى وقعت فى عهد عثمان فى خلافة عمر. ومنها أن أبا جهل أراد أن يهجم على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فوجد أمامه حائلا من لهب فارتد فزعا وأخبر بذلك وقد كانوا يرون هذه المعجزات ومع ذلك لا يؤمنون ولهذا قال الله لهم: **«وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر»**[3] على أن هذا المقام لا يسع ذكر المعجزات التى وردت فى كتب السنة الصحيحة التى لاشك فى روايتها وهى مسندة إلى رواتها بأسانيد كلها صحيحة ويؤيدها الواقع المحس كما ذكرنا فإن كل مشركى العرب الذين كانوا يحاربونه ويضطهدونه قد أثرت فيهم معجزاته فأصبح صلى الله عليه وسلم من أحب خلق الله

(١) سورة النصر . (٢) سورة الإسراء : الآية ١ .
(٣) سورة القمر : الآية ٢ .

إليهم وقد بلغ من حبهم اياه أنهم كانوا يحبونه أكثر من أنفسهم وأبنائهم وأزواجهم وأموالهم كما أمرهم الله بذلك حيث قال تعالى: «قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها . أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره»[1] .

أفلا يستحى المبشرون بعد ذلك الدليل المادى الذى لا ريب فيه. إنهم لا يستحيون ولابد أن يقولوا إن الذى انفرد بالمعجزات هو المسيح مهما أقمت لهم الدليل على أن معجزاته يرويها لهم جماعة غير معصومين من الكذب ولا يعرفون لها سندا ومع كل ذلك فهى لم تؤثر أى تأثير فى قومه . هذا وإنى أكرر القول هنا إن هؤلاء القوم هم أعداء المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام كما هم أعداء لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأن مانسبوه إليه وما ألصقوه به لا يرضى به أى عاقل يعرف الرشد من الغى. ولكن الله تعالى قد أكرم ذلك الرسول العظيم والنبى الكريم فحفظ له آثاره فى القرآن الكريم وذكر له معجزاته الصحيحة التى تناسب مقام النبوة فعليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام وجزاهما الله عن الفضيلة والحق أحسن الجزاء .

الآية الثانية . وهى قوله تعالى: «وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية، كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم»[2] فهى بمعنى ما تقدم من جميع الوجوه فهؤلاء هم بعض مشركى مكة الذين طلبوا أن يتصلوا بالإله مباشرة فتتعطل وظيفة الرسل وتبطل حكمة الله فى ابتلاء خلقه ويختل النظام من أوله إلى آخره فهم إنما يطلبون محالا وكذلك الآية الأخرى التى طلبوها فهى من ذلك الذى يستحيل وقوعه فى العالم ومع ذلك فقد عرفت أن كل الآيات التى تقترحها أمة من الأمم ثم تجاب إليها ولم تؤمن بها يهلكها الله تعالى وقد كانوا لا يؤمنون فيهلكون لأن من لا يؤمن بالآيات العامة التى تأتى بها الرسل لا يؤمن بالآيات الجزئية التى تسولها له شهوته وقد وعد الله نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأن لا يعذبهم ذلك العذاب وهو بينهم فلا يجيبهم إلى شىء من تلك الآيات التى يشتهونها ثم يترتب عليها هلاكهم .

الآية الثالثة . وهى قوله تعالى: «وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون»[3] . ومن الأسف أن هؤلاء المبشرين يستدلون بالآية ويصرف النظر عن كل ما قاله المفسرون الكبار والصغار، فقد أجمعوا على أن الاية التى طلبوها هى الآية التى كانت تنزل على الأمم السابقة ولم يؤمنوا، فيترتب على عدم إيمانهم بها العذاب فهم ما كانوا يطلبون من النبى صلى الله عليه وسلم ليؤمنوا بها ولكن كانوا

---

(١) سورة التوبة : الآية ٢٤ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١١٨ .

(٣) سورة الأنعام : الآية ٣٧ .

يطلبون ما يهلكهم تحديا للنبى صلى الله عليه وسلم كما قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. فهم لم يقترحوا آية من الآيات التى طلبوها إلا كبرا وعنادا وإلا فلديهم من الآيات الكثيرة ما يدل دلالة واضحة على صدق رسالة سيدنا محمد فلو أرادوا الوصول إلى الحق لأغناهم كتاب الله الذى اعترفوا بأنه ليس من كلام الإنس ولا من كلام الجن. وذلك هو الذى قد وقع فعلا فإنهم لما تركوا العناد ورأوا من الآيات البينات ماهو واضح كالشمس فى رائعة النهارآمنوا به وصدقوا بأنه من عند الله القاهر فوق عباده .

الآية الرابعة . وهى قوله تعالى: **«قل لو أن عندى ما تستعجلون به لقضى الأمر بينى وبينكم»**[1] فمعناها أنهم كانوا يستعجلون ما يخوفهم به النبى صلى الله عليه وسلم من تمردهم على ربهم ويحذرهم بطشه ويضرب لهم الأمثال بالأمم الذين من قبلهم فكان يحملهم العناد على استعجال العقاب الذى يخوفهم به فأمره الله أن يقول لهم إن أمر العقاب ليس بيدى دائما وإنما هو بيد إله يتصرف فى عباده كيف يشاء طبقا للمصلحة التى يعلمها ولو كان العقاب بيدى كنت أجيبكم إلى ما تطلبون. وليس معنى الآية أن يقول لهم إن العذاب لو كان بيدى كنت أنزله عليكم لأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يرض بإنزال العذاب عليهم وهو الذى طلب من ربه أن يؤجل عذابهم وإنما الغرض مجاراتهم فى الجواب. وبذلك تعلم أن المبشرين لم يفقهوا لها معنى إذ لا علاقة لها بالمعجزات. لأن استعجال العذاب كان موجودا فى كل أمة من الأمم فإنهم كانوا يبكتون الرسل بتأخير العقوبات التى كانوا يحذرونهم منها وذلك أنهم كانوا يعتقدون أنهم كاذبون ولكن الله تعالى كان يمهلهم حتى يتمادوا فى طغيانهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر كما قال تعالى: **«حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا»**[2] .

الآية الخامسة . وهى قوله تعالى: **«وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لايؤمنون»**[3]. ومعنى هذه الآية هو الذى تقدم وقد قال فى تفسير الجلالين ما نصه (وأقسموا) أى كفار مكة (بالله جهد أيمانهم) أى غاية اجتهادهم فيها (لئن جاءتهم آية) مما اقترحوا فالغرض من الآية التى طلبوها هنا وفى غيرها من كل ما استدل به المبشرون هى الآيات التى اقترحها مشركوا العرب كما بيناه لك فأجابهم الله بأنه لا ينزلها عليهم لأن العناد يومئذ قد بلغ من أنفسهم مبلغا عظيما فإذا جاءتهم لا يؤمنون وإذا لم يؤمنوا يهلكهم الله تعالى. وهو سبحانه قد وعد نبيه بأنه لا يهلكهم مادام فيهم وإذا كانوا يريدون الحق فلينظروا فى المعجزات الكثيرة التى بين أيديهم ولا يحملهم التعصب لدينهم

---

(١) سورة الأنعام : الآية ٥٨ .
(٢) سورة يوسف : الآية ١١٠ .
(٣) سورة الأنعام : الآية ١٠٩ .

الفاسد إلى نكران الحقيقية الواضحة أمام أعينهم فأما المفكرون الذين أدركوا خطورة الحال وعرفوا أن السعادة الخالدة والشقاء الدائم لا يصح الإستهانة بأمرهما بل لابد من العناية بكل ما يوضح سبلهما ويرشد إليهما فقد نظروا فيما جاء به ذلك الرسول الصادق الأمين من المعجزات التى أكبرها القرآن الكريم فانقادوا إلى الحق وظفروا بالسعادة الخالدة. وأما الأغنياء الذين أعماهم التعصب لما ورثوه عن آبائهم من عقائد فاسدة صدتهم عن سبيل الحق الواضح فإنهم لم يحفلوا بمعجزات ولم يبالوا بآيات بينات بل ظلوا يحاربون الله ورسوله ويضعون العقبات فى سبيل الدعوة إلى الله تعالى ولكنهم لم يظفروا بطائل بل أخزاهم الله تعالى ونكل بهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة سوء العذاب وبذلك تحقق ما وعد الله به نبيه الكريم من النصر على هؤلاء المفسدين وأصبح الدين كله لله .

الآية السادسة . وهى قوله تعالى: **«وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل إنما أتبع ما يوحى إلى من ربى هذا بصائر من ربكم»**[1] . فالمراد بالآية هنا آية من الآيات التى اقترحها مشركوا قريش فى أول الأمر على الوجه الذى بيناه لك وكانوا يكررون طلبها من حين لآخر فرد الله عليهم بما يناسب حالهم وقد بين الله فى هذه الآية أنهم قالوا لمحمد هلا أتيت بهذه الآية من تلقاء نفسك فقال لهم إننى بشر مقيد باتباع مايوحى إلى من ربى وهو سبحانه أمرنى أن ألفتكم إلى القرآن الكريم فإن فيه هدايتكم إذا تركتم العناد .

الآية السابعة . وهى قوله تعالى: **«ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إنى معكم من المنتظرين»**[2] . ومعناها كالذى قبلها فقوله تعالى (يقولون) يعنى كفار قريش فى مبدأ أمرهم (لولا) هلا (أنزل عليه آية) من الآيات التى اقترحوها وبينها الله تعالى فى قوله: **«وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا»** إلخ . وقد بينا لك ذلك خير بيان .

الآية الثامنة . وهى قوله تعالى: **«ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد»**[3]. ومعناها كغيرها من الآيات التى بيناها لك إلا أن فى هذه الآية نكتة يدركها أهل البلاغة وهى أنه قال هنا ويقول الذين كفروا ولم يقل ويقولون ليوبخهم على حالهم هذه لأنهم كفروا بالآيات الواضحة التى جاءهم بها ولم يذعنوا لمعجزة القرآن الذى اعترفوا بأنه ليس من كلام البشر واقترحوا أمورا تنافى الطبائع الكونية ولا يمكن تحققها ومع ذلك إذا تحققت فإنهم لا يؤمنون بها كما ذكرنا .

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٢٠٣ .

(٢) سورة يونس : الآية ٢٠ .

(٣) سورة الرعد : الآية ٧ .

الآيـة التاسـعة . وهى قوله تعالى: «**ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدى إليه من أناب**»[1] ومعناها كالذى قبلهما فالمراد بالآية آية مما اقترحوه .

وقـد بين الله لهم فى هذه الآية كـثيرها أن الله وحده هو صاحب الأمر الذى يرسل الآيات التى يهدى بها من رجع إلى ربه وتأمل فيما يقيمه له من الدلائل على صدق رسله . ويضل الظالمين الذين يتبعون ما تزينه لهم أهوائهم وينصرفون عن الحق فيطبع الله على قلوبهم ويجعلهم كالبهائم التى لا تبصر ولا تسمع ولا تعقل .

الآيـة العاشـرة . وهى قـوله تعـالى: «**وقـالوا لولا أنزل عليـه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين. أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون**»[2] .

ومعنى هذه الآية ظاهر مما قبلها فإن المراد بالآيات الآيات التى اقترحوها وقد صرح لهم فى هذه الآية بأن القرآن الكريم خير معجزة لمن يريد أن يصل إلى الحق من طريق النظر الصحيح، فإذا كانوا يؤمنون بمعجزة القرآن الذى يعرفون وحدهم قيمته فإن هذه الخيالات لا تغنى عنهم شيئا .

ولقد جاءهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن البليغ المعجز لأنهم قد نبغوا فى البلاغة والفصاحة وقد تحداهم فى غير موضع منه وقال لهم إن كنتم فى ريب منه فأتوا بسورة من مثله إن كنتم صادقين فعجزوا وأعلنوا عجزهم فكانوا ينهون بعضهم عن استماع القرآن الذى به يتأثرون كما قال تعالى: «**وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه**»[3] ولكنه تغلب عليهم فى النهاية لأنه من عند الله حقاً وجرف الوثنية أمامه وقضى عليها قضاءً مبرما .

تفسير قوله تعالى: «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم» .

هذا ومما ينبغى التنبيه عليه هنا أن معنى قوله تعالى: «**وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم**» أنه لا يعذبهم عذابا يستأصلهم به كالمسخ والخسف ونحوهما مما يستأصل الله به الأمم الأولى وهذا لا ينافى أنه كان يعذبهم بما يزجرهم عن غيهم بأن يهزم جبابرتهم ويمكن المسلمين من قتلهم ويحبس عنهم المطر ويبتليهم بالقحط فإن مثل ذلك العذاب لابد من وقوعه لمصلحة المجتمع لأن فيه موعظة وذكرى ومن ذلك ما قصه الله علينا فى سورة الدخان وهو قوله تعالى: «**فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين. يغشى الناس هذا عذاب أليم. ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون. أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين. ثم تولوا عنه وقالوا معلم**

(1) سورة الرعد : الآية ٢٧ .

(2) سورة العنكبوت : الآيات ٥٠ ـ ٥١ .

(3) سورة فصلت : الآية ٢٦ .

مجنون، إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون، يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون»[1] . ومعنى هذه الآية أن مشركى العرب قد أمعنوا فى إيذاء النبى صلى الله عليه وسلم وبالغوا فى اضطهاده فتألمت نفسه الكريمة كما هو شأن الطبائع البشرية فدعا الله تعالى أن يبتليهم بالقحط كى يرجعوا إليه فأصابهم الجهد حتى كانوا يأكلون الجيف وكانوا يرون دخانا بين السماء والأرض يغشى أبصارهم فلا يرون بعضهم بعضا وذلك عذاب مبين ولكنه ليس من نوع عذاب الأمم الماضية. فلما اشتدت الوطأة عليهم ذهبوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم وطلبوا منه أن يرفع الله هذا القحط ويؤمنوا به. وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم حريصا على إيمانهم جد الحرص فطلب من الله تعالى أن يرفع عنهم العذاب فأوحى الله إليه أنهم كاذبون وأنه إذا رفع عنهم العذاب لا يؤمنون، ومع ذلك فقد أجاب النبى صلى الله عليه وسلم إلى طلبه ورفع عنهم العذاب المؤقت فلم يؤمنوا فانتقم منهم فى معركة بدر. وهذا معنى قوله تعالى: **«يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون»** .

ومن هنا يتضح لك ما كان عليه القوم فى أول أمرهم من تمسكهم بعبادة الأوثان وتفانيهم فى الإخلاص لآلهتهم التى ينحتونها بأيديهم فلم يحفلوا بالآيات المحسة المشاهدة ولم يذعنوا لذلك الرسول المبين الذى جاءهم بالمعجزات الواضحة ومثل هؤلاء لا يصح أن يجابوا إلى ما يقترحونه من المعجزات وما يطلبونه من خرق النظم الكونية. لأنهم إذا أجيبوا إلى ما يطلبون وهم على هذا الحال من الضلال فإنهم لا يؤمنون وما كان الله لعبة فى أيدى هؤلاء الضالين فإذا أجابهم إلى آية من الآيات الممكنة التى يطلبونها ولم يؤمنوا بها فإنه يعذبهم بالهلاك ولم يبق لهم أثرا كما هى سنة الله فى الأمم الماضية وذلك محال فى أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأن الله سبحانه وعده بذلك . ولا يخفى أن إجابتهم برفع العذاب عنهم فى آية الدخان لا ينافى استئصالهم لو لم يؤمنوا بما اقترحوا من آية لأنهم لم يقترحوا آية من الأيات التى يترتب عليها خرق النظام . وإنما اقترحوا أن يرفع الله عنهم القحط وذلك أمر ممكن عادى يقع كثيرا وهذا كمثل الذين أشرفوا على الغرق فطلبوا من الله أن ينجيهم ويؤمنوا فلما ألجاهم إلى البر إذا هم يشركون ومن هذا كله تعلم أن المبشرين يحاولون الاستدلال بما لا يعلمونه وأنهم لا خبرة لهم بالتوراة كما لا خبرة لهم بالقرآن الكريم ولا تعجب إذا قلت إنه لا خبرة لهم بالإنجيل .

وإليك بيان ذلك : استدلوا بما ورد فى الباب السابع عشر من إنجيل متى آية ٥ على أن النبوءة الواردة فى سفر التثنية إصحاح ١٨ التى تقدم بيانها تنطبق على المسيح دون سواه فقالوا إن الله فسر فى الإنجيل ما أنبأ به فى التوراة وأظهر أن النبى الموعود به هو المسيح لا محمد قابل تث ١٨و١٥و ١٩ له تسمعون مع متى ١٧ : ٥ ومرقص ٩ : ٧ ولوقا ٩ : ٣٥ .

---

(١) سورة الدخان : الآيات ١٠ ـ ١٦ .

ونص عبارة متى آية ٥ هو (وصوت من السحابة قائلا هذا هو ابني الحبيب الذي سررت له اسمعوا) . ونص آية سفر التثنية هو (يقيم الرب إلهك نبيا من إخوتك مثلي له تسمعون) .

فالمبشرون قارنوا بين الاثنين في مادة سمع ولكنهم لم يفقهوا أن عبارة الإنجيل أمر الناس بأن يسمعوا للرسل ويطيعوهم ، لأنهم من قبل الله أما كونهم يمتثلون لذلك الأمر أولا فتلك مسألة أخرى لا يدل عليها الإنجيل، وأما آية النبوءة فإنها نصت على أنهم يسمعون له فعلا ويخضعون له في أحكامه. فالنظر فيمن وقع له ذلك ولنستدل بنفس أناجيلهم، إن أناجيلهم قد أجمعت على أن اليهود لم يسمعوا لسيدنا عيسى ولم يأتمروا بأمره ولم يخضعوا له، وأن رؤساء ديانتهم وأحبارهم هم الذين أسلموه للوالي وطلبوا منه إعدامه وصلبه أما سيدنا محمد فإن أحبار اليهود ورؤساء ديانتهم قد آمنوا به حقا وتبعهم كثير من عقلائهم والباقون خضعوا له لحكمه رغم أنوفهم فأصبحوا جميعا له خاضعين .

أليس الاستدلال بكلمة اسمعوا الموجودة في الإنجيل الموافقة لكلمة تسمعون الموجودة في التوراة في المادة لا يليق بأولي الألباب.

الأدلة المماثلة من الإنجيل على عدم وجود معجزات للمسيح . وبعد فالمبشرون الذين يقولون إن سيدنا محمدا لا معجزة له بنص القران هل ترى أنهم غافلون عن نصوص أناجيلهم في هذا الموضوع، أو هم حافظون لها ولكنهم يضللون ويغشون، وإني أذكر لهم هذه النصوص هنا ليعلم القراء ما انطوت عليه ضلوع هؤلاء القوم من الحقد على خاتم النبيين والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين:

١ ـ ورد في إنجيل مرقص ما نصه: (فخرج الفريسيون وابتدأوا يحاورونه طالبين منه آية من السماء لكي يجربوه . فتنهد بروحه وقال لماذا يطلب هذا الجيل آية . الحق أقول لكم لن يعطى هذا الجيل آية [١] .

فهذا نص صريح في أن المسيح لم يأت بآية لأنه قال إن ذلك الجيل لن يعطى آية والجيل هو الطبقة المعاصرة من الناس وقد أكد النفي بإن وحينئذ ، فلم تكن للمسيح آية على هذا الكلام مطلقا وكل ما رواه الإنجيليون من المعجزات بعد ذلك يناقض هذا النص على خط مستقيم فيكون محض اختراع .

٢ ـ وورد في إنجيل لوقا ما نصه: (وأما هيرودس فلما رأى يسوع فرح جدا لأنه كان يريد من زمان طويل أن يراه لسماعه عنه أشياء كثيرة وترجى أن يرى آية تصنع منه. وسأله بكلام كثير فلم يجبه بشيء. ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشتكون عليه باشتداد . فاحتقره هيرودس مع عسكره واستهزأ به وألبسه لباسا لامعا ورده إلى بيلاطس) [٢] .

(١) إنجيل مرقص : الإصحاح الثامن الآية ١١ .   (٢) إنجيل لوقا : الإصحاح ٢٣ الآية ٨ ـ ١١ .

مسكين ذلك الإله فإنه موضع احتقار الناس واستهزائهم فى كل زمان ومكان ألم يكن جديرا به وهو الذى يخرق النظم الكونية كلما جاء وكلما ذهب، أن يأتى لهيرودس بآية يرفع عن نفسه بها ذلك الاستهزاء الشائن، وهلا يخجل المبشرون بعد ذلك وينكسون رؤوسهم فلا يقولون إن مشركى العرب طلبوا من محمد معجزة عناداً فلم يجبهم ، فكان ذلك دليلا على أنه لم يأت بمعجزة مطلقاً اللهم اهد هؤلاء القوم فانهم جهلة لا يعقلون .

٣ ـ ورد فى إنجيل متى ما نصه: (حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين يامعلم نريد أن نرى منك آية، فأجاب وقال لهم جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبى. لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال) [١] .

فهذه العبارة تدل على أن الجيل الذى فيه عيسى لا تقع فيه آية إلا آية واحدة وهى قيامه من القبر بعد ثلاثة أيام فكل ما رواه الإنجيليون من معجزات عيسى يناقض هذه العبارة فى خط مستقيم. ومن الغريب أنه ذكر ذلك بعبارة تفيد الحصر بحيث لا يمكن تأويلها . ولقد قلت لك أن أشد الناس عداوة للمسيح عيسى بن مريم هم المبشرون والإنجيليون فإنهم قد حقروه أشد تحقير، وأهانوه أسوأ اهانه، ولولا أن الله تعالى أكرمه فى القرآن الكريم بذكر معجزاته لمحيت آثاره الصحيحة بجهالة الإنجيليين. فمثل هذه العبارة التى تصرح بأن عيسى ليست له معجزة مطلقا ، يقول المسلمون عنها مكذوبة كذبًا لاشك فيه. والدليل على أنها مكذوبة أنها تصرح بأنه يمكث فى بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال، ومع ذلك فقد تناقضت الأناجيل فى ذلك، وكذب بعضها بعضا فقد ورد فى إنجيل يوحنا فى الباب التاسع عشر وإنجيل مرقص أنه بقى فى الأرض يوما واحدا وليلتين لأنه دفن ليلة السبت ولم يجدوه فى القبر قبل طلوع فجر يوم الأحد. فكيف يعقل أن يكون هذا الكلام المتناقض المضطرب وحيًا من عند الله تعالى.

٤ ـ ورد فى إنجيل يوحنا ما نصه: (أجاب يسوع وقال لهم هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذى هو أرسله. فقالوا له فأية آية تصنع لنرى ونؤمن بك؟ ماذا تعمل؟ آباؤنا أكلوا المن فى البرية كما هو مكتوب أنه أعطاهم خبزا من السماء ليأكلوا) ؟ [٢] . وقد ذكر الجواب فى هذا الباب كلاما مكررا مضطربا خلاصته أنه قال لهم جسمى هو الخبز الذى أقدمه فداء للعالم فمن أكل منه فهو يسعد . فكان ذلك سببا لتذمر اليهود وردة بعض التلاميذ .

ومن الغريب أنهم يروون فى أول هذا الباب معجزة إطعام الألوف ببضعة أرغفة وسمكتين. فإذا قالوا إن هؤلاء مكابرون فهو يرد عليهم من جنس كلامهم لأن الله تعالى لا يجعل السنن الكونية

---

(١) إنجيل مرقص : الإصحاح ١٢ الآية ٣٨ وما بعدها . (٢) إنجيل يوحنا : الإصحاح السادس الآية ٢٩ .

تابعة لأهواء الناس لكان ذلك حسنا، ولكنهم لا يفهمون ثم يغضون النظر عن هذه التصريحات ويعترضون بآيات القرآن التي من هذا النوع على أن سيدنا محمدا لا معجزة له .

وإن شئت أن تعرف من تعسف المبشرين أكثر من ذلك فاقرأ مايستشهدون به فى آيات الإنجيل والتوراة على أنها نصت على المسيح فى مواضيع كثيرة وهى (يو ٥ :٤٦ انظر تك ١٢ :٣ و٢٢ :١٨ و٢٦ :٤ و٢٨ :١٤) على أنه من نسل يهوذا وبالتالى من بنى إسرائيل لك هذه الآيات بنصها أولا ثم أبين لك غرض المبشرين لتعرف صدق ما أقول: فأما يوحنا الإصحاح ٥ :٤٦ فهذا نص ما قال: (لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقوننى لأنه هو كتب عنى) ولست أدرى ولا المنجم يدرى كيف تدل هذه العبارة على أن قوله سوف أقيم لكم نبيا تنطبق على عيسى. إن الذى تفيده عبارة يوحنا على فرض صحتها أن موسى أنبأهم عن المسيح ولكن فى غير هذه العبارة التى نص على أنها لا تنطبق عليه . وقد قلنا لك أن عبارة يعقوب ليهوذا (لا يزال قضيب فى نسلك حتى يأتى شيلون) يمكن تطبيقها على موسى وعيسى إلى أن يأتى سيدنا محمد عليهم الصلاة والسلام .

أما باقى الآيات فنحن نذكرها لك فى المواضع التى أشاروا إليها .

أولا : (أبارك مباركيك ولاعنك ألعنه وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض) [1] .

ثانيا : (وتتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض) [2] .

ثالثا : (وأكثر نسلك كنجوم السماء وأعطى نسلك جميع هذه البلاد وتتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض) [3] .

رابعا : (ويكون نسلك كتراب الأرض وتمتد غربا وشرقا وشمالا وجنوبا وتتبارك فيك وفى نسلك جميع قبائل الأرض) [4] .

وهذه الآيات جميعها يخاطب الله تعالى بها ابراهيم فالمبشرون تخيلوا أن نسل إبراهيم انحصر فى المسيح فلا ينطبق هذا الكلام إلا عليه .

ومن المضحك أن يستدلوا على ذلك بقولهم إن المسيح من نسل يهوذا وإنه بعث من بنى إسرائيل لأن الآيات التى ذكروها فى التوراة لم تتكلم عن يهوذا ولم تشر إلى إسرائيل ولكنها تتكلم مع إبراهيم ونسل إبراهيم فإذا استطاع المبشرون أن يحذفوا من التوراة إسماعيل ويقولون إنه ليس من نسل إبراهيم صح لهم أن يخرجوا ذرية إسماعيل وإلا فقل لهم إنكم قوم لا تعقلون .

---

(١) تكوين ١٢ : ٣ .

(٢) تكوين ٤٦ : ٤ .

(٣) تكوين ٢٢ : ١٨ .

(٤) تكوين ٢٨ : ١٤ .

وانى أكتفى بذكر سخافات المبشرين فى هذه النبوءة التى لاشك فى أن المراد بها سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن معنى آية (وسوف أقيم لهم نبيًا من أخوتهم مثلك) لم تصل إليه يد المفسدين الذين يبدلون كلام الله حسبما يشتهون .

النبوءة الثالثة من نبوءات التوراة : ورد فى سفر التثنية ٣٢:٢١ . (هم أغاظونى بما ليس إلها أغاظونى بأباطيلهم فأنا أغيظهم بما ليس شعبا بأمة غبية أغيظهم) .

ومعناها أن الله تعالى يقول لبنى إسرائيل أنكم أغضبتمونى بعبادة الأوثان التى اتخذتموها آلهة لكم واتبعتم الأباطيل فلابد أن أنتقم منكم لذلك واصطفى شعبا جاهلاً فى نظركم غبيا بالنسبة لكم وأسلطه عليكم فيغيظكم. وقد انحصرت النبوءة فى العرب لأنهم هم الذين كانوا أعداءً لليهود وكانوا فوضى فى كل شىء، فى أخلاقهم، وفى عقائدهم، وفى معاملاتم، وفى أنكحتهم، وفى كل ما يتعلق بالنظم الإجتماعية والعمرانية، فلا كتاب لهم ولا شريعة عندهم وكفاهم نقصا أنهم كانوا يعبدون الأوثان، ويقتلون أبنا ءهم خشية الفقر، ويئدون بناتهم لما يتوهمونه من العار الذى يلحقهم بوجود البنات . فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنوا به واتبعوه تبدلت حالهم فانقلبوا من جهل مطبق إلى علم ناضج، ومن سفه إلى حكمة، ومن فوضى إلى خير نظام أخرج للناس، ومن غباوة إلى ذكاء، فأخرج منهم فى فترة قليلة من الزمن رجال التشريع والأخلاق والإجتماع والاقتصاد، وبذلك تغلبوا على الأمم القوية التى كانت فى زمانهم وحلوا محلها فى كل شىء نافع، وأصبح اليهود الذين كانوا أهل كتاب وشريعة لا قيمة لهم بعد ذلك فقد بلغت بهم درجة الجبن إلى أن يتملقوا هؤلاء الذين كانوا بالأمس يحتقرونهم وينافقون لهم وهم صاغرون .

أما المبشرون فيقولون إن النبوءة لا تشير إلى نبى ولا إلى رسول بل إلى أن الله سيغيظ الأمة اليهودية بأن يدعو لعبادته الأمم الأجنبية يونان وعرب ومصريين وغيرهم وينتظمون فى سلك المسيحية وكانت تلك الأمم فى اعتبار اليهود أمما غبية وثنية، وقالوا ردا على ما يقوله المسلمون من أن الأمة الغبية لا يمكن أن تكون أمة اليونان التى أرسل إليها بولس وبقية الرسل حيث أنها لم تكن أمة غبية، بأن حكمة اليونان لم تكن حكمة حقيقية لأنهم لم يكونوا يعرفوا الإله الحقيقى. وورد عندهم (أن رأس الحكمة مخافة الرب، وبدء الحكمة مخافة الرب، ومعرفة القدوس) . والآن فليقل لنا هؤلاء المبشرون كيف يكون المعنى:

أن يقول الله للناس إنى أغيظكم بدعوة فريق من الناس إلى عبادتى ؟ وهل اليهود انكروا عبادة الله فيغيظهم الله بدعوة غيرهم؟ نعم إن اليهود اعتقدوا، جهلا بمقام الألوهية، أن الله قد اختصهم بالوحى وآثرهم على كل مخلوقاته فهم أبناء الله وأحباؤه. وقد وافقهم جهلة المبشرين على ذلك .

وقالوا إن الله وإن كان قد اختصهم بهذه الميزة ولكن ذلك لا يعد تحيزا من الله لأنه أكرمهم من أجل إبراهيم، وكل ذلك سخافات لا حد لها لأن الله تعالى قد اصطفى من عباده رسلا من لدن آدم إلى سيدنا محمد خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام. أما كونه اصطفى إبراهيم وجعل الرسالة فى ذريته من بعده ومنهم سيدنا محمد فليس معناه أن اليهود قد احتكروا النبوة فلا ترسل الرسل إلا منهم ولنفرض أن الدعوة إلى الله تغيظهم ولكن كيف يعرف اليهود أن هذه الدعوة صادرة عن الله وهم لم يصدقوا بالمسيح ولا ببولس الرسول ويعتبرون هذه الدعوة صادرة منهم لا من الله. ولنفرض أنهم يعرفون أن هذه الدعوة صادرة من الله. ولكن من الأسف أنها لم يترتب عليها إغاظتهم بل هو بالعكس . قد انتصروا على الإله فيها فصلبوا المسيح وقتلوه وأذلوا رسله . ولنفرض أن كثيرا من الناس تنصر بعد وفاة المسيح بوجود بعض الجهلة الذين أثر فيهم بولس وأمثاله ولكن لم تكن للمسيحيين قيمة فى ذلك الوقت فقد لاقوا من الاضطهاد والعذاب ما يقشعر منه الأبدان .

فكيف يعقل أن يكون معنى الآية هو ذلك الخيال المضحك .

ويظهر أن المبشرون قد أحسوا بوهن فى هذه الناحية فأرادوا أن يطبقوا النبوءة على بولس ولكنهم خافوا أن يقول لهم الخصوم إن بولس غير رسول وأنه خدعكم بقوله أن المسيح أرسله، فلم يصرحوا بأن المراد بولس الذى أرسل إلى اليونان ولكن أجابوا عن اعتراض المسلمين بأن ذلك لا ينطبق على أمة اليونان حتى ولو كان المرسل إليهم عيسى فى ذلك الوقت، لأن أمة اليونان أمة متعلمة من قبل أن يظهر المسيح بثلاثمائة سنة، وقد كان لهم التفوق على كل الأمم فى العلوم فكيف يقول التوراة أن الأمة التى سيغيظ بها اليهود أمة جاهلة غبية، إن ذلك لا يتصوره إلا الأغبياء. أما المبشرون فإنهم أصروا على أن المراد أمة اليونان التى أرسل إليها بولس، وأجابوا عن هذا الأشكال، بأن أمة اليونان وإن كانت متعلمة وحكيمة. ولكن كانت حكمتها ليست هى الحكمة الحقيقية لأنهم لم يعرفوا الإله الحقيقى الذى جاءهم به بولس وقررته لهم الديانة المسيحية، ألا ترى أن كتابهم قال: (رأس الحكمة مخافة الله ومعرفة القدوس) ، فحكماء اليونان لم يفهموا القدوس وإذا كانوا يفهموه فلم يخافوه، وإذا كانوا لم يخافوه فلم يعرفوه، فلا حكمة عندهم، وإنى أؤكد للمبشرين جميعا بل أقسم لهم أن قدماء اليونان كانوا يعرفون الإله ويوحدونه وينزهونه عن النقائص، وإن كانت لهم هنات صدرت عنهم بحسن قصد أما بولس وأتباعه فإنهم لم يعرفوا الإله، ولم يوحدوه ووصفوه بكل صفات النقص التى لايصح أن يتصف بها إنسان له كرامته فضلا عن إله يتصرف فى عباده يحكم فيهم كما يشاء. وإلا فبربك قل هل يصح أن يقول عاقل أن اليونان الذين قالوا إن الله واحد من جميع الوجوه وأنه منزه عن التركيب والحلول وأنه ليس مادة من المواد البشرية لم يعرفوا الإله حقا. أما الذين قالوا إن الله مركب من ثلاثة أقانيم مجردة عن المادة متماثلة من جميع الوجوه ولكنها

متمايزة عن بعضها بوجودها الخاص وأن أحد هذه الأقانيم اتحد بدم امرأة من خلقه ودخل فى رحمها وتربى كما تربى الإنسان وولد كما يولد الإنسان وتطور كما يتطور الإنسان. وأخيرا لم يستطع حماية نفسه من أخس الناس وأهونهم عليه فصلبوه. وبذلك الصلب أصبح ملعونا ودخل نار جهنم .
أما هؤلاء الذين يقولون كل ذلك فإنهم يعرفون الإله. إن الذى يتصور أن فلاسفة اليونان الذين وحدوا الله ومجدوه لم يعرفوا ربهم. وأن الذى يعرفه هو بولس وأتباعه الذين يقولون ذلك. أقل ما يقال فيه إنه رجل لا يقيم لقضية العقل وزنا ولا يعرف للمنطق قيمة فجدير به ألا يكون موجودا فى قرن العلم والتفكير والمنطق الصحيح، ولا يعيش فى بيئة لا تقبل عقيدة إلا بالبراهين المنطقية الجازمة. بل يصح أن يعيش بين الأمم المتوحشة كما قلنا غير مرة. ومن هذا يتضح لك أن نبوءة التوراة فى الإصحاح ٣٢ : آية ٢١ من سفر التثنية صريحة الدلالة على أن الأمة العربية التى أرسل منها سيدنا محمد رسول إلى الناس كافة، فكان للعرب خير مؤدب ومربى وأخرجهم من الظلمات إلى النور وبذلك غاظوا أعدائهم من اليهود الذين كانوا متفوقين عليهم فى كل شىء وأصبحوا خاضعين لسلطانهم، ولا يمكن أن يفهم منها سوى ذلك على أى حال .

النبوءة الرابعة من نبوءات التوراة . ورد فى التثنية ٣٣ ما نصه . (جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم) . فقوله جاء الرب من سيناء يشير إلى تنزيل الشريعة إلى موسى. وأشرق لهم من سعير يشير إلى تنزيل الإنجيل على عيسى وأما قوله وتلألأ من جبل فاران فيشير إلى تنزيل القران على محمد فإنه يوجد بقرب مكة جبل يسمى فاران. ويرد المبشرون على ذلك فيقولوا إن القرينة هنا تدل على أن موسى فى كلامه على هذه المواضع لم يشر إلى إنجيل ولا إلى قرآن بل أراد أن يذكر بنى اسرائيل كيف أضاء مجد الله إلى مسافات بعيدة عندما كانوا ضاربين خيامهم عند جبل سيناء وأنهم يعلمون من خريطة الجغرافية أن سيناء وسعير وفاران ثلاثة جبال متجاورة واقعة فى شبه جزيرة طور سيناء على بعد مئات من الأميال من مكة . ويظهر ذلك بأكثر وضوح عند مراجعة المواضع التى ذكر فيها فاران فى التوراة (تك ١٤:٦ وعدد ١٠:١٢) ... إلخ .

هذه النبوءة ليس للمبشرين فيها مجال لأنهم لم يستطيعوا أن يتخيلوا صورة وهمية فيجعلوها منحصرة فى سيدنا عيسى. ولما رأوا أن فيها الإشارة إلى عيسى ضمنا لم يرضوا بذلك وقالوا ليس فيها إشارة لا إلى عيسى ولا إلى محمد. ولكن الواقع أن فيها إشارة إلى النبيين الكريمين عليهما الصلاة والسلام باعترافهم هم وإن كانوا غافلين عما يكتبون جاهلون بما يقولون. ألا ترى أنهم يقولون إن الله أراد أن يذكر بنى اسرائيل كيف أضاء مجد الله إلى مسافات بعيدة عندما كانوا ضاربين خيامهم عند جبل سيناء.

إن المبشرين الذين يضعن القاعد التى يستقون منها مطاعنهم على خير دين أخرج للناس، وعلى خير نبى أخرج النوع الإنسانى من الظلمات إلى النور. وعلى خير كتاب لم يترك مثقال ذرة من الفضائل إلا دعا إليها وحث الناس على التمسك بها ، ونهاهم عن ضدها فسلهم عن معنى هذه العبارة التى نطقوا بها وقل لهم مامعنى تذكير بنى إسرائيل باضاءة مجد الله على جبلى فاران وسعير؟ هل مجد الله نور محس شاهدوه على هذين الجبلين؟ أو هو أمر معنوى عرفوه بقلوبهم؟ وفى كلا الحالين يكون الله قد أودع عند بنى إسرائيل من الأسرار الإلهية مالم يودعه عند المبشرين جميعهم، فلا وجه لذمهم بعد ذلك ووصفهم بأحط الصفات لأن الذى يبصر مجد الله مضيئا لابد أن يكون قد أتى بأمر خارق للعادة لا يقع إلا من أنبياء الله وأوليائه. ومن يراه بقلبه تكون معجزاته أبلغ فإذا لم يكونوا قد رأوه ولا شاهدوه لا بأعينهم ولا بقلوبهم فما معنى تذكيرهم به، إنهم لم يستطيعوا أن يجيبوا على ذلك أما أنا فأجيب عنه فأقول إن غرض المبشرين الكبير أن يقولوا إن الله أراد أن يخبر بنى إسرائيل أن الله لما أشرق نوره على جبل طور سيناء وأشرق أيضا على الجبلين الآخرين وهما فاران وسعير، إلا أن اشراقه على طور سيناء كان بواسطة موسى عليه السلام، وعلى سعير كان بواسطة عيسى عليه السلام، وعلى فاران كان بواسطة محمد عليه الصلاة والسلام، وقد عبروا عن ذلك بقولهم يذكرهم كيف أشرق، أى يبين لهم كيف أشرق مجد الله على هذه الجهات، فأرادوا أن يعبروا عن غرض باطل فلم يستطيعوا إلا أن يقولوا الحق فقالوا إن موسى ذكرهم بإضاءة مجد الله ولا معنى لإضاءة مجد الله إلا إشراق نور هدايته بإنزال الشريعتين على النبيين الكريمين.

قد يقال إن المراد نور الله تعالى الذى أشرق لموسى حقيقة وظنه موسى نارا كما أخبر القرآن بذلك فإنه أشرق على الجبال الثلاثة حقيقة فالغرض الإخبار بأن النور الذى رآه موسى كان شديداً حتى وصل إلى هذين الجبلين .

والجواب عن هذا من وجهين :

(١) أن هذا غير معقول إذ لو كان الغرض الإنباء بشدة الضوء الذى رآه موسى فقط لكان اللازم أن يخبر بأنه أشرق على جبل المقطم بمصر، أو على صحراء السويس، أو على سرير فرعون، ليكون ذلك إنذاراً لفرعون وقومه بذلك النبى الذى سيرسل إليهم ، فلماذا خص هذين الجبلين بالذكر مع بعدهما وعدم وجود أحد هناك مرسل إليه موسى، فإن لم يكن الغرض الإشارة إلى هذين النبيين الكريمين اللذين سيجيئان بعد موسى من بين هذين الجبلين كان هذا الكلام لغوا من القول.

(٢) أن النار التى رآها موسى فى أول الأمر لم تكن من الشدة إلى هذا الحد بحيث تسطع من طور سيناء إلى فاران بدليل التوراة والقرآن الكريم، فأما التوراة فقد ورد فيها ما نصه : (وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة . فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم

تكن تحترق. فقال موسى أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم . لماذا لا تحترق العليقة. فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى موسى [1] . إلخ .

وهذا نص صريح فى أن موسى رأى شيئا معلقا تشتعل فيه النار ولا يحترق فلفت نظره كون ذلك الشيء لم يحترق فحدثته نفسه أن يراه .

أما القرآن الكريم فإنه أخبر بأن موسى آنس من جانب الطور ناراً وكان فى حاجة إلى النار فسعى إليها ليأت منها بقبس يشعل به النار لأهله لعلهم يصطلون فالذى رآه موسى نارا ضئيلة لا غرض منها سوى لفت نظره إلى الذهاب إلى هذا المكان الذى تجلى فيه ربه .

النبوءة الخامسة من التوراة : ورد فى المزمور ٤٥ . (١) فاض قلبى بكلام صالح، متكلم أنا بانشائى للملك لسانى، قلم كاتب ماهر (٢) أنت أبرع جمالا من بنى البشر، انسكبت النعمة على شفتيك لذلك باركك الله إلى الأبد (٣) تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار جلالك وبهاءك (٤) وبجلالك أقتحم أركب من أجل الحق والدعة والبر فتريك يمينك مخاوف (٥) نبلك المسنونة فى قلب أعداء الملك شعوب تحتك يسقطون (٦) كرسيك يا الله إلى دهر الدهور، (٧) قضيب استقامة قضيب ملكك. أحببت البر وأبغضت الإثم. من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك (٨) كل ثيابك مر وعود وسليخة من قصور العاج سرتك الأوتار (٩) بنات ملوك بين حظياتك جعلت الملكة عن يمينك بذهب وفير (١٠) اسمعى يابنت وانظرى وأميلى أذنك وانسى شعبك وبيت أبيك (١١) فيشتهى الملك حسنك لأنه سيدك فاسجدى له (١٢) وبنت صور أغنى الشعوب ترضى وجهك بهدية (١٣) كلها مجد ابنة الملك فى خدرها منسوجة بذهب ملابسها (١٤) بملابس مطرزة تحضر إلى الملك فى أثرها عذارى صاحباتها مقدمات إليك (١٥) يحضرن بفرح وابتهاج يدخلن إلى قصر الملك (١٦) عوضا عن آبائك يكون بنوك تقيمهم رؤساء فى كل الأرض (١٧) أذكر اسمك فى كل دور فدور من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد .

هكذا نص هذا المزمور نقلته من الترجمة التى يعول عليها المبشرون طبع الجمعية الأميركانية بمدينة نيويورك وهو كما ترى يشتمل على سبع عشرة آية وكل آية تشتمل على وصف خاص: وقد أجمع اليهود والنصارى على أن هذه الصفات رمز إلى نبى يأتى بعد داود فالله تعالى أوحى إليه أنه سيظهر نبى فى العالم متصف بهذه الصفات. ولكن اليهود يقولون إنه إلى الآن لم يظهر ذلك النبى بناء على ما يتخيلونه من أنه سيظهر نبى يكون ملكا عليهم فكلما جاء رسول لا يوافق أهواءهم يقولون إنه ليس هو نبيهم المنتظر وهكذا ولقد ختم الله الأنبياء والمرسلين بسيدنا محمد رسول الله

---

(١) سفر الخروج : الإصحاح الآيات ٣ ، ٤ .

صلى الله عليه وسلم فلينتظروا ذلك النبى الموهوم الذى يستحيل ظهوره بعد سيدنا محمد إلى أن ينقرض العالم وتفنى الخلائق .

أما النصارى فإنهم يقولون إن ذلك النبى المبشر به هو سيدنا عيسى طبعا . وأما المسلمون فيقولون إن ذلك الرسول هو سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد عرفت أننى لا أريد إلا بيان الحقيقة المجردة عن كل غرض لأن دلائل نبوة رسولنا صلى الله عليه وسلم ليست مقصورة على هذه النبوءات فإذا كانت هذه النبوءة تنطبق على سيدنا عيسى حقا فأنا أول من يؤمن بها وبينها أحسن بيان أما إذا كان يستحيل أن تنطبق عليه وأنها منحصرة فى صفات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فإننى أقول للمبشرين ذلك هو قول الله العليم الخبير . فلننظر فى الصفات التى ذكرت فى هذا المزمور واحدة واحدة فأما الآية الأولى وهى قوله فاض قلبى بكلام صالح وهو القرآن والإنجيل أما قوله متكلم أنا بانشائى للملك لسانى ، قلم كاتب ماهر . فهذه صفات لسيدنا محمد لا لسيدنا عيسى وذلك لأن الذى جرى على لسانه كلام فى أسلوبه وبراعته دليل على وجود الملك القهار. هو سيدنا محمد لأنه جاء بالقرآن الذى تقهقرت أمامه دول البلاغة وأذعنوا له أما الإنجيل فليس فيه هذا المعنى جزما .

وأما قوله أنت أبرع جمالا من بنى البشر فإنها تختص بسيدنا محمد باعترافهم وذلك لأن المراد بالجمال جمال الخلق وجمال الخالق معا لأن كلمة جمال مطلقة فلا يصح تخصيصها بجمال الخلق حتى يقال إنها صفة يشترك فيها الاثنان بل المتبادر من الآية أن المراد جمال الوجه لأنه قال أبرع ولم يقل أحسن . والمسيح باعترافهم لم يكن جميل الوجه لأنهم يقولون أن أشعيا وصفه فى الإصحاح فقال: (ليس له منظر وجمال ورأيناه ولم يكن له منظر واشتهيناه مهانا وآخر الرجال رجل الأوجاع مختبرا بالأمراض وكان مكتوما وجهه ومزدولا ولم نحسبه ونحن حسبناه كأبرص ومضروبا من الله ومخضوعًا والرب شاء أن يستحقه) .

فهذه هى أوصاف المسيح عندهم وهى تناقض كونه أبرع جمالا من بنى البشر على خط مستقيم .

أما سيدنا محمد فقد ثبت ثبوتاً جازما أنه كان أجمل الناس وجها حتى قالت له زوجه السيدة عائشة إن وجهه يشرق نورا وقالت أم معبد إنه أجمل الناس من بعيد وأحلاهم وأحسنهم من قريب .

وأما قوله انسكبت النعمة على شفتيك فإنه يختص بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لأنه لم يأت رسول من الرسل جميعا بكتاب انتفع به العالم أجمع سواء كان تابعا له أو كان من أعدائه مثل سيدنا محمد الذى جاء بالقرآن الكريم فهو من أكبر النعم على العالم أجمع فقد حارب الوثنية والفوضى الخلقية وأيد الفضيلة وقضى على الرذيلة وشرع للناس ما فيه خيرهم وسعادتهم فى الدنيا والآخرة فأية نعمة أكبر من هذه النعمة. ومع ذلك فقد كان صلى الله عليه وسلم مصدر بر

وخير فلا يتحرك لسانه إلا بما فيه رحمة لبنى البشر أجمعين. وذلك يعترف به كل عاقل منصف سواء كان عدواً أو صديقاً. ولم يقل أحد إن سيدنا عيسى كان يعول على الكلام فى إثبات رسالته أو جاء بكتاب يشتمل على تشريع يعم بنى الانسان. بل كل مافى الأناجيل مقصور على خوارق العادات وقليل من الحكم والعظات.

وأما قوله تقلد أيها الجبار سيفك إلخ فإننى أعتقد أن المبشرين يستعيذون بالله منها ومن نسبتها إلى المسيح كيف لا وهم يتخذون من حرب النبى صلى الله عليه وسلم للكفار والمشركين سلاحا يشهروه فى وجه الإسلام. ويعتبروه سبة يعيروا بها المسلمين، فالمسيح رسول سلم لم يتقلد سيفا، ولم يضرب عنق مشرك، بل هو مسكين قد استسلم لأعدائه فأهانوه شر اهانة وقتلوه شر قتلة كما فى زعمهم فلا شبهة فى أن هذه الآية صريحة فى الإشارة إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأن هذا المزمور من عند الله حقا ولم تصل إليه يد التحريف ولذلك رد على هؤلاء المبشرين هذه الدعوى فقال فى الآية الرابعة وبجلالك أقتحم أركب من أجل الحق والدعة والبر فتريك يمينك مخاوف .

فهذه الآية تقول إنه لم يتقلد سيفه من أجل شهوة الملك أو من أجل شهوة المال أو الجاه كلا فقد ثبت أن مشركى قريش عرضوا عليه أن يشاطروه أموالهم التى يملكونها جميعا بحيث يكون وهو فرد واحد يملك من المال مثل ما يملك الجميع ، وأن يبايعوه ملكا عليهم فأبى ، وقال لهم والله لو وضعتم الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ما تنازلت عن هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه فهو قد ترك ملكًا كبيراً ومالاً كثيراً ورضى أن يقتحم المخاطر من أجل القضاء على عبادة الأوثان ومن أجل الفضيلة ضحى بالملك والمال وعرض نفسه لأشد المحن والبلاء وأصعب المخاطر فى سبيل الله تعالى وفى سبيل القضاء على الوثنية والفوضى وفى سبيل سعادة المجتمع وتوطيد دعائم العمران .

فلو أن المبشرين كانوا يؤمنون بتوراتهم حقا، ويدركون معنى الصحيح الذى سلم من تحريف المفسدين، لكانوا أول المؤمنين بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. نعم لو أدرك هؤلاء القوم معنى هذا المزمور لأدركوا أن الحرب للفضيلة والحق والبر ممدوح، وإلا لما كان لداود عليه السلام أن ينقل عن ربه مديح الذى يحارب من أجل هذه الأمور. ولو أنهم يؤمنون حقا بالتوراة لأدركهم الخجل مما يقولوه من أن الرب يسوع كلمة الله أما محمد بن عبد الله فهو نبى السيف فهم يعتبرون القتال فى سبيل الله سبة ويعتبرون الإنتحار فضيلة فيالضيعة موسى ويوشع وداود الذين حاربوا فى سبيل الله ولم ينتحروا بل ياضيعة إبراهيم وإسرائيل وإسحاق وغيرهم من الأنبياء والمرسلين لأن المبشرين يعيرونهم بعدم الانتحار. هل نحن فى عصر العلم والمدنية حقا، هل نحن فى عصر البحث عن الحقائق والبراهين، أو الغرض أن يطعن المبشرون فى سيد المرسلين، إنهم لم ينالوا إلا ما يفضحهم، ولم يظفروا إلا بما يجعلهم محل ازدراء العقلاء وسخريتهم على الدوام، ولهذا الكلام بقية فى مبحث

الجهاد. وأما قوله: (نبلك المسنونة فى قلب أعداء الملك شعوب تحتك يسقطون) فهو نص صريح فى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. ومحال أن ينطبق على سيدنا عيسى لما يأتى:

أما أولا : فلأنه انتصر على أعداء الله الملك القهار الذين يعبدون الأوثان وقد محا الوثنية من شبه جزيرة العرب ودعا إلى توحيد الله فى كل أنحاء العالم فسقط رؤساء العرب وأتباعهم تحت قدميه كما سقط كذلك رؤساء اليهود وملوكهم. ثم وضع أساس القضاء على الفرس والرومان . وقد أكمل خلفاؤه من بعده القضاء على أعداء الفضيلة بسبب تمسكهم بتعاليمه التى هى من عند الله حقا ولولاها لكان العرب من أحط الأمم شأنا وقد صرح بذلك عمر ابن الخطاب لسعد ابن أبى وقاص الذى أرسله على رأس جيش يهاجم الفرس، فقد ثبت فى الصحيح أنه قال له لا تظن أنك تنتصر بحسبك أو نسبك، إنك لا تنتصر إلا باتباع ما أمرنا به رسول الله، وعدم الخروج عنه، ولما ذهب المسلمون لمهاجمة الفرس طلب كسرى وفداً يفاوضه فيما يطلبون، فأرسل إليه القائد العام وفدا من بينه رجل يقال له سعد بن زرارة فلما دخلوا على كسرى قال لهم إننى دهش من جرأتكم كيف تجرؤون على مهاجمة الفرس فى ديارها وأنتم من أحط الأمم قدرا وأسقطها كرامة، فأنتم فوضى فى كل شيء فى طعامكم وشرابكم وأنكحتكم، لا عمل لكم إلا السلب والنهب إلى غير ذلك، فقال له سعد بن زرارة لقد قلت حقا بل أزيدك على ذلك أننا كنا من أجوع الناس حتى لقد كنا نأكل حشرات الأرض من الجوع، ولكن الله تعالى أرسل إلينا رسولا دعانا إلى كل فضيلة، ونهانا عن كل رذيلة، وقال لنا مادمتم متمسكين بهذا لن يظفر بكم أحد، والله ما خرجنا عنه قيد شعرة فلابد أن نظفر بكم، فقال له كسرى وماذا تطلبون فقال له سعد واحدة من ثلاث إما الاسلام وبذلك تعصمون دماءكم وأموالكم، وإما الجزية، وإما السيف حتى يحكم الله بيننا. فأهاج ذلك كسرى وقال والله لولا أن قتل الرسل عار لقتلتكم، ثم أمر بأن يوضع على رأس كل واحد منهم زنبيل من تراب، ففرح الوفد بذلك فرحا شديدا، وتفاءلوا تفاؤلا حسنا وقالوا إن كسرى قد سلمنا أرضه فلابد أن يفتح الله علينا، وتشاءم الفرس بذلك تشاؤما شديدا، وفى النهاية انهزم الفرس شر هزيمة. ومن ذلك تعلم أن الأمم القوية فى العالم سقطت تحت قدمى رسول الله عليه الصلاة والسلام كما تنبأ المزمور .

وأما قوله: (كرسيك يا الله إلى دهر الدهور) فإن معناه أن الرسالة التى أعطاها الله تعالى لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام تبقى خالدة إلى يوم القيامة فالكرسى اشارة إلى الرسالة بدون شك ومن السخافات المضحكة أن المبشرين قد فهموا أن المراد كرسى الملك الذى يجلس عليه الإله. ولما كان الإله عندهم هو عيسى قالوا إن هذه الآية تنطبق على عيسى وقالوا إن المسلمين لا يصح لهم أن يحتجوا بهذا المزمور لأنهم لم يقولوا إن محمدا إلها والآية تقول كرسيك يا الله فكيف يقولون أن الآية تنطبق على محمد. أما هم فإنهم يقولون إن المسيح إله فالآية منطبقة عليه .

فهل رأى الناس عقلا أضيق من هذا العقل. قد فهم المبشرون من نسبة الكرسى إلى الله أن الكرسى هو كرسى الملك وأن الله يجلس عليه كجلوس البشر على كرسيهم. وهم قالوا إن المسيح هو الله فهو الذى يجلس على الكرسى (ياللعار) إن اللغة والعقل تنسبان الأشياء إلى الله جميعها باعتبار أنه هو المصدر الأول لكل المخلوقات فرسالة الله وملك الله وكرسى الله كل ذلك صحيح ومعناه واضح فالرسالة المنسوبة إلى الله معناها أنه هو الذى أعطاها ومن بها. وملك الله هو الذى يسر أسبابه ومنحه وهو الذى إن شاء أبقاه وإن شاء سلبه. وهكذا فهل يصح أن يتصور عاقل من قوله كرسيك ياالله إلى الأبد إلا ذلك المعنى الذى نقوله سواء كان بمعنى الرسالة أو غيرها. ومن ذا الذى يفهم من هذه الكلمة ذلك المعنى المستحيل الذى يقوله المبشرون؟ إنه لا أحد. ولو كان سيدنا داود يعلم أنه يأتى قوم يعبدون بشرا ويدعونه الله ويقولون إن هذا الكرسى خاص به لطلب من ربه أن يرسل آية صريحة تكذبهم ونحن إذا سلمنا بذلك فأين كرسى الملك الذى جلس عليه إلاههم عيسى إنه لم يجلس على كرسى الملك لحظة واحدة . كما سبق بيانه فى الأدلة على تحريف التوراة .

وأما قوله فى هذه الآية قضيب استقامة قضيب ملكك فمعناه شريعتك التى جئت بها شريعة استقامة وذلك لأن شريعة النبى صلى الله عليه وسلم اشتملت على قواعد عادلة وقضايا تنطبق على كل زمان ومكان إذ هى مبنية على جلب المصالح ودرء المفاسد، فهى لاعوج فيها ولا أمت .

وأما قوله أحببت البر وأبغضت الإثم من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك . فتلك صفة لا يمكن أن تتعدى سيدنا محمدا رسول الله بحال من الأحوال فلقد احتمل صلى الله عليه وسلم كل محن الحياة ومصاعبها وقاوم الشدائد من أجل حبه فى البر وبغضه للاثم وتفانيه فى الانتصار للفضيلة والقضاء على الرذيلة والعمل على مرضاة ربه بإصلاح النوع الإنسانى فأكمل الله له دينا قيما وشريعة سمحة وأتم عليه نعمته ظاهرة وباطنة ، فأصبح أشد الناس عداوة له أخلصهم فى محبته كما قال تعالى: **«اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا»**[1] . وبذلك كانت آثاره التى أخرجت الناس من الظلمات إلى النور عامة شاملة حتى أن أعداء دينه انتفعوا بتلك الآثار ولا يزالون ينتفعون بها فى كل زمان ومكان وإن كانوا يجحدون ذلك إما جهلا بالحقائق أو غمطا للحق وجحدا للفضيلة . ومن كان ذلك شأنه فهو أفضل الأنبياء بلا نزاع وأكرمهم على ربهم بدون شك ومن أجل ذلك قال الله مخاطبا نبيه وأمته: **«كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله»**[2] . وأما الآية الثامنة وهى قوله كل ثيابك مر وعود إلخ فهى تعبر عن حالة النبى صلى الله عليه وسلم أحسن تعبير .

---

(١) سورة المائدة : الآية ٣ . (٢) سورة آل عمران : الآية ١١٠ .

فإنه عليه الصلاة والسلام كان يحب الرائحة الذكية حبا جما، ويكره الروائح التى لا تؤلف إلى حد أنه كان يهجر بعض الطعام المباح الذى تبعث منه رائحة غير مألوفة فلذلك كان صلى الله عليه وسلم دائما ملابسا للطيب فالمراد بالمر المسك . والعود والسليخة نوعان من الطيب لها رائحة ذكية. والعود معروف . على أن النبى صلى الله عليه وسلم كانت تنبعث من جسمه الشريف رائحة ذكية. فقد ثبت أن ريح عرقه كالمسك وأن من كان يصافحه يجد فى يده ريحا طيبة عالقة بها فكل ثيابه المتصلة ببدنه الشريف كانت كلها منغمسة فى المسك . أما قوله من قصور العاج سرتك الأوتار فهو إشارة إلى أنه سيملك قصورا فخمة ويغنم أموالا طائلة ولكن لا يسر بهذه المظاهر ولا يسر إلا بما لا كلفة فيه فقد كان صلى الله عليه وسلم يجتمع إليه من الأموال الشىء الكثير فيوزعه على الناس ولا يبقى لنفسه منه كثيرا أو قليلا ومع ذلك فقد كان يهجر وثير الفراش وينام على حصير مشدودة على أوتار فتظهر آثارها فى جسده الشريف .

وأما الآية التاسعة وهى: بنات الملوك بين حظياتك فهى إشارة إلى السيدة صفية بنت حيى فإنها بنت سيد بنى النضر وملكهم . والسيدة جويرية بنت الحارث سيد بنى المصطلق وملكهم وهما من زوجاته عليه الصلاة والسلام . وأما قوله جعلت الملكة عن يمينك بذهب وفير فهى إشارة إلى ما فتحه الله لنبيه من الممالك وما غنمه المسلمون من أموال .

وأما الآية العاشرة وما بعدها: فمعناها أن الممالك التى يفتحها سيدنا محمد وأصحابه تكون سعيدة بدخولها فى حوزته فيوصيها بالخضوع لأوامره التى هى من عند الله سبحانه وتعالى ونسيان ما كانت عليه من عقائد وعادات فاسدة .

وأما قوله وبنت صور أغنى الشعوب إلخ، فهو اشارة إلى سعادة من يتبع ذلك النبى ويمتثل أمره، فإنه يكون كمن يهدى إليه أغنى الشعوب. ويترضاه أقوى الأمم. ولا ريب فى أن من كان هذا حاله يظفر بمنتهى السعادة الدنيوية، وقد تحققت هذه النبوءة فى سيدنا محمد. فقد كان كثير من ملوك العالم يترضونه ويهدون إليه . ومنهم النجاشى ملك الحبشة والمقوقس عزيز مصر. ومن بعده أصحابه المخلصون فقد أذل الله لهم أقوى الأمم بطشا وأصبحت ملوك العالم تطلب القرب منهم وترجو أن تترضاهم بكل ما تستطيع .

وأما آية ١٣ : وهى قوله : كلها مجد ابنة الملك فى خدرها إلخ . فإنها تشير إلى ما فتحه الله تعالى لنبيه من البلدان .

وأما آية ١٤ : فهى إشارة إلى الأمم التى تدخل فى حظيرة الإسلام فتقر عينها به .

وأما آية ١٦ : وهى (عوضا عن آبائك يكون أبناؤك) فقد تحققت كاملة فإن كثيرا من أبنائه ساسوا العالم مدة طويلة .

وأما آية ١٧ : فإن أمرها ظاهر لا يخفى على أحد. فإن ذكر النبى صلى الله عليه وسلم مرفوعا فى كل أنحاء العالم بين الأحباب والأعداء، ومذكورا فى كل دار، وفى كل حقل، وفى كل بيئة، وكلما تقدم العلم وارتقى الفكر الإنسانى ازداد ذكر النبى صلى الله عليه وسلم المربى الأعظم الذى وضع أسس التفكير الصحيح والفلسفة العلمية والبحث العلمى فى النظم الكونية والسنن الإجتماعية فذكراه خالدة مادامت السموات والأرض . عليه الصلاة والسلام .

وبعد فهذا المزمور من أوله إلى آخره يتنبأ عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكل مافيه يدل دلالة واضحة على ذلك النبى الكريم خاتم النبيين والمرسلين .

فماذا يقول المبشرون: إن التعصب الأعمى حملهم على إنكار الشمس فى رائعة النهار وزعموا أن هذا المزمور يتنبأ عن سيدنا عيسى عليه السلام على أن المنصفين من متقدمى المسيحية اعترفوا بأن هذه الصفات لا تنطبق على سيدنا عيسى وهذا المزمور لا يتنبأ عنه ولكن المبشرين يأبون إلا أن يجمعوا بين الضدين، ويوفقوا بين المتناقضين، وينتحلوا من كل كلمة دلالة على المسيح بن مريم، وياليتهم يستدلون بذلك على رسالته فحسب، كلا بل هم يحاولون اثبات ألوهيته بما يحرج الصدور ويؤذى العقول السليمة. فلننظر فيما يقوله المبشرون فى تطبيق هذه النبوءة على سيدنا عيسى عليه السلام إنه لا حجة لهم إلا أنه ورد فى الرسالة إلى العبرانيين بعض العبارات الواردة فى المزمور . وهذا نصها: (وأما عن الابن كرسيك يا الله إلى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب ملكك . أحببت البر وأبغضت الإثم من أجل ذلك مسحك الله بزيت الابتهاج أكثر من رفقائك) [1].

ونحن نقول لهؤلاء المبشرين إنه قد ثبت بالبراهين القاطعة خطأ نبوءات أناجيلهم وقد اعترف بذلك مفسروهم بالإجماع وقد نقلنا كثيرا من ذلك فى أدلتنا على تحريف الإنجيل والتوراة إذا كانت نبوءات أناجيل رسلهم الحقيقيين التى يأخذونها من التوراة غلطا فهل من المعقول أن يحتج برسائل بولس الذى ثبت أن رسالته خصوصا الرسالة إلى العبرانيين مشكوك فيها لأنها لم تكن مدونة فى أناجيل المتقدمين كما صرحوا بذلك فى كتبهم . ومع هذا فإننا نستدل على خطأ بولس الواضح فى فهم ذلك المزمور، بأن الصفات الموجودة فيه ليست فيها واحدة تنطبق على المسيح، ولكن المبشرين مساكين قد ورطهم بولس فاضطرهم إلى التمسك بالمحال والتعلق بأهداب الخيال فإنهم نقلوا عن آبائهم الأولين أن المسيح تمثل لبولس وهو فى طريقه إلى الشام فعينه رسولا ، وأصبح الرجل بعد هذه الدعوى قديسا يجب أن يؤمنوا بكل ما يقول ولو أن المبشرين يعرفون معنى الاستدلال لخجلوا من الاستدلال بما يرويه بولس لأن هذه الحكاية من أولها إلى آخرها باطله قطعا . أما أولا فإن المسيح

---

(١) الرسالة إلى العبرانيين : الإصحاح الأول الآيات ٨و٩ .

ليس بإله حتى يعين رسلا. وأما ثانيا فلأنه إذا كان إلها فإن بولس هذا لم يقم أى دليل على صدقه وكل مافى المسألة أن الرجل استضعف عقول رؤساء الدين وقتئذ واستعمل دها ه فى إخضاعهم لسلطانه فسلبهم من التكاليف الشرعية وقرر لهم مالا يكاد يصدقه عاقل فكيف يكون قوله حجة فى الموضوع لا شك أن الاستدلال بعبارة العبرانيين فى هذا المقام من الفكاهات اللذيذة .

ولهذا قد اضطر المبشرون إلى أن يأتوا فى تأويل عبارة المزمور بخيالات مضحكة تشبه العنقاء والغول، فإنه لما قيل لهم إن المسيح لم يتزوج ولم تكن له محظيات قالوا إن ذلك إشارة إلى عروس المسيح الروحية التى هى الكنيسة . وأنت إذا سألت كل طبقات العالم الذين يدركون معنى الكلام هل يمكنهم أن يفهموا من عبارة المزمور هذا المعنى لقالوا لك كلا وألف مرة كلا. إنه لا دليل على الكنيسة فى هذه العبارة لا تصريحا ولا تلويحا ولا كتابة ولا مجازا ، بل ذلك محض اختراع، فضلا عن ذلك فإنه لا معنى لتخصيص المسيح بالكنيسة لأن الكنيسة هى دار العبادة ولم تكن العبادة خاصة بالمسيح. فهى ليست عروسه بخصوصه، بل لكل أرباب الأديان مجال لشعائرهم حتى الوثنيين وعباد النار والحيوان فإن لهم دورا للعبادة فكيف يعقل أن يقول إن النبى الذى أبشركم به (له محظية) ويريد بالمحظية المحل المعد للعبادة التى يرسمها ، إن ذلك ليس خاص بنبى بل لكل زعيم دينى عروس روحية وهى محل عبادته فهل ذلك كلام يقوله عاقل .

ومن المضحك حقا أن يقولوا إن المراد بالنبل المسنونة فى قلب الأعداء (هى نبل المسيح فى قلب إبليس وجنوده وفى قلب القوم الذين أظهروا غضبهم لمقاومة المسيح وإنجيله) . ولكن لا غرابة فى ذلك فإن الذى يتخيل أنه دائما يسبح فى دم المسيح فيتطهر ويتخيل أن الخمر والخبز الذى يقرأ عليه الكاهن أنشودة ينقلب إلى دم المسيح ولحمه، فالذى يشرب ذلك الخمر الربانى يشرب دم المسيح، والذى يأكل من ذلك الخبز الربانى يأكل لحم المسيح، لايبعد عليه أن يتخيل أن للمسيح سهاما مسنونة أصابت قلوب ابليس وجنوده، وقلوب أعداء الإنجيل، وأعداء المسيح (يالضيعة العقول) ولكن ياترى ماذا صنعت تلك السهام بقلوب ابليس وجنوده هل أودت بهم وأهلكتهم، أو كان تأثيرها عليهم بردا وسلاما ، فلا يزالون يتسلطون على النوع الإنسانى ويوسوسون لبعض الناس بالمحال، ويزينون لهم الضلال، ويحسنون لهم عبادة البقر والبشر، ويمثلون لهم الإله فى صورة ضئيلة حقيرة بحيث يستطيع اليهود أن يهينوه ويصلبوه أظن أن المبشرين يسلمون أن ابليس وجنوده لا يزالون متسلطين على أنفس الناس ولم تؤثر فيهم سهام المسيح أدنى تأثير، أما القوم الذين قاوموا المسيح وإنجيله الصحيح فهم اليهود ، وهم وإن كانوا قد أصيبوا بأحر الفتن، ولكن الإنجيليين نكبوا مثلهم بل أصيبوا بمصائب أكثر من مصائب اليهود فسهام المسيح ليست مقصورة على

اليهود، وإذا كان ابليس باقيا (بسلامته) هو وجنوده فما هى الأمم التى سقطت تحت قدم المسيح التى أشار إليها المزمور، لعل المبشرون يقولون إن هذه الأمم جماهير من الميكروبات التى كانت محدقة بالمسيح ساعة صلبه، فإنها انتحرت تحت قدميه نكاية فى أعدائه. إننى أعتقد أن هذه الفكرة إذا خطرت لهم على بال يقرروها ولا يبالوا لأن هؤلاء القوم قد بلغوا النهاية القصوى فى الخروج على نظام العقل والمنطق. وياليتهم مع هذا كانوا على شىء من الأدب فإن المبشرين الذين يقررون هذه النظريات التى تضحك منها صبيان المكاتب لهم القدح المعلى فى الطعن على سيد الخلق فتراهم مرة يقولون إن أخلاقه ليست على مايرام ومرة يقولون قرآنه ليس ببليغ، ومرة يقولون إنه ادعى النبوة كاذبا كما سيأتى قريبا .

هؤلاء الذين يهذون فى كل نظرية من نظرياتهم يجرءون على أن يقولوا مثل هذه الكلمات فى المربى الأعظم الذى وضع أسس التفكير الصحيح والحكمة السامية للعالم أجمع خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، ولكن سيلقى المبشرون جزاءهم مضاعفا وهو الخزى فى الدنيا باظهار جهالتهم ولهم فى الآخرة عذاب أليم .

هذا وإن فى التوراة كثيرا غير ذلك من العبارات الدالة على رسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام دلالة لا يجحدها إلا المكابرون أعداء الحق الصريح، ولكننى أكتفى بما ذكرته من العبارات اجتنابا للتطويل الممل. وذلك لأن المبشرين إنما يطلبون دليلا واحدا من كتاب مقدس عندهم، وها أنا ذا قد ذكرت لهم عدة دلائل لا يشك فيها أحد من العقلاء. وإليهم أدلة أخرى .

مثال من نبوءات الإنجيل على رسالة سيدنا محمد صلى الله عيه وسلم :

أما الإنجيل فقد ذكر فضلاء الباحثين من المسلمين كثيرا من عباراته التى تدل على رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. ولكن المبشرين ينكرون ذلك طبعا ويزعمون أن إنجيلهم ليس فيه شىء من ذلك وإننى كنت أحب أن أترك لهم أناجيلهم المحرفة اكتفاء بما ذكرته من التوراة المقدسة عندهم، ولكننى سأذكر لك مثلا واحدا من الإنجيل بالرغم عما أصابه من التحريف الذى أقمنا لك الدليل القاطع عليه وهو :

ورد فى إنجيل يوحنا ما نصه: (لكنى أقول لهم الحق أنه خير لكم أن أنطلق. لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى. ولكن إن ذهبت أرسله إليكم. ومتى جاء ذلك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة . أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بى . وأما على بر فلأنى ذاهب إلى أبى ولا تروننى أيضا. وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد أدين) [1] .

---

(١) إنجيل يوحنا : الإصحاح ١٦ الآيات ٧ ـ ١١ .

وإننى أعتقد أن المسيح قد قال ذلك حقا بوحى من الله تعالى. وذلك لأن هذه الآيات لا يمكن تطبيقها إلا على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مهما أراد المبطلون أن يخرجوها عن معناها الصريح وإليك البيان .

قد اشتملت هذه الآيات على ثلاثة أمور :

(١) أن المعزى الذى يأتى بعد عيسى (يبكت) الناس ويوبخهم على عدم الإيمان بعيسى عليه السلام، وذلك معنى قوله أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بى .

(٢) أنه يوبخهم على اعتقادهم الفاسد من أنهم قتلوه وصلبوه وأهانوه ويرشدهم إلى الحقيقة وهى أن الله رفعه إليه وذلك معنى قوله: وأما على بر فلأنى ذاهب إلى أبى ولا تروننى. وذلك الفهم لابد منه فى هذه الجملة وإلا كانت لغوا من القول لأنه لامعنى لتوبيخهم على البر إلا هذا. فهو يوبخهم على مافعلوا من اضطهاده وما قصدوه من إرادة قتله. ويبين لهم أنهم فشلوا فى ذلك وباءوا بالخزى والعار بدون أن ينالوا منه شيئا لأنه ذهب إلى ربه وهم لم يروه .

(٣) يوبخهم على انقيادهم لرئيسهم ورئيس أمثالهم فى العالم وهو ابليس اللعين الذى استحق الطرد من رحمة الله وصار مدانا بخروجه على ربه. فهم بانقيادهم إليه ومسارعتهم إلى العمل بما يوسوس لهم من اضطهاد الأنبياء وقتلهم قد أصبحوا مدانين مثله لهم نار جهنم خالدين فيها أبدا .

ذلك هو معنى الآيات الذى لا يستطيع عاقل أن يفهم سواه. وإننى أتحدى أن يأتوا بتفسير لهذه الآيات يطابق مدلولها مثل هذا التفسير، أو أقل منه أو قريبا منه ولو من بعض الوجوه .

وإذا كان كذلك فقد انحصر معنى هذه الآيات فى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذى أنزل عليه القرآن مبينا لهذه المعانى الثلاثة أحسن بيانا وأكمله .

وإن شئت بعد ذلك أن تسمع الطرب والتغريد فاستمع لما يقوله المبشرون فى فهم إنجيلهم الذى يزعمون أنهم من أكبر الإخصائيين فى فهمه .

يقولون ليس أحد خبيرا بالإنجيل يقدر أن يستنتج من كلام المسيح عن إرسال الروح ما استنتجوه هم مما ورد فى يوحنا وذلك لما يأتى:

(١) أن كلمة بارقليط المترجمة المعزى لا تعنى محمدا بل تعنى المعزى أو المؤيد كما فى قوله: «وأيدناه بروح القدس» يعنى المسيح، أو الوكيل .

وهذه لا تناسب محمدا مطلقا، لأن المعنى الأول أى المعزى لا يلائم حامل السيف بل هما ضدان. والمعنيين الآخرين «المؤيد والوكيل» لا يصح اسنادهما إلى مخلوق كائن ما كان لأنهما من ألقاب الله سبحانه وتعالى، كما ورد فى القرآن: «وما أرسلناك عليهم وكيلا »[1] .

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٥٤ .

(٢) أن كلمة البارقليط لم تستعمل فى أسفار العهد الجديد إلا للدلالة على الروح القدس .

(٣) أن البارقليط حسبما ورد فى هذه الآيات لا يمكن أن يكون إنسانا من روح وجسد بل هو روح محض غير منظور روح الحق الذى عندما تكلم المسيح عنه بأنه يأتى، كان أى الروح حينئذ ماكثا مع التلاميذ [١] .

(٤) أن الذى يرسله هو المسيح وإخواننا المسلمون لا يقبلون على محمد أن يكون رسول المسيح .

هذه أهم الأوجه التى رد بها المبشرون على ما فهمه المسلمون فلنتحاكم إلى العقلاء لينظروا هل ما فهمه المسلمون فى عبارة الإنجيل هو الصواب أو الصواب ذلك الذى يقوله المبشرون الإخصائيون فى فهم الإنجيل .

قال المبشرون أن للبارقليط ثلاثة معان ـ المعزى . المؤيد . الوكيل ثم زعموا أنه لا يصح إطلاق معنى منها على سيدنا محمد .

ونحن نقول لهم إن هذه المعانى الثلاثة يصح إطلاقها على سيدنا محمد ثم إذا نظرنا لما بعدها يجب أن يكون الغرض منها سيدنا محمد بدون نزاع ، فأما المؤيد فظاهر . لأن الله سبحانه وتعالى قد وعده بالنصر والتأييد على أعدائه فى غير موضع من كتابه وقد تحقق التأييد فعلا فالمؤيد صفة لازمة للنبى صلى الله عليه وسلم عقلا وشرعا ولغة وعرفا .

وهلا يضحك القراء ضحكا عاليا عندما يقرءون عبارة المبشرين بأن المؤيد لا يصح إطلاقه على المخلوق بل لابد من إطلاقه على الخالق كما قال القرآن (وأيدناه أى المسيح بروح القدس) ياللعار القرآن الذى يقول لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم يسمى المسيح بن مريم الله ويقول وأيدناه أى الله فهل رأيت منطقا كهذا المنطق.

لا لا ياحضرات المبشرين إن كلمة المؤيد الأصل فيها أن تطلق على المخلوقات لا على الله تعالى لأن الله تعالى لا يحتاج إلى من يؤيده، فإذا ورد أن العباد قد نصروا الله فمعناه أنهم اتبعوا أوامره ونصروا دينه، أما هو فغنى عن العالمين، وعيسى فى نظر القرآن بشر كسائر المخلوقات، فإذا كانت له ميزة فهى أن الله تعالى أيده بالوحى كسائر الأنبياء، وذلك معنى قوله: **«وأيدناه بروح القدس»** .

وأما الوكيل فإنه يصح إطلاقها على الخالق وعلى المخلوق لغة وشرعا وعقلا وقد سمى الله نفسه وكيلا فى القرآن الكريم ويطلق الوكيل فى اللغة والشرع على كل من يفوض إليه شخص أن يقوم بعمل نيابة عنه، وإذا كان كل واحد من المبشرين يصح أن يكون وكيلا عن غيره فهل يمتنع على الرسول أن يكون وكيلا عن أمته، إنه وكيل من غير شك لأنه يناضل عن أمته أمام الله تعالى ويطلب لهم ما فيه سعادتهم .

---

(١) إنجيل يوحنا : الإصحاح ١٤ الآية ١٧ والإصحاح ١٦ الآية ١٤ .

وهل تدرى من أين أتى المبشرون من أن الوكيل لا يصح أن يطلق على سيدنا محمد؟ أتوا به من قوله تعالى فى سورة الإسراء **«ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيلا»**[1] . والمبشرون معذورون لأنهم إذا كانوا عاجزين عن فهم كتابهم فكيف يتاح لهم أن يفهموا القرآن الكريم فما دام القرآن قد نفى الوكالة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة من الصور كان معناه عندهم أن لا يكون وكيلا أبدا ألا ترى أنك إذا قلت للرجل أنت لست وكيلى فى شراء هذه الدار، كان معناه أنه لايكون وكيلا عنك أبد الآبدين، هكذا فهم المبشرون وهكذا يستدلون فلنقل لهم لا ياحضرات إن معنى الآية الكريمة أن الله تعالى يقول لنبيه إننا لم نرسلك لنكل إليك أمر الناس فنسألك عن إيمانهم كما يسأل الوكيل عن موكله وإنما أرسلناك مبشرا ونذيرا إن عليك إلا البلاغ فإن آمنوا فذلك خير لهم وإن لم يؤمنوا فأمرهم موكول إلى ربهم إن شاء عذبهم وإن شاء رحمهم فلا تذهب نفسك عليهم حسرات. فالله تعالى ينفى عنه الوكالة فى هذه الصورة فقط، وهو أنه ليس وكيلا عنهم فى الإيمان وعدمه ولا فيما يترتب عليه من الثواب والعقاب، أما فيما عدا ذلك فإنه لم يمنع عنه فيه الوكالة فيصح أن يكون وكيلا عاما أو خاصا وقد أخبر الله عنه بأنه أولى بهم من أنفسهم **«النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم»**[2] فكيف لا يكون وكيلا عنهم . على أن وكالة الرسل عن أممهم ضرورية، فهو وكيلنا من غير شك ولا ريب فافهموا يامعاشر المبشرين إذا كنتم تعقلون .

وأما المعزى فقد فسروه بروح القدس وقالوا إنه لا يصح أن يطلق على محمد لوجهين:

(١) أن روح القدس جوهر مجرد عن المادة وإن شئت قلت إنه الأقنوم الثالث المجرد عن المادة حتى لا يعترض المبشرون أن الجوهر اسم للمجموع، وإن كانوا يسلمون بأن كل واحد منهم جوهر فى الواقع وحيث أنه مجرد عن المادة، ومحمد صلى الله عليه وسلم جسم مادى، فلا ينطبق عليه المعزى .

(٢) أن المعزى الذى هو الأقنوم رحمة فلا سيف له، أما محمد فهو ذو سيف.

هكذا يقول المبشرون إن روح القدس جوهر مجرد عن المادة فلا يمكن أن يشار به إلى المادى، حسن، ولكن هذا لا يناسب ما بعده بأى وجه لأنه صريح فى أن المعزى يرسل لليهود ويرونه ويسمعون تبكيته، فكيف نزل عليهم المجرد عن المادة وكيف يعقلونه هل يتحد بشخص آخر غير المسيح فيتجزأ الإله فى أجسام خلقه فكما أن أقنوم الابن اتحد بعيسى إلها وأصبح عيسى إلها كاملا، فكذلك أقنوم روح القدس يتحد بجسم سمعان بطرس مثلا، فيكون إلها ثانيا، وتتعدد آلهة الأجسام كما تتعدد آلهة الأرواح أم ماذا الحال؟ إن المبشرين قد أجابوا عن هذا السؤال فقالوا إن

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٥٤ . (٢) سورة الأحزاب : الآية ٦ .

روح القدس الذى أخبر عنه المسيح بذلك نزل وقت الإخبار على تلاميذ المسيح ومكث معهم فليس الغرض أن روح القدس فى نبى آخر، ولكن جوابهم هذا يضيع عبارة المسيح من أولها إلى آخرها ولا يجعل لها معنى مطلقا، وذلك لأن عبارة المسيح هى أن ذلك الرسول يأتى بعد أن يذهب هو إلى ربه وتنقطع صلتهم به، ثم يوبخ العالم على الأمور التى بينها فهل جاء المعزى فى حال وجود المسيح وأخذ يوبخ تلاميذه الأنبياء لأنهم لم يؤمنوا به، أم ماذا حصل أليس ذلك مهزلة مضحكة ؟ .

وإذا سلمنا أن المعزى هو الجوهر المجرد عن المادة فإن معناه المتعين هو جبريل الذى نزل بالقرآن المشتمل على توبيخ الناس على عدم الإيمان بالمسيح إلخ. ولا يفهم منه سوى هذا على أن المبشرين قد خيرونا بين ثلاثة معان فلنختر المعنيين الأولين ونقول لهم إن هذين المعنيان يتعينان هنا بقرينة ما بعدهما ولنترك المعنى الثالث لأنه ليس بمراد قطعا. أما قولهم المعزى ليس حاملا سيفا ومحمد ذو سيف فهى ليس بأول عجائب المبشرين ألا ترى أن روح القدس إله كامل عندهم والإله يجب أن يكون مهذبا أمام عبيده إذا ضربه أحدهم على خده الأيمن يدير له خده الأيسر، فيجب على روح القدس أن يقلد المسيح ويستسلم للذل والهوان ويترك حبل الناس على غاربهم، يكفرون به ولا يمتثلون له أمرا، ويحتقرونه ثم يعذبونه وهو راض عنهم، فلا يجوز له أن يعذبهم أو يعاقبهم على شىء من ذلك فعلى روح القدس أن يكون ذا دعة يحتمل فجور عباده وفسوقهم ويرضى عن المشركين الذين يعبدون الإنسان والحيوان والحجر ولا يرفع فى وجههم سيفا، فمحمد الذى جاهد الكفار والمنافقين وحارب الشرك وقضى على الرذائل لم يكن مماثلا لذلك الإله المتواضع فى نظر المبشرين ألا إنهم قوم لا يعقلون .

ألا فاستمتعوا أيها الكفار بعيسى إن إله المبشرين رجل (وديع) مسالم ظريف لا يعذب أحدا على جريمة من الجرائم حتى الكافرين به فلتحل الفوضى محل النظام، وليأخذ القوى من الضعيف ما يشاء من شهوة، وليستبشر اليهود الذين مثلوا بالمسيح شر تمثيل خيرا وليعمل الناس كل ما يشتهون، وليحذف المبشرون من الأناجيل كلمة دينونة وأن المسيح يدين الأحياء والأموات، وليكفوا عن الدعوة إلى دينهم، لأنها لا معنى لها مادام الإله (وديعا) إلى هذا الحد لا يحمل سيفا ولا يرضى عن أحد يحمل سيفا مهما كان ذلك فى سبيل الله ومحو الوثنية والانتصار للفضيلة والقضاء على الرذيلة، ومن يفعل ذلك يعيره المبشرون ويعتبرونه سفاكا للدماء. فيالضيعة نصراء الفضيلة ، ويالضيعة الأنبياء الأولين ، بل يالضيعة موسى وداود وإبراهيم وهم الأنبياء العظام عند المبشرين الذين يؤمنون بالتوراة، يالضيعة هؤلاء جميعا فإنهم حاربوا المجرمين وقاوموا الطاغين وقاتلوا فى سبيل الله أجمعين .

المسيح لم يأمر بالخنوع :

ومع ذلك كله فهل المسيح حقا أمر بالخنوع لأهل الفساد وقال أنه لا يقاتلهم. كلا، والمبشرون كاذبون فإن فى أناجيلهم عكس ذلك على خط مستقيم وإليك نص ما قاله متى: (لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض. ما جئت لألقى سلاما بل سيفا. فإنى جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أبيها والكنة ضد حماتها وأعداء الإنسان أهل بيته. من أحب أبا أو أما أكثر منى فلا يستحقنى ... إلخ) [1]. فذلك صريح فى أن عيسى يحرضهم على القتال حتى قال لهم فى آية ٣٩ من هذا الإصحاح: (ومن أضاع حياته من أجلى يجدها) وإنى أعتقد أن مثل هذا الكلام يصدر عن المسيح حقا ولكن لا فى هذه الصورة المشوهة فإن الأنبياء لا يصرحون بأنهم يفرقون بين الناس. وإن كان ذلك طبيعيا إذ قد يؤمن الابن دون الأب فتقع الفرقة بين الاثنين أما كونه يحرضهم على القتال ويأمرهم بأن يستعذبوا الموت من أجل الله تعالى فذلك ضرورى لكل نبى لأن الدعوة إلى الله لا تقوم إلا إذا كان لها حماة يمنعون عن أهلها العدوان فإن كانت حقا نفذت إلى القلوب. وإن كانت باطلة ماتت فى مهدها. مهما كان وراءها من قوة. فالمسيح صلوات الله عليه حرض قومه على القتال فى سبيل الله وحثهم على الانتصار للفضيلة كسائر الأنبياء الذين يدعون إلى الله تعالى ولكن مع الأسف إنه وجدهم جبناء إلى أبعد مدى ، ويكفى مثالا لجبنهم ما روته أناجيلهم بشأن سمعان بطرس الذى أنكر المسيح بلعن وأقسم كما قدمناه فى أدلتنا على تحريف الإنجيل. فإن قلت إن هذا يناقض قوله طوبى لصانعى السلام قلت كلا إنه لا يناقض مطلقا لأن الأنبياء جميعا إنما يدعون إلى الله بالبرهان ويطلبون من الناس أن ينظروا فيما جاءوا به بدون أن يؤذوا أحدا أو يرغموا أحدا على الإيمان ولكن الأنفس الشريرة لا تتركهم يقومون بهذا الواجب فيحاولون القضاء عليهم وعلى رسلهم فيدافعون عن أنفسهم وهم كارهون فهم دائما مدافعون لا مهاجمون، فالسلام هو الأصل، ولكن إذا انتهكت المحارم واعتدى المعتدون على الله ورسله، كان القتال فى هذه الحالة فرضا لازما وقد بينت ذلك فى أول الكتاب، وسأذكره فى بابه كاملا. فلا يخجل المبشرون بعد ذلك ولايقولون أن محمد رسول سيف وعيسى إله سلام وديع كإله الخير عند بعض الوثنيين، كلا إنهم لا يخجلون.

بقى علينا أن نرد على قولهم إن النبوءة تفيد أن المسيح هو الذى يرسل ذلك الرسول، والمسلمون لا يقبلون أن يكون محمد رسول المسيح إلخ، ونحن نقول لهم إذا كان المعزى روح القدس وأنتم تقولون أن روح القدس إله كامل من جميع الوجوه، وقلتم أن المسيح يرسله، فلابد أن يكون لهذه الجملة معنى آخر، وإلا كان روح القدس الإله من رسل المسيح، وهو باطل قطعا، ولا يقال إن المسيح

---

(١) إنجيل متى : الإصحاح ١٠ آيات ٣٤ ـ ٣٩ .

إله كامل أيضا، لأن الإله الكامل عندهم لاهوته لا ناسوته والذى يتكلم ناسوته، ولو سلمنا أن الذى يتكلم لا هوته فإن لاهوت المسيح وروح القدس متساويان عندهم من كل وجه، فكيف يكون روح القدس من رسل المسيح وهو مثله من جميع الوجوه؟ هذه نظريات بديهية لا يرتاب فيها إلا مكابر. فلابد أن يكون معنى أرسله لكم، أنه يأتى من بعدى كما قال الله تعالى فى القرآن الكريم حكاية عن عيسى: «ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد»[1]. ولما كان الرسول فى مثل هذه الصورة يأتى بعد الذى أخبر، عبر عنه بقوله أرسله لكم، فذلك معنى الآية التى نطق بها المسيح. هذا كله على فرض أن المترجمين أو المفسدين لم يحرفوا، وإلا فالأمر ظاهر. أما ما ذكروه فى رد هذه النبوءة فإنه لا يستحق شيئا من النظر فقد قالوا إن محمد كان رجل فتح وغزو يفتح البلاد بسيفه ودوخ العباد بجيشه، وأما الروح القدس فعمله أن يبكت العالم على الخطية وجوهر الخطية عدم الإيمان بالمسيح، فلا يسألهم ولا يعذبهم ويتركهم يعيشون فى الأرض فسادا ولا يصدهم عن عبادة الأوثان وليت شعرى ما فائدة تبكيتهم إذا لم يكن وراء ذلك التبكيت عقاب يزجر الكافرين ويخيف المجرمين. وهل قام الإله بوظيفة التبكيت هذه أولا. إنه لا دليل على أنه قد قام بها لأنه جاء متنكرا ولم يره أحد ومكث مع تلاميذ المسيح بضع ساعات وانصرف، فهم الذين بكتهم الروح، فروح القدس وديع ظريف خفيف لا يقاتل فى سبيل الله ولا يعذب أحدا على ذنبه وهذا كل ألوهيته عند المبشرين. وقالوا إن محمدا والقرآن ينكران بنوة المسيح وقد صرح أنه ابن الله بقسم وكذا ينكران لاهوته مع كونه مثبوتا فى كل أسفار العهد القديم (أش ٩:٦ ومز ٤٥:٦) والعهد الجديد يوحنا (١٠:٣٠ وعب ١) وبناء عليه لا يكون محمد وقرآنه ممجدين للمسيح، بل مضادين له على خط مستقيم، ونحن نقول لهؤلاء المبشرين إن المسلمين وكتابهم قد مجدوا المسيح حقا أما أنتم فقد سخرتم به بما نسب إليه آباؤكم الأولون وإن شئت قلت بما نسبه إليه أعداؤه الذين استخفوا أسلافكم فألصقوا به جميع أنواع السباب، إلى حد أنهم قالوا إنه ملعون وإنه دخل الجحيم وإنه ابن زنا. وهل من العقل أن تقولوا إن المسيح إله ثم تقولون إن اليهود نكلوا بذلك الإله أشد التنكيل؟ أليس من العار أن يكون الإله محل سخرية واستهزاء إلى هذا الحد؟ ألا فتدبروا واعقلوا وفكروا وانظروا فيما بينكم من الموجودات واسألوا الأطفال إن كنتم لا تدركون شيئا هلموا بنا نسأل كل طبقات العالم ونقول لهم إن الإنجيل قال فى المسيح إنه ملعون. وابن زنا ودخل الجحيم. وبصق الناس فى وجهه وضربوه على رأسه وضفروا له الشوك وجعلوه تاجا له وجروه على وجهه ووضعوه على خشبة وسمروا يديه ورجليه وفعلوا معه كل أنواع الإهانة، وهو مع ذلك إله كامل.

---

(١) سورة الصف: الآية ٦.

أما القرآن فإنه يقول إنه طاهر مطهر مقرب من ربه من سلالة طاهرة وإنه فى أعلى مراتب النعيم وأن الله حفظه من كيد الكائدين وأكرمه كل الإكرام فلم ينالوا منه شيئا، ومع ذلك فهو ليس بإله بل هو عبد الله ورسوله بدون زيادة ولا نقصان، فمن منهما يمدحه ومن منهما يذمه فإن وجدتم عاقلا واحدا يقول إن الذى يمجده هو الإنجيل وإن القرآن هو الذى يذمه انتحلنا لكم المعاذير، وقلنا إن الأمر خفى فلهم العذر أما إذا لم تجدوا عاقلا واحدا يوافقكم على ما تقولون فجدير بكم أن تتواروا خجلا ولا تظهروا فى ميادين المناظرات العلمية .

ومن عجائب المبشرين أنهم يستدلون على لاهوت المسيح من التوراة فيقولون إن التوراة صرحت بأن المسيح إله وهل تدرى فى أى مكان صرحت التوراة؟ فهم يقولون إنها صرحت فى المزمور ٤٥:٦ وقد ذكرت لك هذه الآية قريبا وهى: (كرسيك يا الله إلى دهر الدهور) فقد تخيلوا أن الله يخاطب نفسه فيقول لنفسه كرسى ملكى الذى أجلس عليه يدوم ومن هو الله هو المسيح وقد عرفت أن ذلك الخيال باطل وأن المزمور من أوله إلى آخره نص صريح فى صفات سيدنا محمد وأن قوله كرسيك يا الله معناه رسالتك يا الله التى منحتها لرسولك محمد بن عبد الله وكل ماذكروه من هذا القبيل خيال باطل وظل زائل يضحك الثكلى ويفضى إلى العجب العجاب .

ومن شذوذ المبشرين وخروجهم عن الأدب أنهم يجرءون على الخوض فى مقام سيد المرسلين وهم على ما وصفتهم لك من الجهالة التى لا تطاق فيقولون بوقاحة وسوء أدب إن رسالة سيدنا محمد المربى الأعظم سقطت سقوطا لا شك فيه وإنه لا نبى يأتى بعد المسيح وإن العصر الوحيد الآتى هو رجوع المسيح من السماء ليملك الأرض الملك الدائم. وليت شعرى إذا كانت رسالة سيدنا محمد سقطت بنظريات هؤلاء المبشرين، فكيف اتبعه فلاسفة العالم وجبابرة العقول الذين لم يقبلوا برهانا إلا إذا حللوه تحليلا دقيقا، ولم يتركوا صغيرة ولا كبيرة من أجزائه إلا عرضوها على محك النظر الصحيح وأوردوا عليها كل ما عساه أن يرد من شبهة واعتراض . كيف اتبعه أمثال ابن سينا والفارابى. وابن رشد أستاذ أوربا وغيرهم من فطاحل الرجال الذين ملؤا الدنيا حكمة وعلما، وكيف قاوم محمد أعداءه الأقوياء الكثيرين وهو واحد لايملك من وسائل الدفاع عن نفسه إلا قوة الحق واليقين وتأييد الله العليم الخبير. كيف قاوم هؤلاء الذين لا صناعة لهم إلا الجدل وحسن البيان ومقارعة الحجة بالحجة. أيظن المبشرون أن رسالة سيدنا محمد المربى الأعظم كانت لهوا ولعبا إلى حد أن السخافات التى تضحك الثكلى تسقطها ؟ إن ذلك لمن مهازل الدهر. وأى مهزلة أكبر من أن يجرؤ هؤلاء الناس على الخوض فى مقام سيد ولد آدم أجمعين وأكرمهم عند الله رب العالمين، وهم لا يكادون يفقهون حديثا، وإذا كان القارىء يرتاب فى قولى إن هؤلاء المبشرين لا يستطيعون أن يسطروا جملة واحدة خالية من الخلل فإننى أقيم لهم البرهان فى هذه الجملة التى تجنوا فيها على

رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرحوا فيها بأنه لا نبى مطلقا بعد المسيح فهو خاتم الأنبياء وأن عصر النبوة قد انقرض ولا عودة له إلا بمجيء المسيح ليملك الأرض، وزعموا أن ذلك هو نص إنجيلهم وإذا صح ذلك فقد ضاعت المسيحية من أولها إلى آخرها لأنهم يزعمون أن الديانة المسيحية ما جاءت إلا بعد موت المسيح وأن تلاميذه كانوا رسلا من بعده .

وقد صرح المبشرون بأن بولس تعين رسولا بعد تعيين الرسل الأولين بمدة وجيزة حينما (ظهر له المسيح من السماء وهو مسافر إلى دمشق الشام ودعاه أولا إلى الإيمان ثم بعثه رسولا) فإذا كان للمسيح رسل بعد موته، وقد عين بولسا رسولا فكيف يكون عصر النبوة قد انتهى؟ وكيف يقول الإنجيل إنه لم يأت رسول بعد عيسى إلا أنه هو يعود ويملك؟ وأيضا هل يستطيع المبشرون أن يقولوا لنا متى يعود عصر النبوة بعودة المسيح؟ وفى أى زمان يستقر ملك المسيح الدائم على الأرض فلا هو يفنى ولا الأرض تفنى. إن المبشرين يفرون من الجواب عن هذا السؤال وينكسون رؤوسهم خجلا خوفا من فضيحة أناجيلهم فقد ورد فى إنجيل متى: (فإن ابن الإنسان سوف يأتى فى مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله. الحق أقول لكم أن من القيام هاهنا قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا فى ملكوته) [1] .

والمراد بابن الإنسان عيسى فإنه يعبر عن نفسه تارة بابن الله وتارة بابن الإنسان فهو يقول لهم إنه يعود لهم سريعا فلا ينقرض جيلهم حتى يعود ذلك العصر الذى يتحدث عنه المبشرون فهل صدقت هذه النبوءة أو هى فضيحة من الفضائح المضحكة، فقد انقرض جيل المسيح الذى كان فيه، وانقرضت أجيال من بعده ومضت قرون كثيرة إلى يومنا هذا ولم يعد ابن الإنسان فى مجد أبيه ولم يجز أحد على حسب عمله.

ومثل ذلك ما ذكره متى ونصه: (ومتى طردوكم فى هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى. فإنى الحق أقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتى ابن الإنسان) [2] . وهم قد ماتوا ومضى على موتهم أكثر من ألف وثمانمائة سنة ولم يأتهم ابن الإنسان.

وقد حاول مفسروا هذه العبارة من علمائهم أن يؤولوها ولكنهم لم يصلوا إلى نتيجة أكثر من أن رواة الأناجيل قد غلطوا فى روايتها فقال المحقق بيلى [3] . وهو من العلماء المعتبرين من فرقة بروتستنت قال فى كتابه المطبوع ١٨٥٠ صحيفة ٣٢٣ ما نصه: (الغلط الثانى الذى نسب إلى قدماء المسيحيين أنهم كانوا يرجون قرب القيامة، وأنا أقدم نظيرا آخر قبل الاعتراض وهو أن ربنا قال فى حق يوحنا لبطرس إن كنت أشاء أنه يبقى حتى أجيء فما ذلك ففهم هذا القول على خلاف المراد بأن يوحنا لا يموت فذاع بين الأخوة .... إلخ) .

---

(١) إنجيل متى : الإصحاح ١٦ الآية : ٢٧ و٢٨ .
(٢) إنجيل متى : الإصحاح العاشر الآية ٢٣ .
(٣) نص إظهار الحق ص ١٠٤ .

فهذا المؤلف البروتستانتى يقول إن رواية الأناجيل غير صحيحة، وأن الحواريين الذين سمعوا كلام المسيح غلطوا فى فهمه فما ورد فى عبارة متى من أن المسيح يأتى سريعا نشأ من خطأ متى فى فهم العبارة التى قالها المسيح. ومثل هذا ما رواه المفسر بارنس فى شرح الباب الحادى والعشرين من إنجيل يوحنا ونصه: (منشأ هذا الغلط أن يوحنا لا يموت من ألفاظ عيسى التى كانت تفهم غلطا بسهولة وتأكد هذا الأمر من أن يوحنا بقى على قيد الحياة بعد الحواريين أيضا فهو يصرح بأن أقوال المسيح كانت تفهم غلطا ويرويها أصحابه وهم غالطون) . وكذلك ما قاله جامعوا تفسير هنرى واسكات وهو: (الغالب أن مراد المسيح بهذا القول الإنتقام من اليهود لكن الحواريين فهموا غلطا أن يوحنا يبقى حياً إلى يوم القيامة، إلى أن قالوا ويعلم من هنا أن رواية الإنسان تكون بلا تحقيق، وإن بناء الإيمان عليها حمق لأن هذه الرواية كانت رواية الحوارين، وكانت عامة بين الأخوة وكانت أولية ومنتشرة ورائجة ومع ذلك كانت كاذبة) وقالوا فى حاشية التفسير: (إن الحواريين فهموا الألفاظ غلطاً كما صرح الإنجيل لأنهم كانوا يتخيلون أن مجيء الرب يكون للعدل فقط) .

هذا ما ذكروه وهم بتفسيرهم هذا قد هدموا كل ديانتهم من أولها إلى آخرها لأنهم لا عمدة لهم فيها إلا على الحواريين فإذا كان الحواريون يغلطون وأن روايتهم بلا تحقيق وأن بناء الإيمان عليها حمق فكيف يكون قولهم وحياً من عند الله وكيف يصح أن يوصف ما يقولون بأنه كلام الله المقدس .

فهل الذى يكون كتابه المقدس مشتملا على هذه الروايات الكاذبة باعتراف علمائهم يصح له أن يحتج بها على دين الحق الذى لا شك فيه؟ أليس من الكياسة أن يدارى المبشرون أنفسهم ولا يهاجموا القرآن الكريم ولا يعرضوا بمقام سيد المرسلين إنهم لم يفعلوا ولن يفعلوا إلا ما يفضحهم فى كل ما ينطقون. فقد سلطهم الله على أنفسهم لتظهر فضائحهم .

وبعد فهذا هو البرهان الأول الذى نقله المبشرون من براهين المسلمين علي نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد بحثته بحث من يريد بيان الحق فى ذاته بغض النظر عن كل اعتبار، لأنك قد علمت أن هذا البرهان لم تتوقف عليه ثبوت رسالة النبى صلى الله عليه وسلم حتى تعمينى العصبية على التمسك بغير الحق الصريح فضلا عن ذلك فإننى لست ممن ينكرون رسالة سيدنا عيسى عليه السلام فسيان عندى أن تتنبأ التوراة عنه أو عن نبينا عليهما الصلاة والسلام، نعم اننى أحارب دعوى ألوهية المسيح وصلبه ودعوى الثالوث وهذه الأمور قضيت منها الوطر فى القسم الثانى من هذا الكتاب وأقمت الدليل القاطع على بطلانها وأنها تجافى العقل مجافاة صريحة ولا دليل عليها من كتابهم، فكل ما كتبته فى نبوءات التوراة عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إنما هو صادر عن رغبة صادقة فى الانتصار للحق وإننى أعتقد أن كل منصف يطلع عليه لا يرتاب أدنى ريبة فى أن هذه النبوءات لاتنطبق إلا على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأن

الكتاب المقدس عند أهل الكتاب بالرغم عما أصابه من تحريف، فقد بقى فيه بعض الآيات التى تدل على رسالة سيدنا محمد دلالة لا يشك فيها إلا المبطلون المكابرون. فمن شاء بعد ذلك فليؤمن ومن شاء فليكفر «وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا»[1] .

مزاعم المبشرين فى معجزات القرآن: يقول المبشرون إن القرآن غير فصيح وغير بليغ وقد اشتمل على أغلاط عربية وتاريخية ومتناقضات لفظية ومعنوية إلخ ما سأقصه عليك من أحاديثهم ولو كان المبشرون يحسنون ترتيب المقدمات للوصول إلى النتائج الصحيحة لكان من السهل على النفس مناظرتهم فى هذه المواضع الخطيرة، وبيان الحق الصريح فيها بكل ما يريدون من الوسائل، لأن علماء المسلمين قد درسوا هذه المسائل من تلقاء أنفسهم، وأوردوا كل ما يمكن ايراده من شبهة، وأجابوا عنها فى كتبهم وهذه كتب التفاسير مملوءة بترديد الإحتمالات العقلية فى كل آية وفى كل كلمة بحيث لم يتركوا مجالا لشبهة تخطر على بال أحد إلا أوردوها وأجابوا عنها عدة أجوبة. ولكن المبشرين لا يحسنون إيراد أى شبهة، وقد يأخذ بعضهم شبهة من تفسير فلا يحسن صوغها فتظهر فى شكل مضحك ينادى بجهل موردها وسخافته. وما مثلهم فى ذلك إلا كمثل الببغاء التى تحكى الكلام بدون أن تفهم له معنى، فتستعمله فى كثير من الأحيان فى غير ما وضع له فيكون موجبا لضحك سامعيها. وليس لهم من ذلك غرض سوى أنهم يوهمون ضعاف العقول أن القرآن ليس من عند الله، وأن محمد رسول الله ليس نبيا، وإذا سألتهم لماذا يحاربون القرآن والمسلمين يقولون إن القرآن رفض ألوهية المسيح وصلبه كما رفض الثالوث، ولا علة لهم سوى ذلك وعلى هذا يكون مدار الخلاف بينهم وبين القرآن هى هذه المسائل وهى كما علمت عقائد غريبة متناقضة، سرت إليهم من الفلسفة الوثنية، بل هى فى الواقع أشد تعقيدا من الوثنية. ومن أجل ذلك كانت مناقشتهم لا فائدة لها إلا تحذير ضعاف العقول من شرهم، وتعليم الناس حقيقة الأبحاث الجدلية التى يوردها علماء المسلمين فى تفسير آيات كتابهم، ولفت نظرهم إلى جهالة المبشرين وسوء قصدهم.

والكلام فى هذا الموضوع يشتمل على أمرين أحدهما بيان ما يقوله المسلمون فى القرآن وثانيهما ما يقوله المبشرون فى القرآن وما يناقضون به أنفسهم من الطعن عليه ورد شبههم .

الأمر الأول : فهو أن المسلمين يقولون أن القرآن هو كلام الله تعالى بلفظه ومعناه فليس لبشر فيه كلمة واحدة ولا حرف واحد أوحاه الله تعالى إلى نبيه محمد بن عبد الله على لسان جبرائيل عليه السلام. وجبرائيل هو ملك من الملائكة المقربين فعبارة القرآن التى نزل بها جبريل مخلوقة لله تعالى بحذافيرها وهذا القدر متفق عليه عند المسلمين .

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٨١ .

أما كون هذه العبارة التي جاء بها جبرائيل تدل على معنى زائد على ذات الله تعالى يسمى صفة الكلام أولا فتلك مسألة أخرى ليس من غرضنا بيانها الآن لأن الكلام فيها خارج عن موضوع المبشرين وهذه المسألة مبسوطة فى كتب الكلام فمن شاء أن يعرفها فليرجع إليها [1].

وهذا القرآن هو المعجزة الخالدة التي أتى بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد أيده الله تعالى به وأظهره على معارضيه الذين حاربوه بكل ما أمكنهم فقد ثبت ثبوتا قطعيا لا شك فيه أنه أعجز أبلغ الناس قولا وأفصحهم منطقا وهم عرب قريش فتقهقروا أمامه واعترفوا بأنه ليس من كلام الإنس ولا من كلام الجن وهؤلاء هم الإخصائيون الذين يجب أن يكون حكمهم فى هذا الموضوع نهائيا خصوصا إذا لم يوجد مثلهم فى الصناعة يعارضهم فى حكمهم أو يقاومهم فى صناعتهم. فالقرآن الكريم قد فصل فى أمره من وقت أن كان الإخصائيون ببضاعة البيان كثيرون وكانوا متألبين على النبى صلى الله عليه وسلم مجمعين على مناوأته لا يرون السعادة إلا فى القضاء عليه ماديا وأدبيا. وقد يكون من الحسن أن أذكر هنا نص ما ذكر فى كتاب توضيح العقائد فى مبحث بعثة النبى صلى الله عليه وسلم. فإنه وإن كان يسيرا بالنسبة لما كتبه المسلمون من أوجه إعجاز القرآن الكريم وما فصلوه من سيرة خير الأنام ولكنه قد يشتمل على الغرض الذى نحن بصدده من الرد على مطاعن المبشرين ومن أراد أن يعرف تفاصيل ما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم من مكارم الأخلاق التي لم تتوفر لأحد من خلق الله سواه، وأن سيرته صلى الله عليه وسلم دليل قاطع على نبوته فليرجع إلى كتب السنة الصحيحة، ومن أراد أن يعرف أوجه إعجاز القرآن فليقرأ ما كتبه الأستاذ عبد القادر الجرجانى والجاحظ وغيرهم من علماء المسلمين المتقدمين وكذلك ما كتبه أدباء المتأخرين أمثال الأستاذ الرافعى والأستاذ الشيخ محمد عرفه وغيرهما فجزاهم الله جميعا عن الفضيلة والحق أحسن الجزاء وإليك نص ما ذكر فى كتاب توضيح العقائد .

كانت معاملات العرب تغلب عليهم فيها الإباحة إذ كان قويهم يغير على ضعيفهم، فيسبى نساءه، ويسلبه ماله، ولا يبالى بقتاله فى سبيل شهوته، ولا يستحى من هتك عرضه مادام قادرا على ذلك ، فلم يكن لهم قانون يرجعون إليه، ولا حاكم يخضعون له اللهم إلا من كانوا يدينون له بميزة يقدسونها فيه كالكرم أو قوة العصبية، كما كانوا يفعلون مع بعض أجداد النبى صلى الله عليه وسلم كهاشم وعبد المطلب، فإنهم كانوا يعاملونهم معاملة الملوك والأمراء لما لهم من الكرم وعلو الهمة والإباء. وقد كانت لهم مجالس سمر يتناشدون فيها الأشعار ويتفاخرون فيها بما يتاح لهم من السلب والنهب والغارات ونحو ذلك مما لا يليق فكان من عصمة الله لنبيه أن حفظه من مجالسهم هذه. روى أنه حضرها مرتين فألقى الله النوم عليه فلم يدر مادار فيها .

(١) كتاب توضيح العقائد للشيخ عبدالرحمن الجزيرى .

أما أخلاقهم فإن العرب وإن كانوا قد امتازوا بكثير من الصفات الكريمة مثل الشجاعة والإباء والمحافظة على حقوق الجوار والكرم والنجدة والصدق والوفاء وغير ذلك ولكن الفوضى التى كانوا عليها بسبب الجهل قد ذهبت بمحاسن تلك الصفات وقضت على آثارها. روى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال إذا سرك أن تعرف ما كان عليه العرب قبل الإسلام فإقرأ قوله تعالى: ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم﴾[1] ولا ريب أن الجهل الذى يفضى بالإنسان إلى أن يقتل أبناءه لمجرد توهم الفقر لهو من شر مامنى به النوع الإنسانى، بل العقل الإنسانى لا يتردد لحظة فى الحكم على من يفعل ذلك بأنه شر من الحيوان المفترس الذى لا يقتل ابنه ولو مات جوعا . ذلك بعض ماكان عليه العرب قبل الإسلام . ومما لاشك فيه أن ذلك يرجع إلى الجهل فإن الأمية كانت تغلب عليهم ولم يكن لديهم علوم تربى مداركهم وترشدهم إلى سبيل الحكمة والصواب ، اللهم إلا ما كسبوه بالتجارب وورثوه بحكم العادة ، على أنهم قد امتازوا بشىء واحد وصلوا إلى ذروته وانتهوا إلى غايته وهو البلاغة فى القول والفصاحة فى المنطق ، فإنهم قد ملكوا زمام الفصاحة والبلاغة فلم يكن قبلهم ولا بعدهم أفصح منهم خصوصا قريشا فإنها كانت أفصح العرب قولا وأبلغهم منطقا .

ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا مال وكذلك عمه أبوطالب فإنه مع كونه من أشراف قريش لم يكن ذا مال كثير أيضا فكان صلى الله عليه وسلم يساعده فى أمر المعاش بالوسائل المعروفة عند العرب فكانت الظروف التى نشأ فيها عليه الصلاة والسلام سيئة من جميع الجهات فقد نشأ يتيما لا أب ولا أم كما ذكرنا، فقيرا لا مال له، وربى بين قوم كانت فوضى الأخلاق والعقائد سائدة بينهم، فضلا عن كون مربيه أبا طالب كان يعبد الأصنام التى يعبدونها ولم تكن لهم معاهد علمية يتعلمون فيها العلوم التى تهذب أخلاقهم وتثقف عقولهم ولم تكن بينهم علماء يعلمونهم مالهم وما عليهم، وكل ذلك ثابت بالتواتر الذى لا شك فيه ولقد ذكر القرآن شيئا كثيرا منه. وإذا كان ذلك فمن ذا الذى عصم ذلك النبى الأمى اليتيم الفقير من أخلاق قومه الفاسدة، ونجاه من صفات أهل بيئته الذميمة وعصمه من أن يدين بدين مربيه. من علمه ذلك العلم الذى ترتب عليه انقلاب عام فى جميع العالم فى العقائد والشرائع والأخلاق. من علمه فلسفة الشرائع والأحكام فجاء من ذلك بما أدهش العقول وحير ذوى الألباب. من علمه قوانين الإجتماع وفلسفة التاريخ فأتى من ذلك بما لا يستطيع أحد أن ينقض قضية واحدة من قضاياه. من علمه نظام العمران ومكارم الأخلاق فوضع لها أساسا لايزال العلماء والباحثون يبنون عليه آراءهم فى كل زمان ومكان، من علمه ذلك القرآن الذى أعجز جميع البلغاء والعظماء فلم يستطيعوا أن يأتوا بشىء من مثله.

لا شك أن الذى علمه ذلك هو الإله العليم الخبير .

---

(١) سورة الأنعام : الآية ـ ١٤٠ .

إذ لا يعقل أن ينجو الإنسان من أخلاق بيئته من مبدأ نشأته فإذا أمكن للعقل أن يتصور إنسانا استطاع أن ينجو من أخلاق أهله وبيئته ويسلم من عقيدة مربيه فذلك إنما يكون بعد أن يبلغ أشده ويتصل بمن يحرره ويهديه، أما أن إنسانا ينشأ كذلك منذ نعومة أظفاره فهو الذى فوق الفهم والإدراك. وكذلك لا يعقل أن يوجد شخص عليم بعلم الأولين والآخرين وهو أمي وليس في زمانه علم ولا علماء. فذلك دليل قاطع على صلته بإله قدير أدبه أحسن الأدب وعلمه أحسن تعليم .

ولقد هال المشركون ذلك الأمر وأدهشهم ما فاجأهم به رسول الله فاجتمعوا مرة عند الوليد بن المغيرة وكان أعلمهم بأشعار العرب وأخذوا يفكرون فيها عساه أن يطعنوا به على ذلك الرسول فقال بعضهم نقول عنه إنه كاذب فقال الوليد هل كذب محمد قط فقالوا نقول عنه إنه كاهن فقال هل رأيتموه قط يتكهن فقالوا نقول عنه انه شاعر فقال هل رأيتموه قط يتعاطى شعرا ثم قال لهم والله إننى قد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن. إن له لحلاوة. وإن عليه لطلاوة. وإن أعلاه لمثمر. وإن أسفله لمغدق. وإنه يعلو ولا يعلى. وإنه ليحطم ما تحته. وكان قد سمع أول سورة فصلت وكاد يسلم لولا تأثير أبى لهب عليه فإنه قال له إن الناس يزعمون أنك أصبت بالفقر وأن محمدا يجمع لك مالا فغلبت عليه حمية الجاهلية وغلبت عليه شقوته ففكر ثم فكر وعبس وبسر ـ بسر وجهه كلح ـ وقال لهم قولوا عنه إنه ساحر وفى ذلك نزل قول الله تعالى: **«إنه فكر وقدر . فقتل كيف قدر. ثم قتل كيف قدر ثم نظر. ثم عبس وبسر. ثم أدبر واستكبر . فقال إن هذا إلا سحر يؤثر»**[1] .

فانظر كيف أن أشد أعدائه وأكبر معارضيه لم يجدوا مطعنا يطعنون به عليه سوى إنهم قالوا عنه ساحر وهذا سلاح العاجز الذى ينكر حقائق الأشياء عنادا ويزعم أنها خيال وأوهام ولو أمكنهم أن يطعنوا فيه بشىء معقول سوى ذلك لما تأخروا عنه لحظة واحدة .

ولا ريب فى أن قول الوليد الذى ذكرناه لك آنفا فى وصف القرآن الكريم من أوضح الدلائل على أن القرآن معجز للبشر وأنه قد بلغ فى بلاغته وفصاحته مرتبة لا يستطيع أحد أن يدنوا إليها لأن الوليد هو أعلم العرب بمواقع الكلام نثرا ونظما، وأقدرهم على تميز القول الجيد من الردىء، وقد وصف القرآن بأنه ليس من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وأنه يعلو ولا يعلى، فلابد أن يكون حينئذ كلام إله قادر عليم خبير. وهكذا شأن كل من كان يسمع كلام الله من العرب ويتدبر معانيه فإنه كان لا يرتاب قط فى كونه معجزا للبشر أجمعين، فالقرآن هو المعجزة الكبرى التى هدى الله بها كثيرا من أساطين العرب وبلغائهم، فقد كان الإصغاء لسماع ما تيسر منه كاف للإذعان له والإنقياد لدين الله الصحيح وهجر عبادة الأوثان .

---

(١) سورة المدثر : الآية ١٨ ـ ٢٤ .

ومن ذلك ما وقع لسيدنا عمر بن الخطاب فإنه ذهب يريد قتل النبى صلى الله عليه وسلم فى نظير جعل يأخذه، فمر على دار أخته وعندها زوجها فسمع تلاوة القرآن فسألها فى ذلك فأجابه زوج أخته بأنه اعتنق الإسلام، وكان عمر قويا فصرع زوج أخته، فقامت أخته لتناضل عن زوجها، فطلب عمر منها أن تعطيه الصحيفة التى كانت تقرأ فيها، فأعطتها إياه وهى تأمل أن يهديه الله للإسلام فلما تدبر معنى ما فيها من الآيات البينات، انقلبت عداوته الشديدة لرسول الله محبة وولاء، فذهب إليه وأعلن إسلامه، ولم يلبث أن أصبح من أشد أنصار الإسلام وأقوى أركانه رضى الله عنه وجزاه أحسن الجزاء .

ومثله أبو ذر الغفارى رضى الله عنه فإنه أسلم بمجرد سماع بعض آيات القرآن من النبى صلى الله عليه وسلم، وكذلك غيرهما ولهذا كان بعضهم ينصح بعدم الإصغاء للقرآن والبعد عن سماعه كى لا يتأثر سامعوه ببلاغته فإنهم هم أهل البلاغة وأقدر الناس على إدراك معانى الكلام وتقديره حق قدره فكانوا يتأثرون بمجرد سماعه. وكذلك معجزات الرسل عليهم الصلاة والسلام فإنها تكون من نوع ما نبغ فيه أهل زمانهم، فموسى صلوات الله عليه قد جاءهم بما يلاءم السحر الذى نبغ فيه أهل عصره. وعيسى عليه الصلاة والسلام قد جاءهم بما يلاءم الطب وهو إحياء الميت، لأن أهل زمانه قد نبغوا فى الطب. وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم جاءهم بالقرآن البليغ لأنهم نبغوا فى البلاغة والفصاحة كما تقدم. على أن القرآن معجزة قائمة لا تفنى على مر الدهور والأزمان كما قال تعالى: **«إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون»**[1] .

وإذ قد علمت أن العرب ملوك البيان وأن قريشا كانت أفصح العرب وعلمت أن القرآن تحداهم فى غير موضع منه وطلب منهم أن يأتوا بسورة من مثله إن كانوا صادقين فى دعواهم بأنه صنع البشر فعجزوا عن ذلك جماعات ووحدانا، وشهدوا للقرآن بأنه ليس من كلام الإنس ولا من كلام الجن. فاعلم أن كل من يزعم أن بعض القرآن خال من البلاغة، فهو سمج ينطق هراء، لأنه ثبت بطريق الجزم أن أساطين العرب وفصحاءهم هم الذين خضعت أعناقهم لبلاغة القرآن، وعجزوا عن أن يأتوا بسورة من مثله، وثبت أن هؤلاء العظماء قد بذلوا مجهودا عظيما فى محاربة الرسول وحاولوا غير مرة أن يعارضوا القرآن فعجزوا عن ذلك، وأقروا بعجزهم ولو أنهم قدروا على ذلك لتقهقر الإسلام قطعا لأنه تحداهم على أن يأتوا بسورة من مثله فلو أنهم فعلوا لكانت لهم الغلبة، ولكنهم خابوا وخسروا وتقهقروا أمام تلك العظمة التى قضت على عبادة الأوثان، وجعلت كلمة الله هى العليا وهى عظمة القرآن الكريم فى بلاغته وفصاحته ومتانة أسلوبه وأحكام مبانيه وجمال معانيه، ودقة تراكيبه، وعذوبة ألفاظه، وصدق قضاياه، وصحة أخباره فى كل صغيرة وكبيرة. واشتماله على كل ما فيه سعادة الإنسان وخيره. فهو حجة الله القاطعة وآياته الناطقة. وبرهانه الدائم. ونوره الساطع

---

(١) سورة الحجر : الآية ٩ .

أنزله الله هدى ورحمة للعالمين، فلو اجتمع البلغاء جميعا على أن يذكروا مناقبه، ويبينوا عجائبه، وشرحوا أسراره لما استطاعوا أن ينتهوا فى ذلك إلى غاية أو يقفوا على نهاية، فإن عجائب كتاب الله لا تفنى، كما قال المصطفى عليه الصلاة والسلام، وأسرار معانيه لا تنقضى، فمن استمسك به فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، ومن حاد عنه فقد ضل سواء السبيل، ألا ترى أن المسلمين فى مبدأ أمرهم كانوا أرقى الأمم سعادة ومجدا، وأعزها مكانة وقدرا، وما ذاك إلا لأنهم كانوا بالقرآن مستمسكين، وبآدابه متأدبين، فخضعت لهم رقاب القياصرة، وذلت لسطوتهم جباه الأكاسرة، وكانوا سادة الدنيا وعنوان الشرف والفضيلة ومكارم الأخلاق، فلما غلبت الأهواء على زعماء المسلمين وتركوا نصائح القرآن وراءهم ظهريا وصلوا إلى ماهم عليه من سوء الحال، نسأل الله تعالى أن يلهم المسلمين رشدا ويوفقهم إلى التأدب بآداب كتابهم الكريم، الذى لم يترك فضيلة من الفضائل ألا حث عليها وأمر بها، ولم يذر رذيلة من الرذائل إلا نهى عنها ونعى عليها، ويكفى من ذلك قوله تعالى: **«إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى»**[1] .

وكفى بما ذكرناه لك فى بعض سيرة سيدنا محمد الأولى وبالقرآن الكريم معجزة تدل على أنه عليه الصلاة والسلام رسول من عند الله حقا وأن كل ما جاء به وبلغه عن ربه صدق لا يرتاب فيه عاقل منصف يدرك طبائع الأشياء ويعرف ما يمكن أن تنتهى إليه العقول البشرية، على أن هناك كثيرا من دلائل نبوته ومعجزاته لا يمكننا استقصاؤه فى هذا المقام وكيف يمكننا استقصاء ذلك وله عليه الصلاة والسلام فى كل حركة من حركاته وعمل من أعماله ما يدل على أنه رسول الله، وأنه خير خلق الله، أليس هو ذلك اليتيم الفقير الذى نشأ فى تلك البيئة التى وصفناها وكل أهل زمانه أعداء له، لا ناصر له منهم ، حتى أن أبا طالب الذى كان يناصره مات وتركه لهم، فأصبح مضطهدا من جميع جهاته يتآمر عليه أعداؤه ويتربصون به الدوائر للقضاء على حياته وهو يصبر على كل ما يصيبه من بلاء،ويتحمل كل ما يلاقيه من ضر وإيذاء، ويجاهد بنفسه منفردا فى سبيل الدعوة إلى الله تعالى كما أمره الله تعالى بقوله: **«فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين»**[2]. وقوله: **«ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة»**[3] . أليس هو ذلك الأمى المضطهد من قومه وعشيرته، قريبهم وبعيدهم، غنيهم وفقيرهم، حتى النساء والصبيان والعبيد فإنهم كانوا يغرونهم به فيرشقونه بالأحجار كلما مر ومضى، ومع ذلك هو راض بكل اضطهاد وتعذيب، قرير العين بكل ما يصيبه من ايذاء وتشريد، لا مطمع له إلا هداية الناس وإرشادهم، ولا غرض له إلا

(١) سورة النحل : الآية ٩٠ .
(٢) سورة الحجر: الآية ٩٤ .
(٣) سورة النحل : الاية ١٢٥ .

إخراجهم من الظلمات إلى النور أليس هو ذلك الرجل الذى عرض عليه أعداؤه أن يبايعوه بالملك وأن يشاطروه جميع أموالهم فى نظير أن يكف عن الدعوة إلى الله ويسايرهم فى عبادة أوثانهم فرفض ذلك بتاتا وقال لعمه أبى طالب الذى عرض عليه ذلك والله ياعم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ما تنازلت عن هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه.

أليس فى ذلك دلالة قاطعة على صلته بربه تعالى، وإلا فما هى غاية الإنسان فى حياته الدنيا سوى الملك والمال. وقد عرضا عليه بإلحاح فأبت نفسه الكريمة ذلك بتاتا . ثم أليس من الإنصاف الإذعان لهذا الأمى بأنه رسول من عند الله بعد أن قلب نظام العالم فى الشرائع والعقائد والأخلاق وهو فرد نشأ بين أعداء يحدقون به من جميع جهاته، أليس من الإنصاف الإيمان بأنه رسول الله وقد جاء بالقرآن الكريم الذى أعجز البلغاء والفصحاء جميعهم، ومع ذلك لم يدع منه لنفسه كلمة واحدة بل قال إنه جميعه من عند ربه قال تعالى: **«ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين»**[1] . ولقد بلغ ذلك القرآن عن ربه بكل أمانة وصدق، ومع أن فى بعضه عتبا عليه أو مؤاخذة له، وليس من المألوف أن يعنف الإنسان نفسه ويظهر أمام الملأ بمظهر المخطىء من غير ضرورة تلجئه إلى ذلك .

أليس من الإنصاف التصديق برسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم. وقد ظل دينه محفوظا وقرآنه باقيا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قرونا عديدة مع وجود أعدائه العاملين على هدمه وهدم دينه من الداخل والخارج، ألا إن ذلك ليس فى طاقة البشر أن يأتى به وحده بل لابد فيه من تأييد إله قادر لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء .

ذلك بعض الأدلة التى قامت على بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى مثل ذلك يعول جمهور علماء المسلمين وكتابهم فإن أدلتهم على رسالة نبيهم يرجع معظمها إلى الحقائق العلمية التى تذعن لها العقول البشرية بوضوح لا خفاء فيه .

هذا بعض ما يقوله المسلمون فى القرآن الكريم .

الأمر الثانى : وهو ما يقوله المبشرون ولا أخفى على القراء أننى دهش من أمر المبشرين مع القرآن الكريم فإنهم تارة يرغمون على الإعتراف بعظمة القرآن وتارة ينتحون الأباطيل للطعن فيه وإليك البيان :

قالوا: إن أهم ما فى القرآن ما جاء فيه عن ذات الله وأوصافه وتوحيده واعترفوا بأنه يدعو الناس إلى الإيمان بتوحيده وينهى عن الشرك وعبادة الأصنام وينذر بالعقاب ويبشر بالثواب على الأعمال التى يعملها العبد فى هذه الحياة الدنيا. ويعد الصالحين بجنات تجرى من تحتها الأنهار، والأشرار بعذاب النار. وأن من أوفى محتوياته مقالا وأوسعها مجالا ما شهد به للتوراة والزبور

---

(١) سورة الحاقة : الآية ٤٤ ـ ٤٦ .

والإنجيل أى أسفار العهد الجديد والقديم، وأمر بالإيمان به وبالأنبياء والرسل الذين جاءوا به، والذين لم يأتوا بكتب وعدم التفريق بينهم، ويحرم الربا، وأنه يحرم بعض الأشياء ويحل البعض الآخر. وينهى عن القتل والسرقة والزنا والحنث، ويأمر بانصاف اليتيم والإحسان إلى المسلمين. واعترفوا بصواب هذه التعاليم فقالوا إن الكل يسلمون بصوابها سواء كانوا مسلمين أو نصارى، لأنها صالحة، وكل صالح مصدره الأول الله، بصرف النظر عما إذا كان جاء به نبى فى كتاب موحى به أو ضمير أو بأية حالة أخرى. فهم يعترفون اعترافًا صريحًا بأن كل ما جاء به القرآن الكريم من عقائد وأخلاق وأحكام صواب، فصرحوا بأن القرآن جاء بتوحيد الإله وتمجيده ووصفه بصفات الكمال التى تليق بعظمة الخالق العظيم، وصرحوا بصواب ما جاء به من فضائل ونهى عنه من رذائل. وما شرعه من أحكام أحل بها النافع وحرم بها الضار. ولاريب فى أن كل الأحكام التشريعية الواردة فى القرآن الكريم مبنية على مصالح العباد، فليس من بينها قضية واحدة ضارة بالمجتمع الإنسانى فالمبشرون قد اعترفوا بأن كل ما جاء به القرآن صواب، ويقولون إن الذى دعاهم لمحاربة القرآن المشتمل على هذه الفضائل أمور ذكروها، فلنلخص هذه الأمور للقراء ليضحكوا من المبشرين كما ضحكوا من قبل.

(١) أنه لا يلزم من كون الكتاب قد اشتمل على الفضائل أن يكون من عند الله. نعم يلزم ذلك من كونه مشتملا على التوحيد، ولكن محمدا ليس هو أول من جاء بالتوحيد، فلو كان أول من جاء به لآمن به المبشرون، أما والكتاب المقدس قد جاء به من قبل، كما جاء بغيره من الفضائل فليس لمحمد حجة عليهم. وأيضا فإن المشركين فى مكة كانوا موحدين وقد أسلم مع محمد بعض اليهود والنصارى، فنقل عنهم التوحيد. على أن القرآن قد اشتمل على تعاليم موجودة فى الأديان الأخرى.

(٢) قالوا لو كان القرآن من عند الله لكانت تعاليمه أرقى وأشرف من تعاليم الإنجيل وأرقى من التوراة فى بعض الأمور، واستدلوا على أن الإنجيل أرقى بأنه لا يعد المؤمنين بأكل وشرب فى الآخرة، بل بأفراح روحية كسلامة القلب والطهارة.

(٣) أن القرآن وإن كان يعلم شيئا كثيرا عن علم الله، وعن الآداب، وعن الحكم بالعدل، وعن الحياة الآتية، ولكن ليست هذه التعاليم بأرقى من تعاليم الإنجيل، لأن القرآن قد اشتمل على الإخبار بأن جهنم ستملأ بالناس.

هذه أدلة المبشرين على أن القرآن ليس من عند الله مع ما فيه من فضائل وآداب وحكم وشرائع صالحه للمجتمع الإنسانى. فلننظر فيما يقولون ولنرد على كل كلمة من كلامهم.

فأما قولهم إنه لا يلزم من اشتمال كتاب على الفضائل أن يكون من عند الله، فهو كذلك. وما كان للمسلمين وهم أهل النظر الصحيح والمنطق السليم أن يقولوا ذلك وإنما قالوا أن محمدا رسول

الله صلى الله عليه وسلم، قد جاء بكتاب اشتمل على كل مافيه هداية النوع الإنسانى وصلاحه، وقالوا إن هذا الكتاب وحى من عند الله ليس فيه حرف واحد من عند محمد، وكان من مصلحته يومئذ أن يقول إن ذلك الكتاب أتى به هو من عند نفسه، ليكون له به مفخرة خالدة، ولا يعقل أن يكون قد ادعى إنه من عند الله ليؤثر به فيهم ، فإنه لم يكن له حاجة إلى ذلك بعدما ثبت أنهم رضوا أن يشاطروه أموالهم ويبايعوه بالملك وينفذوا ما يأمرهم به، بشرط أن يكف عن سب آلهتهم وهى الأصنام التى كانوا يعبدونها فرفض كل ذلك. ورضى بأن يكون مضطهدا من أهله وعشيرته وأهل بيته صغيرهم وكبيرهم حتى النساء والصبيان والعبيد وما زالوا يتربصون به الدوائر حتى أخرجوه من وطنه هو وصاحبه أبو بكر وبعض من آمن به، فاحتمل كل هذه البلوى فى سبيل الدعوة إلى توحيد الله والقضاء على عبادة الأوثان. فهل الذى يفعل ذلك يكون كاذبا فى دعوى الرسالة ليظفر ببغية خاصة من جاه أو مال أو لذة، أو يكون متصلا بالإله حقا وعالما بعظمته وجبروته ومستقينا بأن مظاهر الحياة الدنيا لا بقاء لها وما عند الله خير وأبقى، فرفض الملك والمال والجاه، ورضى بشظف العيش واحتمال الضيم والتعذيب فى هذه الحياة مرضاة لله. أظن أن الجواب بديهى لا يحتاج إلى كبير عناء .

ومع هذا فهل جاءهم محمد رسول الله بالفضائل الإنسانية وقال لهم إنها من عند الله من غير أن يقيم لهم الدليل على صدقه؟ كلا فإنه قد قال لهم إن هذا القرآن من عند الله فى أسلوبه وتراكيبه، وأنا عاجز عن الإتيان بمثله، بل عاجز عن الإتيان بسورة منه وها أنتم أولاء أفصح العرب وأبلغهم فأجمعوا أمركم وشركاءكم وأتوا بسورة من مثله إن كنتم صادقين فى دعواكم إنه ليس من عند الله، فحاولوا ذلك مرارا وتكرارا وعجزوا عجزا تاما واعترفوا بأن هذا الكلام ليس من كلام الجن ولا من كلام الإنس .

وقد كانت حياته صلى الله عليه وسلم بينهم قبل البعثة وبعدها كلها معجزات وخوارق عادات تدل على أنه رسول من عند الله حقا كما ذكرنا فى مبحث المعجزات .

وأما قولهم إن محمدا ليس هو أول من يأتى بالتوحيد. ولهذا لم يؤمنوا به فهو عجيب وغريب، ألا فليسمع العقلاء جميعا وليعلموا أن الذى منع المبشرين من الإيمان بمحمد هو أنه أقر الفضائل التى جاء بها الأنبياء من قبله، وأنهم لا يؤمنون برسول إلا إذا كان من المخترعين المجددين، ونحن نقول لهم كان عليكم حينئذ ألا تؤمنوا بالمسيح عيسى بن مريم، لأن الإنجيل الذى جاء به مصدق للتوراة التى قبله، والمبشرون يعترفون بذلك وها هو الإنجيل المحرف الذى بين أيديهم قد نقل كثيرا من عبارات التوراة بنصها: (اسمع ياإسرائيل الرب إلهنا إله واحد) وكل الوصايا الموجودة فى الأناجيل مأخوذة من التوراة، غاية ماهناك أن الإنجيل المحرف قد نسخ كل الأحكام النافعة الموجودة

فى التوراة مرضاة لشهوات المفسدين الذين انسلخوا من التكاليف الشرعية كما أمرهم بولس الذى قلب لهم دينهم رأسا على عقب .

على أن الفضائل الإنسانية لا تختلف باختلاف الزمان والمكان وكذلك العقائد وقد اعترفوا بذلك فقالوا إن المبادىء الجوهرية للدين الحق لا تقبل التغير ولا يؤثر عليها مرور القرون واختلاف العصور، كالشريعة الأدبية فإنها إن كانت حقا وواجبة فى زمن. تبقى كذلك فى كل الأزمان، فمبادئ شريعة موسى الأدبية كانت حقا فى زمن آدم وإبراهيم والمسيح وهى حق فى هذا الزمان وتبقى حقا إلى يوم القيامة .

وهذا الذى يقولوه يدل دلالة صريحة على أن العقائد والفضائل الإنسانية غير قابلة للتجديد، فالرسول الذى يقرها ولا يحاول نسخها يكون صادقا، لأنه فى هذه الحالة لا يكون متصنعا أو متكلفا بل يكون مؤيدا للواقع الذى لا يمكن غيره .

وبعد فمن ذا الذى يستطيع أن يقول أن الأنبياء السابقين قد جاءوا بتوحيد الإله على الوجه الذى فهمه بولس والمبشرون والمسيحيون؟ ألم يكن الإله فى زعمهم أقانيم ثلاثة وقد أقمنا البراهين القاطعة فى مبحث الثالوث على أنه لا معنى لقولهم هذا إلا الإعتراف بتعدد الآلهة أو بتركيب الإله تعالى، كلاهما ينافى التوحيد بالبداهة التى لا ريب فيها عند أرباب العقول السليمة الخالية من التأثر بسلطان الاعتقاد الفاسد، فإذا كان المبشرين يبحثون عن توحيد الإله الصحيح فإنهم يجدونه فى ذلك الدين القيم دين الإسلام الذى يصف الإله بأنه ليس كمثله شيء، وينزهه عن الحلول فى رحم امرأة من عباده وتجسد فى شكل واحد من خلقه فيصبح ذلك المخلوق إلها. ذلك الذى جاء به القران هو التوحيد الخالص: أما غيره فهو وثنية معقدة لا تقل عن وثنية المشركين الذين يقولون عنهم إنهم كانوا موحدين فالمبشرون يعتقدون أن توحيد الإله لا ينافى القول بتعدد ذاته وتركيبها كما لا ينافى عبادة البشر والبقر والحجر، فيصح لمن يعبد عيسى بن مريم وهو إنسان يأكل ويشرب، أن يكون موحدا، وكذلك من يعبد الأحجار التى ينحتها بيده ويسجد لها ويعتقد أنها تمطره إذا أصابه القحط، وترزقه إذا ضاق به الحال فإنه يكون موحدا. أليس ذلك من المضحكات؟ وأغرب من هذا أن يقول المبشرون إن مشركى العرب كانوا يعرفون الله تعالى ويمجدونه، وليت شعرى إذا كان المشركون كذلك فما الذى دعاهم لمقاومة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تلك المقاومة التى لا يثبت أمامها إلا من أيده الله العليم القدير؟

ألم يرض المشركون بأن يبايعوا محمدا بالملك ويشاطروه مالهم ويخضعوا لكل ما يأمرهم به إذا كف عن سب آلهتهم؟ نعم إنهم رضوا بذلك ، ولكنه عليه أفضل الصلاة والسلام أبى إلا أن ينفذ ما أمره الله به من إزالة الأوثان والقضاء عليها مهما كلفه ذلك حتى ولو قتل فى سبيله، فهل كان

الخلاف بين المشركين وبين محمد ضئيلا إلى هذا الحد فاضطهدوه وأخرجوه من وطنه ولم يتركوا فرصة تمر بدون أن يتآمروا على قتله، ولا لشيء سوى أنه قال لهم إنى رسول من عند الله، أقول بما تقولون به من توحيد الإله. يالضيعة العقول الإنسانية ويالجرأة المبشرين .

الرد على أقوال المبشرين بأن محمدا تعلم التوحيد من أصحابه . وأغـرب من هذا وأعـجب أن المبشرين زعموا أن محمدا تعلم التوحيد من بعض أصحابه الذين كانوا يهودا ونصارى وهم (١) مارية القبطية (٢) سلمان الفارسى (٣) عبدالله بن سلام (٤) زيد بن حارثة الذى تبناه محمد وقد كان سورى الجنس (٥) ورقة بن نوفل . وإنى أرجو أن لا يؤاخذنى القراء إذا قلت لهم إننى حين ما قرأت هذا الكلام ضحكت كثيرا وجد كثير كما يقول المجددون، لأننى كنت أظن أن الذين يكتبون فى فلسفة الأديان ويقارنون بين الصحيح والفاسد منها، ألا تكبوا أقلامهم إلى هذا الحد من الخلل الواضح، وإلا فأين هؤلاء من التوحيد الذى جاء به سيدنا محمد إن هؤلاء جميعهم قد عرفوا محمدا ودخلوا فى دينه بعد أن جاء بالتوحيد وأقام الدليل على صدق رسالته، واعترف المشركون بأن القرآن ليس من كلام الجن ولا من كلام الإنس إلى غير ذلك .

ومن الغريب أن المبشرين لا يبالوا بالكذب الصريح وإن شئت قلت لا يخشوا من ظهور جهالتهم بين الناس، فإنهم صرحوا بأن زيدا الذى تبناه محمد كان سورى الجنس مولدا ومنشأ ، وكان يدين بالمسيحية مع أن زيدا كان أبوه من مشركى العرب، ولم يكن زيد من الموالى على التحقيق، بل خطفه بعض الأشرار وهو صبى وباعه للسيدة خديجة وهى أهدته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أباه حضر بعد ذلك وبرهن على أنه ابنه وأنه ليس برقيق. فخيره النبى صلى الله عليه وسلم بين أن يذهب مع أبيه وبين أن يبقى فقال زيد إنى لا أعرف لى أبا غير محمد. ومن ذلك الوقت أطلق الناس عليه ابن محمد. هذا هو مجمل تاريخ زيد بن حارثة. ولكن المبشرين يريدون أن يطعنوا فما عليهم أن يكذبوا. وما عليهم أن يقف الناس على جهلهم بالتاريخ والأدب والمنطق وبكل شىء مادام قائما بأداء وظيفته .

وأظرف من هذا أنهم يقولون إن محمدا تعلم التوحيد من زوجته مارية القبطية . ويظهر أن السيدة مارية رضى الله عنها أرسلها المسيح، كما أرسل بولس إلى شبه جزيرة العرب قبل أن يظهر سيدنا محمد. فعلمته التوحيد ثم رجعت إلى سيدها المقوقس، فلما أعلن سيدنا محمد رسالته وأقام الأدلة الواضحة على صدقه فأثرت فى نفس المقوقس تأثيرا عظيما. أهدى له جاريته مارية. كى تكمل تعليمه، إننى أرجو من القراء ألا يؤاخذوننى، فإن المبشرين لم يكتبوا كلمة واحدة

صحيحة تنطبق على المنطق فأشفقت عليهم وحاولت أن أفهم ما يقولون بأى وجه، فلم أجد لها حلا يمكنني أن أحلها به سوى ذلك الحل، فإن كان يرضى المبشرين ذلك الحل فذاك، وإلا فليجتمعوا جميعا فى صعيد واحد ويشرحوا لى ما يقولون. فإننى لا أدرى لها معنى، لأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهر فى شبه جزيرة العرب، وأعلن رسالته وجاء بتوحيد الإله وأقام الأدلة على صدقه ونزل عليه قرآن كريم معجز للناس أجمعين، وذاع أمره حتى وصل إلى المقوقس فأهدى إليه مارية، فأين كانت مارية حتى تعلمه التوحيد؟ أليس من الحق أن يقال لمن يكتب هذا الكلام إنه شخص هازل يريد أن يداعب الناس ؟.

وإلا فإن كان يعتقد أنه جاد يكون فى حاجة إلى طبيب يتولى علاجه. ومن شدة حلق المبشرين ومهارتهم فى النقل أنهم نقلوا عن العباسى أن عبد الله بن سلام هو الذى قال الله تعالى عنه: **«وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله»**[1] . فمحمد تعلم التوحيد من عبد الله بن سلام. ما شاء الله هؤلاء المبشرون علماء بالدين الإسلامى خبراء برجاله وعلمائه، ألا ترى أنهم زادوا لنا فى قائمة المفسرين الكبار اسما لم يكن معروفا لنا هو العباسى؟ فالعباسى قال لهم إن عبد الله بن سلام هو المقصود بالآية. حسن ولكن محمد ابن عبد الله ظهر فى مكة وجمع أقاربه وعشيرته ودعاهم إلى توحيد الإله ونبذ عبادة الأوثان، عملا بقوله تعالى: **«وأنذر عشيرتك الأقربين»**[2] . ثم أظهر الدعوة إلى الله تعالى فقاومه صناديد القوم وجبابرتهم فأيده الله بانزال القرآن الكريم واستمر بينهم زمنا طويلا (ثلاث عشر سنة) يحتمل آذاهم ويصبر على اضطهادهم حتى أذن الله له بالهجرة إلى المدينة، وكان عبد الله بن سلام بالمدينة مع اليهود ولم يقل أحد أنه اجتمع بالنبى أو ذهب إلى مكة قبل ذلك، فمتى علم النبى التوحيد وفى أى وقت كان ذلك؟! اننى أكرر الرجاء للقراء ألا يعتبرونى عابثا فى رد نظريات المبشرين فإنى كما قلت لهم أريد أن أضحكهم .

وكذلك قولهم فى سلمان الفارسى فإن سلمان كان موحدا (مسيحيا) عندهم وهو وإن لم يلتق بالنبى فى مكة وأسلم فى المدينة بعد أن استقر الإسلام وفشا توحيد الإله فى شبه جزيرة العرب، ولكن روح سلمان الفارسى أرسلها المسيح إلى محمد بمكة ليعلمه التوحيد، ثم اختفت تلك الروح مدة ثلاث عشرة سنة وظهرت فى المدينة واتحدت بجسم سلمان الفارسى، فأعلن إسلامه. أما ديانة سلمان الأولى فإنها الوثنية ثم النصرانية ولكن الرجل كان كبير العقل فرفض النصرانية واعتنق الإسلام أليس كذلك أيها المضللون؟

---

(١) سورة الأحقاف : الآية ١٠ .

(٢) سورة الشعراء : الآية ٢١٤ .

أما ورقة بن نوفل فإنه قد مات قبل أن يعلن النبي صلى الله عليه وسلم الدعوة إلى الله وقد صرح ورقة بأن محمدا رسول الله حقا، وأن دلائل نبوته معروفة له، وقال له لو أدركني يومك لنصرتك نصرا مؤزرا، وتمنى أن يدركه من صميم قلبه. فهل الذي يقول ذلك يكون معلما. وهل ورقة كان عاجزا عن دعوى النبوة حتى يعلم محمدا ويتركها، أو هو الحق هداه إلى سواء السبيل فأذعن بما علمه وصرح بالصواب .

بقي شيء آخر في هذا المقام وهو أن المبشرين أحذق من مشركي العرب وصناديدهم، لأنهم ظفروا بمعلمين كثيرين لمحمد. أما المشركون فإنهم لم يجدوا أمامهم يومئذ إلا غلاما روميا كان يتردد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتعلم منه الإسلام، فزعموا أنه يعلم الرسول ولقد كان شغف المشركين بالقضاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفنيد ما جاء به شديدا، وقد دفع ذلك بعضهم إلى تلمس الشبه التافهة ليطعنوا بها عليه من أي جهة كانت، ومن ذلك ما ذكره الله بقوله: **«ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين»**[1] . فأفضى بهم التعصب والعناد إلى قلب الحقيقة فزعموا أن ذلك الغلام هو الذي يعلم الرسول، وتلك سخافة واضحة لأن المعلم كان أولى بتلك الدعوة الكبيرة من المتعلم، فما الذي حدا بذلك المعلم المسكين إلى أن يعلم غيره الحكمة والفضيلة ولا ينسب شيئا من ذلك لنفسه؟ ويكفي في الرد على زعمهم هذا قول الله تعالى: **«لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين»** لأن ذلك الغلام الرومي أعجمي الأصل، فكيف يستطيع أن يأتي بالقرآن العربي المعجز وهم مع كونهم من أفصح الناس قد عجزوا عن الإتيان بشيء من مثله، فهنيئا للمبشرين الذين ظفروا بما لم تظفر به أئمة الشرك ورؤساء الضلال .

الرد على أقوال المبشرين في رقي وشرف تعاليم القرآن . قالوا لو كان القرآن من عند الله لكانت تعاليمه أرقى وأشرف من تعاليم الإنجيل وهذا القول صادر عن رجال لا يقدرون معنى الوحي الإلهي حق قدره، وإلا فهل يليق بأحد يتكلم في فلسفة الأديان الإلهية أن يقول أن المتأخر من الوحي يجب أن يكون أرقى من المتقدم، كلا إن الواقع أن كل ما يصدر عن الإله حقا رفيع شريف بنسبة واحدة، لأنه لا يصدر عنه إلا ما هو صالح ومناسب لعباده، فالتوراة التي هي كلام الله حقا كالإنجيل والقرآن بلا فرق ما ولكن المبشرين لا يفقهون شيئا من الدين الصحيح ولا يقدرون عظمة الإله الخالق بل كل همهم منحصر في تمجيد المسيح بما هو تحقير في الواقع .

ومع ذلك فلنقطع النظر عن التوراة والإنجيل الحقيقيين، ولننظر فيما بين أيديهم من توراة وإنجيل

---

(١) سورة النحل : الآية ١٠٣ .

محرفين ـ اننا إذا نظرنا نظرا نزيها نرى أن التوراة أسمى بكثير من الإنجيل فى كل باب من أبوابها فإن القارىء يمكنه أن يستخرج من التوراة بعض الوقائع التاريخية الصحيحة، ويستخرج منها بعض العظات ويستخرج منها بعض الأحكام، ويستخرج منها بعض العقائد الصحيحة. أما الإنجيل فماذا فيه؟ إننا لخصناه لك فيما مضى تلخيصا دقيقا وهو كما ترى ليس فيه أكثر من قصة تاريخية خيالية متضاربة لا أكثر ولا أقل، وما عدا ذلك فهو منقول من التوراة بنصه. على أن بولس قد نسخ كل الأحكام النافعة الموجودة فى التوراة واعتبرها لعنة .

فكيف يكون الإنجيل أسمى من التوراة. أما كون تعاليم الإنجيل أسمى من تعاليم القرآن. فانى إستنكف من أن أجيب عن هذا الكلام الذى لو عرض على أطفال المكاتب لسخروا منه وهل تعلم أيها القارىء ما هى التعاليم التى يقول عنها المبشرون إنها أسمى من تعاليم القرآن؟ إنها منحصرة عند المبشرين فى أمرين :

الأمر الأول : هو أن الإنجيل يعد المؤمنين فى الآخرة بأفراح روحية لا بنعيم جثمانى بخلاف القرآن .

الأمر الثانى : أن الإنجيل صرح بأن الإله قد أرسل ابنه الوحيد لينتحر ويخلص العالم وليس فيه عذاب ولا عقاب .

هذا هو الذى ذكره المبشرون فى الإستدلال على دعواهم بأن الإنجيل أسمى من القرآن . فلنعرض على العقلاء تعاليم القرآن فى هذين الأمرين بعبارة موجزة ليتأملوا وليحكموا .

الجنة ونعيمها فى نظر المبشرين :

هذا هو عنوان الأمر الأول الذى أشرنا إليه فالمبشرون يعتبرون إخبار القرآن الكريم عن الجنة ونعيمها من النقائص التى تدل على أنه ليس بكتاب سماوى. ولكن هل يستطيع القارىء أن يعرف منهم دليلا على ما يزعمون ولو فاسدا فسادا ظاهرا كسائر أدلتهم؟ كلا إنهم لم يقولوا لنا لماذا كان هذا نقصا وأى عقل يعتبر ذلك نقصا فى الكتب السماوية. لا أظن أن عاقلا يعرف الخطأ من الصواب يقول إن نعيم الجنة ومتاعها نقيصة من النقائص التى تنافى الوحى الإلهى، وإذا سألت مبشرا عاقلا ما وجه كون ذلك نقصا لم يسعه إلا أن يهز رأسه ويقول ما الحيلة وقد ورد فى الإنجيل أن الناس يوم القيامة يكونون كالملائكة لا يزوجون ولا يزوجون .

ولكنا إذا شئنا أن نحلل هذه العبارة ونطبقها على السنن الكونية التى سنها الله تعالى فى خلقه نجدها غير صحيحة .

وذلك لأننا نسأل الإنجيليين. هل يبعث النوع الإنسانى يوم القيامة ولكن ينزع الله منه الحس وما يتعلق به من دواعى اللذات؟ أو ينقرض النوع الإنسانى فى هذه الحياة الدنيا ويبيد، وتبقى الأرواح كالملائكة؟ إن عبارة الإنجيل لا تخلو من هذين المعنيين وكلاهما باطل بالبداهة .

أما الأول : فإنه مما لا ريب فيه أن فقدان حواس الإنسان التى يستمتع بها نقص واضح فى تكوينه الطبيعى فإذا وجد إنسان ليس فيه الحس الذى يكيف له لذة الواقع مثلا فإن كل عاقل يقول عنه إنه إنسان ناقص فى خلقه، وكذلك إذا فقد السمع الذى هو سبب فى تلذذه بالمعانى التى تتأثر بها نفسه. أو فقد البصر الذى هو سبب فى تلذذه برؤية الأشياء الجميلة وهكذا. وأظن أن هذه النظرية بديهية لا يستطيع أن ينكرها أحد وإذا كان كذلك فمن المؤكد أن الإنسان فى اليوم الآخر ينبغى أن يكون أرقى من تكوينه الدنيوى فلابد أن تكون حواسه التى هى سبب فى اللذات، أقوى منها فى الدنيا أضعافا مضاعفة وذلك هو مقتضى سنة الرقى الطبيعية وليس من المعقول أن يعيد الله الإنسان فى الآخرة وفيها وسائل اللذات كاملة من جميع الوجوه تزيد عما كانت عليه فى هذه الحياة الدنيا أضعافا مضاعفة، ثم يحرمه مما يتلذذ به لأن ذلك يكون عذابا لا نعيما. وهل ترى أن الشاب القوى صحيح البدن يستطيع أن يمتنع عن الأكل والشرب وإتيان النساء إلى غير ذلك من اللذات .

لا ريب فى أنه إذا وجد إنسان مستكمل لجميع وسائل اللذات ودواعيها ثم حرم منها فإن ذلك يكون عذابا أليما له بل يكون من أشد أنواع العذاب. فيستحيل أن يعيد الله النوع الإنسانى فى الآخرة ناقصا مع أن الآخرة دار خلود فيناسبها أن يبلغ النوع الخالد فيها الغاية القصوى فى كمال التكوين .

ومتى وجد الإنسان فى أعلى درجة الكمال التى تناسبه ومنها دواعى الشهوات واللذات، فإنه يستحيل أن يحرمه الله مما يتلذذ به من أكل وشرب ونساء وغير ذلك مما تقتضيه الطبيعة الإنسانية .

ومن المضحك أن المبشرين يقولون بحشر الأجسام وإن كانوا على رأى من يقول من المسلمين إن الأجسام التى تحشر فيها الأرواح تكون غير هذه الأجسام، ولكنها من نوع الإنسان، وإذا كان كذلك فكيف يعقل أن يخلق الله النوع الإنسانى على حالة أكمل ونظام أرقى، ثم يحرمه مما تقتضيه طبيعته من التنعم بأنواع اللذات المختلفة؟ أليس حرمانه عذابا أليما له كما ذكرنا ؟ أظن أن ذلك واضحا لا يجحده إلا الجاهلون بنظم الله فى خلقه .

وأما الثانى : وهو أن الإنسان يبعث يوم القيامة كالملائكة فهو مع كونه يناقض اعتقاد حشر الأجسام الذى يقولون به فإن معناه البديهى إلغاء النوع الإنسانى والإعتراف بأنه كغيره من الحيوانات بلا فرق ولكن العقول قد أجمعت على أن ذلك النوع من أكمل الأنواع خلقا وأعظمها تركيبا وأجلها صنعا فالحيوان الأعجم الذى لم يوجد فيه العقل الإنسانى الكامل منحط عن الإنسان إنحطاطا كبيرا بلا نزاع والملك المجرد عن المواد الحيوانية والشهوات الجسمانية يمتاز عنه الإنسان بجهاد نفسه والبعد بها عن الشهوات الضارة والوقوف عند الحد الذى أمره الله به، أما الملك فإنه مفطور على تجنب الشهوات والبعد عنها فليس له ميزة ذلك الجهاد الذى يرضى الإله الخالق، فالإنسان هو فى الواقع أكرم الخلق عند الله. ومن الغريب أن المبشرون قرروا أن الله خلق

الإنسان على صورته، ونقلوا ذلك عن التوراة، وسواء كان إدراكهم فى هذا الموضوع باطلا بطلانا واضحا أولا، فإن مما لا ريب فيه أن ذلك المخلوق العظيم الذى يشبه الله تعالى لا يصح الغاؤه. وإذا أساغ لأحد الإنجيليين الذين يزعمون أن الإله تجسد فى رحم مريم وظهر بنفسه فى ذلك النوع. فهل يصح أن يذهب ذلك النوع ولا يكون له أثر وقد كان منه إله الإنجيليين ومعبودهم لا شك فى أن النوع الذى يظهر فيه الإله هو أكمل الأنواع وأرقاها فلا يصح إهماله والقضاء عليه بإبادته من الوجود .

وأظن أن هذه القضايا مسلمة عند المبشرين ولكنهم يجهلون إدراكها، فتراهم ينقضون ما يقولون ويهدمون ما يبنون فى كل قضية من كلامهم، وإذا ثبت أن النوع الإنسانى هو أكرم الأنواع المخلوقة لله تعالى فإنه لا يصح أن يبيده الله من الوجود ويسوى بينه وبين الحشرات الضارة التى توجد ثم تنعدم لا إلى عودة بل لابد أن ذلك النوع الذى فضله الله على خلقه وجمع فيه بين العقل الروحانى والجسم الحيوانى وميزه بالعلم والإدراك واستخلفه فى أرضه، يستحق أن يبقى محفوظا أبد الآبدين، بل يستحق أن يترقى بحيث يكون إنسانا كاملا فى الخلق والخُلق وذلك ما قررته الشريعة الإسلامية فى شأن الإنسان الصالح.

على أننا قد قررنا فى أول الكتاب أنه يستحيل أن يكون الناس يوم القيامة كالملائكة لأن الملائكة مستوون فى الخلقة والعنصر ولا معنى لهذا إلا مساواة الصالحين بالفاسقين والمؤمنين بالكافرين، فهل يبعث الكافرون والفاسقون ملائكة أيضا أو لا يبعثون على شكل ملائكة وأن المؤمنين يفرحون بأرواحهم والكافرين لايفرحون، فقد مهدوا للناس سبيل الخروج على الله تعالى إلى أبعد مدى، فإنهم يجحدونه ويفعلون ما يشتهون فى الدنيا، بدون خوف من عذاب الله تعالى على أن علماء الأرواح قد أجمعوا على أن الروح المجردة عن المادة لا تعمل إلا إذا كانت متعلقة بالمادة فالروح لاتدرك اللذة والألم ولا تشعر بالفرح والحزن إلا إذا كانت متصلة بالمادة أما المجردة فإنها لا تدرك المعانى المختلفة فالقول بأن الناس يكونون أرواحا فى الآخرة لا معنى له إلا أنهم لا يتنعمون ولا يعذبون .

ومع ذلك كله فلنسلم للمبشرين جدلا (وإن شئت قلت جهلا بقواعد الفلسفة الصحيحة) بأن الأرواح وحدها تدرك اللذة والألم وأن المؤمنين يفرحون وأن الكافرين يحزنون ولكن من المقرر عند العقلاء جميعا أن الناس يخاطبون على حسب ما يفهمونه . فإذا أراد أحد أن يتعاقد مع عمال ما بأجر ما فلابد له من أن يبين ذلك الأجر على حسب ما يعرفونه أما إذا ذكر لهم أجرا مجهولا لديهم فإن ذلك لا معنى له إلا تعطيل العمل وعدم إنجازه، فمن المحتم أن يعد الله العاملين بالأجر الذى يعرفونه فى هذه الحياة الدنيا فيقول لهم إن جميع اللذات التى تتصورونها فى حياتكم الدنيا فإنكم ستحظون بها فى الآخرة كاملة من جميع الوجوه، فإذا جاهدتم أنفسكم وصبرتم على الشهوات الضارة بعقولكم وأبدانكم ومنعتم أنفسكم من الجرى وراء الشهوات التى يترتب عليها

البغى والعدوان على أعراض الناس وأرواحهم وأموالهم ، فاننى أجازيكم يوم القيامة بالتمتع بها على أكمل وجه وأتمه مثلا لذة النساء فى الدنيا يجب أن تكون مقصورة على ما أباحه الله من الزوجات والمملوكات بالطرق المشروعة المناسبة لحال المجتمع .

فإذا إقتصر الإنسان على ذلك وكف عن الإعتداء على نساء الغير فإن الله ينعمه بأرقى نوع من هذه اللذة وهو أنه يمنحه من الزوجات الجميلات ما يستمتع به دون أن يمسه نصب ولا تعب، فضلا عن أن الله تعالى يعصمه عن التطلع إلى زوجات الغير. هذا هو المعقول الطبيعى الذى لابد من بيانه للعامل حتى يجاهد نفسه ويقلعها بالكف عن هذه اللذة مؤقتا كى يظفر بالكامل الدائم منها، ولا فرق عنده فى هذه الحالة بين أن يكون التلذذ جسمانيا أو روحيا مادام أجره معلوما لديه. وكذلك لذة الخمر عند من اعتاده فإنه إذا عرف أنه إذا جاهد نفسه وكف عنها يظفر فى الآخرة بلذة من نوعها أرقى منها رقيا عظيما فإنه يستطيع أن يقنع نفسه بالكف عن الخمر، ومن الغريب أن المبشرين يعترضون على القرآن الذى حرم الخمر فى الدنيا، وأحلها فى الآخرة ولم يعلموا أن الذى أحله القرآن فى الآخرة ليس هو الخمر الذى حرمه فى الدنيا بدليل قوله تعالى: لا فيها غول، يعنى أن خمر الآخرة ليس فيها ما يغتال العقل ويسكره فهو لا يريد إلا أن يعد الذين يتركونها فى الدنيا بلذة من هذا النوع فوق ما تتصوره عقولهم. ولكن المبشرين مولعون بالتكلم فيما لا يفقهون .

وأغرب من هذا كله أن المبشرين قد تناقضوا فى هذا الموضوع تناقضا مضحكا لأنهم عدوا من محاسن القرآن أنه يعد الصالحين بجنات تجرى من تحتها الأنهار والأشرار بعذاب النار ولكنهم نسوا ذلك واعتبروا الوعد بالنعيم نقصا وعيبا، وقالوا كيف يكون هوى النفس محرما فى الدنيا وهو فى الجنة مباح فلنعرض على العقلاء مزاعمهم، فنقول أى تناقض فى تحريم اللذات الفاسدة فى الدنيا التى يترتب عليها الاعتداء على أرواح الناس وأموالهم وأعراضهم، وبين التنعم باللذات الطيبة التى لا تضر بأحد من خلق الله ولاتؤذى صاحبها فى الآخرة. أى عاقل فى الدنيا يقول إن هذا تناقض. إن الله تعالى يقول لا تزن بنساء الناس وحارب نفسك وهواك فى هذا المقام فإن انتصرت عليهما فلك على أن أعطيك أرقى امرأة ملكا لك فى الدار الآخرة. فما الذى يترتب على ذلك من التناقض وهل السيد الذى يقول لعبده لا تسرق دراهم فلان ولك على أن أعطيك أكثر منها دنانير يكون متناقضا فى قوله أظن أنه لا يوجد مخلوق عنده مثقال ذرة من عقل يقول ذلك بل العقول كلها تحبذ قول السيد وتعده من أجمل طرق التهذيب والإصلاح وكذلك يقول الله سبحانه لعباده لا تشربوا الخمر فى الدنيا، لأنها ضارة بالعقول ضارة بالأبدان موجبة لفساد الخلق، ومن يطيعنى فى ذلك أمنحه شرابا لذيذا ليس فيه ذلك الضرر الموجود فى الدنيا فما هو التناقض فى ذلك .

لو كان للمبشرين عقول تدرك أو آذان تسمع أو عيون تبصر. لذابوا خجلا من نظريات سفهائهم وأحرقوا كل كتبهم التى هى فى الواقع عار وشنار .

أما إعتراضهم على أن القرآن قد أوعد المجرمين والكافرين بالعذاب وقال: **«لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين»**[1] . فهو اعتراض الإباحيين الذين يمهدون للناس سبل الشهوات البهيمية والفوضى بدون وجل ولا خوف من حساب أو عقاب وذلك هو شأن الإنجيليين المبشرين فإنهم يقررون ألا ذنب ولا عقوبة بعد الإيمان بالمخلص الذى إنتحر ليكفر خطيئاتهم، فقد نقلت لك فى أدلتنا على تحريف الإنجيل ما صرحوا به من أن جوهر الدين الذى يعنى المسيحيين هو الإيمان بالمخلص وصلبه، وأنه إله كامل، أما ماعدا ذلك فهى أمور ثانوية لا قيمة لها عندهم. ولم يقتصروا على ذلك بل كلما لاحت لهم فرصة يصرحون به بدون خجل ولا حياء، فهم يقولون إن القرآن لا يمنح سلاما للقلب كما منح المسيح المؤمنين به فى كل الأجيال، ولا يزال يمنح، وإن ذلك مذكور فى الإنجيل (يوحنا ١٤:٢٧)، أما القرآن بالعكس توجد به آيات مثل قوله: **«وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا»**[2] . تجعل كل مؤمن عاقل يقضى حياته فى فزع دائم من الموت. ويقولون إنه علاوة على ذلك فالإنجيل خلافا للقرآن يمنح راحة القلب والثقة بنوال السلام مع الله للذين يأتون إليه بواسطة يسوع المسيح وهكذا .

فالمبشرون يقررون بصريح العبارة إن كل همهم هو الإيمان بأن الإله ثلاثة جواهر متمايزة متحدة وأن أحدها تجسد وصار عيسى، ثم صلب إنتحارا ليكفر عنهم سيئاتهم. فمن آمن بذلك لا يخاف نارا ولا يخشى عذابا مهما اقترف من الجنايات، ومهما ارتكب من السيئات، فليزن وليسرق وليقتل وليظلم وليفعل كل ما يشتهى فإن كل ذلك مغفور مادام مؤمنا بالمخلص، فعليه أن يرتقب يوم القيامة بلا دينونة (فى أمان الله). إذا كانت الفوضى الخلقية والفوضى الإجتماعية والعمرانية دين المبشرين فيالخسارة العالم ويالضيعة الشرائع الإلهية. هنيئا للمجرمين الذين ينتظرون يوم القيامة وهم آمنون لأن إلههم قد انتحر وخلصهم من الجرائم. ولكن ما العمل فى العقلاء الذين يسخرون من هذا الإعتقاد ويقولون إنه لا نظير له فى قضية من قضايا العقل الإنسانى من أول تكوينه إلى اليوم إلا فى عقول المبشرين والإنجيليين. أليس هؤلاء المساكين فى نظر المبشرين محرومين من ذلك العطف؟ نعم إنهم كذلك عندهم وهم مدانون فماذا أعد لهم المسيح هناك يوم القيامة، فإن كان قد أعد لهم نار جهنم فلا يكون قوله تعالى: **«لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين»**[3] . متناقضا لقولهم، لأن جهنم لابد منها حينئذ، وإن لم يكن قد أعد لهم عذابا فلا معنى لدينونتهم بالكفران بما يقولون من هذيان .

والواقع أن المبشرين لا يميزون بين الحق والباطل، ولا يفرقون بين الحسن والقبيح، ولا يدركون

---

(١) سورة السجدة : الآية ١٣ . (٢) سورة مريم : الآية ٧١ . (٣) سورة السجدة : الآية ١٣ .

الخطأ والصواب فإن النظام الإلهى فى خلقه ظاهر فيما جاء به القرآن الكريم عن الشرور والقبائح التى تدفعهم إليها شهواتهم، وأمرهم بعمل الصالحات، وبين لهم طرق الخير والشر وقال لهم إن الذين يعملون الصالحات لهم أحسن الجزاء وإن الذين يعملون السيئات لهم أسوأ الجزاء وقد قال لهم: **«إن الله لا يضيع أجر المحسنين»**[1] . وقال لهم: **«فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره»**[2] .

وقال لهم: **«ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين»**[3]. وقال لهم: **«من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون»**[4]. وقال لهم: **«ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما»**[5]. وقال لهم: **«فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون»**[6]. وقال لهم: **«إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون»**[7] .

وأمثال هذه الآيات الكريمة فى القرآن الكريم كثيرة جد الكثرة، ولا يمكن حصرها فى هذا المقام. وهى كما لا يخفى تدل على أنها من عند الإله الخالق حقا الذى يجزى كل نفس بما كسبت من خير وشر، وإلا فلا معنى للحث على الصالحات والنهى عن السيئات لأن الإنسان إذا عرف أنه معذب لا محالة أو منعم لا محالة طغى وبغى وانقاد لشهواته الفاسدة، فأساء إلى الناس فى أعراضهم وأنفسهم وأموالهم .

أما إذا عرف أن وراءه عذاب على العدوان والشر ونعيم على العدل والخير، كف عن الأول وعمل الثانى، فالقرآن الكريم أتى بما تقتضيه الفطرة الإنسانية، فحذر وأنذر، وأخاف الناس عاقبة الطغيان وبشرهم بنعيم خالد إذا كفوا عن المظالم الإنسانية وعملوا الصالحات. فهل وراء ذلك من محاسن تتطلبها العقول الإنسانية؟ إن الذى يأتى بأحسن من ذلك فليرشدنا إليه إن كان من الصادقين .

أما إن كان المبشرون يظنون فى قوله تعالى: **«وإن منكم إلا واردها»** أن معناها أن كل الناس يدخلون النار ويعذبون فهم لم يفقهوا الآية مطلقا لأن نصها هكذا: **«وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا، ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا»**[8] . فكيف يخاف المؤمنون العاملون بعد ذلك النص الصريح لأنه على فرض أن نفهم من الآية دخول النار فعلا ولكن هذا الدخول لا عذاب فيه، ولا ألم بل يكون صاحبه ناجيا من كل ذلك، فماذا يضره

(١) سورة التوبة : الآية ١٢٠ . (٢) سورة الزلزلة : الآية ٧ و٨ . (٣) سورة الأنبياء : الآية ٤٧ .
(٤) سورة النحل : الآية ٩٧ . (٥) سورة طه : الآية ١١٢ . (٦) سورة البقرة : الآية ٣٨ .
(٧) سورة البقرة : الآية ٢٧٧ . (٨) سورة مريم : الآيتان ٧١ و٧٢ .

أنه فى هذه الحالة يكون متفرجا. والحكمة فى ذلك أن من طبيعة الإنسان أن يتميز الأشياء بأضدادها فالذى يرى عظم أهوال النار ويرى أن الله أنجاه منها يدرك لذة النعيم كاملة، ويعرف قدر النعمة التى أنعم الله بها عليه، فقد أنجاه الله من نار وقودها الناس والحجارة ورآها بنفسه وعرف قيمتها بالمشاهدة. على أن جمهور المفسرين قالوا معنى ورودها رؤيتها من بعيد كما قال ورد الركب الماء فإنه لا يلزم من وروده أن يدخل فيه فعلا والناس يوم القيامة لابد أن يروا النار التى أعدت للعقاب. وعلى كل حال فلا معنى لقول المبشرين أن القرآن يخيف الناس بالعذاب حتما لا فرق بين مؤمن وغيره. على أن القرآن قد أعلن كثيرا من رحمة الله ورضوانه بعباده فقال تعالى: «لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا»[1] وقال: «إنه غفور رحيم» وكرر ذلك فى غير موضع منه وقال: «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء»[2] وقال: «ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون»[3] .

ومعنى ما ورد من ذلك أن الله تعالى يقبل التائبين من عباده ويغفر لهم ذنوبهم ومن لم يتب ومات موحد فإن الله لا يخلده فى النار كما يخلد المشركين ، بل إن شاء يغفر له ما دون الشرك وإن شاء يعذبه .

مسألة ألوهية المسيح وصلبه كما وردت بالقرآن الكريم . أما الأمر الثانى الذى ينقم به المبشرون على القرآن فهو مسألة ألوهية المسيح وصلبه وقد قضيت منها الوطر فى القسم الثانى من كتابنا هذا ولكن المبشرين مولعون بترديد الكلام فى هذا الموضوع فلم يتركوا مبحثا بدون أن يترغوا فيه بألوهية المسيح وتجسد الإله وانتحاره فتراهم يترغون بأن أقوال القرآن عن المسيح يسوع لا تخلوا من التناقض فبعض الآيات تتكلم عنه كمجرد إنسان ونبى كسائر الأنبياء وتنكر لاهوته بتاتا .

كما ورد فى القرآن الكريم: «لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم قل من يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا»[4] .

وقال تعالى: «إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى إسرائيل»[5] ثم توجد بعض الآيات الأخرى التى تعطى له أعظم الألقاب التى لم تعط لغيره فيه البتة منها كلمة الله سورة النساء آية ١٩٦ وهذا اللقب لا يصح أن يسمى به أى مخلوق كان. ويذكر له وحده معجزة الولادة من العذراء سورة الأنبياء آية ٩١ وأنه وجيه فى الدنيا والآخرة (سورة آل عمران) ويقول البيضاوى الوجاهة فى الدنيا النبوة وفى الآخرة الشفاعة ... إلخ .

---

(١) سورة الزمر : الآية ٥٣ . (٢) سورة النساء : الآيات ٤٨ و١١٦ . (٣) سورة الأعراف : الآية ١٥٦ .
(٤) سورة المائدة : الآية ١٧. (٥) سورة الزخرف : الآية ٥٩ .

هذا هو بيت القصيد الذى يترنم به المبشرون فى كل ناد ويهيمون به فى كل واد وقد ذكرت لك فى مباحث النسخ أنه لايعنى المبشرون أحكام ولا يهمهم تشريع ولا تهزهم مواعظ وحكم وإنما الذى يحفلون به ويحرصون عليه هو ألوهية المسيح وصلبه لخلاصهم من الخطايا ويعبرون عن ذلك بجوهر الدين ، فلا عليهم إذا كان كل مافى التوراة والإنجيل محرفا مادام ذلك الجوهر محفوظا ولا عليهم إن كانوا يتناقضون فى كل كلمة ينطقون بها ويسلمون بذلك التناقض مادام ذلك الإعتقاد الذى تشمئز منه نفوس العقلاء سليما ولا عليهم أن تلغى الشرائع والأحكام ويصبح العالم فوضى من أوله إلى آخره مادام هذا الإعتقاد موجودا .

ومن الأسف أن هذا الإعتقاد وثنية لا نظير لها فلا يرضى أحد من الموحدين أن يقرهم عليها وكيف يمكن لعاقل أن يرضى بعبادة بشر اعتدى عليه أقل الناس قيمة فصلبوه بعد أن أهانوه شر إهانة، وعذبوه أسوأ عذاب، أى عقل يعبد إلها ناقصا إلى هذا الحد المخزى. ومن المضحك أن يقول المبشرون إن القرآن متناقض لأنه قال إن المسيح عبدالله ثم قال إنه كلمة الله. وذلك لأن المبشرين يتخيلون أن للكلمة معنى لا يمكن أن يخطر على بال أطفال المكاتب المميزين فضلا عن عقلاء الناس. إنهم يقولون إن معنى كلمة الله ذات أخرى نبتت من تفكير الإله فى ذاته وهذه الذات هى أقنوم الابن، وهى مساوية لذات الله من جميع الوجوه، وهى الذات الأقدس التى اتحدت بدم مريم وتجسدت فى رحمها. فهل سمع العقلاء فى حياتهم أن معنى الكلمة هو ذلك الهراء المضحك المبكى. إننى لا أعرف معنى للكلمة أكثر من أنها لفظ دل على معنى وهو عبارة عن قوله تعالى: **«كن فيكون»** .

فمعنى كلمة الله بالنسبة لسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام أنه قال له كن فكان كغيره من سائر المخلوقات. وقد بين القرآن الكريم ذلك بقوله: **«إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون»**[1] . وذلك هو معنى الكلمة عقلاً وشرعاً.

أما أن معنى الكلمة هو ذلك الخيال الذى يشبه الغول والعنقاء فإنه مقصور على جماعة المبشرين الذين يصدقون بالمحال. وإذا كان كذلك فأى تناقض بين كون المسيح عبد الله وبين كونه كلمة الله لاشك أن معنى كلمة الله الحقيقى يحقق معنى العبودية ويوضحه تمام الإيضاح لأنه يرشد الناس الذين قد يختلفون فيه لأنه ولد من غير أب ويهديهم إلى حقيقة أمره فيقول لهم إن خلق عيسى من غير أب لا يعجز عنه الخالق الذى يقول للشيء كن فيكون.

ولكنهم يقولون إنه يوجد نوع مهم آخر من التناقض فى القرآن يجب على المسلمين ملاحظته يختص بما فى القرآن عن التوراة والإنجيل فالقرآن يصرح أنه أنزل مصدقا لسائر الكتب ليحفظها

---

(١) سورة آل عمران : الآية ٥٩ .

من التغيير والتبديل، ولكنه فى أمور كثيرة يناقضهما معا ومن هذه المناقضات التامة تعاليم جوهرية فى الإنجيل مثلا موت المسيح على الصليب اتماما للنبوات وكفارته عن خطايا العالم كله ولاهوته وقيامته وأنه وحده القادر على تخليص العالم .

وأنا أقول إن المبشرين مغيظون من القرآن الكريم، لأنه حرر عقول الناس من عقائد تشبه حكايات ألف ليلة وليلة وكيف يقبل القرآن لاهوت المسيح وقيامته وأنه وحده المخلص للعالم بذلك الصلب المهين والعار العظيم. وأغرب من هذا وأبدع أنهم يقولون إن القرآن يتناقض مع نفسه لأنه يشهد للتوراة والإنجيل وفى الوقت نفسه يخالفهما .

ولم يفقهوا أن القرآن جاء بالصحيح من التوراة والإنجيل وأقره ونبه على الفاسد الذى حرفه المفسدون ونعى عليه فكيف يكون متناقضا . وهل يلزم من الإخبار بصحة بعض كتاب وفساد بعضه تناقض الخبر. وأظن أن ذلك لا يخطر على بال عاقل إلا إذا كان من المبشرين الذين خرجوا على النظم العقلية فى كل شؤونهم ومن المضحك أنهم يقولون إنه من المحال رفض هذه الحجج بدعوى أن الكتب المقدسة التى بأيدى اليهود والنصارى محرفة إذ قد فندوا هذا الزعم تماما ، ماشاء الله كان لقد ظنوا أنهم قاموا بواجبهم نحو كتابهم الذى يقدسونه بإثبات أنه غير محرف مع إنك قد عرفت مما نقلناه لك عن هؤلاء المبشرين أنهم كانوا نكبة على كتابهم فإنهم قد اعترفوا اعترافات كثيرة بأنه كتاب محرف فى غير موضع ، ومع ذلك فقد أثبتنا تحريف ذلك الكتاب بالبراهين القاطعة التى لاشك فيها. على أنهم خلطوا بعد ذلك خلطا مضحكا فزعموا أن القرآن ذكر للمسيح معجزات كثيرة وذلك ينافى العبودية فى نظرهم فهل سمعتم أيها العقلاء أن المعجزات التى تقع على أيدى الرسل تدل على أنهم آلهة إذا كان كذلك فلقد أصبحت آلهة المبشرين غير محصورة لأن أصحاب خوارق العادات كثيرون جد الكثرة. ومن هذه المعجزات التى تدل على ألوهيةالمسيح عند هؤلاء المبشرين أن المسيح هو وحده الذى ولد من العذراء بلا أب، ولكن فاتهم أن كثيرا من الحيوانات يأتى من غير أب ظاهر، فالدودة الوحيدة مثلا لا ذكر لها ، وقد خلق الله فى انثاها أعضاء التذكير وأعضاء التأنيث فعليهم حينئذ أن يعبدوا مثل هذا الحيوان الحقير لأنه ولد بدون أب ومن الغريب أن مخالفة العادة فى أمر الولادة كثير شائع فلا يمضى وقت حتى نرى عجيبة من عجائبه فقد تلد المرأة مولودا له رأسان أو له رأس حيوان أو تلد مولودا قلبه فى الجهة اليمنى، وإلى غير ذلك من عجائب مخلوقات الله الذى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء، وأغرب من هذا أن الولادة بدون أب أصبحت قضية من قضايا العلم فليست أمرا خارقا بل هى أمر ممكن عادى ويعبر عنه علم الحيوان والنبات بالتلقيح العذراوى وذلك بأن البويضة الواحدة تنقسم إلى خلاياها الكثيرة وتأخذ طريقها الطبيعى فى تكوين أنسجة الحيوان المختلفة بدون أن يخصبها حيوان منوى. نعم إن ذلك قليل

ولكنه أصبح قضية من القضايا المطروحة لأنه قد شوهد فى كثير من الحيوانات فيمكن تطبيقه على كل حيوان وجد فيه .

فهل يصح للعقلاء بعد ذلك أن يختلفوا فى أمر المسيح ويعتبروه إلها ولد بدون أب ؟ على أننى ذكرت لك فى مبحث الثالوث أن الله العليم القدير لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء فمتى ثبت لنا بالبرهان القاطع ولادة ابن بدون أب فلا يصح أن نستعظم ذلك على الله الذى خلق هذه الكائنات ورتبها ذلك الترتيب البديع.

ومن هذه الآيات التى استدلوا بها على ألوهية المسيح ماورد فى القرآن الكريم من أن عيسى خلق طيرا من الطين مع أن قوة الخلق هى من صفات الله وحده وإنى أذكر للقراء نص آية القرآن الكريم فى هذا الموضوع ليزدادوا ايمانا بجهالة المبشرين المضحكة وها هوذا: «**ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله**»[1] .... إلخ.

فهل حكى الله تعالى عن عيسى أنه قال لهم إنى إله أو قال لهم إنى رسول ؟ وهل قال لهم إنى أخلق لكم لأنى قادر على الإيجاد، أو قال لهم إننى أعمل هيئة الطير وشكله فقط ثم يكون طيرا بإذن الله وفعله لا فعلى. الذى دلت عليه الآية الكريمة أن عيسى صنع من الطين صورة طائر فقط ويسمى ذلك الصنع خلقا فى اللغة العربية لأن الخلق يطلق لغة على التقدير كما يطلق على الإيجاد أما جعل تلك الصورة حيوانا ذا روح فإنه صنع الله تعالى كما قال تعالى: «**فيكون طيرا بإذن الله**» وتعلق قدرته به ذلك بديهى لا خفاء فيه على أن فى الآية دقة فى التعبير وبلاغة فى القول لا يدركها سفهاء المبشرين. لأنه لما كان الخلق بمعنى ايجاد الحيوان والإنسان خاص بالله تعالى وحده وقال فى الآية إن الذى ادعاه عيسى فقط هو أنه قال لهم إنى أصنع من الطين مثالا على صورة الطير ثم ينقلب طائرا حقيقيا بقدرة الله . أما غيره من إبراء الأكمه والأبرص إلخ فإنه يصح أن ينسب إلى الإنسان فلهذا نسبه عيسى عليه السلام إلى نفسه فقال أبرىء الأكمه والأبرص ومع ذلك فأنه أقر بمعجزة واعترف بأنه كان يصح للطبيب أن يقول أبرأت المريض ولكن الفاعل الحقيقى هو الإله هو الذى خلق الأسباب وربطها بالمسببات، وهو الذى إن شاء جعلها تؤثر فى مسبباتها أو لا تؤثر، لأنه هو وحده القادر الذى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء.

ذلك هو معنى الآية الكريمة، وهو نص صريح فى أن عيسى بشر ضعيف لا حول له ولا قوة إلا بالله خالقه الذى يجرى على يديه من خوارق العادات مايدل على كونه رسولاً من عند الله. فقل

(١) سورة آل عمران : الآية ٤٩ .

للمبشرين الذين يحتجون بمثل هذه الآيات على ألوهية المسيح لقد كان جديرا بكم أن تتركوا التكلم فيما لا تعلمون.

ومن المعجزات التى استدل بها المبشرون على ألوهية المسيح ماذكروه من حديث معناه أن كل مولود من بنى آدم عند ولادته ينخسه الشيطان بأصبعه فى جنبه إلا عيسى ابن مريم ذهب ليطعن فطعن فى الحجاب (المشيمة) .

ولا أدرى كيف يدل هذا الحديث على ألوهية المسيح وهو صريح فى أنه من بنى آدم، وأنه بشر مثلهم وأن الشيطان يعلم بهذه الحقيقة لأنه أراد أن ينخسه بأصبعه كغيره من بنى آدم، ومحال أن يكون عيسى إلها ثم يحاول الشيطان ايذاءه. وقد خان بعض الباحثين من مفكرى المسلمين أن هذا الحديث لا يطابق القواعد الإسلامية، لأن المسلمين مجمعون على أن محمدا أفضل من عيسى عليهما الصلاة والسلام وهذا الحديث قد يفيد أن عيسى أفضل وذلك خرق لقاعدة الإجماع فالحديث وإن كانت روايته صحيحة إلا أن الرواية مهما كانت مصدرها لا تعتبر بأزاء القواعد العامة التى ينبنى عليها الإسلام .

ولكن الواقع غير ذلك لأن هذا الحديث لا يدل على أفضلية عيسى عليه السلام بوجه من الوجوه وله معنى سام جليل وذلك لأنه يرد على المبشرين ردا بليغا فإنهم زعموا أن عيسى إله، ومع ذلك قالوا إن الشيطان استولى على المسيح وأخذه إلى البرية ومكث يجربه إلى حد أن الشيطان قال لذلك الإله اسجد لى، فذلك الحديث يقول لهم إن عيسى من عباد الله أبناء آدم ومع ذلك فإن الشيطان لم يستطع أن ينال منه وهو طفل بما يضيره ، فكيف يعقل أن يتمكن الشيطان منه بعد الرسالة أما معنى الحديث فى ذاته فهو كناية عن كون الشيطان عدوا للإنسان بحسب فطرته، فهو وإن كان لا سبيل له على الأطفال غير المكلفين، ولكنه يحاول أن يعلن عداءه لهم من حين وجودهم فى هذه الحياة الدنيا . وليس فى هذا الحديث أية ميزة لعيسى عليه الصلاة والسلام يمتاز بها على غيره من الأنبياء لأنه لا يلزم من كون الشيطان لم يصبه بأصبعه وهو طفل صغير أن يسلم من شره وهو كبير، كما أنه لا يلزم من كونه أصاب غيره عند الولادة أن يكون متسلطا عليه وهو مكلف فالغرض من الحديث مجرد تحذير الإنسان من ذلك العدو الذى يحاول ايذاءه ايذاء حسيا من أول لحظة وجد فيها على الأرض، وقد اتفق لعيسى عليه السلام أنه لم يمسه ذلك الإيذاء. وذلك المعنى البديهى لأنه لايمكن عاقل أن يقول إن الأطفال عرضة لشر أبليس فمن نجا منهم من شره يكون أفضل من غيره إذ لا تفاضل بين الأطفال وقت ولادتهم حتى يقال إن عيسى أفضل من غيره بذلك السبب .

وبعد فهل يصح للمبشرين أن يقولوا إن عدم مس الشيطان للصبى ساعة ولادته دليل على ألوهيته، مع أنهم يؤمنون بأن الشيطان قد جرب الههم مدة. وإلى القراء نص ماذكره متى فى

الإصحاح الرابع (ثم أصعِد يسوع إلى البرية من الروح ليجرب من ابليس. فبعد ما صام أربعين نهارا وأربعين ليلة جاع أخيرا. فتقدم إليه المجرب وقال له إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزا. فأجاب وقال مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان) [1] . إلى أن قال فى عدد ٨ ، ٩ ما نصه: (ثم أخذه أيضا إبليس إلى جبل عال جدا وأراه جميع ممالك العالم ومجدها. وقال له أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى. قال له يسوع اذهب ياشيطان. لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبده) .

فالذى يأخذه الشيطان ويطمع فى إغوائه إلى هذا الحد مع كونه إلها كاملا لا يكون من معجزاته أن ينجو من نخس الشيطان إياه بأصبعه حتما. ومن المضحك أن يقول المسيح إن السجود لا يكون إلا لله وحده فعيسى لا يسجد لغير الله والمبشرون يعبدون عيسى وله يسجدون ثم يزعمون أنهم بهدى عيسى مهتدون .

ومن المعجزات التى استدلوا بها على ألوهية المسيح مارووه فى تلك الصحيفة عن القرآن بأن عيسى لم يمت وكل الأنبياء أموات. وقد عرفت أن القرآن الكريم صرح بأن عيسى لابد أن يموت لأنه تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وصرح بأن عيسى فرد من أفراد النوع الإنسانى بدون فرق ما ، فهو مثلهم فى ذلك وذلك ما عليه إجماع المسلمين فى كل زمان ومكان.

أما الخلاف فى أن المسيح قد مات فعلا بعد أن نجاه الله من الصلب أو لم يمت ولكنه باق على قيد الحياة كغيره من بعض المخلوقات التى يمتد أجلها ولكنه سيموت بعد ذلك فإنه خارج عن موضوع الحديث .

وقد تكلمنا على ذلك بما لا مزيد عليه وقلنا لك إن المسلمين يقولون إنه يعود تابعا لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليشرف بكونه من أمته ، لا أن يعود إلها يدين الأحياء والأموات .

ومن المضحك أن بعض المبشرين يقولون متى سلمتم بأن عيسى حى وأن محمدا قد مات فإنه يلزمكم أن تقولوا إن عيسى أفضل لأن الحى أفضل من الميت وهذه سخافة مضحكة لأنه يلزم على هذه النظرية أن تكون إحدى الزانيات المومسات الأحياء أفضل من العذراء مريم لأنها ماتت وأن يكون المبشر الحقير أفضل من إبراهيم الخليل بل يكون الحيوان الأعجم أفضل من الأنبياء الذين قد ماتوا وتلك سخافة صادرة عن جهل مطبق .

ثم بعد أن ساقوا هذه الأدلة على ألوهية عيسى أرادوا ألا يتركوا الميدان من غير أن يثيروا فيه غبار وقاحتهم وسوء أدبهم على سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فقالوا: (لم يكن يلزم المسيح أن يشرح صدره ويوضع عنه وزره) . كما قيل عن محمد فى سورة الشرح والقول بمغفرة خطاياه يناقض ماجاء فى سورة محمد آية ١٩ «واستغفر لذنبك وللمؤمنين

---

(١) إنجيل متى : الإصحاح الرابع الآيات ١ ـ ٤ .

والمؤمنات» . ولا تصلى عليه أمته ولا تسلم كما أمر محمد ومن المعلوم أن لا نبى يحتاج لشفاعة أمته وصلواتها إلا هو. ففى كل هذه النقط يتفق المسلمون مع المسيحيين على الفرق الموجود بين المسيح وأى نبى آخر. والقرآن لا يعطى محمدا المقام الذى يعطيه ليسوع ولاشك أن غرض القرآن هو استبدال المسيح بمحمد كرأس الجنس البشرى وهذا الأمر عجيب جدا ومتناقض حيث أن القرآن لا يسند لمحمد ولادة بمعجزة. ولا يقول بعصمته ولا ينسب له القدرة على المعجزات ولا حتى صفات حميدة شريفة .

ذلك ما يقوله هؤلاء المبشرون الذين لا يحسنون إلا الوقاحة وسوء الأدب ذلك قول المبشرين الذين لا يدركون من النظريات العلمية لا كثيرا ولا قليلا. ذلك قولهم المتناقض الذى سنوه للخوض فى أكبر مقام وجد على ظهر الأرض من لدن ظهور النوع الإنسانى إلى قيام الساعة. أليس ذلك من مهازل آخر الزمان فلنترك للمبشرين وقاحتهم ولننظر فيما يقولون .

يتضمن كلامهم هذا أمورا ثلاث :

(١) أن القرآن لم ينسب إلى المسيح ذنبا بخلاف سيدنا محمد لأن الله تعالى قال لمحمد: «ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك» إلخ السورة والمسيح ليس فى حاجة إلى شرح صدر ووضع الوزر وقال له: «واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات»[1] . والمسيح لا ذنب له مطلقا حتى يستغفر منه .

(٢) أن محمدا فى حاجة إلى أن تصلى عليه أمته والمسيح ليس فى حاجة إلى ذلك .

(٣) أن القرآن أكرم المسيح ومجده بدرجة عالية يظهر منها أن غرض القرآن استبدال المسيح بمحمد كرأس الجنس البشرى بخلاف محمد فإنه لم يذكر أنه معصوم ولم يذكر أنه قادر على المعجزات ولم ينسب له حتى صفات شريفة حميدة .

ذلك مضمون كلام المبشرين فلنرد عليهم كلمة كلمة :

عصمة النبى صلى الله عليه وسلم من الذنوب . فأما قوله تعالى: «ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك» فإن معناه ليس كما ذكر المبشرون ولقد بين المفسرون للوزر المذكور فى الآية عدة معان معا. منها ما اختاره أبو حيان وهو من أئمة اللغة العربية الذين يدركون أساليب اللغة وأسرارها وملخص ما قال إن ذلك كناية عن عصمة النبى صلى الله عليه وسلم من الذنوب فمعنى ووضعنا عنك وزرك عصمناك من الأوزار التى من شأنها أن تقصم الظهور فلم يصدر عنك أى ذنب

(١) سورة محمد : الآية ١٩ .

لا قبل النبوة ولا بعدها وذلك حسن جميل تؤيده اللغة ويعضده العقل ألا ترى أنه يصح أن تقول لغة للعظيم الذى لم يستطيع زيارتك قد وضعت عنك الزيارة بمعنى رفعتها عنك بالمرة وإن لم تحصل منه مطلقا . وبعضهم فسر الوزر بما كان يجده النبى صلى الله عليه وسلم من الصعوبات الشديدة التى كان يضعها المشركون فى سبيل الدعوة إلى الله وجحودهم الشديد وعدم الإصغاء إلى الحق الذى يخرجهم من الظلمات إلى النور وهذا الأمر كان حملا عظيما على عاتق النبى صلى الله عليه وسلم فقد كاد يهلك أسفا على عدم هداية قومه وعنادهم فى أول الأمر حتى قال له ربه: (لعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا) ، وذلك أيضا حسن جميل .

وهذا هو معنى قوله تعالى: «ووضعنا عنك وزرك» . ولكن من أين للصم البكم الذين لا يعقلون أن يفهموا هذه الأسرار والمعانى الدقيقة ويعلموا أنه لا يصح الإحتجاج بآية إلا إذا كانت نصا فى المعنى المقصود بحيث لا تحتمل سواه لأن الدليل إذا طرقه احتمال لا يصلح دليلا .

الإستغفار من الذنب . وأما قوله تعالى: «واستغفر لذنبك وللمؤمنين» . فإنه ينبغى لمن أراد أن يفسر هذه الآية أن ينظر إلى الواقع ويتأمل إلى ما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها ، فإن كان يستطيع أن يعثر على ذنب وقع من المصطفى يخل بقدره الرفيع فإنه يصح له أن يفهم من هذه الآية أنه صلى الله عليه وسلم وقعت منه ذنوب أمره الله بالإستغفار منها وإننى أتحدى المبشرين جميعا أن يأتوا بدليل أو شبه دليل على أن النبى صلى الله عليه وسلم اقترف ذنبا من مثل الذنوب التى ألصقتها التوراة المحرفة بكبار الأنبياء والمرسلين. وإنى أقبل منهم شهادة أعداء المصطفى صلوات الله عليه فى هذ الموضوع. وحاشا أن يقترف المربى الأعظم إمام الهدى ناصر الفضيلة إثما أو ذنبا يخل بمقامه الرفيع، حاشا أن تتغلب شهوة فاسدة على حامى العفة الذى بعث ليتمم مكارم الأخلاق. حاشا أن يقع ذنب ينافى الشرف والكرامة من سيدنا محمد وهو صاحب تلك النفس الكبيرة التى تغلبت على بواعث الشهوة والهوى المستولية على أهل بيئته صغيرهم وكبيرهم فلم يستطع أحد أن يسوقه إلى ما يخدش ناموسا أو يستهويه إلى ما يسقط كرامة وشرفا .

ومن ذا الذى كان يستطيع أن ينجو من بيئة انغمست فى الشهوات والفوضى إلى أبعد مدى وأقصى حد سوى تلك النفس الكريمة التى عصمها الله منذ نشأتها الأولى فحياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هى المثل الأعلى للكمالات الإنسانية، فلم يوجد إنسان يدانيه. فى ذلك لا قبله ولا بعده. وتلك قضية يقررها أعداؤه فإذا قالوا إنه كان خليعا أو كان زانيا أو سكيرا أو أكولا أو كذوبا ، أو جبانا ، أو ظالما انتحلنا لهم المعاذير. أما إذا كانوا يقولون إنه المثل الأعلى فى الصدق والعفة والطهارة (كما قال الوليد للمؤتمر الذى إجتمع لتجريحه وقذفه) فكفى المبشرون خزيا أنهم أشد عداء للفضيلة من المشركين .

وإذا تبين أن سيدنا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصدر منه ذنب يخل بمقامه الرفيع مطلقا لا قبل البعثة ولا بعدها فإن معنى الآية الكريمة ينبغى أن يكون كالآتى :

إن الذنوب فى عرف الشريعة الإسلامية تنقسم إلى قسمين كبائر وصغائر فأما الكبائر فإنها لا تكفر بالإستغفار بل بالتوبة وأما الصغائر فإنها هى التى يكفى فيها الإستغفار فالمراد من الذنوب هنا الذنوب الصغائر قطعا والذنوب الصغائر تتفاوت بتفاوت أقدار الناس فقد يؤاخذ الإنسان الكامل نفسه على أمر يراه غيره حسنا وقد قيل فى ذلك حسنات الأبرار سيئات المقربين، يعنى أن بعض الأمور التى يحسبها الصالحون البارون حسنات فإن المقربين إلى ربهم يحسبونها سيئات فالمراد بذنب النبى صلى الله عليه وسلم هو مايحسبه مخالفة بالنسبة لقدره الكريم. ولذلك أمثلة كثيرة منها ما روى فى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم كان يقسم تمرا فى يوم شديد الحر فازدحم عليه الناس ومن بينهم أعرابى غليظ ضايقه فضربه صلى الله عليه وسلم بالعرجون الذى بيده ضربة خفيفة ليتنحى عنه، فقال له الأعرابى أتضربنى يارسول الله فقال له النبى خذ فاقتص فقال بل عفوت. فهذا العمل الذى عمله صلى الله عليه وسلم لا شىء فيه مطلقا لأن للعظيم أن يؤدب غيره بمثل ذلك خصوصا إذا كان يقصد دفعه عن نفسه حتى لايؤذيه بعرقه ويؤلمه ببدنه أو يعطله عن عمله ولكن النبى صلى الله عليه وسلم صاحب الخلق الكريم اعتبره ذنبا وقال للأعرابى خذ فاقتص. وأمثال ذلك كثير لا يقف عند حد. ومن ذلك أن النبى صلى الله عيه وسلم كان يحزن حزنا شديدا على عدم إيمان الناس رحمة بهم وشفقة عليهم فكان يجد لذلك آلاما جمة حتى كاد يموت غما، ولا ريب فى أن ذلك من أجل الأخلاق وأعظمها، ولكنه قد يترتب عليه اشتغال عن الله فيكون ذلك ذنبا بالنسبة للنبى صلى الله عليه وسلم الذى لم يغب قلبه عن ربه طرفة عين. فهذا هو الذنب الذى يستغفر النبى ربه منه ومع ذلك كله فإن الإستغفار فى الواقع لا يستلزم وقوع ذنب بالفعل بل هو على التحقيق صيغة من صيغ العبادة وفائدته الخضوع لله تعالى والإعتراف بأن الإنسان محتاج لربه القوى القادر وأنه مهما كان بارا تقيا فإنه لا يدرى مافرط منه من أمر قد لا يرضى ربه فهو يستغفر الله تعالى لذلك احتياطا .

وأما قوله تعالى: «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر» فليس معنى ذلك وقوع ذنب من النبى صلى الله عليه وسلم بل هو تعداد لنعم الله سبحانه عليه وإعلاء لرفعة منزلته عند ربه فى الدنيا والآخرة. فكما أنه سبحانه قد فتح له مكه ونصره على أعدائه نصرا عزيزا ومكن له من هؤلاء الأعداء الذين كانوا حجر عثرة فى سبيل الدعوة إلى الله فكذلك رفع منزلته عنده فى الآخرة ولما كان الإنسان باعتبار كونه إنسانا قد يفرط منه ذنب والذنوب من شأنها أن تنقص درجات الجنة فقد بشره الله تعالى بذلك فكأنه يقول حتى على فرض وقوع ذنوب منه فهى مغفورة

لا تؤثر فى منزلته الأخروية فهو عزيز فى الدنيا عزيز فى الآخرة على كل حـال. وهذا المعنى واضح معروف فإنه يصح أن يقول الأمير لأحد رعاياه المخلصين إن ذنوبك مغفورة وهو لم يكن قد وقع منه ذنب مطلقا، ألا ترى أنه قال له سبحانه إنه قد غفر له ما تأخر من ذنبه وبديهى أن المتأخر لم يقع حتى يغفر فلا ريب فى أن معنى ذلك أنه على فرض وقوع ذنب منك فى الماضى أو فى الحال أو فى المستقبل فإنه مغفور لك والغرض من العبارة شىء واحد وهو أن منزلتك الرفيعة فى الآخرة ثابتة لا يؤثر عليها شىء حتى الذنوب التى من شأنها الاقصاء عن نعيم الآخرة. فإنها بالنسبة لك لا تؤثر وذلك منتهى الحب والرضى وغاية القرب من رب العالمين .

على أنه صلى الله عليه وسلم كان أكثر الناس خشية من الله تعالى وأكثرهم عبادة له فقد روى البخارى ما معناه أنه كان يقوم الليل ويجهد نفسه بالعبادة وكان ينهى أصحابه عن أن يقلدوه لأنه أقربهم من الله وأعرفهم بقدره فلا يتأثر بدنه بالعبادة بخلاف غيره .

وهل يعرف المبشرون ما قاله إنجيلهم فى عيسى عليه السلام. أم هم جهلة لا يفهمون شيئا . إذا شئت أن تعرف ذلك فاقرأ المبحث الآتى وهو (ما نسبه كتابهم المقدس عندهم إلى الأنبياء) فإنك تجد فيه أن الإنجيل نسب إلى عيسى أنه ارتكب الكبائر فعلا بدون أن يستغفر منها وذلك لأن شريعته تعتبر النظر إلى الأجنبية كبيرة من الكبائر وهو لم يقتصر على النظر إلى مريم أخت لعازر بل قد سمح لها بأن تباشره بوجهها وشعرها وتدلكه بالطيب مع أنهم يقولون عنه إنه أكول شريب خمر وياليتهم اقتصروا على ذلك فإنهم قالوا إن عيسى ورسله الكرام كانوا يسافرون إلى الجهات ومعهم نسوة كثيرات يختلطن بهن فى رحلاتهم، وياليتهم وصفوا هؤلاء النسوة بالعفة والطهارة بل قالوا إن بعضهن كن مباحات، وذلك كله كبيرة فى شريعة المسيح كما سيأتى. ولكن الإنجيل وصفه بأنه ارتكب هذه الكبائر فعلا. أما القرآن فإنه يقول لمحمد استغفر للذنبك والإستغفار من الذنب لا يلزم منه وقوعه بالفعل، لأن الإستغفار من الذنب فى شريعة محمد عبادة فى ذاته كما قلنا ومع تسليمهم أنه ذنب فإنه لا يقصد منه فى نظر الشريعة الإسلامية إلا مجرد الصغائر التى تعتبرها الأنفس الكبيرة ذنوبا وهى ليست بذنوب بل هى حسنات فى نظر غير الأنبياء .

الصلاة على النبى . وأما الجواب عن الثالث فإن دين الإسلام دين التوحيد الخالص الذى لا يقول إن الرسول إله أو ابن إله بل يقول إنه عبد لله تعالى وإنه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله وذلك منتهى الكمال الذى يليق بالإله الخالق، فسيدنا محمد خير خلق الله أجمعين عبد لله تعالى وكان صلى الله عليه وسلم يجد اللذة فى عبوديته لربه إلى حد أنه كان يعتبرها أشرف ألقابه وأحسنها، ومن كان هذا شأنه فهو دائما يتواضع لربه ويطلب منه رحمته ورضوانه، وهل يرى جهلة المبشرين أن الحبيب المقرب من خالقه لايحتاج إلى رحمة ربه حال وجوده وبعد فنائه وبعثه وفى كل طرفة عين أو أدنى من ذلك ؟

إن كانوا يظنون ذلك فقد بلغ بهم الجهل برب العالمين وخالقهم مبلغا لا يمكن تحديده .

على أن الذى أمر الناس بالصلاة والسلام على محمد هو الله تعالى فى كتابه الكريم فهو الذى قال للناس «إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما»(١) . فأصبحوا مكلفين بهذه الصلاة فى صلواتهم التى يؤدونها لخالقهم فى اليوم والليلة خمس مرات، وليس وراء ذلك من تكريم لذلك الرسول الذى جعل الله الصلاة والسلام عليه حكما وشرعا لا ينبغى للمكلفين أن يتركوه فى صلاتهم المفروضة فضلا عن كونه مطلوبا منهم كلما ذكر النبى صلى الله عليه وسلم. فهل معنى ذلك أن محمد صلى الله عليه وسلم محتاج إلى أمته أو أن أمته مكلفون بذكره دائما حتى فى صلواتهم المفروضة لا على أنه إله معبود أو ابن إله اتحد به أقنوم الابن فأصبح الإله بشرا يأكل ويشرب ويبول ويتغوط كلا، بل على أنه عبد لربه الخالق الذى فضله على سائر المخلوقات وأفاض عليه من رحمته وإحسانه ما لم يفضه على أحد من خلق الله تعالى لا فرق فى ذلك بين عيسى وموسى وغيرهم من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فإذا كان المبشرون لا يدركون هذه المعانى السامية ولا يفقهون شيئا من أسرار الشرائع، فما لهم وللخوض فيما لا يفقهون؟ وإلا فهل يليق أن يقول عاقل أن الدعاء للأنبياء بأن يكونوا على الدوام فى رحمة ربهم نقيصة من النقائص التى اختص بها محمد دون سائر الأنبياء؟ أليس ذلك تمردا على الله الخالق وخروجا عليه إلى أبعد مدى. وإذا عذرناهم فى إلههم المسيح الذى يبرأ منهم ومن أباطيلهم إلى مولاه، فما عذرهم فى غيره من باقى الأنبياء؟ هل هم أيضا وصلوا إلى مرتبة الألوهية فأصبحوا جميعا أربابا غير محتاجين إلى رحمة الخالق ؟. أو ماذا يزعم هؤلاء الجهلة السفهاء؟ أليس من العار أن يوجد قوم من عصر العلم يقلبون الحقائق إلى هذا الحد فيصور لهم باطلهم الحسن قبيحا، والمدح ذما، والكرامة نقيصة، نعم إن ذلك عار ولكن القوم كلحت وجوههم فأصبحوا لا يبالون بفضيحة ولا يخشون عاراً .

الرد على القول إن القرآن الكريم مجد عيسى وكرمه اكثر من محمد صلى الله عليه وسلم. وأما الجواب عن الرابع وهو أن القرآن الكريم قد مجد عيسى وكرمه أكثر من محمد .

فإننا نقول للمبشرين إن القرآن الكريم من عند الله تعالى أنزل على محمد رسول الله الصادق الأمين فإذا رضى المبشرون بذلك وصدقوا بأنه من عند الله حقا كان احتجاجهم بآياته التى مجد بها عيسى أكثر من محمد له وجه من النظر أما إذا كانوا يزعمون أن الذى ألف القرآن هو محمد، فسيان أن يمدح محمد نفسه أكثر من عيسى أو يمدح عيسى أكثر منه، أليس كذلك؟ ولا يصح للمبشرين أن

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٥٦ .

يقولوا فى هذا المقام إنهم يحتجون بهذه الآيات لمجرد إلزام المسلمين الذين يصدقون بالقرآن فإن المسلمين كما قلت آنفا مجمعون على أن محمدا أكرم على الله من سائر الأنبياء والمرسلين وأنهم أخصائيون فى فهم القرآن الكريم وتفسيره فمن التطفل المعيب أن يأتى المبشرون الذين لا يكادون يفقهون حديثا ويعلموا المسلمين تفسير كتابهم، بل ذلك من الغرور العظيم. ولو أنهم كانوا على شىء من صدق النظر وحسن الإدراك لساغ لهم أن يقولوا إننا فى فهم القول وإدراك المعانى أقدر من الإخصائيين ولكننى قد أظهرت للقراء أنهم فى تفكيرهم لا يساوون صبيان المكاتب وصغار تلاميذ المدارس ، ومع ذلك فمن ذا الذى يقول إن القرآن قال عيسى بن مريم ينبغى أن يكون رأس الجنس بدلا من محمد وفى أية آية قال القران ذلك .

القرآن عرّفنا أن عيسى رسول من كبار الرسل وعرفنا أنه عبد لخالقه لا أكثر ولا أقل. وقص علينا حديث ولادته وقال إنه ليس من العجائب التى تخفى على العقول، لأنه قد وقع ذلك مع آدم نفسه أبى البشر. وذكر لنا بعض معجزات عيسى. وقال لنا إنه كلمة الله: بمعنى أن الله قال له كن فيكون. وقال لنا إنه روح من عند الله كما أن لآدم روحا مخلوقا قال تعالى: **﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحى﴾**[1] . وكل أبناء آدم ومنهم عيسى كذلك لهم أرواح مجردة عن المادة .

هذا ما قصه علينا القرآن الكريم فى شأن عيسى ولا أدرى فى أية عبارة من عباراته قال إن عيسى هو رأس الجنس البشرى بدل محمد كما لا أدرى ماذا يريد المبشرون بكون عيسى أو محمد رأس الجنس البشرى؟ إن المبشرين يقولون إن عيسى إله كامل، وتسع عقولهم أن الإله المجرد عن المادة يحتل جسما بشريا محدودا فيتأثر بما تتأثر به الأجسام البشرية من جميع الوجوه، فما معنى كونه رأس الجنس البشرى بعد ذلك؟ إنه فى نظر المبشرين رأس الجميع. أما فى نظر القرآن فهو عبد الله ورسوله ولا فرق بينه وبين الذين يعبدون الحجر والبقر، فهل يستطيع المبشرون أن يرشدونا إلى آية فى القرآن الكريم يأخذ منها المبشرون غرضهم؟ وكيف يستطيعون ذلك والقرآن قد صرح بأنهم كفار بالله تعالى وأنهم شر من الوثنيين، وكيف يشمل القرآن على التثليث وعبادة البشر وهو الذى قد جاهد الوثنية جهادا كبيرا، وبرهن على توحيد الإله وتنزيهه عما لا يليق به فى غير موضع منه .

أما ما يتخيله المبشرون من ذلك ، فقد عرفت أنه خيال مضحك، وإلا فكيف يعقل أن يستدل المبشرون بقول القرآن إن عيسى كلمة الله، على الثالوث، مع أن الكلمة لها مدلول ظاهر صرح به القرآن وهو قوله تعالى (كن فيكون) وكيف يعقل أن يقولوا إن قوله فنفخنا فيه من روحنا دليل على أن عيسى قد أحتله روح القدس وهو أقنوم من الأقانيم مع أن الروح هنا هى الروح الإنسانية التى

---

(١) سورة الحجر : الآية ٢٩ .

تتعلق بكل الأجسام البشرية ولذلك نظير، وهو قوله تعالى فى حق آدم: **«فإذا سويته ونفخت فيه من روحى»** فإن المراد بالروح الروح الإنسانية وكذلك ما يقال للجنين وهو فى بطن أمه (نفخت فيه الروح) . وذلك واضح لا خفاء فيه إلا على المبشرين أما إذا أراد المبشرون بكون عيسى رأس الجنس البشرى رأسه فى الإصلاح بخلاف محمد، فإن أناجيلهم تكذبهم تكذيبا باتا فإنك قد عرفت مما قررناه لك فيها أنه لم يأت بتشريع ولا حدود، ولم يحاول أى اصلاح أكثر من أنه دعا الناس إلى الإيمان به فلم يصدقوه واضطهدوه اضطهادا شديدا ثم صلبوه .

وإذا سلمنا أن (بولس) رسول وأن الذين جاءوا بعد عيسى أوحى إليهم، فإنهم ما جاءوا إلا بنسخ الأحكام الإصلاحية واعتبارها لعنة من اللعنات، فما هو اصلاح الجنس البشرى الذى جاء به عيسى على زعمهم؟ أما محمد رسول الله فقد قضى على الوثنية، وشرع للناس بما أوحى إليه من ربه كل ما فيه صلاحهم وفلاحهم فى كل زمان ومكان، ولا ريب فى أن الإصلاح الصحيح الموجود الآن فى أوربا هو أثر من آثار المسلمين الذين استمسكوا بشريعتهم وتعلموها على الوجه الأتم الأكمل كإبن رشد وغيره من فلاسفة المسلمين .

الرد على أن القرآن لم يصف محمدا بالصفات الأدبية الحسنة . وبعد فإن المبشرين زعموا أن القرآن لم يصف محمدا حتى بالصفات الأدبية الحسنة ولم يذكر له معجزات ... إلخ .

وهذا جهل عظيم بآيات القرآن لأن القرآن وإن لم يكن محل مدائح ولكنه قد قرر فى شأن محمد حقائق ثابتة معلومة عند أعدائه وأتباعه ، فقد قال تعالى فى وصفه: **«وإنك لعلى خلق عظيم»**[1] . وهذا الوصف لم يصف الله به أحدا من الأنبياء مطلقا، ولكن هل يقصد القرآن بذلك مجرد الثناء على محمد؟ كلا ولكنه تعالى قد قرر بذلك حقيقة تاريخية اعترف بها أعداء الله ورسوله، فقد كانوا يصفونه فى الجاهلية أيام الإباحة والفوضى بأنه الصادق الأمين، وكان معروفا عندهم بالنزاهة والعفة والأمانة إلى حد أنهم كانوا يحكمونه فى أكبر الحوادث شأنا وأخطرها أثرا، ومن ذلك حكمه فى من يضع الحجر فى الكعبة فإنهم رضوا به بعد أن كادوا يقتتلون بشأنه. وقد كان صلى الله عليه وسلم أزهد الناس وأكرمهم وأعفهم، فقد كان يؤتى له بالأموال وتكدس أمامه فيوزعها على مستحقيها، ولا يأخذ منها لا كثيرا ولا قليلا، وكان يقنع من الحياة بلقيمات يقمن صلبه، وكان لا يغضب إلا لله ولا يرضى إلا له، وكانت حياته بين الناس كلها بر ورحمة وحنان، وليس الآن مقام ذكر تاريخ حياة المصطفى صلى الله عليه وسلم، فإنها مدونة فى أسفار كثيرة فليعذرنى القراء إذا اقتصرت على ما ذكر .

---

(١) سورة القلم : الآية ٤ .

أما كون القرآن قد فضل عيسى على محمد فذلك من جهل المبشرين بآى القرآن أيضا وإلا فالقرآن قد قرر أن محمدا أفضل الأنبياء على الإطلاق قال تعالى: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله»[1] وإذا كانت أمته خير أمة فهو خير الأنبياء على أنك قد عرفت أن من قواعد المسلمين تكريم الأنبياء والمرسلين جميعا، فهم معصومون عن كل معصية تخل بمقامهم الكريم قبل النبوة وبعدها، وما ذكرته كتبهم المقدسة عندهم من قذف كبار الأنبياء والمرسلين حتى لم يسلم منهم عيسى الذى يؤمنون بأنه إله، فإنه مكذوب عند المسلمين. فالأنبياء والمرسلون فى نظر الإسلام لهم عند الله أفضل المنازل وأعلاها، والتفاضل بينهم لا ينقص قدر المفضول فنحن نعتقد أن عيسى من الرسل الكرام الذين لهم أكبر المنازل عند ربهم، ولا يلزم من كون محمد أكرم منه عند ربه أن ينقص قدره فعليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام .

(١) سورة آل عمران : الآية ١١٠ .

القسم الرابع
رد شبه المبشرين ومطاعنهم فى القرآن الكريم

الشبهة الأولى : فى فصاحة القرآن وبلاغته :

زعموا أولا أنه لا يلزم من فصاحة كتاب من الكتب أن يكون من عند الله تعالى، فقد قالوا كم من الكتب الشهيرة فى العالم ألفها قوم لا يعرفون القراءة ولا الكتابة، وقد جاءت لا مثيل لها، ومن الكتب كتاب وضعه ريج فيدا فى بلاد الهند وضعه بين سنة ١٠٠٠ و ١٥٠٠ م قبل أن تعرف صناعة الكتابة فى تلك البلاد بزمن طويل يزيد حجمه عن القرآن، صنفه أكثر من واحد إلا أنهم لم يكن لهم كتاب يملون عليه آيات كتابهم. وفى اللغة اليونانية قصيدتان فى غاية الفصاحة وهما الإلياذة والأودسة منسوبتان فى الغالب إلى شاعر أعمى اسمه هوميروس، وكانت العميان فى سالف الزمان لا يعرفون القراءة ولا الكتابة، ثم بعد أن قرروا ذلك قالوا إنه لم يثبت أن محمدا كان أميا فإن بعض المسلمين قالوا إنه كان يعرف القراءة والكتابة وبينوا معنى قول الله تعالى النبى الأمى بأنه النبى الذى أرسل للأميين وهو ليس بأمى ... إلخ.

هذا ما يقوله المبشرون، وإننى أعتقد أنهم وهم يقولون هذا الكلام لا يخلو حالهم من أحد أمرين إما أنهم يجهلون معنى الدليل جهلا تاما كما ذكرت غير مرة، وإما أنهم يريدون التضليل مكابرة، وإلا فسل العقلاء جميعا هل الذى ذكروه دليلا على عدم إعجاز القرآن أو هو دعوى يدعونها. إنهم يدعون أن بعض القدماء ألف كتابا فصيحا بلغة غير لغتهم طبعا فهم مقلدون فى وصفه بالفصاحة، ولكن هل جاءوا بدليل على أن هذا الكتاب الفصيح أعجز فصحاء أهل اللغة التى جاءهم بها وتحداهم، فلم يستطيع أحد منهم أن يأتى بقليل منه ولا كثير؟ كلا إنهم لم يذكروا لنا ذلك ولم يقع هذا بل يظهر أن هؤلاء المبشرون لم يطلعوا على هذا الكتاب ولم يعرفوا عنه شيئا قط . لأنهم وصفوا ذلك الكتاب بعبارات متضاربة . فقالوا إنه ألفه جماعة ولم يسموا أحدا ، وقالوا إنه لم يكن لمؤلفيه كتاب يملون عليه آيات كتابهم .

وهذا كله يدل على أنهم لم يثبتوا من أمر هذا الكتاب ولم يقفوا على شيء من حقيقته وإلا فأين هذا الكتاب؟ وكيف عرفه الناس؟ وهو لم يكتب ولم يكن لمؤلفيه كاتب يملونه عليه .

أما قصيدتا الألياذة والأودسة فلا أدرى كيف يحتجون بهما وكيف يمكن المقارنة بين كتاب جامع لكل مافيه سعادة المجتمع وبين قصيدتين فصيحتين؟ ومع ذلك هل عرف المبشرون أنهما فى غاية الفصاحة من أرباب اللغة أو هم تعلموا اللغة اليونانية وعرفوا أنه لا يمكن لأحد من اليونان أن يأتى بمثل هاتين القصيدتين .

فإن كان الأول فإنه ينقصهم أن ينقلوا عن اليونان أنهم عجزوا جميعا عن الإتيان بمثلهما، وإن كان الثانى فإنهم يكونوا مخطئين كل الخطأ لأن الدخيل فى لغة من اللغات لا يمكنه أن يكون مثل أهلها الذين فطروا عليها ويدركون بطبيعتهم من أسرارها ماقد يخفى على ذلك الدخيل .

فإذا كان هذا الكلام الذى ذكروه يصلح عند أحد الناس دليلا، فإنه يصح لهؤلاء المبشرين أن يقولوا إن كلامهم بلغ الغاية القصوى فى البلاغة والفصاحة. كلا وألف كلا إن مثل هذا الكلام ضرب من ضروب الهزل وإلا فهل المسلمون قالوا إن القرآن معجز لأنه فى غاية الفصاحة واقتصروا على هذه الدعوى؟ أو قالوا إن القرآن جاء قوما كانوا أبلغ الناس وأفصحهم منطقا ثم تحداهم أفرادا وجماعات، وقال لهم محمد هذا من عند الله فإن كنتم لا تصدقونى فاجمعوا أمركم وأتوا بسورة من مثله، فحاولوا ذلك مرارا وتكرارا فعجزوا ولم يستطيعوا ولما انهزموا أمامه أخذوا يفكرون فى أمرهم بعد ذلك ونظروا فيه نظرة المنصف، فاهتدوا إلى سواء السبيل ودخلوا فى دين الله أفواجا، فكيف يعارض ذلك أن شخصا أو أشخاصا من قدماء الهنود ألف كتابا فصيحا ؟ وهل نحن نقول إن الفصاحة انقرضت من لغات العالم فلا يستطيع أحد أن يأتى بشيء فصيح ؟ كلا يا حضرات المبشرين: إننا نقول إنه يمكن أن يأتى شخص أو أشخاص بكتب فى غاية الفصاحة، وقد ألف علماء المسلمين كثيرا من الكتب الفصيحة، ولكنا نقول إن القرآن قد أعجز أبلغ الناس منطقا بالفعل واعترف أعداؤه وأصدقاؤه بأنه ليس من كلام البشر، بعد أن تحداهم المرة بعد المرة. وقد كان ذلك الحكم نهائيا لا نقض له لأن كل ما جاء بعد هؤلاء القوم أقل منهم بلا نزاع فلا يصلح لمعارضتهم فى حكمهم، ولقد نبغ كثير من كتاب المسلمين وأدبائهم، إلى درجة عظيمة، وهم أقرب إلى العرب الفصحاء من غيرهم، ومع ذلك فكلهم يذعنون بأنهم عيال على القرآن الكريم فى بلاغته وفصاحته، حتى أن أمهرهم فى صناعة الكتابة، وأقدرهم على صوغ الكلام، لا يجد سبيلا إلى المفاخرة إلا باقتباس آى القرآن فيما يكتب أو يقول، وإذا كان هذا حال العرب الخلص ومن خلفهم قبل أن تفسد اللغة ، فهل يليق بمن لا يعرف من أساليب اللغة العربية شيئا أن يتصدى للحكم على بلاغة القرآن وفصاحته أليس ذلك من فضول القول؟ وإلا فهل يجمل عند العقلاء أن يقول النجار الذى لم يزاول صناعة الصياغة للصائغين أنا أعلم منكم بهذه الصياغة، إن ذلك يكون حماقة لا شك فيها .

ومجمل القول إننا نقول إن القرآن قد بلغ الحد الأعلى فى البلاغة، وإنه قد تحدى أبلغ الناس منطقا بأن يأتوا بسورة منه فعجزوا وقرروا أنه ليس من كلام الإنس ولا من كلام الجن، بل هو من عند الله الخالق ولا معنى لهذا إلا أن الذى جاء به رسول الله حقا.

وذلك القدر قد ثبت بالتواتر الذى لاشك فيه عن الإخصائيين الذين لم يأت بعدهم مثلهم فى صناعتهم فهل بعد ذلك يصح لعاقل أن يصغى لأمثال هؤلاء المبشرين الذين لا يكادون يفقهون شيئا فيما يقولونه فى فصاحة القرآن وبلاغته؟ أظن أن الذى يصغى لهؤلاء فى حكمهم على القرآن لا يكون أقل عقلا من الذين يصغون لهم فى قولهم إن إلههم ملعون وابن زنا وإنه دخل الجحيم وعذب فيها ولقى جميع الإهانات ليخلصهم من نفسه.

أما ما ذكروه من أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعرف الكتابة أو لا يعرفها فتلك مسألة لا يترتب عليها شىء فى الاستدلال، لأننا إذا سلمنا أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعرف الكتابة فما هو الذى يترتب على ذلك فى الإعجاز، لاشىء مطلقا فلا نضيع الوقت بالكلام فى هذا الموضوع.

الشبهة الثانيـــة : سقوط أشياء من القرآن

زعموا أنه قد سقط من القرآن أشياء مثل آية الرجم وهى الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة ... إلخ. وسورة النورين التى ذكرها الشيعة وآيات أخرى زيد فيها ونقص منها نحو قوله تعالى واجعلنا للمتقين إماما أصلها واجعل لنا من المتقين إماما وقوله : من أهل الكتاب أمة قائمة أصلها أئمة قائمة. إلخ ما نسب إلى سخفاء الشيعة.

وهؤلاء المبشرون الذين ينقلون هذا الكلام عن الشيعة ليردوا به إعجاز القرآن هم الذين يقولون إن وجود التناقض الظاهرى فى متن القرآن دليل معتبر على أن المسلمين لم يلمسوه بسوء وإلا لكانوا من باب أولى أزالوا شبه التناقض هذا، خصوصا فى آية **«وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته»**[1].

إذا قرئت قبل موتهم فإن هذه القراءة يزول معها الإلتباس فما كان أيسر عليهم أن يثبتوا القراءة الثانية محل الأولى لكنهم لم يفعلوا حرصا على الأصل، وفى نفس الوقت يناقضون أنفسهم فيقررون بدون شعور أن المسلمين قد زادوا فى كتابهم ونقصوا ما يفسد إعجازه. ما شاء الله كان أليس ذلك من مهارة العظماء الذين يصلحون للحكم على الأديان والكتب السماوية؟ ولكننا نقول لهم لا يا أيها المبشرون ليس كما تزعمون إن المسلمين قد أجمعوا فى كل قرن وفى كل جيل على أن القرآن الذى ضمته مصاحفهم منقول عن نبيهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بطريق التواتر الذى لاشك فيه كلمة كلمة وحرفا حرفا فلم يزد فيه أحد منهم حرفا واحدا أو ينقص منه شيئا، وكل من يقول سوى ذلك لا يكون من المسلمين فلا تظنوا أن هذه الخزعبلات التى ينسبها أهل الكتاب إلى الشيعة تؤثر على ذلك الإجماع، كلا فإن للمسلمين موازين صحيحة وقواعد عامة يرجعون إليها فلا يحفلون بنزعات المفسدين.

---

(١) سورة النساء : الآية ١٥٩.

ومن هذه القواعد التى لا يختلف فيها أحد أن القرآن الكريم ثبتت نسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبوتا قاطعا لاشك فيه بحروفه وكلماته وآياته وحركاته وسكناته وأوجه قراءاته العشرة وترتيب سوره، وقد نقله عنه كثير من أصحابه بطريق الحفظ والضبط فى حياته، ونقلوه إلى الجهات التى أتيح لهم فتحها، ونقله عنهم من بعدهم على هذا الضبط، واستمر الحال بين المسلمين على هذا المنوال جيلا بعد جيل، ومن أراد أن يعرف ماكان عليه المسلمون من العناية بالقرآن الكريم والمحافظة عليه فلينظر فى حال المسلمين معه الآن فى سائر الأقطار، فإنهم إذا وجدوا تحريفا فى حرف أو شكل فى مصحف من المصاحف تثور ثائرتهم ولايهدأ لهم بال إلا إذا أصلحوا ذلك الخلل، وله حفاظ كثيرون فى كل أنحاء العالم الإسلامى يعنون به كل العناية، ولم يكن أسلافهم أقل منهم فى ذلك، بل كانوا أكثر منهم عناية به.

فهذه القاعدة التى أجمع عليها المسلمون وأقرها المبشرون من حيث لا يشعرون لا يحيد المسلمون عنها قيد شعرة فكل رواية تناقضها لا يترددون فى رفضها. فمن قال من الشيعة أن أضداد (جمع ضد) علىٍ قد حرفوا بعض آى القرآن فإنه لا يكون من المسلمين حقا لأنه فى هذه الحالة يكون قد خرج على إجماع المسلمين ونسب إلى الله تعالى مالم يقله، وذلك كفر صريح عند المسلمين، على أن علماء الشيعة ينكرون ذلك تمام الإنكار، ويقولون إن هذا الكلام قد اخترعه بعض أهل الكتاب ونسبوه إلى الشيعه ليخففوا الضغط الذى وقع على رؤوسهم من جراء الأغلاط الكثيرة التى وجدت فى كتبهم المقدسة عندهم، ويستروا الفضيحة التى لحقتهم بسبب ما فعلوه من الزيادة والنقصان فى تلك الكتب. ولكن أين الثرى من الثريا. وإذا كان المبشرون يقولون إنه مستحيل تحريف القرآن فكيف يقول مسلم إنه حرف فى بعض المواطن؟ إن ذلك لا يصح فى نظر العقلاء.

بقى علينا شىء آخر ينبغى التنبيه عليه فى هذا المقام، وهو أنه قد ورد فى بعض الأحاديث أن آية الرجم (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البته) كانت موجودة فى القرآن ثم رفعت منه فكيف يمكن التوفيق بين هذه القاعدة وبين هذه الأحاديث. والجواب عن هذا هو أن يقال إنه إذا وردت أحاديث تفيد أن مثل هذه العبارة (الشيخ والشيخة إذا زنيا إلخ) كانت موجودة فى القرآن فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ثم حذفت بعد وفاته بمعرفة أحد المسلمين كانت هذه الأحاديث مكذوبة بإجماع المسلمين، ومن يرويها أو يصدقها فإنه لا يكون من المسلمين كما قلت آنفا، فكل مانقله المبشرون من ذلك عن الشيعة هراء من القول وسخافة لايعدلها سخافة.

أما إذا كانت هذه الأحاديث تفيد أنها كانت فى القرآن ورفعت فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم بالوحى، فإنها تكون من باب النسخ، وقد عرفت فى مباحث النسخ أن للمسلمين رأيين فى ذلك، فمنهم من يمنع وجود النسخ فى كتاب الله مطلقا وما يروى من ذلك يؤوله تأويلا معقولا،

ومنهم من يجيزه فى الأحكام طبقا لما يعلمه الله من مصلحة عباده، فأما الذى يقول بجواز النسخ فإنه لامانع من أن تكون عبارة (الشيخ والشيخة إذا زنيا إلخ) كانت فى القرآن ثم نسخها الله تعالى لما قد يترتب على وجودها شدة منفرة، وإن كان الحكم باقيا لأن ما قارنه من الظروف التى يثبت بها وهى وجود أربعة شهود ترى بعينها فعل الزنا يجعل تنفيذه نادرا فكأنه لم يكن، وإنما الغرض منه تفظيع جريمة الزنا، وبيان شدة وقعها فى نظر المشرع فمن ينجو من عقوبة الدنيا فإنه سيجزى عليها أسوأ الجزاء عند الله تعالى، وما كان للمبشرين أن يعترضوا على هذا مع كونهم يقررون أن جميع أحكام التوراة قد نسخت بالإنجيل وقد بينا لك ذلك فى مباحث النسخ ونزيدك هنا أنه ورد فى إنجيل لوقا ما نصه: (أن الفريسيين سألوا المسيح لماذا لا يصوم تلاميذه طبقا لأحكام التوراة فقال لهم. ليس أحد يضع رقعة من ثوب جديد على ثوب عتيق. وإلا فالجديد يشقه والعتيق لا توافقه الرقعة التى من الجديد. وليس أحد يجعل خمرا جديدة فى زقاق عتيقة لئلا تشق الخمر الجديدة الزقاق فهى تهرق والزقاق تتلف) [1] . وهذا نص صريح على أن الإنجيل الجديد نسخ التوراة القديمة، وقد نسخ الإنجيل بعضه بعضا فى كثير من المواطن. ومن ذلك أن المسيح قال لتلاميذه فى أول الأمر لا تبشروا بالإنجيل إلا فى بنى إسرائيل، ثم قال لهم فى آخر الأمر، اذهبوا وكرزوا بالإنجيل فى كل العالم. وقد اعترفوا بجواز النسخ فى مثل هذا فكيف يسع المبشرون بعد ذلك أن يعترضوا على نسخ آية من الآيات .

وأما الذى يمنع وقوع النسخ فى كتاب الله فإنه ينكر وجود آية فى القرآن الكريم بهذا المعنى قطعا . ويقول إن حديث عمر الذى رواه البخارى ليس فيه هذه الآية ولا غرض لعمر من الحديث إلا أنه يقول إن الرجم ثبت بكتاب الله وليس معناه أن كتاب الله كان مشتملا على تلك الآية (الشيخ والشيخة إذا زنيا إلخ) كلا بل معناه أن الرجم ثابت بقوله تعالى: **«وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا»**[2] . وقد ثبت أن الرسول قد رجم الزانى والزانية فيجب علينا اتباعه بنص كتاب الله على أن صاحب الرأى الأول يوافق صاحب الرأى الثانى على أنها ليست بقرآن بالمعنى الذى يفهم من القران وهو ما ثبتت نسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتواتر. ذلك لأن هذه الآية قد وردت فى بعض روايات الحديث. وهذا الرأى قد ذكره الحافظ بن حجر فى الفتح فى شرح حديث عمر، وإنى أعتقد أنه هو الصواب لأن الرأى الثانى أصون لكتاب الله تعالى وأليق بعظمته، خصوصا أن هذه العبارة خالية من روعة القرآن، فضلا عن كونها تشريعا ناقصا لأنها

---

(١) إنجيل متى الإصحاح الخامس ، الآيات من ٣ إلى آخر الإصحاح .

(٢) سورة الحشر : الآية ٧ .

تنص على حكم الشيخ والشيخة مطلقا سواء كانا محصنين أو لا وتهمل حكم الشاب والشابة كذلك. وما كان القرآن الكريم ليأتى بمثل هذه العبارة الناقصة فى التشريع .

وبذلك تضيع آمال المبشرين وتخيب أحلامهم من جميع الوجوه بعد هذا البيان ، ويعلموا أن كل الذى جاءوا به من التقول عن المسلمين إنما هو من لغو الكلام السخيف الذى لا يقره أحد منهم .

الشبهة الثالثة : كيف جمع القرآن ولماذا أحرق عثمان بعض المصاحف؟

للمبشرين جولات عظمية فيما ورد فى كيفية جمع القرآن وفيما فعله عثمان بن عفان من كتابة مصحف واحد، وهم يظنون أن هذه الشبهة من الشبه التى تبرر موقفهم بازاء كتبهم المحرفة المبدلة التى هى إلى الآن يحذفون منها ما شاء لهم القدر خصوصا مسألة القراءات، فإنهم يحاولون أن يقيسوا كتبهم عليها، وياليتهم كانوا يتذكرون ما كتبوه أولا من أن هذه الإختلاقات لاتضر، كلا بل هم يوردون الأحاديث المكذوبة التى تدل على اختلاف المسلمين فى عبارات القرآن ليستدلوا بها على أنه ليس من عند الله ويستدل المبشرون على أن القرآن ليس من عند الله ببيان المنهج الذى سلكه المسلمون لجمع متفرقات القرآن من سور وآيات إلى كتاب واحد، ويقولون إنهم يعتمدون فى التحرى عن ذلك على المصادر الموثوق بها عند المسلمين أنفسهم، فيذكرون عن زيد بن ثابت أنه قال: أرسل إلى أبوبكر بعد مقتل أهل اليمامة وطلب منى أن أجمع القرآن .. إلخ ما روى فى هذا الموضوع، ويقولون إنه من المحتمل أنه لم تكن وقتئذ نسخة كاملة للقرآن سوى تلك التى جمعها زيد واعتمدت كافة المسلمين على حفظه فى الصدور .. إلخ .

إن هؤلاء المبشرين كما قلت غير مرة لا يقصدون من كتابتهم بيان الحقيقة وإنما يريدون أن يضلوا العقول فحسب. فهم يريدون أن يفهم الناس أن طريقة جمع القرآن عند المسلمين تفيد أنهم حرفوه، ومع ذلك فاننى أسلم لهم أن كل ماذكروه من جمع القرآن فى عهد أبى بكر صحيح ولكن أى ضرر فى هذا. إن زيدا ومن معه كانوا يجمعون الصحف التى كتب فيها القرآن فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم لينسخوا ما فيها ويحتفظوا بالشكل الكتابى لا غير، أما القرآن بنصه الذى هو عليه الآن فقد كان مجموعا فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم محفوظا للمسلمين حفظا جيدا، وإذا كان كذلك فلا حرج علينا مطلقا من ضياع صحيفة عند عائشة ولا ضير من فقدان شىء من هذه الصحف مطلقا سواء كان هذا قليلا أو كثيرا لأنهم إنما كانوا يبحثون عنها ليتتبعوا رسم الكتابة التى كان عليها الحال فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ليحتفظوا بها فى النسخ حرصا على آثار النبى صلى الله عليه وسلم، أما نص القرآن فقد كان محفوظا حفظا جيدا، وكذلك ما فعله عثمان بن عفان فإنه قد جمع الناس على مصحف واحد بحيث يكون رسم كتابته منطبقا على لغة قريش حتى لا يقع الناس فى اختلاف كما تقدم فى كتابنا هذا .

ومن الغريب أنهم يقولون إن حذيفة بن اليمان أنذر عثمان بن عفان بسوء العاقبة، وذلك عندما كان منهمكا فى افتتاح بلاد الأرمن وأذربيجان، وروى ذلك البخارى بما معناه ياأميرالمؤمنين تدارك المسلمين قبل أن يقع الإختلاف بينهم كما اختلف من قبلهم اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصه يقول لها ابعثى إلينا بالصحف لننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك فبعثتها إليه وعند ذلك انتدب الخليفة زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الله بن الحارث بن هشام فنسخوها. وقال للثلاثة القريشيين إن اختلفتم مع زيد فى شىء من القرآن فاكتبوه بلغة قريش لأنه نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصه. وأرسل إلى كل إقليم نسخة وأصدر أمرا أن كل قرآن خالف هذه النسخة يحرق .

ولا أدرى ما الذى يتخيله المبشرون من المحظورات التى تترتب على هذه الرواية، إن المبشرين يعترفون بأن المسلمين كانوا فى غاية اليقظة بالنسبة للقرآن، وأنهم كانوا يحذرون أشد الحذر من ذلك الخلل الذى وقع فى كتب اليهود والنصارى، وأن ذلك الخلل كان فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ألا ترى أن حذيفة بن اليمان قال لأمير المؤمنين تدارك المسلمين قبل أن يقع بينهم ذلك الإختلاف المخزى، وما ذلك إلا لفرط حرصهم وخوفهم من موت الحفاظ ، فيأتى المفسدون ويعيدون تمثيل المأساة التى مثلت بالتوراة والإنجيل، فأجابه عثمان إلى ماطلبه فورا، وأمر جماعة من كرام الصحابة بنسخ الصحف فى مصحف بدون زيادة ولا نقصان، فعمل هؤلاء الأصحاب الكرام بما أمروا به، وكان عملهم مقصورا على نسخ مصحف يوافق رسمه لغة قريش وبعد أن تم نسخه أمر عثمان بتعميمه فى كل الأقاليم، ليكون هو الأصل الذى يرجع إليه وأمر بحرق ما يخالفه. ولقد كان القرآن محفوظا يومئذ عند كثير من المسلمين برواياته العشرة حفظا جيدا ، فلو خالف هذا المصحف ما يحفظونه فى حرف واحد لثاروا على عثمان ثورة عظيمة ولحرقوا مصحفه قبل كل المصاحف. ولا يظن المبشرون أن لأمير المؤمنين سلطانا على المسلمين فى ذلك، كلا فإن أصغر واحد منهم يحارب أمير المؤمنين فى كل ما يعتقده مخالفا للدين، وقد خرج الناس على عثمان بن عفان لأنه ولى رجلا قريبا منه لا يستحق الولاية فى نظرهم، ومع ذلك فإن عثمان كان من أشد الناس غيرة على كتاب الله تعالى. فأى شىء ترتب على عمل عثمان فى ذلك؟ أظن أن المبشرين يقولون إن الناسخين قد سقطت منهم آية من القرآن، كما قالوا إن زيدا بن ثابت قال لما نسخنا القرآن فقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد التحرى عنها وجدناها عند خزيمة بن ثابت الأنصارى «ومن المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه»[1]. فألحقناها بموضعها.

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٢٣ .

ولو كان هؤلاء المبشرون يسمعون أو يعقلون لعرفوا أن هذا الذى كتبوه دليل عليهم لا لهم لأن هذا الذى قاله زيد بن ثابت رضى الله عنه يدل على ثلاثة أمور تنادى بعكس ما يريده المبشرون منها :

(١) أن هؤلاء النساخ الكرام كانوا أشد الناس حرصا على كتابته بنصه. ولو كان لهؤلاء المبشرين قلوب يدركون بها الحقائق لهدهم الحزن والأسف على ما أصاب إنجيلهم من جهل النساخ وقد نقلت لك اعترافهم بأن النساخ زادوا آيات كثيرة فى النسخ الجديدة لم تكن موجودة فى النسخ القديمة، وأنهم لم يعرفوا الصحيح منها إلى اليوم فأين ذلك الخزى من هؤلاء الذين لم تخف عليهم آية واحدة .

(٢) أنهم كانوا يراجعون ما يكتبون مراجعة دقيقة بحيث لايمكن أن تسقط منهم كلمة واحدة .

(٣) أنهم كانوا يحفظون القرآن حفظا جيدا كما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلا لما عرفوا هذه الآية، وعرفوا موضعها فى السورة .

ومع ذلك كله فإنهم بذلوا مجهودا فى البحث عن الأصل الذى فى هذه الآية كى ينقلوه برسمه حرصا على حفظ أثر النبى صلى الله عليه وسلم كما هو، فلم يجرؤوا على كتابة هذه الآية إلا بعد أن عثروا على أصلها، لأن غرضهم يومئذ إنما هو النظر فى الرسم الكتابى فقط .

وأغرب من هذا أنهم استدلوا من ذلك عن وجود تنقيح فى النسخ التى أحرقها عثمان لما رأى من الخلاف بينها وبين الصحف الأصلية التى كانت عند حفصه وأن صدور أمر الخليفة بحرق النسخ القديمة المخالفة لما استنسخه هو دليل آخر على وقوع الإختلاف فى نسخ القرآن .

ألا يرى القراء حقا أننى منيت بمناظرة قوم لا يعرفون معنى الدليل ؟ فليأت عقلاء العالم ومفكروهم وليرشدونى إلى مايريد أن يقوله هؤلاء المبشرون لنفرض الآن أننا كلفنا جماعة بكتابة مصحف بشرط أن ينقلوه كما هو من مصحف قديم ففعلوا، وفى أثناء مراجعته على ما يحفظونه وجدوا آية من الأصل محذوفة فكتبوها فى موضعها، فهل يصح لنا أن نقول أن النسخة الجديدة قد نقحت أو نقول أن الأصل الذى نسخ منه المصحف الجديد كان ناقصا وقد أكمل، ذلك بديهى لاشك فيه. ومع ذلك فإن الكلام فى هذا الموضوع كله فى الكتابة والشكل، أما القرآن فقد كان محفوظا حرفا حرفا وكلمة كلمة، فماذا يضيرنا إذا نسخ واحد أو جماعة مصحفا وفيه أغلاط كثيرة فراجعه الحفاظ وأصلحوا هذه الأغلاط؟ أى ضرر فى هذا ؟ ثم لنفرض بعد هذا كله أن الحكومة المصرية مثلا أمرت بأن المصحف الذى يتداول فى الدولة المصرية هو المصحف الذى طبعته على نفقتها وأمرت بحرق الباقى مما يخالفه فى رسم الكتابة، فأى ضرر يلحق القرآن من ذلك، لا شىء مطلقا بل بالعكس يكون ذلك فى مصلحة القرآن، لأنه يقضى على ما عساه أن يوجد من أغلاط كتابية فى بعض المصاحف الأخرى.

فهل لعمل عثمان مغزى سوى ذلك؟ فليجتمع المبشرون جميعا فى صعيد واحد وليبذلوا كل مجهوداتهم ليستعينوا بملاحدة العالم وأعداء الإسلام، فإن أمكنهم أن يأتوا لعمل عثمان بمغزى سوى ذلك فإننى أعذرهم فيما يقولون. على أن المبشرين يقولون إنهم يعولون فى هذا المبحث على المصادر الموثوق بها عند المسلمين. وقد عرفت أن المسلمين مجمعون على أن القرآن بلفظه وشكله وترتيبه واختلاف قرآنه متواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محفوظ من أن تمتد إليه الأيدى الأثيمة لتبديل حرف واحد منه، فكل مايخالف ذلك أو يوجب الشك فيه لا يكون منقولا عن مصدر إسلامى مطلقا لا موثوق به ولا غير موثوق به، فلو أن المبشرين يعرفون ذلك وتركوا التضليل لاستراحوا وأراحوا .

ثم قال هؤلاء المبشرون أنه بالرغم من هذه الوسائل المتناهية فى الشدة التى اتخذها حكام المسلمين الأول لتوحيد نسخ القرآن، لم يزل فيه بعض الإختلافات التى يعبرون عنها بالقراءات كما نعلم مما نقله إلينا الأئمة والمفسرون الراسخون فى العلم.

إن المبشرين يتناقضون فى كل كلمة يكتبونها كما قلت لك، لأنهم يقولون أن حكام المسلمين كانوا فى غاية الشدة على توحيد نسخ القرآن فلا يسمحون للناس أن يخرجوا عن حالة واحدة فى الشكل، وإذا كان كذلك فكيف يسمحون لهم أن يقرءوا بالقراءات المختلفة إذا لم تكن واردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ كيف يسمحون لهم أن يختلفوا فى النطق بالكلمة إذا لم يكن ذلك الإختلاف لايترتب عليه تغيير فى المعنى؟ ثم إذا كان حال حكام المسلمين الأولين من الحرص على القرآن على ماذكر، وقد انتشر الإسلام فى كل أطراف المعمورة وكثر حفاظ القرآن ووضعت للنطق به علوم لا يصح الخروج عنها ، فكيف يعقل بعد ذلك أن يغير فيه أحد حرفا واحدا ؟

إن هؤلاء المبشرين يستدلون للمسلمين بما يريدون. أما كونهم يناقضون ما تقدم فإنهم قد ذكروا هذا الكلام هنا فى الإستدلال على أن القرآن ليس بمعجز لأن فيه اختلافًا. وقالوا إن المسلمين يقولون إن هذه القراءات مهما تكن لا تغير معانى القرآن تغييرا يستحق الذكر ولا تؤثر أقل تأثيرا فى عقائده وأنه إذا قام كاتب مسيحى واحتج باختلاف القراءات على وقوع التغيير فى متن القرآن فإن المسلمين يستجهلونه ويرمونه بالتعصب الذميم فهؤلاء المبشرون قد حكموا على أنفسهم ونحن نقول لهم نعم نستجهله ونستسخفه ونقول له إنك تهرف بما لا تعرف.

ومن الفكاهات اللذيذة إنهم يقولون ردا على القول إن الله تعالى قد حفظ القرآن من الكفرة والملحدين بقوله تعالى: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون»[1] . بقولهم إن الذين فطنوا إلى ماقدموه يذكرون حكاية مافعله عثمان ثالث الخلفاء الراشدين بالقرآن وكيف أنه أحرق

---

(١) سورة الحجر : الآية ٩ .

جميع النسخ القديمة مما يدل بلا نزاع على وقوع اختلاف بين نسخ القرآن لا يمكن إخفاؤه إلا بحرق القديم منها.

وإننى قلت إنه على فرض صحة هذا فإنه لا يدل إلا على أمر واحد هو شدة الحيطة فى الشكل، فعثمان رضى الله عنه أمر بكتابة المصحف على الرسم الذى يناسب لغة قريش وأقره المسلمون جميعا، ثم أمر بإحراق ما يخالفه فى الرسم الكتابى ليكون القرآن متطابقا من جميع الوجوه فكما أن عباراته التى نطق بها الرسول تعلمها المسلمون وحفظوها بنصها، وأصبحوا يعلمونها للناس الذين من بعدهم، أراد عثمان أن يكون رسم كتابته على هذه الصورة فلا يسمح بتعدد رسم الكتابة. وذلك من أجمل ما يعمله الحاكم الذى يحتاط لأمر من الأمور. وما رواه المبشرون عن المسلمين لا معنى له إلا هذا، فإذا قال أحد غير ذلك يكون من غير المسلمين. أليسَ هم ينقلون هذا عن المسلمين فإذا وجدوا فئة من المسلمين تقول غير ذلك فإن لهم الحق فيما يزعمون.

أما هم فإنهم يصرحون بأن البروتستانت مختلفون مع الكاثوليك فى كتب برمتها من التوراة والإنجيل ويقولون إن الأمر سهل لأن هذه الأشياء المختلف فيها لا تغير الجوهر كما قدمناه لك موضحا أفلا يخجلون من هذا الكلام.

وأغرب من هذا وأبدع أنهم قالوا: إنه من المحتمل أنه لم تكن وقتئذ نسخة كاملة للقرآن سوى تلك التى جمعها زيد واعتمد كافة المسلمين فى قراءاتهم على حفظه فى الصدور وتلاوته من الشفاة فلم تكن فى زمن أبى بكر إلا نسخة واحدة وهى التى كتبها زيد بأمر أبى بكر.

فإذا كانوا يعترفون بأن المسلمين كانوا يعولون على حفظه فى الصدور، فماذا يضيرهم بعد ذلك أليس من المعقول أن كل نسخة لاتوافق المحفوظ فى الصدور لابد أن يرفضوها أو يصححوها على المحفوظ.

ومما يوجب الأسف أنهم يخوضون فى أكبر مقام وينالون من سيد العالم أجمع. فيقولون إن السبب الرئيسى الذى يستنتجون منه بقاء القرآن على ما كان عليه تقريبا بعد وفاة محمد. هو أنه تضمن أقوالا كشفت الستار عن حياته الأدبية مثل سورة الأحزاب، لأنه من المحال أن يجترئ مسلم على أن يلصق بنبيه مثل هذا الكلام، فهؤلاء الأغبياء يتناقضون فى قولهم من أجل أن يسبوا سيد العالم أما أنا فسأرجىء عقوبتهم على هذه القحة إلى الكلام فى مقارنة أخلاق نبينا صلى الله عليه وسلم بأخلاق جميع المرسلين الذين يؤمن بهم اليهود والنصارى كى يعلم الناس جميعا أنه أفضل البشر وأنزههم وأعفهم وأكرمهم بلا نزاع فانتظر قليلا حتى نفرغ من القضاء على هذيانهم فى هذا الموضوع.

ثم قالوا بعد ذلك إن هناك أحاديث صحيحة شاهدة بوقوع التغيير فى نسخه، من ذلك قول محمد: رحم الله فلانا لقد أذكرنى كذا وكذا آية كنت أسقطتهن ويروى أنسيتهن. ومن الآيات الساقطة التى لم يتفق له من يذكره إياها آية المتعة أسقطها على وهذا ما حدا بعائشة أن تلومه وتقرعه

على هذا الفعل اللئيم فقالت إنه يجلد على القرآن وينهى عنه، وقد بدله وحرفه ومنها آية الرجم. وما كان يقرؤه أبى بن كعب وفقد من القرآن وهو القنوت (اللهم إنا نستعينك ونستهديك ونستغفرك) .

ونحن إذا صرفنا النظر عن أن المبشرين يختلقون الأكاذيب ويقولون إنها أحاديث صحيحة لا يسعنا إلا أن نضحك ضحكا عاليا من تناقضهم فى كل كلمة يقولونها بحيث أصبح من المستحيل أن يأتوا بجملة سليمة من التناقض. إن الكلام فى هل هذا القرآن منقول بنصه عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أو حرف أحد بعده كلمة واحدة أو حرفا واحدا كما فعلوا هم بكتبهم فاليهود أضاعوا التوراة بعد موسى، وحرفوا أحكامها، والنصارى أضاعوا إنجيل عيسى واخترعوا أناجيل من تلقاء أنفسهم نسبوها إليه، وهاهم يقولون إن محمدا نفسه حرف كتابه ألا يضحك العقلاء. إننى قد فهمت الآن غرض المبشرين من قولهم إن المسلمين أمناء على كتابهم فلم يحرفوا منه كلمة واحدة وذلك لأنهم يقولون محمدا هو الذى حرف كتابه لا أتباعه. أليس ذلك مهزلة من مهازل الدهر. أليس عارا وشنارا لو عقله المبشرون لذابت وجوههم خجلا ، ولكن أين الوجوه التى تخجل وقد فقد منها الحياء فلم يعد له أثر.

وبعد فإذا كان المسلمون مجمعين على أن القرآن نزل به الروح الأمين على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومجمعين على أن الأنبياء معصومون من الخطأ والنسيان فيما يوحى إليهم بحيث يستحيل أن يقع من أحدهم سهو فى ذلك بأى حال (وإن كان يجوز عليه أن يسهو فى غير ذلك) فمن من المسلمين يخرق ذلك الإجماع ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه نسى الوحى وأسقط آيات ولكن شخصا ذكره ما نسى. أليس لهؤلاء المبشرين عقل كعقل الصبى الذى يدرك ضروريات الأمور فيخجل من أن ينسب للمسلمين أنهم قالوا عن نبيهم أنه ينسى الوحى بعد هذا الإجماع الذى لم يخالف فيه منهم أحد أبدا لا صغيرا ولا كبيرا ولا عالم ولاجاهل. وهب أن ذلك كله ضائع عند المبشرين، وأن المسلمين لم يجمعوا على هذا المعنى وأن الأنبياء يجوز عليهم النسيان فى الوحى . لنفرض أن كل ذلك هو الواقع ولكن هل هؤلاء المبشرون يستدلون للمسلمين أو يستدلون عليهم. إنهم بكلامهم هذا يقيمون لنا الحجة على ما نقول لأنهم يثبتون لنا أن المسلمين فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم نفسه كانوا مستيقظين كل اليقظة حافظين للقرآن كل الحفظ حتى أن فيهم من كان يحفظه أكثر من النبى المتصل بالوحى، ألا ترى أنه ذكره بالآيات التى نسيها. حسن.. حسن جد الحسن. فقد أثبت المبشرون أن المسلمين كانوا حفاظا وكانوا لا يهابون أحدا فى رده عن غلطه إذا نسى شيئا من القرآن، حتى صاحب الكتاب نفسه الذى قال لهم إننى لم أجىء منه بكلمة واحدة من تلقاء نفسى. وإذا كان كذلك فكيف يسكت المسلمون عن عثمان إذا كان قد حرف القرآن. وكيف يرضون بعمله أليس لهؤلاء المبشرين عقول يدركون بها البديهى؟

وأيضا يقولون إن عليا أسقط آية المتعة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولم يذكره بها أحد من المسلمين وإننى أرجو المبشرين جميعا أن يفهمونى عبارتهم فهناك جيش من المتناقضات فى العبارة الواحدة أدهشنى وإلا فما شأن على مع النبى صلى الله عليه وسلم وباقى أصحابه الذين كانوا يحفظون القرآن يومئذ حتى يسقط آية من كتاب الله وهم ساهون لاهون وهل أسقطها على من صدورهم فلم يعودوا يحفظونها لأنه إله قدير كعيسى يمكن أن يتسلط على النفوس. أو أسقطها من المصحف والمبشرون يقولون آنفا أنهم لم يكن لهم مصحف سوى النسخة التى كتبها زيد بن ثابت فى خلافة أبى بكر. وهب أن لهم مصاحف فأخذ منها مصحفا وشطب منها آية. أفلا يكون ذلك عبثا مضحكا من على، لأن ذلك لا يؤثر على حفاظه أدنى تأثير. وهب أن ذلك كله لا يقنع المبشرين وأن عليا أسقط آية بقوة روح القدس الذى يحتل الأجسام البشرية عندهم لاعندنا طبعا ولكن كيف نسيها الحفاظ كلهم ولم يذكروا بها النبى صلى الله عليه وسلم؟ وإذا كانوا نسوها كلهم فمن ذا الذى عرف بعد ذلك أن هناك آية كانت من القرآن أسقطها على، وكيف تلومه السيدة عائشة؟ ياللعار ياللعار نعوذ بالله من ذلك الخزى وأما ما يهرفوا به بعد ذلك من آية الرجم وما ينسبوه لأبى بن كعب فقد شرحنا لك الجواب عنه قريبا ونذكره أيضا هنا وهو أن المسلمين أجمعوا صغيرهم وكبيرهم مجتهدوهم ومقلدوهم على أن القرآن الكريم الذى بين دفتى المصاحف هو منقول عن سيدنا محمد رسول الله، بطريق التواتر الذى لاشك فيه ولم يتغير منه حرف واحد بعده، وقد تواتر على ذلك الوجه بالقراءات العشرة التى نقلت عنه صلى الله عليه وسلم. فكل رواية تخالف ذلك الإجماع العام لايكون قائلها من المسلمين، بل يكون من أعداء الإسلام الذين استخفوا بعض ضعاف العقول فألصقوا به رواية من حيث لا يدرى أو دسوا عليه مالم يقله فما أحد من المسلمين يروى أو ينقل شيئا يفيد أن بعض المسلمين حرف القرآن أو فعل به ما يوجب الشك فى تواتره، فلا أبى بن كعب ولا غيره من المسلمين سواء أكان أميرا أم حقيرا كبيرا أم صغيرا قويا أم ضعيفا يستطيع أن يبدل منه حرفا واحدا، ولو فعل أحد ذلك فإنه يكون عابثا لأن المسلمين يحفظون كتابهم برواياتهم التى تناقلوها عن رسولهم حفظا جيدا وهذه الطريقة يستحيل معها أن يأتى شخص أو أشخاص فيحرفوا القرآن المحفوظ فى صدور الناس، لو حاول أحد أن يحمل الناس كرها على تحريف كتابهم فإنه يحاول مستحيلا ويعرض نفسه لأشد الاحن والأخطار التى لا حد لها، ولو كان للتوراة والإنجيل حفاظا كالقرآن لما امتدت إليهما أيدى المفسدين ولكن الله سبحانه العليم الخبير قد حفظهما فأعاد ما فيهما مما فيه صلاح المجتمع فى القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أما الأحاديث التى تفيد أن النبى صلى الله عليه وسلم قد أوحى إليه ربه بنسخ آية أو تبديلها بأخرى فإن للمسلمين فى ذلك الرأيين اللذين ذكرتهما لك آنفا .

وخلاصة القول فى ذلك أن المسلمين قد أجمعوا على أمرين :

الأمر الأول : أن القرآن الكريم برواياته العشرة قد تواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حفظه الله تعالى من أن تمتد إليه أيدى الملحدين أو الكافرين فتبدل منه حرفا واحدا أو حركة واحدة فى كل العصور الإسلامية إلى يومنا هذا. وقد كان المسلمون يبالغون فى المحافظة عليه مبالغة شديدة إلى حد أنهم لا يحيدون عن الرسم الذى أقره المسلمون فى صدر الإسلام وهو الرسم العثمانى، وإن كان لايترتب على مخالفته شىء يمس القرآن .

الأمر الثانى : أن ذلك القرآن قد بلغ الحد الأعلى فى الفصاحة والبلاغة وأنه قد تحدى أفصح العرب منطقا، وأحسنهم بيانا وأبلغهم قولا فعجزوا عن أن يأتوا بسورة من مثله فى أسلوبه وإحكام معانيه، ودقة مبانيه وترتيب عباراته واشتمالها على أسمى المعانى وأرقى الأحكام، وقد ثبت ذلك بالتواتر القاطع الذى لاشك فيه، ذلك هو إجماع المسلمين، ومن يقل سوى ذلك فهو إما أن يكون زنديقا ليس من المسلمين، وإما أن يكون مجنونا لا قيمة لقوله عند المسلمين، وإما أن يكون هذا القول مدسوسا عليه كذبا وزورا .

وبهذا تعلم سخافة ما زعموه أن بعض علماء المسلمين قال: (إن القرآن لا يفضل مقامات الحريرى، ولا المعلقات السبع فى الفصاحة) .

وهذا القول الذى قاله هؤلاء المبشرون محض اختلاق لا أصل له البته، والدليل على ذلك أنهم لم يذكروا لنا واحداً من هؤلاء العلماء، بل حاولوا أن يستروا كذبهم بكذب فاضح آخر فقالوا إن هؤلاء العلماء لا يجرؤون على التصريح بذلك فى البلاد الإسلامية. ولا أدرى من ذا الذى أخبرهم بذلك الخبر الخطير إذا كان أصحابه لا يجرؤون على التصريح به فيما بينهم، هل سره به أحد فى آذانهم أو سافر أحد إلى بلاد غير إسلامية وأذاع هذا الكلام فيها، لعلهم رأوا ذلك فى نومهم حلما لذيذا فظنوه حقيقة يستطيعون أن يؤثروا بها على القرآن، وما علم هؤلاء المساكين أنهم بهذا الكلام قد أصبحوا أضحوكة يسخر منهم كل من سمع قولهم. وإلا فهذا القائل المجنون الذى يقول إن القرآن ليس أفضل من المعلقات السبع لو كان يعقل أن هذه المعلقات كانت موجودة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم، وأن النبى صلى الله عليه وسلم قد تحدى العرب كافة على أن يأتوا بسورة من هذا القرآن فعجزوا، لخجل من أن يقول هذا الكلام، إذ قد كان من الميسور للعرب حينئذ أن يقولوا له أنت تطالبنا بأن نأتيك بسورة من مثله وهذه المعلقات تزيد عما تطلبه منا أضعافا مضاعفة، وبذلك كانوا ينتصرون على محمد وعلى قرآنه ولا يظهر عليهم هذا الظهور الذى قضى على الوثنية ومحا آثارها. أليس هذا الإختلاق الذى اختلقوه مهزلة من مهازلهم التى لا حد لها ؟ .

ومن حسن الحظ أن المبشرين لم يستطيعوا بعد الجهد الجهيد إلا أن ينقلوا عن اثنين من علماء المسلمين: المزدار، والنظام، نقلوا عنهما أن القرآن لم يعجز العرب بصيغته من حيث البلاغة والفصاحة وإنما أعجزهم من حيث ما اشتمل عليه من الأحكام السامية والإخبار بالمغيبات ونحو ذلك، وإنني أعتقد أن هذين العالمين لم يقولا ذلك وإنما نسب إليهما هذا القول وهما غافلان، ثم تناقله الناس ليردوا عليه ويشهروا بقائله خصوصا النظام، فإن له خصوما كثيرين حتى نسب إليه خصومه أنه أصيب بالجنون. ولنفرض أن اثنين شذا على العالم الإسلامى فى رأى فهل يكون لذلك الرأى قيمة يصح الاستدلال به حتى يقولوا إننا نريد أن نثبت اختلاف المسلمين فى إعجاز القرآن. ومن هما النظام والمزدار فى جانب علماء المسلمين وأئمتهم الذين هم فى الواقع أساتذة العالم إنهما لا قيمة لهما مطلقا. ومن المضحك أنهم يحتجون بقول المزدار والنظام على أن مسألة إعجاز القرآن مختلف فيها عند العرب أنفسهم. ولا أدرى كيف يكون هذا القول حجة على العرب الذين أذعنوا للقرآن بإجماع، وقالوا إنه ليس من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وحاولوا أن يعارضوه فعجزوا عجزا تاما وثبت ذلك فعلا. لا أدرى كيف يتخيلوا أن قول النظام يغير الحقيقة الواقعة. ألا إن ذلك لغو من القول من العبث تضييع الزمن فى الرد عليه .

بقى شىء آخر ذكروه وهو أنهم تعرضوا لمسألة الخلاف الذى وقع فى عهد المأمون فى خلق القرآن وعدمه وهذا الكلام واضح فى كتاب توضيح العقائد تمام الإيضاح ولكنى أقول هنا أن الواقع أنه لاخلاف بين المسلمين فى هذا إلا فى اللفظ فقط، وذلك لأنه لا خلاف بينهم فى أن ألفاظ القرآن التى يقرءونها حادثة مخلوقة لله تعالى، ولكن بعض أئمة المسلمين كالإمام أحمد بن حنبل كان يرى أنه لا يجوز أن يطلق عليها أنها حادثة من باب الحيطة والأدب . وقد هدد بالقتل هو وكثير من العلماء الذين على رأيه فلم يتحولوا عنه وفضلوا الموت، وذلك من أكبر الدلائل على ما كان عليه المسلمون من العناية بأمر القرآن، والمحافظة على الحالة التى كان عليها فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أنه لا علاقة بين القول بخلق القرآن وبين إعجازه، لأن المسلمين يقولون إن الله سبحانه خلق عبارات القرآن معجزة وأوحاها إلى نبينا صلوات الله عليه كذلك. أما كلام الله القديم فهو الصفة القائمة بذات الله تعالى. وليس الكلام فى الإعجاز متعلقا بتلك الصفة مطلقا، ولكن المبشرين نقلوا عن المزدار مايفيد أنه قال بخلق القرآن ثم رتبوا على ذلك أنه غير معجز وذلك جهل عظيم بما قاله المتكلمون فى هذا المقام.

وأخيرا قالوا إن كثيرا من أسفار الكتاب المقدس فى لغتها الأصلية أفصح من أى قسم من القرآن، هكذا أصدروا حكمهم فصفقوا لهم تصفيقا طويلا.

وهل تدرى أيها القارىء ماهى المعانى التى يقولون عنها أنها أبلغ من القرآن . إنى أذكر لك منها أنموذجا لعل المبشرين يطربون من بلاغتها وفصاحتها : ـ

قال بولس فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: (لأن جهالة الله أحكم من الناس وضعف الله أقوى من الناس) [1] فقولوا لنا هل الذى يعتقد أن هذا المعنى موحى به من عند الله يستطيع أن يفرق بين البليغ وغير البليغ، ويحكم بأن هذه العبارات أبلغ من القرآن أليس من المدهش أن رجلا يصف ربه بالجهالة ويصف ربه بالضعف، وقد علمت مما تقدم أنهم يقولون إن الإله معون وابن زنا. وأنه دخل نار جهنم ويقولون إن ذلك وارد فى كتاب مقدس ثم يقولون ذلك الكتاب المقدس أبلغ من القرآن، إن هذا لهو أعجوبة القرن العشرين حقا .

وإننى لو شئت أن أستعرض جميع المعانى التى اشتمل عليها كتابهم من هذا النوع لأضعت وقتا كبيرا. ولكنى أقول لهم كيف أمكنكم أن تحكموا على بلاغة القرآن وأنتم لا تعرفون القواعد الأولية للغة العربية إلى حد أنكم تعتقدون أن كلمة (نحن) موضوعة لثلاثة فى واحد؟ كيف أمكنكم أن تعرفوا أسرار بلاغة القرآن وأنتم أجانب عن لغته ومهما تعلمتم منها لا يمكنكم أن تقفوا على دقائق أسرارها التى لا تدرك إلا بالسليقة. وأيضا كيف ساغ لكم أن تحكموا بأن التوراة والإنجيل قد بلغا الحد الأعلى فى البلاغة والفصاحة وأنتم أجانب عن لغتهما ولا تدرون أسرارها .

ولو صح ادعاؤكم أن أسفار كتابكم المقدس فى لغتها الأصلية أفصح من أى قسم من أقسام القرآن لكان كتابكم المقدس معجزا لأهل زمانه عن الإتيان بمثله، إذ قد ثبت أن القرآن أعجز أهل زمانه ثبوتا قاطعا، فما كان أكثر منه بلاغة يكون أكثر منه إعجازا بلا نزاع. ومع هذا كله فهل المسلمون ينكرون التوراة والإنجيل اللذين أنزلهما الله تعالى. وإذا كانوا لا ينكرونها فلا مانع عندهم من أن يكونا قد بلغا الحد الأعلى فى الإعجاز، فإنهما كلام الله تعالى الذى أنزل القرآن، إنما الذى ينكره المسلمون هو هذه المضحكات التى وضعها الجهلة المفسدون وسموها كتابا مقدسا. ثم أثروا على أرباب العقول الضعيفة فصدقوهم فيما يزعمون واتخذوها كتابا مقدسا حقا، وورثها عنهم أبناؤهم عقيدة مسلمة، وهكذا فأصبحوا يستسلمون للمحال بسلطان العقيدة. هذا هو الذى ينكره المسلمون أما ماعدا ذلك من الفضائل التى جاء بها القرآن الكريم والعقائد التى تليق بعظمة الإله الخالق، والتكاليف المعقولة التى يترتب عليها صلاح المجتمع وتقويم الأخلاق فإنهم يؤمنون بأنها من عند الله، ويقبلون كل ما يؤيد ذلك من البراهين الحقة. فإذا ثبت أن بعض التوراة أو الإنجيل قد وصل إلى حد الإعجاز فلا مانع من هذا عندنا، ولكن الواقع غير ذلك فإن معجزات سيدنا موسى وعيسى صلوات الله عليهما معروفة مشهورة. وقد تواترت تواترا صحيحا، وليس من بينها إعجاز قومهما بما جاءا به من كتب كما يقول هؤلاء المبشرون وهم غافلون لاهون، ولو كانت التوراة أو الإنجيل معجزا بعبارته لما استطاع رجل كبولس أن يقول إن إلههم ملعون ويزعم أن

(١) الإصحاح الأول : آية ٢٣ .

هذه الجملة إنجيلا، لأن ذلك لا يرضى به البله والأطفال فضلا عن أرباب العقول الذين يقولون إنه من المستحيل أن يوضع مثل هذا فى كتاب بلغ حد الإعجاز.

وأغرب من هذا وأبدع ما ذكروه ليستدلوا به على أن بعض أسفار التوراة أبلغ من القرآن. فقد قالوا إن هناك طريقة سهلة مستطاعة لكل قارىء يقابل بها بين الكتاب المقدس والقرآن إذا كان يجهل اللغات الأصلية التى كتب بها الكتاب المقدس فليقرأ سفر النبى اشعيا أو غيره من الأسفار التى ذكروها فى أى لغة كاللغة التركية أو الفارسية أو الانكليزية أو الفرنساوية ثم يقرأ أى سورة من القرآن فى تلك اللغة فلا يلبث طويلا حتى يتنازل عن دعواه وهو صاغر .

وإننى أقسم للقراء أننى وأنا أكتب هذا الكلام أدركنى خجل من نقشه على هذه الصحيفة، لأن هذا الكلام لا يصح للأطفال أن يكتبوه لأن الواقع أن ذلك الذى يقوله المبشرون هو دليل قاطع على أن صيغة القرآن لا يستطيع مخلوق ما أن يأتى بمثلها سواء كان من أهل لغته أو من غيرهم، فمن أجل ذلك لم يستطع مترجم واحد أو جماعة أن يعبروا عن القرآن بعبارة تقرب منه، وقد يستعصى على بعض منهم أسراره فيأتون بعبارات من تلقاء أنفسهم مضحكة كقولهم فى ترجمة: «هن لباس لكم وأنتم لباس لهن» (هن منطلون لكم وأنتم منطلون لهن) .

وعلى هذا القياس فالمبشرون رأوا مثل هذه التراجم فظنوا أن الفرصة سانحة لأن يقولوا لقومهم إن المسلمين يدعون أن القرآن قد بلغ الحد الأعلى فى البلاغة فانظروا إلى ترجمته واقرءوها لتعلموا أن دعواهم مكذوبة، ولكن فات هؤلاء المبشرون أن كثيرا من قومهم المستشرقين قد درسوا اللغة العربية جيدا، ووقفوا على أسرارها، وأيقنوا أن القرآن قد بلغ الحد الأعلى فى البلاغة، وأن كل من ترجمه إلى لغة أخرى فإنه جاهل بمعانيه، غافل عن أسراره، ولو عرف شيئا من ذلك فانه لا يستطيع أن يأتى بمثله لأنه فوق طاقة البشر، ولو شئت أن أذكر شهادات هؤلاء القوم لخرجت عن الموضوع.
ولقد طلب أحد المستشرقين الفرنسيين من عظيم من عظماء مصر أن يترجم له آيات: «الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح»[1] إلخ . فكلف ذلك العظيم بعض العلماء الذين يجيدون اللغة الفرنسية ومعهما آخر من علماء اللغة الفرنسية فاستمروا زمنا طويلا لعلهم أن يجيئوا بشىء من معنى الآية الكريمة، فلم يتيسر لهم وجاموا بعد الجهد بما يشبه كلام الأطفال فأعلنوا فشلهم وعجزهم. والواقع أن القرآن الكريم ليس كما يتخيله هؤلاء العجماوات كلا إنه فوق ما يتصورون فليس هو كسفر أشعيا عبارة عن قصة تاريخية يستطيع كل مخلوق أن يعبر عنها كما يجب ويصيغها فى القالب الذى يريد. لا، لو كان الأمر كذلك لسهل على أعدائه من أهل البيان أن يأتوا بمثله ولكانت لهم الغلبة على محمد وانتصرت الوثنية على توحيد الإله الخالق .

---

(١) سورة النور : الآية ٣٥ .

وبعد هذا كله أليس كل مايقوله المبشرون فى هذا المقام لغوا من القول؟ وذلك لأننى قلت أن هذا القرآن تحدى قوما إخصائيين بالبلاغة والفصاحة باتفاق، فعجزوا عن أن يأتوا بسورة مثله بالفعل واعترفوا بذلك بالفعل، وآمن به معظمهم ولم يشذ إلا من غلبت عليه عقيدته الفاسدة التى لها السلطان القوى على كثير من نفوس العقلاء إلى يومنا هذا، ومع ذلك فإنهم وإن لم يؤمنوا لم يستطيعوا أن ينكروا ما للقرآن من المزايا، ولم يجحدوا أنه بلغ الحد الأعلى فى البلاغة. وقد انتهى الكلام فى ذلك وأصبح هذا حكما نهائيا فما بال هؤلاء القوم يعبثون. فهل ظنوا أن هذه الهذيانات تنفر الناس من الإسلام وتحببهم فى المسيحية؟ كلا إن ذلك لم ينتج إلا عكس المطلوب فإنهم بعلمهم هذا حملوا المسلمين على بيان حقيقة كتابهم وإظهار عقائدهم للناس فى مظهرها الصحيح، فأصبح الناس يسخرون بهم ويضربون الأمثال بسخافاتهم وهم لايشعرون .

الشبهة الرابعة : الرد على ما ظنوه من تناقض القرآن

زعموا أن القرآن يناقض بعضه بعضا فى أمور، وذلك ينافى كونه من عند الله وقد عرفت أن المبشرين اعترفوا بأن فى التوراة متناقضات كثيرة لا يمكنهم تأويلها، ولكنهم قالوا أن التناقض لاينافى كون الكتاب المقدس من عند الله ولكنهم قد خلعوا برقع الحياء، وظهروا بوجههم الحقيقى الذى لا يتأثر بفضيحة ولا يخزى من عار فزعموا أن فى القرآن متناقضات رديئة، وزعموا أنه يبرر الشهوات التى ينهى عنها محمد إلخ ماقالوا. ولا بأس أن أنقل للقراء بعض عباراتهم كى يعذرونى إذا قابلتهم بالمثل قالوا إن فى القرآن اختلافا كثيرا بعضه قليل الأهمية وبعضه جوهرى فالأول كالاختلاف بين عددى ١٣ و ١٤ وبين عددى ٣٩ و ٤٠ من سورة الواقعة، وزعموا أن هذا شىء زهيد بجانب المسائل الخطيرة الأخرى كما ورد فى سورة النساء آية ٤٧ إن الله لا يغفر خطية الشرك ويغفر مادون ذلك والشرك هو اتخاذ آلهة مع الله أو دونه إلا أنه ورد فى سورة الأنعام أن إبراهيم اتخذ الشمس والقمر والنجوم آلهة دون الله وهذا شرك بين فى حين أن اخواننا المسلمين يعتبرونه نبيا عظيما من أولى العزم ويعتبرون أن جماعة الأنبياء معصومون إلخ .

ماشاء الله ألا فتعلموا أيها المبشرون من زملائكم كيف تهاجمون حصون القرآن المنيعة التى صرعت جبابرة العقول وهزمت جيوش أهل البيان جميعا. تعلموا كيف يكتبون وكيف يفكرون وكيف يقولون ما لو سمعه أطفال المكاتب لسخروا به، وإلا فبربك قل لى أى عاقل يعتقد تناقضا بين قول الله تعالى: **«إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء»**[1] . وبين قصة إبراهيم الواردة فى سورة الأنعام. لنفرض أن ابراهيم عبد الشمس والقمر والنجوم كما فهم هؤلاء المبشرون، ولكن القرآن قد أخبر عنه فى آخر الآية بأنه **«قال ياقوم إنى برىء مما تشركون**

(١) سورة النساء : الآية ٤٨ .

إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين»[1]. ومن القواعد الأولية للإسلام أن التوبة تمحو جميع الآثام قال تعالى: **«إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما»**[2] .

وقد ورد فى القرآن الكريم آيات كثيرة تحث على التوبة وتصرح بأن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين . ولقد كان سكان شبه جزيرة العرب كلهم مشركين فلما تابوا من الشرك وعملوا صالحا بدل الله سيئاتهم حسنات .

وليس ذلك خاصا بالقرآن الكريم بل التوبة تمحو الآثام كلها ولو كانت شركا فى كل الديانات، وإلا لما كان لإرسال الرسل فائدة، فإنهم جاءوا لهداية المشركين ودعوتهم إلى توحيد الله. فإذا علم المشركون أن إجابة الرسل لا تكفى فى تطهيرهم من خطاياهم فإنهم لا يتبعونهم حتما، ولم يقل أحد فى العالم أن التوبة لا تكفى فى محو الجريمة إلا جهلة المبشرين الذين قالوا إن التوبة تنفع العبد فى مستقبل حياته، أما الجناية التى ارتكبها فلابد من أن يعذبه الله عليها، ودليلهم على هذا قياس أعمال الله على أعمال الناس فكما أن التوبة لا تكفى فى رفع العقوبة فى الدنيا بل لابد من الجزاء، فكذلك الحال عند الله تعالى ثم رتبوا على هذه الطريقة أن الله (تعالى عما يقولون) اتحد بالمسيح وصلب ليخلص الناس من الكبائر التى لا تنفع فيها التوبة. ومن المضحك أنهم يقولون إن الذى يخلصه صلب الإله إنما هو الذى آمن بأن الإله صلب ليخلصهم من الخطايا، أما الذين لا يؤمنون بهذه النظرية فإنهم موثقون بجرائمهم لم يخلصهم منها شىء وعلى هذه النظرية يكون جميع الأنبياء الذين لم يروا المسيح ولم يؤمنوا بصلبه موثقين بجرائمهم التى ألصقوها بهم، فهم مساكين معذبون بذنوبهم عذابا أليما. أما القرآن الكريم فهو يقول أن التوبة الخالصة تكفر الجرائم عند الله تعالى يوم القيامة ولكن الذنوب الكبائر تنقسم إلى قسمين: قسم يتعلق بحقوق العباد ومعنى التوبة من هذا القسم أن يرد الإنسان الحقوق التى أغتصبها لأربابها إلا أن يسامحوه فيها. وقسم يتعلق بالله تعالى وهذا القسم تكفى فيه التوبة الخالصة. على أنهم قالوا إن التوبة لا ترفع القصاص فى الدنيا حتما . لأنها تتعلق بالقلب ولامعنى لادعاء التوبة عند العقاب، فقد يدعيها المذنب كذبا ، والناس لا اطلاع لهم على القلوب، فلا يصح بناء الأحكام الدنيوية عليها. أما الله تعالى العليم بقلوب عباده فإنه لا يصح قياسه على الناس فى هذه الحالة. ومع هذا كله فإن قاعدة الدين الإسلامى، أن الإسلام يجب ما قبله من الأعمال فإن المشرك الذى كان يرتكب ماهو محرم فى نظر الاسلام لا يؤخذ على جرائمه بعد دخول الإسلام ولو قيل له إنك ستعذب على عبادة الأوثان بعد الرجوع إلى الله. ما ترك آلهته وما دخل فى دين الإسلام مطلقا. فلنجار المبشرين فى فهمهم الباطل

---

(١) سورة الأنعام : الآية ٧٩ .

(٢) سورة الفرقان : الآية ٧٠ .

ولنفرض أن إبراهيم عليه السلام كان يعبد غير الله قبل أن يقوم له الدليل، ولكنه رجع إلى الله بالنظر والاستدلال وآمن به كما هو صريح قوله تعالى: «**إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين**» فإن الدين الإسلامى يعتبره من أكبر المؤمنين المقربين إلى ربهم. فكيف يتناقض هذا مع قوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به، ولاريب فى أن جهلة المبشرين يظنون أن التوبة لا تنفع إلا بصلب الإله، وإبراهيم لا يعتقد هذه العقيدة فالله لا يغفر له. وأغرب من هذا أنهم يعتقدون أن إبراهيم مكث سبعين سنة فى بيئة وثنية قبل النبوة وذلك يقتضى أنه كان يعبد الأوثان، ثم بعد النبوة قد ارتكب جريمة الكذب عمدا كما سيأتى قريبا فى مبحث أزواج النبى، وقد عرفت أن التوبة لا تنفع عند المبشرين، ومقتضى ذلك البديهى أن إبراهيم غير ناج عند الله تعالى لأنه مجرم باعترافهم والتوبة لا تنفع باعترافهم وهم مع هذا يعتبرونه نبيا عظيما، فمن منا متناقض هل هم المسلمون الذين يقولون أن التوبة تنفع أو المبشرون الذين يقولون أنها لا تنفع ألا فاحكموا يا أولى الألباب.

والواقع الذى لاشك فيه أن هذه الآيات ليس فيها ما يدل أقل دلالة على أن إبراهيم عبد الشمس أو القمر، بل هى على العكس من ذلك تفيد أن إبراهيم سخر من عبادة الأوثان وتبرأ من قومه الذين يعبدونها، ومعاذ الله أن يقول القرآن إن إبراهيم قد عبد الكواكب وهو الذى يقول: «**ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين**»[1]. وإنما القرآن قد أبان بذلك فضل ابراهيم ومقدار ما له من حذق ومهارة فى إقناع قومه وصرفهم عن عبادة الأوثان بوسيلة من وسائل علماء النفس وحكمائها الملهمين حقا فإنه وجدهم مستمسكين بعبادة الأصنام ومتشبثين بها، فأراد أن يزحزحهم عنها بالحيلة ويشككهم فى أمرها بطريق لين هين فقال لهم لنبحث لنا عن آلهة أرقى من هذه الآلهة، فلننظر إلى العالم العلوى أولا. فرضوا بذلك وإلى هذا المعنى يشير قول الله تعالى فى أول هذه الآيات: «**وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إنى أراك وقومك فى ضلال مبين، وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى، فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم إنى برىء مما تشركون إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين**»[2]. فقد صرحت الآية الأولى بأنه عاب على أبيه آزر وقومه عبادة الأصنام ووصفهم بكونهم فى ضلال مبين وأخبر فى الآية

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٦٧.

(٢) سورة الأنعام: الآيات ٧٤ ـ ٧٩.

الثانية أن إبراهيم قال لأبيه وقومه أنتم فى ضلال مبين بعبادة الأصنام بعدما ثبت لديه معرفة الله تعالى الذى أرشده إلى النظر فى ملك السموات والأرض وما اشتمل عليه من الترتيب العجيب والصنع البديع الدال على وجود صانع واجب الوجود. ولا ريب فى أن الذى ينظر فى ملكوت السموات والأرض ويتأمل فيما اشتمل عليه من الدلائل القاطعة على وجود الخالق العظيم يكون هو المؤمن حقا لأن إيمانه صادر عن دليل، فكيف يكون إبراهيم من المشركين بعد ذلك كله؟ فمعنى قوله تعالى: «وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض» . إننا كما أرشدنا إبراهيم إلى خطأ أبيه وقومه فى عبادة الأصنام ، أرشدناه إلى الأدلة الكونية ليستدل بها وليكون من الموقنين بما يستدل، أما ما ذكر فى الآية الثالثة وما بعدها فهو بيان لكيفية الطريق التى سلكها فى دعوة قومه إلى الله تعالى وهى مجاراتهم فى مزاعمهم الفاسدة ليزحزحهم عن عقيدتهم فى أصنامهم ويبطلها لهم بالمحس المشاهد. ألا ترى أنه قال لهم أن هذا الكوكب قد غاب وذلك علامة التغير والإله لا يتغير ولا يغيب، فهل كان إبراهيم يخفى عليه أن هذا الكوكب يغيب؟ وإذا كان قد استدل فى أول مرة بغياب الكوكب. أما كان ذلك كافيا فى بطلان ألوهية القمر والشمس مع كون غيابهما معروفا محسا بديها لا يجهله الأطفال؟ .

ولكنه أراد أن يسجل عليهم الجهل والسفه إلى أبعد مدى. فالحق أن إبراهيم صلوات الله عليه حفظه الله من عبادة الأوثان منذ تكليفه، وأن الأنبياء معصمون من الشرك والكبائر المخلة بمقام النبوة على أى حال .

فهذا أنموذج من المتناقضات الخطيرة التى ظفر بها المبشرون فى القرآن الكريم أما المتناقضات التى لا خطورة فيها فهى التى ذكرها المفسرون وأجابوا عنها أجوبة لم تعجب المبشرون ولكنهم متسامحون إذ يكفيهم المتناقضات الخطيرة، أليست هذه جرأة على الحقائق العلمية وجناية على النظريات العقلية تسجل على فاعلها الخزى؟ ألا يستحى المبشرون من أولى العقول الذين يطلعون على هذه النظريات التى تشمئز منها النفوس؟ وألا فمن المقرر عند جميع العقلاء أن النقيضين هما الأمران اللذين لا يمكن إجتماعهما فى الوجود فى آن واحد، ومكان واحد، وعلى حالة واحدة، كالسلب والإيجاب، فيقال لهذا الأمر أنه موجود وليس بموجود فى وقت واحد. أو يقال لهذا العدد إنه زوج وليس بزوج كما وقع فى توراتهم فإذا لم يتحقق هذا المعنى فلا يوجد التناقض. وهذه المعانى التى يقول المبشرون عنها إنها متناقضة هى فى الواقع أبلغ الأقوال كلها وأدقها كما قد عرفت فى قصة سيدنا إبراهيم. ومن الغريب أنها ليست مشتملة على ما عساه أن يوهم التناقض، بل هى صريحة فى الغرض المقصود منها صراحة تامة، ولكن هؤلاء الجهلة يقولون عنها إنها متناقضة تناقضا خطيرا. وإذا كانت هذه الحقائق الواضحة التى لاتخف على أحد من ذوى الإدراك متناقضة تناقضا خطيرا فى نظر المبشرين فما بالك بغير الخطير عندهم .

الواقع أن هؤلاء الجهلة بأساليب القرآن الكريم لايميزون بين خطير وغير خطير، ولا يدركون ما يتناقض من القول وما لا يتناقض، وإنما هم كالببغاء التى تحكى كلام الناس بدون تمييز كما ذكرت لك آنفا، وقد يكون فيما يسموه تناقضا غير خطير ما يستدعى السؤال والجواب. أما الخطير فإنه صريح جلى لا خفاء فيه مطلقا ولكن غير الخطير عندهم قد عرفوه من مباحث المفسرين الذين لايتركون شيئا من الاحتمالات العقلية إلا أوردوه وأجابوا عنه، فلم يجدوا وسيلة للطعن بعد الجواب إلا بأن هذا الجواب لا يعجبهم ومع ذلك فقد تقهقروا أمامه. هذه هى حالة نفسية المبشرين جميعهم فى مطاعنهم على القرآن الكريم، وهى تدل على جهل عميق. وبعد فلنذكر لك تفسير آيات الواقعة التى زعم المبشرون فيها تناقضا غير خطير وإليك نصها قال تعالى: **«ثلة من الأولين وقليل من الآخرين»**[1]. ثم قال بعد ذلك **«ثلة من الأولين وثلة من الآخرين»**[2]. وهذا يستدعى سؤالا وجوابا لأن معنى الثلة فى اللغة الجماعة الكثيرة ففى الأول قال ثلة من الأولين وقليل من الآخرين وفى الثانى قال ثلة من الأولين وثلة من الآخرين فما وجه ذلك؟ والجواب أن الأول مرتبط بقوله تعالى والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم ثلة من الأولين إلخ .

ومعنى ذلك أن السابقين إلى الخيرات هم السابقون إلى الجنات وقد بين الله سبحانه لنا السابقين بأنهم جماعة كثيرون من الأولين وجماعة قليلون من الآخرين والمراد بالجماعة الكثيرين من الأولين هم الأنبياء وكبار أصحاب الأنبياء السابقين الذين اجتمعوا بهم فعلا وصدقوهم ونصروهم، وهؤلاء كثيرون بالنسبة لكثرة الأنبياء من لدن آدم إلى نبينا صلى الله عليه وسلم، أما الجماعة القليلون من الآخرين فهم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وهم بالنسبة لهؤلاء قليلون.

أما الثانى فإنه مرتبط بقوله تعالى: **«وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين»**[3]. ومعناه أن أصحاب اليمين الذين يدخلون الجنة كثيرون من الأمم السابقة وكثيرون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فهناك يتكلم عن الأصحاب الذين شاهدوا الأنبياء، وهنا يتكلم عن الأمم من حيث هى وقد أفادنا بأن الأمم السابقة مع كثرتها فإن أمة محمد تعادلها فى الكثرة بالنسبة للجنة، وهذا البيان قد ذكره المفسرون فى صورة سؤال وجواب ليسهلوا للناس فهم المعانى التى يريدونها، ولكن المبشرين ظنوا أن الفرصة سانحة فقالوا أن فى ذلك تناقضا، وما أجاب به المفسرون لا يرفع الإشكال مع كونهم لم يفهموا شيئا مما قاله المفسرون ولم يدركوا أى معنى من المعانى التى أشرنا إليها فحسبهم أن يفضح الله حالهم إلى هذا الحد .

---

(١) سورة الواقعة : الآيتان ١٣ و١٤ .

(٢) سورة الواقعة : الآيتان ٣٩ و٤٠ .

(٣) سورة الواقعة : الاية ٢٧ .

- **الرد على ما زعموه من أن الجهاد فى الإسلام يتناقض مع النهى عن النفاق** . ومن خيالاتهم المضحكة ما يزعمون من أن الجهاد فى الإسلام يتناقض مع النهى عن النفاق وإنى سأشرح للقراء هاهنا حقيقة مسألة الجهاد فى الإسلام شرحا وافيا ، زعموا أن القرآن فرض الجهاد فى الإسلام وحرم النفاق فى غير موضع منه ومع ذلك فقد حث على اكراه الناس على الدخول فى الإيمان وهذا تناقض، وقد حملهم التعصب وسوء الأدب إلى أن يقولوا أن ذلك من أردأ أنواع الاختلاف، يحرم الشىء لقبحه فإذا كان فيه مغنما حلله .

إن المبشرين دائما ينادون بأن جهاد الكفار والمشركين رذيلة من الرذائل وأنها تنافى النبوة ويقولون إن النبوة بل الألوهية تقتضى احتمال اهانات الناس وشرهم بدون مقاومة ما . هكذا يقولون، ويقولون إن القرآن يتناقض مع نفسه فى هذا الموضوع فإنه بينما يحرم النفاق، يحث على إكراه الناس، على الإيمان، ولامعنى لهذا إلا أنهم ينافقون، ومع ذلك فهو يقول لا إكراه فى الدين إلخ. ونحن قبل أن نشرح للناس أسرار القرآن الحكيمة وأغراض الشريعة السمحة التى لابد منها فى نظام المجتمع الإنسانى وبناء دعائم العمران نتكلم مع هؤلاء المبشرين فى هذه النظرية ونسألهم هل هم يعيبون بهذا الكلام القرآن فحسب أو يعيبون التوراة والإنجيل أيضا وبذلك يكونون من كبار الملاحدة الذين لا يدينون بدين . فأما الإنجيل فقد نقلت لك فى الكلام على نبوءة الزبور قريبا أن المسيح قال :

(لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض. ما جئت لألقى سلاما بل سيفا. فإنى جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه . والابنة ضد أمها. والكنة ضد حماتها) إلى أن قال فى الحث على القتال (ومن أضاع حياته من أجلى يجدها) [1] .

فهذا نص صريح يبين لك الروح التى قررها الإنجيل . ويظهر أن الأمم المسيحية لم يصغوا إلى هذيانات المبشرين وتمسكوا بهذا النص فى كل أحوالهم .

وأما التوراة فهى من أولها إلى آخرها جهاد فى جهاد ونضال فى نضال وإذا شئت أن تعرف شيئا من ذلك فاقرأ ما يأتى: (حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح. فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك. وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها. وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك. هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا. وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما بل تحرمها تحريما. الحثيين والأموريين والكنعانيين والفيرزيين. والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك) [2] .

---

(١) إنجيل متى : الإصحاح العاشر ، الآية ٣٥ وما بعدها .

(٢) سفر التثنية : الإصحاح العشرين الآية ١٠ وما بعدها .

فهل الذى يزعم أن هذا الكلام وحى من عند الله وأنه يدين به، يليق به أن يعتبر الجهاد فى سبيل الله وقتال الكافرين سبه وعار ؟ أليس معنى ذلك البديهى الذى لا يرتاب فيه عاقل أن الذى يفعل ذلك يكون كافرا بكتابه الذى يدين به لأنه يذمه صريحا ؟ فهل ياترى يظن المبشرون أن علماء المسلمين غافلون عن كتبهم التى يدينون بها لا يعرفون مافيها حتى أنهم يبيحون لأنفسهم الخوض فى الباطل إلى هذا الحد المزرى أو هم يريدون التضليل وطرح الشباك ليصطادوا بها العامة وضعاف العقول؟ . تالله إنهم مخطئون فى الحالين لأن الحق لا يخفى. وإن عملهم هذا يظهرهم فى أسوأ الحالتين من الجهل أو التضليل فيحتقرهم الخاصة ويزداد العامة احتراسا منهم وتقديرا لما هم عليه من الباطل فى كل شأن من الشئون .

ومن الغريب أن قتال المخالف الذى ورد فى التوراة قد بلغ نهايته فى الشدة فأنت تراه قد قسم المخالفين إلى فريقين، فريق يعرض عليهم الصلح فإن أجابوا يكونوا عبيدا له وإن أبوا يستأصل ذكورهم ويسبى نساءهم وذرياتهم ويغنم أموالهم. والفريق الثانى وهم الحثيون والأموريون والكنعانيون والفرزيون والحويون واليبوسيون فإنه يبيدهم إبادة ولا يقبل منهم صرفا ولا عدلا. أما الإسلام فإنه لا يقاتل إلا دفاعا عن الدعوة إلى الله ولا يطلب إلا إزالة الأوثان فمن أجابه إلى ذلك كان له ما له وعليه ما عليه وقد كان صلى الله عليه وسلم من أحرص الناس على إيمانهم وأشفقهم بهم حتى أن ربه أوحى إليه أن يبيد كفار مكة الذين اضطهدوه إن شاء فقال لا إنى أرجو أن يخرج من أصلابهم من يوحد الله تعالى .

وقد عرفت مما قدمته لك فيما سبق أن السلم فى نظر الإسلام هو الأصل الذى يجب اتباعه دائما ما لم يهدد الدين والعرض والمال وقد شرحت لك أسرار الشريعة الإسلامية فى القتال هناك بما لايجعل مجالا لمعترض، وأزيدك هنا أن الله تعالى شرع قتال المشركين فى كل الأمم وفى كل الشرائع لأن النوع الإنسانى الذى ميزه الله تعالى بالعقل وفضله على غيره من سائر المخلوقات لايليق به أن يعبد غير الله تعالى واجب الوجود الذى ليس كمثله شىء فإذا عبد الإنسان حجرا أقل منه أو حيوانا لا يعقل أو بشرا مثله فى أصل الخلق والتكوين فقد خرج عن معنى الإنسانية وأصبح كالأنعام أو أضل سبيلا فلا حرمة له عند الله تعالى مطلقا ، فلهذا كان جزاء المشركين دائما إبادتهم من المجتمع الإنسانى ، لأن من يجحد خالقه الذى أنعم عليه بنعمة الوجود وسخر له كل العوالم لينتفع بها فى حياتها ثم يعبد صنما أو بشرا ، لا يستحق الوجود فى هذه الحياة فهو كالجراثيم والحشرات الضارة التى يجب القضاء عليها. وهذا المعنى كان مقررا فى الأمم الماضية بأجمعها وهاهى ذى التوراة التى بين أيديهم فإنها مملوءة بذلك حتى أن بنى إسرائيل أنفسهم قد ابتلاهم الله بمن كاد يفنيهم على بكرة أبيهم بسبب عبادة الأوثان وسلط عليهم الأشوريين ثم سلط عليهم

بختنصر ثم انتبكس ، وقد قال المبشرون أنفسهم أنهم لما رفضوا الإيمان بالمسيح سلط الله عليهم الرومان فمزقوهم كل ممزق .

وقد قصت التوراة بعض ما أصاب الأمم الماضية من جراء الشرك. فالله تعالى كان يبيد المشركين فى الأمم السابقة بوسائل شتى فتارة يبيدهم بالخسف وتارة يبيدهم بالمسخ، وتارة يرسل عليهم صواعق وتارة يبيدهم بأيدى المؤمنين الذين يتبعون الرسل وتارة يبيدهم بأن يسلط بعضهم على بعض .

وإلى ذلك أشارت الآية الكريمة وهى قوله تعالى: «قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض»[1].

وإليك نص ماذكره المبشرون على صحة الديانة المسيحية: (فمثلا عندما أمر الله بإبادة الكنعانيين أخبر بنى إسرائيل صراحة بأنهم مأمورون من قبله، وعليهم تنفيذ أوامره وأنهم إذا اساءوا السلوك مثلهم سيبيدهم الله كما صرح بذلك فى سفر الأويين إصحاح ١٨ : ٢٨ وسفر التثنية إصحاح ٩ : ٥ ولم تكن هذه الطريقة المتبعة التى جرى عليها بنو إسرائيل فى كل حروبهم وغزواتهم (مع أنها كانت شائعة بين الأمم الأخرى)، ولكن الله أراد إيقاع العقاب الصارم بالكنعانيين بصفة استثنائية لكثرة شرهم الذى صعد أمامه. وقد كانوا فى الحقيقة شعبا نجسا، وسنة الله فى خلقه تقضى باستئصال شأفة كل ما لا يصلح للبقاء [2].

هؤلاء المبشرون الذين يستدلون على صحة دينهم وكتابهم يقررون الحقائق التى تثبت صدق نظرية القرآن مع المشركين فإنه قال: «إنما المشركون نجس»[3]. لأنهم خرجوا بما يفعلون عن معنى الإنسانية الصحيحة وأصبحوا كالحيوانات القذرة فينبغى حينئذ استئصالهم قياسا على الكنعانيين وغيرهم من الفرق التى أمر الله بابادتها. ولكن الله رحمهم رحمة عظيمة، فطلب منهم أن يتركوا عبادة الأوثان وينطقوا بالشهادتين ويكفوا عن الشرور والمفاسد وبذلك يعصمون دماءهم وأموالهم. ولكن المبشرين يتعامون عن كل هذا كأنه لم يوجد فى كتبهم، ويقولون أن دين الإسلام قد شق له طريقا بين الأديان بقوة السيف وأن محمدا رسول الله نبى السيف. وهذا يدل على أن ذلك الدين ليس من عند الله لأن الله تعالى لا يأمر بهذه القسوة، فضلا عن ذلك فهو يحث الناس على النفاق مع كونه ينهاهم عنه. وهكذا يقولون وهم بذلك يقولون لربهم إنك ترغم الناس على ترك عبادة الأوثان وعلى ذلك تعلمهم النفاق الذى تنهى عنه، فاللازم عليك أن تتركهم أحرارا إن شاءوا عبدوك وإن شاءوا عبدوا أوثانهم ، فضلا عن ذلك فأنت تأمر باستعمال القسوة مع الناس وهذا لا يليق. أليس كذلك؟ وإذا كان المبشرون يخرجون على الله إلى هذا الحد ويجحدون كتبه ورسله فليعلنوا بين

(١) سورة الأنعام : الآية ٦٥ .

(٢) كتاب البراهين العقلية ص ٢٢ .

(٣) سورة التوبة : آية ٢٨ .

الملأ الحادهم وليحاربوا الكتب الإلهية جميعا وأولها التوراة والإنجيل لأن الإنجيل يصرح بأن الرسول جاء ليحارب لا ليسالم المخالفين. والتوراة مملوءة بالحث على إبادة المشركين واستئصالهم.

هذا هو الواقع الذى لا ريب فيه فالمبشرون يحاربون برعونتهم دينهم حربا عوانا ، ويهدمونه هدما شديدا فى سبيل النيل من كتاب الله المبين والكيد لسيد الأولين والآخرين، على أن بعض الكتاب المسيحيين العقلاء قد أدركوا خطورة هذه الحالة فلهذا تجدهم يدافعون عن القضايا التى تقتضيها النظم الإلهية ويقرها القرآن الكريم ومن هذه القضايا محاربة الوثنية والقضاء على المفاسد بأى وسيلة من الوسائل .

وهذا هو صاحب كتاب البراهين يدافع عن حكم التوراة لقطع دابر الكنعانيين بما نقلناه لك آنفا ولكن الدين الإسلامى قد رفع عن الأمم عذاب الاستئصال فقد أجاب الله دعاء نبيه الذى أرسل رحمة للعالمين وقال له: «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم».

فلم يكن محمد نبى السيف كما يزعم هؤلاء الجهلة الذين لا يكادون يفقهون حديثا بل هو نبى الرأفة والرحمة بالناس جميعا فلولاه لأهلك الله أمما كثيرة يشركون مع الله الخالق غيره من إنسان وحيوان وجماد . وإلا فليقولوا لنا هل حكم الجهاد فى الشريعة الإسلامية كذلك كالذى نقلناه عن التوراة التى يؤمنون بها ويقدسونها. إنهم لو علموا حقيقة القتال فى الإسلام وقارنوه بما جاءت به توراتهم لنكسوا رؤوسهم خجلا ولعلموا أن ماذكروه من أن محمدا قد عامل المنافقين كأبى رافع وأبى بن كعب معاملة قاسية هراء من القول .

فالقتال فى الإسلام لا غرض منه إلا حفظ الدعوة إلى الله من اضطهاد المشركين كما ذكرت لك غير مرة وقد كانوا فى أول أمرهم يعتدون على المسلمين اعتداء شديدا ويضطهدونهم اضطهادا مرا فأذن الله لهم فى أن يقابلوهم بالمثل، ويستعملوا معهم الوسائل التى تصدهم عنهم، كما قال تعالى: «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا»[1] . وقال تعالى: «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم»[2] . فلما كثر المسلمون وأشرق نور القرآن اشتد تألب المشركين على النبى صلى الله عليه وسلم حتى أنهم منعوه من حج البيت الذى كان مباحا لكل الأمم يومئذ خوفا من أن يؤمن الناس جميعا بالقرآن لما اشتمل عليه من المعانى الرائعة التى يقدرونها حق قدرها فكانت تهز نفوسهم هزا وكان سلطان العقيدة الفاسدة يطغى على الحقائق مؤقتا فأمر الله نبيه أن يقضى على الشرك والمشركين ووعده بأن ينصره، وقد حقق الله له ما وعده فانتصر عليهم ودخلوا فى دين الله افواجا.

(١) سورة الحج : الآية ٣٩ .
(٢) سورة البقرة : الآية ١٩٤ .

هذا ما فعله النبى صلى الله عليه وسلم فى شبه جزيرة العرب مع المشركين .

ومن هذا يتضح لك أن الشريعة الإسلامية لا تسد باب الرجوع إلى الله تعالى فى وجه أحد من المشركين، ولا تجعل أحدا محكوما عليه بالطرد من رحمة الله على التأبيد ، فالمشركون الذين كانوا يعيثون فى الأرض فسادا لم ييأس النبى صلى الله عليه وسلم من إيمانهم، ولم يعاملهم كما عامل موسى الفرق التى ذكرتها التوراة بحيث لم يقبل منهم صرفا ولا عدلا بل حكم بإبادتهم .

ولا ريب فى أن ذلك رحمة من الله تعالى، رحم بها عباده الذين أرسل إليهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد كانت لتلك الرحمة أثرها العظيم فإن هؤلاء المشركين الذين تألبوا عليه وكانوا من أشد أعدائه تبدلت حالهم فأصبحوا من أشد الناس إخلاصا لله ولرسوله وقد أثرت فيهم تعاليم القرآن العالية أحسن الأثر فانقلبوا من جهل إلى علم وحكمة، ومن فوضى إلى نظام، ومن فساد إلى صلاح فقطعوا شوطا بعيدا فى المدنية الصحيحة وتعلموا العلم النافع حتى صاروا من أساطين العلم والفضل فى مدة وجيزة لا يكفى أضعافها لانقلاب شعب جاهل إلى شعب يعرف ما له وماعليه، فضلا عن أن يكون مصدرا للفضائل الإنسانية، وإماما لكل شعوب العالم فى الأخلاق والتشريع وغير ذلك، وناهيك بما كسبه هؤلاء القوم من الفضائل الخلقية التى كانت رائدهم بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم. فإنها كانت السبب الأول بل الوحيد فى انتصارهم على أكبر الأمم يومئذ وهم الفرس والرومان كما ذكرنا آنفا، ولولا أن الإسلام مؤيد بنصر الله تعالى لما كان لهؤلاء العرب الذين بلغوا نهاية الفوضى قبل الإسلام السلطان الأعظم على كل الأمم التى فى عهدهم فلولا أن الله تعالى قد رحم هؤلاء القوم بدعوة النبى صلى الله عليه وسلم ولم يعاملهم كما عامل موسى الفرق المذكورة فى التوراة لأبادهم عن آخرهم بما أشركوا بالله ووقفوا فى سبيل دعوة الله تعالى. فهل كان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم نبى الرحمة أو هو نبى السيف كما يزعم السفهاء المبطلون.

وكما أن الإسلام قد فتح للناس باب الرجوع إلى الله على مصراعيه فإنه سهل لهم أمر ذلك الرجوع. فاكتفى من المشركين بأن يشهدوا بأن الله إله واحد وأن يدخلوا فى زمرة المسلمين بحيث يكون لهم مالهم وعليهم وما عليهم، وإن شئت فقل إنه كلفهم بأن يفعلوا ماهو داخل تحت اختيارهم وفى إمكانهم أن يفعلوه لأن الدين الإسلامى لا يكلف الناس إلا بما يستطيعون كما قال تعالى: **«لايكلف الله نفسا إلا وسعها»** ومن هنا قال الله تعالى: **«لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى»**[1] . ومعنى ذلك أن الدين الإسلامى لا يرغم الناس على التصديق بقلوبهم بدون دليل لأن ذلك فى الواقع ونفس الأمر مستحيل إذ السيف لا تأثير له على القلب وإنما

(١) سورة البقرة : الآية ٢٥٦ .

الذى يؤثر على القلوب هو الدليل الذى أشار الله إليه بقوله: **«قد تبين الرشد من الغى»** فلم يشرع السيف إلا لحماية الدعوة إلى الله ومن ضرورة ذلك اخضاع الخصوم للنظم الإلهية التى يأتى بها الرسل ولذلك اكتفى بالجزية من أهل الكتاب .

وقال بعض الأئمة الجزية كافية حتى من المشركين لأن ذلك يكون كهدنة يمكن للناس أن ينظروا فيما جاءهم به الرسول فى جو هادىء غير مضطرب فيظهر لهم الحق عن دليل صادق، فيؤمنون بقلوبهم كما استسلموا بأبدانهم. وهذا هو السر فى أن الإسلام سهل على الناس الدخول فيه فاكتفى منهم بالنطق بالشهادتين وترك أمر قلوبهم إلى الله تعالى، لأن الإسلام فى الواقع يشتمل على البراهين التى تذعن لها القلوب لا محالة فمن انضم إلى المسلمين فى الظاهر لا مناص له من الإذعان القلبى ولو بعد حين، وذلك هو الذى وقع فعلا فإن معظم الذين انضموا إلى الإسلام لغرض من الأغراض أخلصوا له فى نهاية أمرهم اخلاصا شديدا . على أنك قد عرفت أن دين الإسلام دين الرحمة ومن مقتضى الرحمة أن يكتفى الله تعالى من عباده بالخضوع الظاهرى فى هذه الحياة الدنيا ، ولا يؤاخذهم بما كسبت قلوبهم كما كان الحال فى الأمم السالفة كى تكون لهم الفرصة فى النظر والاستدلال فإذا لم يهتدوا هم اهتدى أبناؤهم من بعدهم ، ذلك هو سر الإسلام الذى لا يفقهه جهلة المبشرين .

وليس معنى ذلك أن الإسلام راض عن المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون كلا بل معناه أنه يقبل من يدخل فيه مؤقتا رجاء أن ينظر نظرا صادقا فيخلص لله تعالى وذلك لأن الناس بالنسبة للإسلام أربعة أصناف :

الصنف الأول : المشركون وأهل الكتاب الذين يعلنون العداء ويحاربون الدعوة إلى الله ولا يخضعون للنظم التى تستلزمها حماية الدعوة إلى الله. وحكم هؤلاء مقاتلتهم حتى يرجعوا إلى الله أو يدفعوا الجزية أو يهادنهم المسلمون، والغرض من ذلك أن تكون كلمة الله هى العليا فلا يصد من دعا إليها صاد ، أما أهل الكتاب فلا خلاف فى حكمهم هذا ، وأما المشركون فبعضهم يقول إن الجزية تكفى فى خضوعهم وبعضهم يقول لا ، لأن الوثنية يجب أن تنمحى من العالم بأية وسيلة من الوسائل .

الصنف الثانى : المؤمنون الذين نظروا فى الأدلة التى جاء بها الإسلام نظرا صادقا فآمنوا إيمانًا صحيحًا وأذعنوا إذعانا كاملا وهؤلاء المؤمنون حقا .

الصنف الثالث : المنافقون الذين دخلوا الإسلام لغرض من الأغراض كخوف أو طمع، وهؤلاء وإن كان الإسلام يقبلهم فى ظاهر الأمر رجاء أن ينظروا فى الأدلة فيهتدوا إلى الحق، ولكنه يذمهم أسوأ الذم ويحتقرهم أشد الاحتقار ويجعلهم فى الدرك الأسفل من النار.

الصنف الرابع : أهل الكتاب الذين يدفعون الجزية وهؤلاء وإن كان الإسلام يعتبرهم من المخالفين إلا أنهم ممدوحون عنده أكثر من المنافقين، بل المنافقون فى نظره أسوأ حالا من المشركين الذين يعلنون محاربته وقد ذم الله تعالى المنافقين فى كثير من آيات القرآن الكريم وقال إنهم فى الدرك الأسفل من النار . وقال: **«يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم»**[1]. وقال لنبيه: **«يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين»**[2]. ومعنى هذه الآية الأخيرة أن الله تعالى يقول للنبى وأصحابه إنكم وإن رضيتم بإيمان المنافقين الظاهرى بناء على قاعدة قبول كل من ينتمى إليكم رجاء أن يهتدى فإن الله لا يرضى عنهم فى الواقع إلا إذا آمنوا بقلوبهم وهو وإن كان قد رفع عنهم العذاب الدنيوى إلا أنه سيعذبهم على نفاقهم وعدم إخلاصهم فى الآخرة عذابا أليما .

ومجمل القول فى هذا المقام أن للنبى صلى الله عليه وسلم مع خصومه حالتين:

الحالة الأولى : الحيلولة بينهم وبين مقاومة الدعوة إلى الله وحماية تلك الدعوة بكل الوسائل المشروعة التى تقتضيها النظم الظاهرية المناسبة لحال هؤلاء الخصوم بصرف النظر عن قلوبهم، فخير الله هؤلاء الخصوم بين أمرين الجزية أو النطق بالشهادتين، فمن فعل ذلك كان فى هذه الحياة الدنيا كالمسلمين له مالهم وعليه ما عليهم وإنما شرع الله ذلك لما فيه من بث الطمأنينة فى نفوس حماة الدعوة من جهة ولتكون عهدا بينهم وبين خصومهم من جهة أخرى بحيث لا يجوز لهم أن يعتدوا عليهم بعد ذلك .

فالواقع أن الاكتفاء بالجزية أو النطق بالشهادتين فيه رحمة عظيمة للمخالفين، فهو من مصلحتهم بلا نزاع ومن يقارن بين ذلك وبين ما كان فى شريعة موسى التى يؤمن بها المبشرون، فإنه يجد فرقا كبيرا وبونا شاسعا بل يجد هناك عذابا أليما ويجد هنا رحمة ونعيما .

فلم يشرع القتال فى الإسلام إلا لهذا الغرض وهو حماية الدعوة من اعتداء المعتدين وجعل كلمة الله هى العليا ومن اطلع على سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وفهمها على الوجه الصحيح فإنه لا يرى فيها إلا دفاعا عن دعوة الله تعالى. ولو أن المشركين تركوا النبى صلى الله عليه وسلم وشأنه لما وقع قتال فى عهده مطلقا فإن الناس كانوا يومئذ يتأثرون بالقرآن الكريم إلى أبعد مدى حتى أن أهل المدينة من المشركين أسلموا على بكرة أبيهم لما سمعوا آيات القرآن تتلى عليهم، ولكن المشركين قد اضطهدوا المسلمين فى مكة اضطهادا مرا وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم وعملوا معهم ما يستوجب استئصالهم من الوجود فضلا عن قتالهم، فاضطر النبى صلى الله عليه

(1) سورة البقرة : الآية ٩ . (٢) سورة التوبة : الآية ٩٦ .

وسلم أن يدافع عن نفسه بعد أن أذن الله له فى ذلك، على أن الشرك رذيلة من الرذائل يجب استئصالها من العالم فى ذاته كما عرفت آنفا .

الحالة الثانية : هى الدعوة إلى الايمان بالله واليوم الآخر والإذعان الصحيح الخالص بوجود إله واجب الوجود واحد منزه عن التركيب من أقانيم ومنزه عن الاتحاد بالأجسام البشرية ومنزه عن مماثلة خلقه وعن كل مالا يليق به وهو سبحانه قد أرسل لعباده رسلا مبشرين ومنذرين يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر، ولايسألونهم على ذلك أجرا ، وهو صلى الله عليه وسلم قد جاءهم بكل الفضائل التى جاء بها الرسل من قبله، وزاد عليها ما يلائم حالهم ويناسب حال من بعدهم من الأمم فشريعة مبنية على جلب المصالح ودرء المفاسد وتأييد الفضيلة والقضاء على الرذيلة بكل ما أمكن .

وهذه الحالة الثانية لا يكرههم عليها كما قال تعالى: **«لا إكراه فى الدين»** وذلك لأن البداهة تقضى بأن أعمال القلوب خافية على الناس والله سبحانه هو العليم بها وحده فلا يعقل أن تتأثر بالسيف ويطلع الناس على ذلك الأثر. وقد كان من رحمة الله بأمة محمد صلى الله عليه وسلم أنه لا يؤاخذهم بأعمال قلوبهم فى هذه الحياة الدنيا بل يعذبهم عليها فى الآخرة فالدين الإسلامى قد اكتفى فى الظاهر بالجزية أو النطق بالشهادتين، وقال للناس إننى قد رفعت عنكم العذاب الدنيوى رحمة بكم واجابة لدعوة محمد، وأما فى الآخرة فلا ينفع فيها إلا الإخلاص والإذعان الصحيح والعمل بما جاء به ذلك الرسول الصادق الأمين .

هذا هو حكم الإسلام فى هذا المقام فهل يخجل المبشرون بعد هذا البيان ، ويكفوا عن التمشدق بأن الإسلام انتشر بالاكراه بخلاف غيره من الأديان الأخرى ؟ وهل يعقلون بعد ذلك أن الإسلام رحمة للناس بالقياس إلى ماكان عليه موسى وداود وغيرهم من الأنبياء الذين يقولون عنهم إنهم أبناء الله وأحباؤه ؟ وهل يخزون من قولهم إن القرآن ليس من عند الله لأنه مشتمل على الأمر بالقتال لاكراه الناس على الإيمان فى حين أنه ينهى عن النفاق بعدما بيناه لك من أن التوراة مملوءة بالحث على إبادة المشركين وإكراههم على الإيمان ؟ وهل مافى التوراة من ذلك لا يتعارض مع النهى عن النفاق أو التوراة لا تنهى عن النفاق ؟ أنا لا أظن أن هؤلاء القوم يكفون عن نزعاتهم مهما لاقوا فى سبيلها من سخرية وهوان حرصا على حطام الدنيا ومتاعها، ولكن الله سيجزيهم أسوأ الجزاء بما كانوا يصنعون .

الرد على مزاعم المبشرين فى مسألة القضاء والقدر . ومن مزاعم المبشرين المضحكة التى تشهد بجرأتهم على الخوض فيما لا يعلمون ما يذكرونه من أن القرآن الكريم يناقض بعضه بعضا فى مسألة القضاء والقدر، فيقولون إنه بينما يقرر أن الناس لا عمل لهم وأنهم مسوقون إلى أعمالهم بقوة قاهرة، يقرر أن للعاملين نعيما كبيرا وللعصاة نارا حامية، ويقول المبشرون إنه من أهم تعاليم

القرآن أن القدر هو سبب سعادة أو شقاء الإنسان فى الآخرة. قال تعالى: **«وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا»**[1] . وقال تعالى: **«فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء»**[2]. وقال تعالى: **«ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس»**[3] . وقال تعالى: **«لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين»**[4] . وأن ذلك كان غرض الله تعالى من الخلق، مع أنه فى أماكن أخرى نجد أن الناس سيجزون حسنا فى العالم الآتى إذا كانوا مسلمين ويعاقبون إذا لم يكونوا كذلك، فإذا كان كل عمل قدر على الإنسان من قبل، والإنسان ليس له حرية إرادة، فينتج أن الإنسان ليس له استحقاق ولا يكون صالحا أو طالحا ولا تكون للأوامر الإلهية فائدة. ثم يكملوا بحثهم بأن القرآن يقول إن الله ختم على قلوب الكافرين فإيمانهم مستحيل ومع ذلك فقد كلفهم بالإيمان . هذا ملخص أقوال المبشرين فى مسألة القضاء والقدر.

أما أنا فأقول إننى لو كنت لا أعجب من شيء فى هذه الحياة الدنيا لعجبت من جرأة المبشرين المسيحيين على الحقائق العلمية مع جهلهم بها جهلا مطبقا، إن هؤلاء القوم الذين يزعمون أن القرآن يناقض بعضه بعضا فى مسألة القدر، وإذا سألتهم ماهو القدر عند المسلمين وما معناه الذى يريدونه، فإنك لا تسمع منهم إلا مايدل على جهل عميق بدليل الآيات التى يوردونها دليلا على مايزعمون ومن أجل ذلك فإننى أذكر للقراء هنا مجمل ما يقوله المسلمون فى أفعال العباد فأقول :

إن المسلمين مجمعون على أن للإنسان عملا يوجب ثوابا إن كان حسنا وعقابا إن كان قبيحا، ولم يقل أحد منهم إن الإنسان مجبور على عمله ولو كان مجبورا ماكلفه الله تعالى، غاية ما هنالك أنهم اختلفوا فى تسمية ذلك العمل وتصويره، ففريق منهم قال إن قدرة العبد التى خلقها الله تعالى فيه توجد الفعل الممكن بالنسبة لها وتعدمه، فالذى يصلى مثلا هو الذى يوجد حركات الصلاة وسكناتها من قيام وركوع وسجود وغير ذلك، ولما كان الله تعالى هو الذى خلق القدرة وخلق صاحبها كان من الحسن أن ينسب العمل إلى الله تعالى، فيقال إنه خالق كل شيء وكل شيء من عنده لأنه هو المصدر الأول الذى أوجد الإنسان وقدرته فما ورد فى القرآن الكريم من ذلك محمول على هذا المعنى، وفريق يقول إن الإنسان لم يوجد أفعاله الممكنة بل الموجد هو الله تعالى، وما ورد من قوله تعالى خالق كل شيء فإنه محمول على حقيقته، وإنما العبد له كسب الفعل، فالذى يصلى مثلا يقصد أداء الصلاة والله تعالى يخلق له حركات الصلاة وسكناتها، فالقصد مكسوب للعبد والأعمال مخلوقة لله وهذا القصد كاف فى الموضوع لأن الفعل لايوجده الله إلا بعد القصد فهو

---

(١) سورة الأسراء : الآية ١٣ ، ١٤ .

(٢) سورة ابراهيم : الآية ٤ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ١٧٩ .

(٤) سورة هود: الآية ١١٩ .

مترتب عليه، ولا يقال للقصد إنه مخلوق بل يقال له إنه مكسوب. هذا ما يقوله أئمة علماء المسلمين الذين تكلموا فى هذا الموضوع ولبعضهم آراء أخرى لا تخرج عن هذا لايسعها المقام .

وإذا كان كذلك فمن من المسلمين قال إن العبد مجبور وإنه لا عمل له؟ إنه لا أحد من أئمة المسلمين وعلمائهم قال ذلك، وهاهى ذى كتب العقائد الدينية كلها مجمعة على ذلك، وكلها ترد على أهل الجبر وتعتبرهم خارجين على الإسلام .

لعل القارئ يقول إذا كان كذلك فما هو معنى هذه الآيات التى أوردها المبشرون للإستدلال على أن الأشياء كلها مقدرة أزلا وأن العبد لا عمل له؟ والجواب عن ذلك أن الآيات التى ذكرها المبشرون لاشبهة فيها مطلقا بل هم جهلة بمعناها جهلا تاما. فأما آية الإسراء التى ذكروها فمعناها أن الله تعالى يقول إن كل إنسان سيلزمه عمله الذى وقع منه باختياره يوم القيامة لزوما كاملا كما تلزم القلادة العنق وأن هذا العمل مسجل عليه فى كتاب لا يضيع منه شىء.

فالمراد بالطائر العمل وقد عبر سبحانه عن العمل بالطائر لأن الأعمال فى هذه الحياة الدنيا لا استقرار لها فى نظر فاعلها فهى كالطائر الذى يطير بنفسه أو يحمله الهواء وقد يظن الإنسان أن أعماله قد ذهبت أدراج الرياح فلا أثر لها، فأراد سبحانه أن يفهمه أن الأعمال جميعها محفوظة ومسجلة عليه فلم تذهب سدى. هذا هو معنى الآية الكريمة. فأى شىء فيها يدل على أن العبد مجبور وأنه لا عمل له؟ إنه لا شىء مطلقا بل هى على العكس من ذلك تفيد أن الإنسان له عمل وقع منه باختياره وأنه مسجل عليه. ولكن المبشرين معذورون لأن الذى لا يدرك بديهات الأمور لا يستطيع أن يفهم ذلك المعنى الجليل إنما المدهش وقوفهم مع كتاب الله الذى ربى عظماء الرجال المفكرين فى العالم الإسلامى هذا الموقف الجرىء ولا يبالون بفضيحة الجهل وعار سوء الإدراك .

أما قوله تعالى: **«فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء»** ونحوها مما ورد فى القرآن الكريم فإنه لا علاقة له بأعمال العباد مطلقا بل معناه الإخبار بأن الله تعالى هو القادر على إضلال الناس وهدايتهم بإرسال الرسل الذين يبينون لهم طرق الهداية وطرق الضلال أو يتركهم ضالين يتخبطون فى أمورهم. فهو سبحانه مالك الأمر كله إن شاء أرشد الناس إلى سبل الهداية وإن شاء تركهم. ولكنه سبحانه رءوف رحيم فأرسل للناس الرسل وبين لهم وسائل الخير ووسائل الشر رحمة منه وفضلا، فمن عمل بعد ذلك صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد. فهو سبحانه يقرر بمثل هذه الآيات أنه وحده القادر على كل شىء ثم يمن على عباده بأنه تفضل عليهم، وبين لهم وسائل الخير والشر، وأرسل لهم الرسل، وخلق لهم قدرة وإرادة وسمعا وبصرا وهيأ لهم وسائل العمل وتركهم واختيارهم ليبلوهم أيهم أحسن عملا . فمن شاء بعد ذلك فليؤمن ومن شاء فليكفر .

ونظير ذلك قوله تعالى: «ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة»[1] . فهو سبحانه قادر على أن يجعل الناس كلهم أمة واحدة ولكنه لم يفعل وتفسير الآية بهذا الوجه هو إيضاح لرأى القائلين أن العبد يخلق أفعال نفسه وأما غيرهم فإنهم يقولون أن معنى يضل ويهدى يخلق الهداية والإضلال ولكن بعد أن يصرف العبد إرادته ويوجهها ، فالإنسان إذا صرف إرادته للإيمان يخلقه الله تعالى، وإذا صرفها للكفر يخلقه الله تعالى فالرأيان متفقان على أن للعبد عملا يترتب عليه المؤاخذة والمسئولية كما عرفت .

وأما قوله تعالى: «ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس» فإن معناه أن الله سبحانه أخبر بأن كثيرا من مخلوقاته الذين خلقهم يصيرون إلى جهنم بسوء أعمالهم التى يرتكبونها باختيارهم فليس معنى الآية أنه سبحانه خلق هؤلاء ليلقيهم فى جهنم من غير أن يستحقوا عذابها كلا فإنه سبحانه قال: «وما ربك بظلام للعبيد».

وأما قوله تعالى: «لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين»، فلا أدرى ما علاقتها بجبر الناس على العمل لأن الذين يملأون جهنم إنما هم الكافرون والفاسقون . فهو سبحانه لا يعذب أحدا بنار جهنم إلا هؤلاء الذين يرتكبون الجنايات .

وأما قوله تعالى: «سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون، ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم»[2]. فليس معناه أن الله سبحانه خلقهم على هذه الحالة التى تجعلهم عاجزين عن النظر والاستدلال، وتجعل إيمانهم مستحيلا، كلا بل الغرض منه إخبار نبيه صلى الله عليه وسلم بأن هؤلاء الكفرة قد حملهم العناد وحب عبادة الأوثان وتقليد آبائهم على تعطيل عقولهم وحواسهم التى خلقها الله لهم لينظروا بها فى ملكوت السموات والأرض ويتأملوا فى دقيق صنع الإله القادر العليم الخبير فيؤمنوا به ويعبدوه وحده. وقد فعلوا ذلك بالرغم من الدلائل الواضحة القائمة أمامهم من معجزات الرسول وصواب ما جاء به من الفضائل الإنسانية التى يترتب عليها سعادة المجتمع . فكان مثلهم فى ذلك كمثل البهائم التى لا تعقل النظريات بل كانوا كالصم البكم الذين لايعقلون فهم أسوأ حالا من البهائم كما قال تعالى فى آية أخرى: «إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا»[3]. فالآية الكريمة ظاهرة فى توبيخ هؤلاء الكفرة وتقريعهم على تعطيل ما خلقه الله فيهم من قوى نافعة أساءوا استعمالها فلم ينظروا بها فى دلائل وجوده وقدرته بل استعملوها فيما يعود عليهم بالشقاء الدائم والعذاب الأليم ومن يفعل ذلك يكون مثل

---

(١) سورة هود : الآية ١١٨ .
(٢) سورة البقرة : الآيات ٦و٧ .
(٣) سورة الفرقان : الآية ٤٤ .

الأنعام التى ختم الله على قلوبها فلا تعقل النظريات العلمية ومثل الصم البكم الذين لا يسمعون ولا يتكلمون ولايفقهون شيئا.

على أن من سنن الله فى خلقه أن النفوس إذا اعتادت أمرا من الأمور ومرنت عليه، سهل عليها فعله وحبب إليها أداؤه، فإذا صرف الإنسان عقله وحواسه فى سبيل الخير يكون عمل الخير سهلا على نفسه محببا إليه ميسرا له، وكذلك عمل الشر فإن الذى يعتاده يكون محببا إليه فيستولى على قلبه وحواسه، ويحول بينه وبين عمل الخير، فيصرفه عنه ويبغضه إليه ويزين له الشقاء الدائم، ويكره إليه السعادة الخالدة.

ولا ريب أن أحسن مثل لذلك هو ما مثل به من قوله ختم الله على قلوبهم (الآية) لأنهم بانصرافهم عن الخير ومزاولة وسائل الشر أصبح الشر عادة لهم، فختم الله بذلك على قلوبهم بمقتضى سننه فى خلقه التى من شأنها تيسير الأعمال وتسهيلها على من يعتاد وإلى ذلك يشير الحديث الصحيح.

وهو الطابع معلقة بقائمة عرش الله عز وجل، فإذا انتهك الحرمة وعمل بالمعاصى واجترىء على الله بعث الله الطابع فيطبع على قلبه فلا يعقل بعد ذلك شيئا..

ومعنى ذلك أن الشهوات الفاسدة والأهواء الضارة إذا طغت على العقل فصرفته عن النظر الصحيح وحببت إليه اقتراف الموبقات فانقاد لذلك أصبح عادة لا يمكنه أن يفلت منها وبذلك يطبع الله على قلبه كما هو سنة الله فى خلقه ذلك هو معنى الآية الكريمة.

ولم أر أحدا من أئمة المفسرين أو أئمة الدين قال إن الله خلق هؤلاء الكفار مختوما على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم وجعل إيمانهم مستحيلا ثم كلفهم بعد ذلك بالإيمان. والواقع أن جهلة المبشرين معذورون لأنهم لا يمكنهم أن يدركوا شيئا من هذه المعانى الجليلة فهم كمن ختم الله على قلبه، ولكنهم يعمدون إلى ما يسوقه المفسرون من سؤال فيأخذونه ويتركون الجواب عليه لأنهم لم يفهموه فيظنوا أنه لا جواب عليه. وهذه جرأة تنادى بفضيحتهم إن كانوا يعقلون.

(وبعد) فلنفرض أن الله خلق الخير والشر وليس لأحد عمل ولكنه كلف عباده وأمرهم ونهاهم فهل هذه النظرية خطأ وباطلة. إننى أسأل المبشرين الذين يؤمنون بالتوراة هذا السؤال وأطلب منهم الإجابة عنه وأنا موقن بأنهم إما جهلة بتوراتهم فلا يحسنون جوابا. وإما هم مضللون كما قلت غير مرة. والواقع أن توراتهم قد صرحت بأن الله خلق الخير والشر فليس لأحد معه شىء فى خلقه ومع ذلك فقد أمرت ونهت وجاءت بتكاليف وأحكام وحدود ووعيد فبماذا يجيبون عن هذا التناقض؟ إن هؤلاء قوم مرتزقة لا يحسنون جوابا ولا هَمَّ لهم إلا الطعن فى دين الله الصحيح.

وإليك نص التوراة: (مصور النور وخالق الظلمة. صانع السلام وخالق الشر. أنا الرب صانع كل هذه) [1] .

وهذه الآية تنطبق على آيات القرآن الكريم إلا أن القرآن لم يصرح بأن الله خلق الشر. ولهذا كان لعلماء المسلمين مجال فى الكلام فمنهم من قال إن الإنسان هو الذى يخلق فعله الإختيارى، ومنهم من قال إن عمل الإنسان لا يسمى خلقا وإنما يسمى كسبا.

وعلى كل حال فالمسلمون قد بحثوا وفكروا واستدلوا وتكلموا فى هذا المبحث بما لا مزيد عليه فى كل كتب الكلام كبيرها وصغيرها، وأطلقوا للعقل فيه العنان. (فليرجع إليها من شاء) [2].

فأين مباحث المبشرين وكتاباتهم الشيقة وآراؤهم السديدة فى شرح آية توراتهم هذه؟ أين منطقهم الذى يجعلهم يتعجبون من تناقض القرآن فى القضاء والقدر؟ أليس ذلك من عجائب الزمان؟ أيظن هؤلاء الجهلة أن جهالتهم تخفى على المسلمين الذين لم يتركوا شاردة ولا واردة إلا بحثوها وعرضوها على محك النظر الصحيح، أصبحت كل نظرية من نظريات دينهم مثلا للمنطق الصحيح، والعلم الناضج وأصبحت عقائد دينهم منزهة عن الخيال بعيدة عن شكوك المشككين وتضليل المضللين بعد ما بين السماء والأرض؟ وما ظنك بدين يحث على النظر والإستدلال فى كل قضية من قضاياه ولا يرضى على أحد أن يؤمن بقضية من قضاياه إلا بعد النظر والإستدلال؟ فهل يستطيع هؤلاء الصم البكم الذين يقولون إن كل ديانتهم فوق العقول السليمة أن ينالوا منه شيئا؟ ألا إنهم كلما ازدادوا سفاهة وقحة زادهم الله خزيا وفضيحة وهم لا يعلمون. ومما يدل دلالة قاطعة على جهل المبشرين العميق بتوراتهم ما ذكروه من أن القرآن لا يعلم أن طهارة القلب ضرورية قبل الاقتراب من الله بل يحتوى القرآن على عبارات مضادة لإمكانية طهارة القلب. ويظهر منها أن الله لا يعمل بحسب قداسته وعدله ورحمته ومحبته، ولا يظهر القرآن كيف ينال الإنسان مغفرة خطاياه ويحسب بارا أمام الله، ويقولون إنه مع العلم أنه يوجد فى القرآن فروض لها جزاء ولكن لا مفر من القدر فى القرآن، والقدر هو الحكم فى مستقبل الإنسان هناء وشقاء، ولا توجد كفارة فيه ولايعين كيف يكسر الإنسان قيود الخطية.

إننى لا أريد أن أسجل هنا جهل المبشرين بالقرآن الكريم وبأسراره الحكيمة فإن ذلك أمر قضيت منه الوطر فى غير موضع من كتابى هذا وأين هؤلاء من آيات القرآن وأحكامه التى هى أساس صلاح المجتمع وسعادته فى الدنيا والآخرة؟ إنما الذى أريد أن أسجله عليهم جهلهم بتوراتهم التى يؤمنون بها، لأن الذى يذكر هذا الكلام جاهل طبعا بما قد صرح به اشعيا من أن الله خالق الشرور كلها، ولا ريب فى أن الكفر من ضمن الشرور، وإذا كان كذلك فيكون الكافر مجبورا ويكون الكفر

---

(1) سفر أشعيا : الإصحاح ٤٥ ، الآية ٧ .

(2) كتاب توضيح العقائد الجزيرى .

مقدرا عليه، فإذا كان ذلك نقصا فإنه يتجه أولا وبالذات إلى التوراة التى صرحت به. أما القرآن الكريم فلم يصرح بذلك وقد أجمع المسلمون على أن للإنسان عملا يثاب عليه ويعاقب، فمن الجهل المطبق أن يقول هؤلاء المبشرون أن القدر هو الحكم فى مستقبل الإنسان هناء وشقاء لأنه هذا الحكم إنما ينطبق على التوراة لا على القرآن. وهل تدرى أيها القارىء معنى قولهم أن القرآن لا يعتبر طهارة القلب ضرورية، معناه أن المسلمين لا يؤمنون بأن الإله قد انتحر لحبه إياهم كى يخلصهم من الخطية أما الإيمان بالإله الواحد المنزه عن صفات خلقه فهو ليس بنافع وأنا أقول للمبشرين:

(ياالضيعة العقول) وإلا فأى خلل فى نظريات العقل أكبر من أن يقول شخص أن القرآن الكريم الذى يأمر بالإيمان الصحيح وتنزيه الإله عن كل مالا يليق به، ويحث على الإخلاص لله رب العالمين فى كل قضية من قضاياه من أوله إلى آخره، لا يحث على طهارة القلوب. أما النظريات المضحكة المبكية التى تشتمل على أن الإله (تعالى عما يقول المبطلون) مركب من أقانيم ثلاثة وأن أحد هذه الأقانيم تجسد وصار إنسانا ثم أهين وصلب على خشبة. فإنها هى التى تشتمل على طهارة القلوب؟ .

أى خلل أكبر من ذلك وأى قحة أشد من هذه القحة؟ أليس الذى يقول ذلك لا يقيم لقضية العقل وزنا؟ .

الرد على قول المبشرين أن تعدد أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يناقض تعاليم القرآن . ومن المطاعن التى يتغنى بها المبشرون فى كل واد مسألة تعدد زوجات النبى صلى الله عليه وسلم فإنهم لا يتركون فرصة تمر بدون أن يصوروها للعامة فى صورة منكرة تتنافى مع مقام النبوة.، وتتعارض مع الوحى الإلهى، وتناقض تعاليم القرآن الذى ينهى عن إيتاء الشهوات، والواقع أن هؤلاء المبشرين كانوا شرا ووبالا على دينهم وعلى كتابهم وعلى عقائدهم، فإنهم أرادوا أن يبنوها فهدموها وأرادوا أن يقوموها فأسقطوها وأرادوا أن يرفعوها فخفضوها، وأرادوا أن يؤيدوها فخذلوها.

إن هؤلاء المبشرين ذكروا مسألة تعدد زوجات النبى صلى الله عليه وسلم فى غير موضع من كتبهم وفى كل مرة يسبوا خير الأنبياء ويعرضوا به تعريضا يستفز غضب الحليم.

وإنى لا أريد أن أجارى هؤلاء السفهاء ولا أنقل عنهم ما يقولونه فى سيد الرسل الكرام ولكننى أريد أن أعرض على العقلاء هذا الموضوع وأبين للناس حقيقة أمره وأترك لهم الحكم على هؤلاء المضللين الذين لا يكادون يفقهون حديثا .

إنهم يعيبون على النبى صلى الله عليه وسلم أنه عدد زوجاته وأحل لنفسه من النساء أكثر مما أحله لأمته ثم يقولون أن حبه للنساء دفعه إلى أن يتزوج بزوجة ابنه زيد وهم فى هذا المقام يهولون تهويلا عظيما، ويقولون كيف تجتمع الرسالة مع هذا العمل حتى قالوا أنها وصمة تدل على أن

القرآن من عند محمد وأن المحققين اجتنبوا دينه من أجلها، وقالوا إن القرآن قد تناقض مع نفسه لأنه قال: «وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، فإن الجنة هى المأوى»[1]. ثم أباح تعدد الزوجات لمحمد أكثر من سائر المؤمنين ... إلخ.

أما أنا فأقول إن المبشرين لبسوا فى هذه المسألة ثياب الملائكة والقديسين، ووقفوا موقف النزاهة والعفة فهم يعتبرون تعدد الزوجات بالطرق المشروعة المناسبة للبيئات المختلفة نقيضة تنافى النبوة وتنافى الكتب المقدسة. حسن. فلنمش مع هؤلاء الأطهار المزيفين ولننظر فيما يزعمون نظرا نزيها لنمحص الحق فى هذه المسألة تمحيصا دقيقا بحيث لا يبقى فى نفس أحد منها شىء. ويمكن حصر الكلام فى هذا الموضوع فى أمرين :

الأمر الأول : هو أن نثبت بالبرهان القاطع الذى لا يرتاب فيه عاقل أن المبشرين مضللون فى هذا المقام متناقضون مع كتبهم تناقضا صريحا ، وأنهم إما أن يكونوا ملحدين يريدون أن يطعنوا على كتبهم المقدسة عندهم وعلى أنبيائهم قبل أن يطعنوا فى كتاب المسلمين ونبيهم، وإما أن يكونوا كاذبين فى طعنهم على محمد رسول الله وعلى كتابه وهم يعلمون أنهم كاذبون وإنما هم يحاولون بذلك أن يصطادوا من جهلاء المسلمين وضعاف القول أحداً ليبرروا مايبتزونه من الأموال التى يظفرون بها أجرا على ذلك، وجزاء الحالين عند الله نار السعير .

الأمر الثانى : إثبات أن النبى صلى الله عليه وسلم كان من أنزه البشر وأعف بنى الإنسان، وأن تعدد زوجاته كان غرضا لازما لابد منه، لأن الدعوة إلى الله يومئذ كانت تقتضى ذلك، كما أنه صلى الله عليه وسلم كان مبرأ من كل نقيصة تخل بمقام النبوة، وكل ما خالف ذلك فهو كذب. ولكنا سنورد ما ذكرته كتبهم المقدسة عندهم لإظهار تضليلهم وأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم فهم من شرار المنافقين.

فلنتكلم فى الأمر الأول : إنهم يزعمون أن تعدد الزوجات عيب يخل بمقام النبوة، وبديهى أن الزنا الصريح أشد عيبا وفظاعة من تعدد الزوجات (على فرض أن الزواج عيب) . وأن الزنا بامرأة القائد المخلص وقتله للإستيلاء على امرأته أشد فظاعة ونكرا من الزنا العادى. وأن الزنا بالبنات والمحارم أشد فظاعة وجرما من الزنا بامرأة القائد وأن خيانة الله تعالى وخداعه فى أمر الرسالة، أشد جرما من الزنا فى ذاته، وهذه الأمور كلها قد ذكرتها التوراة صريحا وألصقتها بأنبيائهم العظام الذين يعبرون عن بعضهم بأنهم أولاد الله الأبكار. وهم مع ذلك يؤمنون بالتوراة، ويؤمنون بأن هؤلاء الأنبياء الذين ارتكبوا هذه الموبقات والجرائم من كبار الأنبياء الذين ورث عنهم عيسى مجده، لأن من بين هؤلاء يعقوب وداود كما ستعرف من النصوص التى سنقصها عليك. على أن

---

(١) سورة النازعات : الآية ٤٠ ، ٤١ .

تعدد الأزواج قد وجد فى الأنبياء العظام كإبراهيم وداود ويعقوب وغيرهم. فكيف يصح لعاقل (يؤمن بالتوراة المشتملة على ذلك ويؤمن بالأنبياء الذين وصفتهم التوراة بذلك) أن يعيب القرآن الكريم الذى أباح تعدد الزوجات ويطعن على محمد الذى جمع بين عدد من النساء. ألم يفقه المبشرون أن طعنهم على كتاب الله ونبى الله بهذه الحالة هو فى الحقيقة طعن على كتابهم المقدس عندهم طعنا مرا، لأن البداهة تقضى بأن يقول الناس إذا كان تعدد الأزواج عيبا ينافى النبوة فالزنا الصريح والخيانة الواضحة بل الشرك بالله تعالى ينافى النبوة من باب أولى، فالتوراة التى قالت إن هؤلاء الجناة أنبياء كاذبة فيما تقوله من نبوتهم. ذلك أمر بديهى لا يخفى على أحد من الناس.

من أجل ذلك حاول المبشرون أن يناضلوا عن الأنبياء الذين نسبت إليهم التوراة النقائص المخزية فقالوا ما نصه: (فعن الوجه الأول وهو استحسان الله للناس الخطاة مثل رضائه على يعقوب وداود ... إلخ) [1] . يحق لنا أن نقول بأن استحسان الله لشخص ما. لايفهم منه استصوابه لكل أعماله وحالة داود أقوى شاهد على صدق مانقول لأنه مع أن داود كان رجلا حسب قلبه لله إلا إننا نجد الله استاء جدا من أحد أعماله الشريرة وعاقبه عقابا صارما بموت ابنه وعلى هذا المثال لم يستحسن الله خيانة يعقوب، وفضلا عن ذلك عند تقدير صفات أى إنسان يجب أن يحسب حسابا لتربيته والوسط الذى نشأ فيه فمثلا إذا كان سلوك شخص عائش فى عنصر فاسد أفضل من سلوك معاصريه فهو مستحق للإعجاب والثناء وقد يجوز أن هذا السلوك عينه فى الوقت الحاضر لا يستحق مثل هذا الثناء .

ورب سائل يقول أى شىء فى صفات أمثال هؤلاء الناس يعادل آثامهم الفظيعة؟ والجواب على هذا السؤال صريح وهو إيمانهم الشديد بالروحيات الذى لم يتزعزع إلخ ما قالوا .

فأنت ترى أن المبشرين أدركوا خطورة موقف توراتهم مع الأنبياء. وأدركوا أن الأوصاف التى وصفتهم بها قد يكون لها أسوأ الأثر فى نفوس الناس، فلا يؤمنون بالتوراة التى تصفهم بها، ثم هى مع ذلك تقول إنهم من كبار الأنبياء المقربين إلى الله، فأجابوا عن ذلك بجوابين، بين الجواب الأول أن الحكم على الأخلاق يتبع أحوال البيئات المختلفة، فإذا كانت البيئة منغمسة فى الرذائل، ووجد فرد منها أفضل من الباقين، كان ذلك الفرد هو الإنسان الكامل بالنسبة للباقين، وإن فرطت منه بعض الذنوب. أما الجواب الثانى فقالوا إن قلوب هؤلاء الأنبياء كانت مخلصة لله إخلاصا شديدا وكانوا يؤمنون بالأمور الروحية إيمانا جازما وهذا وحده كاف فى إختيارهم وإن فرطت منهم بعض الآثام .

---

(١) كتاب البراهين على صحة المسيحية ٢٢١ ، ١٢٢ .

هذا ما أجاب به المبشرون. وهم قد تحايلوا على الدفاع عن التوراة بكل ما يستطيع أن يتحايل به كاتب يريد أن يبرر جريمة من الجرائم .

ولكن ماذا يقول المبشرون فى جواب كاتبهم الذى أجهد قريحته وأتعب نفسه كى يبرر الفضائح التى نسبتها توراتهم إلى أنبيائهم العظام ، فهل يكفى عندهم ذلك الجواب ويحملهم على الإيمان بها ، أو هذا الجواب يشبه أجوبة المسلمين التى لم تعجبهم وقالوا إن ضمائرهم لم تسترح إليها حتى إنهم قالوا فى مسألة زيد وزينب إنها كانت سببا من الأسباب التى أدت بالناقدين المحققين أن يجتنبوه ويجتنبوا دينه فليقول لنا هؤلاء المبشرون إذا كانت أجوبة المسلمين عن الحلال الطيب وهو زواج امرأة الأجنبى الذى ليس بولد ولا والد لا تقنع المبشرين فيالضيعة جواب كاتبهم صاحب كتاب البراهين عن الجرائم والموبقات التى لا يصح صدورها عن أحط الناس وأسفلهم أخلاقا .

والنتيجة المنطقية البديهية لهذا الكلام هى أن المبشرين يكفرون بالتوراة وبالأنبياء الذين وصفتهم بأقبح الصفات كفرانا صريحا أشد من كفرانهم بمحمد وكتابه الحكيم، لأن الموبقات التى رمتهم بها لا يذكر إلى جانبها زواج رجل أجنبى بامرأة آخر طلقها باختياره لا رابطة بينهما إلا أن أحدهما كان يخدم الآخر خدمة خالصة، حتى قال له إننى ابنك فدعاه الناس بابنه. فإذا فرضنا أن العقول الإنسانية قد ألغيت واعتبرت هذا عيبا فهل يصح أن يكون هذا العيب مماثلا لعيب الرجل الذى يزنى بابنتيه وهو لوط النبى بعد أن يسكر فيحبلهما وتأتى كل واحدة منهما بولد يكون رأس قبيلة كبيرة منها جدة آلهيم؟ أظن أن الذى يقيس هذا بذلك يكون متعسفا ، لأننا حتى لو فرضنا أن زيد ابن حقيقى لمحمد وكانت شريعته تبيح زواج امرأة الابن كان زواج امرأته زينب حسنا ، ما كان لهم أن يعترضوا عليه وهم يعلمون أن التوراة قالت أن يعقوب نبيهم العظيم جمع بين بنتى خاله وإبراهيم أبو الأنبياء تزوج أخته لأبيه .

إذ لا شك فى أن زواج امرأة الابن بعد طلاقها أهون من زواج الأخت للأب ومن الجمع بين الأختين .

أظن أن هذا ظاهر لا يخفى على هؤلاء المبشرين ولكنهم يكتمون الحق وهم يعلمون.

ولعل القراء يريدون أن يعرفوا تفاصيل الفضائح التى نسبتها توراتهم إلى الأنبياء، وإننى أؤكد لهم إننى أخجل من ذكرها ، وأعتقد أن الأنبياء منزهون عنها كل التنزيه ومبرؤون منها براءة تامة، وقد أدخلها فى التوراة المفسدون المحرفون، حملهم عليها الجهل الفاضح، لأنه قد يقع من الأنبياء بعض الأمور التى لاتقص فيها فى الواقع، ولكن يتخيلها بعض الجهلة نقائص، فيشيعونها بينهم على وجه مشوه، ثم ينقلها أعداء الأنبياء فى صورة مكبرة قبيحة ويحشرونها فى الكتب المقدسة لتكون وصمة عار أبد الآبدين. ومع ذلك فإننى أنقل لهم شيئا من ذلك وأنا آسف جدا الأسف .

ما نسبته توراتهم إلى الانبياء
مـن الموبقـــات

قصة ادم عليه السلام :

ذكرها فى سفر التكوين. ولم يقل إنه تاب وأناب إلى ربه بل لم يعترف بذنبه، حتى قال فى كتاب طريق الأولياء فى صحيفة ٢٣ (ياأسفى إنه لم تثبت توبته ولم يستغفر الله لذنبه مرة واحدة) أما القرآن الكريم فقد قال إنه عصى ولكنه تاب وأناب واجتباه ربه بعد توبته. ومعنى هذا أن مخالفة آدم لا تخل بمقام النبوة، ولاتنافى كرامته على ربه لأن أكله من الشجرة ليس قبيحا فى ذاته وليس نقيصة من النقائص، خصوصا أنه قد ترتب عليه نظام الله فى خلقه على تلك الحالة التى استقر عليها النوع الإنسانى، ففعله لا يخل بكرامة آدم، ولا يتنافى مع النبوة وإنما القبيح مخالفة أمر الله ظاهرا، وإنما يكون قبيحا إذا صدر من الأنبياء مع عدم التوبة والإستغفار. أما الجرائم المنفرة للناس التى تخل بمقام النبوة كالإعتداء على أعراض الناس بالزنا والقتل والسرقة ونحو ذلك. فإنها لا تصدر من الأنبياء لا قبل النبوة ولا بعدها على أى حال .

قصة نوح عليه السلام :

ذكرها فى الباب التاسع من سفر التكوين فقال فى الآية ١٨ وما بعدها : إن نوحا عليه السلام شرب الخمر وسكر وكشف عورته فرآها ولده الأصغر حام فنزل وأخبر إخوته فلما علم نوح بذلك دعا على كنعان بن حام فقال ملعون كنعان وطلب من الله أن يكون عبدا لعبيد إخوته. وهذه القصة تنسب إلى نوح السكر والظلم لأنه ظلم كنعان بدعائه عليه مع كونه لا ذنب له، وإنما الذنب على حام الذى فضحه والقرآن يمجد نوحا ويعظمه ولم ينسب إليه شيئا من هذه السفاسف .

إبراهيم عليه السلام :

ذكرت التوراة عن إبراهيم عليه السلام فى الباب الثانى عشر والباب العشرين من سفر التكوين ما لا يصح أن يصدر عن أحد من أشراف الناس فضلا عن أنبيائهم العظام، فإن فيهما ما يدل على أن إبراهيم لا يبالى بعرضه فى سبيل أن يصيبه مال وهدايا، وإليك نص ما قال: (وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراى امرأته إنى قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر. فيكون إذا رآك المصريون إنهم يقولون هذه امرأته، فيقتلوننى ويستبقونك، قولى إنك أختى. ليكون لى خير بسببك وتحيا نفسى من أجلك . فحدث لما دخل إبرام إلى مصر، أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جدا، ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون فأخذت المرأة إلى بيت فرعون. فصنع إلى إبرام خيرا بسببها،

وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال. فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراى امرأة إبرام. فدعا فرعون إبرام وقال ما هذا الذى صنعت بى. لماذا لم تخبرنى أنها امرأتك. لماذا قلت هى أختى حتى أخذتها لى لتكون زوجتى. والآن هو ذا امرأتك . خذها واذهب) [1] .

وهذه القصة نسبت إلى إبراهيم أمورا معيبة لا يصح صدورها من أقل الناس قدرا وهى :

أولا : أنه كان يعلم قبل ارتحاله إلى مصر بحال القوم، وأنه إذا ذهب إليها يهتك عرضه. ولم يقل فى التوراة أن الله أمره بالارتحال إلى مصر بل بالعكس تفيد أنه انتقل من الأرض التى أمره الله بالارتحال إليها إلى مصر بدون أمر، نعم قد يقال أنه انتقل منها لضرورة المجاعة ولكن كانت له مندوحة بالانتقال إلى جهة أخرى ليس فيها ذلك الخطر فعمله هذا دليل على استهانته بأمر عرضه إلى أبعد مدى .

ثانيا : أنه اتفق معها على الكذب بإنكار كونها زوجته من أول الأمر قبل أن يدهمه الخطر وإلا فقد كان يصح أن ينتظر حتى يعلم إن كان الله يحفظه أو لا .

ثالثا : طلب منها أن تنكر أنها زوجته لأمرين أحدهما أن ينجو من القتل وثانيهما أن يناله خير وهذا من أخس ما يصدر عن كريم لأن الذى يرضى بأن يتفق مع زوجه على دخول بلد تغتصب فيها الأعراض وأن يسلمها بنفسه فى نظير أن يأخذ مالا لايشك عاقل فى أنه ديوث لا قيمة له فى الوجود .

رابعا : قد نص فى عبارة التوراة على أن المرأة أخذت فعلا إلى دار فرعون وأنها أعجبته وأرسل لإبراهيم مهرها (طبعا) من حمير وجمال وبقر وغنم إلخ فلابد أن يكون فرعون قد عاشرها معاشرة الأزواج لأنه أخذها على أنها زوجة له. وهذه حالة شائنة مخزية فكيف يرضى بها إبراهيم .

خامسا : صرحت بأن فرعون ضرب بسبب سارة هو وأهل بيته. وذلك ظلم لفرعون وأهل بيته يستحيل أن يصدر عن الإله سبحانه. لأن إبراهيم أفهمه أنها أخته وأنها خالية الأزواج طبعا وأخذها فرعون زوجا له، وذلك جائز لا شىء فيه مطلقا فما ذنب فرعون حتى يضربه الله . إن الذنب فى هذا على إبراهيم نفسه. الذى طمع فى أخذ المال وعرفهم بأنها أخته لا زوجه وأنها يصح أن تتزوج فتزوجها فرعون. فلماذا يضربه الله بعد ذلك ولا يقال إن الله انتقم منه بسبب أنه قد سن هذه السنة السيئة وهى اغتصاب النساء الجميلات وقتل أزواجهن لأن ذلك لم يكن خاصا بسارة وإبراهيم، بل هو عقوبة على الفعل فى ذاته وذلك ظاهر لا خفاء فيه فلاشك فى أن ذلك كذب من أوله إلى آخره. نعم قد يقال إن لهذه القصة أصلا وهو ماورد فى بعض الأحاديث من أن إبراهيم فوجىء بهذا الأمر مفاجأة فاضطر لأن يخبر بغير الواقع لينجو من القتل وهذه الحالة جائزة فى كل الشرائع لأن المحافظة على الأنفس المظلومة من القتل فرض لازم ، ثم لما ذهبوا بسارة إلى ملك مصر مد يده

---

(١) كسفر التكوين : الإصحاح الثانى عشر ـ الآية ١١ وما بعدها .

إليها فصرعه الله فلما أفاق مد إليها يده مرة أخرى فصرع ثانيا وفى الثالثة كف عنها وأرسلها إلى زوجها بدون أن يمسها بسوء، ذلك هو المعقول الذى يصح وقوعه فلم يتفق إبراهيم على بذل عرضه ليأخذ مالاً، ولم يتفق على الكذب من أول الأمر ولكن الجهلة قد حرفوا ذلك أسوأ تحريف فجزاهم الله عن الأنبياء الكرام أسوأ الجزاء .

ومن الغريب أنه كرر هذه الحادثة فى الإصحاح العشرين من ذلك السفر فقال أن إبراهيم لما انتقل إلى أرض الجنوب وتغرب فى جرار قال عن سارة أنها أخته لا زوجه فأرسل إليها ملك جرار فأخذها، ولكن الله سلم فى هذه الدفعة، فإن الله تعالى أتى لملك جرار فى المنام وحذره من أن يقرب سارة وإلا أهلكه هو وقومه، ومن الظرف أن ملك جرار حاور ربه فى المنام محاورة معقولة لأنه قال له يارب إن زوجها هو الذى قال إنها خالية الأزواج ولم يخبرنى بشىء فهل تهلك شعبا بدون ذنب، فقال له ربه إنى لاأريد هلاكك وهلاك قومك ولو أردت ذلك ما أخبرتك فى المنام، فلما أصبح استدعى إبراهيم وعاتبه على هذه الفعلة الشائنة التى لايصح صدورها من مثله، فاعتذر إبراهيم ... إلخ . فهل رأيت نقيصة تسقط أقدار الرجال وتحط من كرامتهم مثل هذه كأن إبراهيم فى نظر هؤلاء الوضاع الجهلة قد استعذب الهدايا على حساب زوجته الجميلة فهو يعرضها للملوك ليتخطفوها ويغدقوا عليه بالمال، ومعاذ الله أن يكون خليل الله أبو الأنبياء والمرسلين متصفا بهذا الخلق المنحط خلق الديوثة وتعريض أهله للخنا ولكن الذين وضعوا هذه القصة الكاذبة من الجهلة الذين انحطت أخلاقهم إلى أبعد مدى فلا يميزون بين الحسن والقبيح .

إسحاق عليه السلام :

هو ابن إبراهيم ذكر فى التوراة فى الباب السادس والعشرين من سفر التكوين أن إسحاق نهج منهج أبيه فى ذلك الأمر (فمكث إسحق فى جرارة وسأله رجال ذلك الموضع عن زوجته فقال هى أختى لأنه خاف أن يقول هى زوجته لئلا يقتلوه من أجل حسنها) .

لوط عليه السلام :

هو من الأنبياء المقدسين الموحى إليهم باعتراف التوراة والإنجيل فقد ورد : (وأنقذ لوطا البار مغلوبا من سيرة الأردياء فى االدعارة) [1] . فقد وصفه بطرس أنه بار، حتى بعدما ارتكب فعلته الشائنة التى نسبوها إليه، وقد ذكرت توراتهم قصة لوط فقصت أمر الملائكة الذين نزلوا ضيوفا عليه فى صورة جميلة فلما رآهم قومه هرعوا إليهم ليأتوا معهم الفاحشة فرجاهم فى الكف عنهم فلم يقبلوا فقالت له الملائكة لا تخف وأسرع بالخروج من هذه البلدة لأننا سنهلكهم فخرج مسرعا إلى بلدة يقال لها صوغر ثم قالت ما نصه :

---

(١) رسالة بطرس الثانية : الإصحاح الثانى ـ الآية ٧ .

(فصعد لوط من صوغر وسكن فى الجبل وابنتاه معه لأنه خاف أن يسكن فى صوغر. فسكن فى المغارة هو وابنتاه. وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض. هلم نسقى أبانا خمرا ونضطجع معه. فنحيى من أبينا نسلا. فسقتا أباهما خمرا فى تلك الليلة. ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة إنى قد اضطجعت البارحة مع أبى. نسقيه خمرا الليلة أيضا فادخلى اضطجعى معه. فنحيى من أبينا نسلا. فسقتا أباهما خمرا فى تلك الليلة أيضا. وقامت الصغيرة واضطجعت معه. ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. فحبلت ابنتا لوط من أبيهما. فولدت البكر إبنا ودعت اسمه موآب. وهو أبو الموآبين إلى اليوم. والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمى. وهو أبو بنى عمون إلى اليوم) [1] .

وذلك نص توراتهم فى قذف لوط وابنتيه. ومثل هذه الجريمة من الجرائم الشاذة التى لا تقع فى العالم إلا نادرا، فإذا فرض ووقعت من إنسان فإنه لا يصح لمؤرخ أن يذكرها لأن ذكرها لا فائدة منه مطلقا وإنما فيه مضار لا حصر لها، فإن بنات الأنبياء اللاتى يجب أن يكن مثال العفة والطهارة لا يصح أن يخرج من بينهن فاجرات عاهرات مثل بنتى لوط، فلا ريب أن رواية حادثة كهذه عن بنتى نبى تكون قدوة سيئة تسهل على الناس ارتكاب الجناية والاستهانة بأمر الفاحشة، وإلا فإذا كانت بنات الأنبياء إلى هذا الحد من الفساد فإن غيرهن يكون معذورا إذا غلبته شهوته، ولايخفى مافى ذلك من الضرر على الأخلاق الفاضلة، على أن العار لم يلصق بالبنتين فحسب، بل قد ألصق بأبيهما سواء علم أو لم يعلم، لأن الزانية التى تسمح نفسها بخيانة أبيها وتحتال على أن يزنى بها، لا ترد نفسها عن أجنبى مهما أمكنها ذلك .

فهى من أكبر البغايا فى العالم ولا ريب فى أن الرجل الذى يقال إن بنتك من أكبر البغايا يلحقه من ذلك عار لا يمكن أن يوصف، ومع هذا فإنه لا يعقل أن تكون الجناية مقصورة على البنتين مهما حاول واضع القصة أن يتستر على لوط بقوله إنه لا يعلم، لأنه إذا كان قد سكر فى أول ليلة سكراً كاملاً إلى حد أن حواسه ومشاعره فقدت فإنه لا يستطيع إتيان المرأة، أما إذا كانت حواسه باقية ولكنه مخمور فقط، فإنه لابد أن يدرك حالته بعد الإفاقة. فكيف يرضى بأن يسكر فى الليلة الثانية ويجامع بنته الصغرى وهو غير عالم. إن الذى يسكر باختياره فى المرة الثانية لابد أن يكون قد إلتذ فى الليلة التى قبلها وأعجبه الحال كما يقولون، فهذا القذف الشائن لا يمكن تبرئة لوط منه على أى حال إن صح ما زعموا.

(١) سفر التكوين : الإصحاح ١٩ ـ الآيات ٣٠ ، ٣٨ .

وإذا كان كذلك فقل للمبشرين الذين يؤمنون بأن هذا الكلام وحى من عند الله أنزله إلى موسى فى كتاب مقدس عندهم مافائدة ذكر هذا القذف فى كتاب مقدس؟ هل فائدته تسجيل الخزى والعار على لوط وبنتيه بل على نسله الذى تولد من الزنا ومنه داود وعيسى؟ أو فائدته تسهيل ارتكاب الجرائم على الناس اقتداء بالأنبياء العظام وذريتهم خصوصا أمة موسى التى كان يحرم عليها الزنا وشرب الخمر؟ أو ماهى الفائدة من هذه الفضيحة التى يروونها فى كتاب مقدس فى نظرهم؟ إننى أسأل هذا السؤال وأنا واثق من أنه لا يستطيع مخلوق أن يظفر بفائدة ما لذكره سوى تسجيل الخزى والعار على نبى من الأنبياء وعلى ذريته الذين تناسلوا من بنتيه بالزنا ومنهم داود وعيسى كما قلنا ، وذلك لأن عوبيد جد داود وأمه إسمها راعوث كما فى إنجيل متى وراعوث من أولاد موآب بن لوط من الزنا ببنتيه فيكون داود ابن زنا من طراز شاذ فى العالم وهو زنا الأب بابنتيه، ومعلوم أن داود جد عيسى الذى كان يفخر بالانتساب إليه فتكون جدة إلههم من شر بغايا العالم وأفسقهن. من أجل ذلك كله يقول المسلمون إن هذه القصة مكذوبة كذبا قبيحا يستحق واضعها أن توقع عليه عقوبة القذف فى نظر الإسلام، أما المبشرون فإنهم يؤمنون بها طبعا ويزعمون بأنها وحى من الله وإذا كان كذلك، أفلا يستحيون من أن يعيبوا محمدا بزواج امرأة رجل طلقها باختياره وهو أجنبى عنه بالمرة؟ نعم إنهم لا يستحيون وكيف يجد الحياء إلى وجوههم سبيلا وهم قوم مرتزقة تتوقف رفاهيتهم على ذلك التضليل .

يعقوب عليه السلام :

نسبت التوراة إلى يعقوب وولديه وبنته ما لو صح لكان وصمة عار لا تنمحى مدى الدهر وإليك البيان :

أولا : نسبت التوراة إلى يعقوب فى الإصحاح السابع والعشرين من سفر التكوين خيانة عظيمة فى قصة خرافية خيالية مضحكة وملخصها أن إسحق عليه السلام كان له ولدان أحدهما يعقوب وكان محبوبا لأمه أكثر من أبيه وثانيهما عيسو وكان بالعكس محبوبا لأبيه أكثر من أمه فلما أدركت إسحق الشيخوخة وكف بصره قال لابنه عيسو اذهب فاصطد لى صيدا وأتنى به لآكله حتى ترضى عنك نفسى وأباركك قبل أن أموت (يعنى يعطيه عهد النبوة) فذهب عيسو ليصطاد ولكن أمه واسمها رفقة كانت تسمع كلامهما فقالت لابنها يعقوب اذهب يابنى إلى الغنم وائت بجديين جيدين لأصنعهما طعاما حسبما يشتهى أبوك ليأكل ويباركك قبل وفاته (تريد أن يخدع أباه فى أمر النبوة) ولكن يعقوب تردد فى الأمر أولا فقال لها إن أخى عيسو له شعر كثير على يديه وعنقه وأما أنا فلا شعر لى، فإذا وضع أبى يده على جسمى فإنه يعرفنى، وأجلب على نفسى لعنة فقالت له أمه أنا أحتمل هذه المسئولية، فأطاعها وصنعت له الطعام الذى يشتهيه إسحاق وألبسته ثياب

عيسو الفاخرة ووضعت على يديه شعر المعز، وذهب على هذه الحالة إلى أبيه وأفهمه أنه عيسو جاء بالصيد فارتاب أبوه فى صوته إلا أنه لما مس يديه ووجد عليها شعرا اعتقد أنه عيسو فأكل هنيئا مريئا ثم باركه وأعطاه عهد النبوة ودعا له بالبركة وتكثير خمره وخبزه، ولما فرغ إسحق من تبريك يعقوب، وخرج يعقوب حضر عيسو وقدم لأبيه الطعام الذى اصطاده فلما عرف إسحاق الحيلة إرتعدت فرائصه رعدة شديدة وأخبر ولده عيسو بما كان من أمر يعقوب ، فهاج عيسو هيجانا شديدا ولكن ماذا عسى أن يصنع وقد نفذ السهم واستقل يعقوب بالبركة .

هكذا تقول التوراة التى يؤمن بها المبشرون، ويعتقدون أنها وحى من عند الله. ولا ريب فى أن الذى يسع عقله هذا الكلام ويؤمن بأنه وحى من عند الله، لا يليق به أن يعترض على محمد رسول الله الذى كان يلقبه خصومه بالصادق الأمين، حتى أنهم لم يستطيعوا أن يأثروا عنه كذبة واحدة يمكنهم أن يعيبوه بها. وإذا كان يعقوب قد خان والده، وخدع خالقه وأخذ النبوة كرها من أول الأمر، فهل يؤمن ذلك النبى العظيم بعد ذلك على الوحى إذا خالف شهوته؟ كلا إن هذه الخيانة تنادى من أول أمرها بأن يعقوب لا يصلح للنبوة، لأن من شرائط النبوة أن يكون صاحبها متصفا بالأمانة، فإذا كان خائنا فإنه لا يصح أن يكون نبيا مطلقا، خصوصا إذا كانت خيانة متعلقة بنفس النبوة.

أما المسلمون فإنهم ينزهون يعقوب عليه السلام من هذه التهمة تنزيها تاما ويقولون أن هذه القصة من أولها إلى آخرها كاذبة لا أصل لها ودليلهم على ذلك مافى القصة من معان لا تدخل فى عقول الأطفال المميزين فضلا عن كبار العقول، لأن أمر النبوة ليس منوطا بالأشخاص حتى يكون لإسحاق تلك الميزة التى يمنح بها الناس ماهو خاص بالله رب العالمين. وهب أن إسحاق يملك الدعاء وأن دعاءه مستجاب عند الله تعالى فهل الله سبحانه العليم بقلوب عباده الذى لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء انطلت عليه حيلة رفقة وابنها يعقوب، ولم يميز بين من يقصده إسحاق بالدعاء وبين ذلك الذى قد تظاهر أمامه بهذا المظهر؟ أظن أن الإله الذى يخدع إلى هذا الحد لا يصلح أن يكون إلها، ويظهر أن واضع هذه القصة ظن أن الإله سبحانه كفرد من أفراد عباده الذين لا اطلاع لهم على مافى القلوب وحيث أن إسحاق لم يبصر من هو الذى أمامه وخدع فيه ، فكذلك الإله جرى على منهج إسحاق فى الجهل فأقر له طلبه. أليس ذلك دليلا قاطعا على وضع هذه القصة وكذبها؟ نعم إنها لكذلك وإن يعقوب لو فعل ذلك حقا لقصم الله ظهره وغضب عليه إذ من المحال أن يقر الله عمل الخائنين فى أشرف الأشياء عنده وهى مرتبة النبوة .

ثانيا : نصت التوراة فى الإصحاح التاسع والعشرين والثلاثين أن يعقوب فر من أمام أخيه عيسو إلى بلد خاله لابان بمشورة أبيه وأمه وبينما هو فى طريقه إذ وجد رعاة يسقون أغنامهم من بئر هناك فسألهم عن خاله وعن سلامته فأجابوه بأنه بخير وبينما هم على هذه الحالة إذا براحيل بنت

خاله قد حضرت إلى البئر ومعها أغنامها ففتح لها يعقوب البئر وسقاها أغنامها ثم قبلها وعرفها أنه قريبها فذهبت البنت إلى أبيها وأخبرته فخرج مسرعا وعانق يعقوب وطلب منه أن يمكث معه فى داره ليخدم له أغنامه .

فرضى يعقوب بشرط أن يزوجه راحيل التى أحبها حبا شديدا فقبل لابان هذا الشرط، واتفقا على أن يقوم يعقوب بالخدمة سبع سنين، ولما انقضت المدة طلب يعقوب من خاله تنفيذ الشرط فأجابه إلى طلبه ولكنه غشه، فقد كان له بنت أخرى ضعيفة البصر اسمها ليئة فزفها له ومكث معها الليل كله وهو يظن أنها راحيل حبيبته، فلما أصبح الصباح وعرف أنها ليئة ذهب إلى خاله وقال له لماذا خدعتنى. فقال له إن ليئة هى البنت الكبرى ومن عاداتنا أن تزوج الكبيرة قبل الصغيرة، ووعده بأن يعطيه راحيل بعد أسبوع بشرط أن يخدمه سبع سنين أخرى، فقبل يعقوب ذلك واستولى على راحيل فتزوج بالأختين ولكن ليئة كانت ولودا وراحيل محبوبته كانت عقيما ، فغارت راحيل وطلبت من يعقوب أن يأتيها بنسل وإلا قتلت نفسها . فقال لها يعقوب هل أنا إله وغضب غضبا شديدا . فقالت له راحيل تزوج بلهة جاريتى فتلد منك ففعل وولدت بلهة ففرحت بذلك راحيل، وتعطلت ليئة عن الحبل فطلبت من يعقوب أن يتزوج بجاريتها زلفة ، فتزوج زلفة وأولدها ، ثم حبلت راحيل بعد العقم وولدت. وكذلك ولدت ليئة بعد ذلك . وكذا فتكاثرت أولاد يعقوب كثيرا .

كل ذلك وقع وهو فى معاشرة خاله، وأخيرا طلب يعقوب من خاله أن يعزل له أجرته من الغنم والمواشى ففعل، ثم طلب منه أن يعطيه نساءه وأولاده ليسافر إلى والده إسحاق فلم يجبه إلى طلبه، وقال له إن وجودك معى بركة ، فأخذ يعقوب نساءه وأولاده وساق ماخصه من أجره وهرب، وقد كان لابان يعبد الأصنام فسرقت بنته راحيل آلهته، فلما عرف لابان اقتفى أثرهم ومعه إخوته وكان يضمر الشر ليعقوب ولكنه رأى الإله فى المنام فأمره بأن لا يتعرض له بسوء وأخيرا ألحق به وعاتبه على هربه، وطلب منه الآلهة التى سرقها فقال له إنى لا أعلمها ، فتش الرحل، ففتش ولم يجدها ، لأن راحيل أخفتها وجلست عليها ، وزعمت أنها حائض ولم تستطع النهوض فتركهم لابان وانصرف إلخ .

هذا الذى ذكرناه لم يخرج عن نص الإصحاحين قيد شعرة وقد اكتفينا به خوف الإطالة ولا يخفى ما فيه من ضعف الأخلاق التى لا تناسب مقام النبوة كهروب يعقوب ورضائه بمعاشرة الوثنيين زمنا طويلا ، وعدم نهى خاله عن عبادة الأوثان.. إلخ . ولكن لنغض الطرف عن هذا كله ونقول للمبشرين أليس ذلك صريحا فى أن يعقوب قد تزوج أربعة، وأنه جمع بين الأختين، وأنه كان يحب راحيل أكثر من ليئة إلى حد أن ليئة كانت تترقب أن يأتيها مرة واحدة فلم يفعل لأن راحيل كانت منفردة به .

وإليك نص ما ورد : (ومضى رأوبين فى أيام حصاد الحنطة فوجد لفاحا فى الحقل، وجاء به إلى ليئة أمه. فقالت راحيل لليئة أعطنى من لفاح ابنك. فقالت لها أقليل أنك أخذت رجلى فتأخذين

لفاح ابنى أيضا. فقالت راحيل يضطجع معك الليلة عوضا عن لفاح ابنك. فلما أتى يعقوب من الحقل فى المساء خرجت ليئة لملاقاته وقالت إلى تجىء لأنى قد استأجرتك بلفاح ابنى. فاضطجع معها تلك الليلة) [1] ... إلخ .

ومعنى هذا الكلام واضح لا خفاء فيه، فإن ليئة صرحت لراحيل بأنها أخذت زوجها منها وأنها لا تعطيها لفاح ابنها (وهو نبت يشبه الباذنجان) فسمحت لها راحيل بأن ينام معها مرة فى نظير شىء من اللفاح. ويظهر من ذلك أن يعقوب كان يأتى ليئة فى الخفاء خوفا من راحيل بدليل ما ورد فى نفس ذلك الإصحاح ونصه: (فقالت ليئة قد وهبنى الله هبة حسنة. الآن يساكننى رجلى لأننى ولدت له ستة بنين) [2] . فهذا نص صريح فى أن يعقوب لم يكن يساكن زوجه ليئة بل كان مقيما مع راحيل لحبه إياها فالنتيجة البديهة لهذا الكلام أن يعقوب جمع بين أختين وبين أزواج متعددة ولم يعدل بين أزواجه .

فهل يؤمن المبشرون بالتوراة أو لا يؤمنون؟ وإذا كانوا يؤمنون بها فكيف يعتبرون الجمع بين الأزواج نقيصة تنافى النبوة؟ فيا أيها العقلاء تعالوا واحكموا بيننا وبين هؤلاء المضللين ـ إنهم يعتبرون تعدد الأزواج سبة وعار، ويطعنون على الإسلام وعلى نبى المسلمين طعنا مرا من أجل تعدد الأزواج. وهانحن أولاء قد نقلنا لهم صريح توراتهم التى هى كتابهم المقدس عندهم بأن أكبر أنبيائهم إسرائيل تزوج أربعا وجمع بين الأختين ولم يعدل بين نسائه، فهل المبشرون يقولون أن يعقوب ليس بنبى؟ وأن التوراة التى قالت أنه من الأنبياء العظام ليست من عند الله؟ . أو هم يغضون عن تعدد الزوجات فى جانب يعقوب ويعتبرونه شرفا وكرامة، أما فى جانب محمد فإنه يكون منقصة لا تليق بالأنبياء، أليس لهؤلاء القوم وجوه تخجل؟ . على أن تعدد الزوجات لم يكون مقصورا على يعقوب، بل قد وقع من بعض الأنبياء العظام الذين يقولون عنهم أنهم أبناء الله كداود، وقد أباحت التوراة تعدد الأزواج كما أباحت السباء .

فقد ورد فى التوراة ما نصه: (إذا خرجت لمحاربة أعدائك ودفعهم الرب إلهك إلى يدك وسبيت منهم سبيا. ورأيت فى السبى امرأة جميلة الصورة والتصقت بها واتخذتها لك زوجة. فحين تدخلها إلى بيتك تحلق رأسها وتقلم أظفارها. وتنزع ثياب سبيها عنها وتقعد فى بيتك تبكى أباها وأمها شهرا من الزمان. ثم بعد ذلك تدخل عليها وتتزوج بها، فتكون زوجة. وإن لم تسر بها فأطلقها لنفسها لا تبعها بيعا بفضة ولا تسترقها من أجل أنك قد أذللتها. إذا كان لرجل امرأتان إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة فولدتا له بنين، المحبوبة والمكروهة. فإن كان الابن البكر للمكروهة فيوم

(١) سفر التكوين الإصحاح ٣٠ ـ الآيات ١٤ ـ ١٦ .

(٢) سفر التثنية : الإصحاح ٢١ الآيات من ١٠ ـ ١٧ .

يقسم لبنيه ما كان له لا يحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكرا على ابن المكروهة البكر . بل يعرف بان المكروهة بكرا ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده لأنه هو أول قدرته له حق البكورية) [1] .

ثالثا : نسبت التوراة إلى أسرة يعقوب من الفوضى الخلقية ما لا يصح صدوره عن أحط الناس وأرذلهم أخلاقا. منها ما ذكر في الإصحاح الخامس والثلاثين من سفر التكوين من أن راؤبين بن يعقوب الأكبر زنى بامرأة أبيه (بلهة) ، ولما علم أبوه بذلك لم يعاقبه ولم يعزره بل كل ما وقع أنه دعا عليه عند موته. على أنه لم ينقل عن يعقوب أية مؤاخذة لامرأته الزانية. ومنها ما ذكر في الباب الثامن والثلاثين من ذلك السفر وهو أن يهوذا بن يعقوب زنى بامرأة ابنه المتوفى واسمها ثامار فأحبلها بولدين أحدهما جد داود وعيسى إله المسيحيين كما تقدم. وقد علم نبي الله يعقوب بذلك، ولم يغضب على يهوذا ولم يذمه بل مدحه مدحا كبيرا عند موته. ومن طرائف توراتهم أنها قالت أن يهوذا مدح ثامار بعد أن زنى بها وقال إنها بارة أكثر مني، وأقرت هذا المديح كأن جريمة الزنا لا قيمة لها في نظر هؤلاء الأطهار. ومنها ما ذكر في الباب الرابع والثلاثين من سفر التكوين. وهو أن دينا بنت يعقوب خرجت لتنظر إلى بنات البلد فرآها سحيم بن حمور الحاوي رئيس الجهة فاغتصبها وزنى بها وأحبها حبا شديدا وكلمها بما وقع في قلبهما ووافقها فخطبها له أبوه من يعقوب، ولكن أبناء يعقوب اشترطوا أن يختتن أولا هو وجميع قبيلته وكان غرضهم من هذا الشرط أن يحتالوا على هؤلاء القوم لينتقموا منهم فقبلوا هذا الشرط واختتنوا جميعا ، فلما عرف ذلك راؤبين ويهوذا قتلا جميع ذكور أهل البلد وسبوا نساءهم وأطفالهم وغنموا كل ما بها ولم يمنعهم يعقوب من ذلك .

وهذه المسألة مضحكة لأنها لا تنسب العار إلى يعقوب بهتك عرض بنته وتعشقها فيمن زنى بها فحسب، بل نسبت إليه رضاءه بالظلم العظيم لأن الذي ارتكب الجناية مع ابنته شخص واحد فما ذنب رجال أهل البلد المساكين الذين لا يد لهم في الجريمة، بل لا علم لهم بها مطلقا ، وما ذنب نسائهم وأطفالهم المساكين حتى يسبيهم ابنا يعقوب ويجعلونهم غنيمة.

من الغريب أن واضع هذه القصة الشائنة يكاد يكون أبله لا يتصور ضروريات الأمور. وإلا فبربك قل من ذا الذي يتصور أن رجلين يستطيعان أن يقتلا رجال بلدة بأكملها ويسوقان نساءها وأطفالها لمجرد أن رجالها متأثرين بألم الختان فهل الختان يمنع الرجال الذين يذبحون كالأغنام من الدفاع عن أنفسهم، وإذا فرض وكان جميع الرجال جبناء قد بلغ بهم الضعف نهايته، أفما كان يكفي لصد رجلين أن يجتمع نساء قبيلة وأبناؤها ويقذفونهم بالأحجار حتى يميتوهم؟ . ألا إن ذلك لمن أوضح الكذب وأسخفه .

---

(١) سفر التثنية : الإصحاح ٢١ الآيات من ١٠ ـ ١٧ .

موسى وهارون عليهما السلام:

لقد نسبت التوراة إلى موسى وهارون الخيانة صريحا فقد ورد ما نصه: (وكلم الرب موسى فى نفس ذلك اليوم قائلا اصعد إلى جبل عباريم هذا جبل نبو الذى فى أرض موآب الذى قبالة أريحا، وانظر أرض كنعان التى أنا أعطيها لبنى إسرائيل ملكا. ومت فى الجبل الذى تصعد إليه وانضم إلى قومك كما مات هارون أخوك فى جبل هور وضم إلى قومه. لأنكما خنتمانى فى وسط بنى إسرائيل عند ماء مريبة قادش فى برية صين إذ لم تقدسانى فى وسط بنى اسرائيل، فإنك تنظر الأرض من قبالتها ولكنك لا تدخل إلى هناك) [1] ... إلخ .

وورد أيضا: (فقال الرب لموسى وهارون من أجل أنكما لم تؤمنا بى حتى تقدسانى أمام أعين بنى إسرائيل لذلك لا تدخلان هذه الجماعة إلى الأرض التى أعطيتهم إياها) [2] .

وورد فى التوراة أن موسى طلب من ربه أن يعفيه من الرسالة وألح عليه فى ذلك وإليك نص ما قال: (فقال استمع أيها السيد. أرسل بيد من ترسل. فحمى غضب الرب على موسى) [3] .

وورد فى الباب الثانى من سفر الخروج أن موسى صعد الجبل وتأخر فى النزول فطلب بنو إسرائيل من هارون أن يصنع لهم عجلا يعبدونه فأمرهم بأن يجمعوا له حليا ففعلوا وصنع لهم عجلا وبنى لهم مذبحا وأمر من ينادى بأن غدا عيد الرب فقاموا من الغد وقربوا وقودا وذبائح وجلس الشعب يأكل ويشرب ويلعب إلخ .

فهذا صريح فى أن موسى قد خان ربه ولم يقدسه وتلك جناية من أكبر الجنايات التى تلصق بالأنبياء والمرسلين ويا ليت الأمر وقف عند هذا الحد بل نسبت التوراة إلى هارون الردة صريحا والعمل على إحياء الوثنية وإعادتها فى بنى اسرائيل ولا شك فى أن هارون نبى من الأنبياء بنص التوراة فقد ذكر فى غير موضع منها أن الرب أوحى إلى هارون ومن ذلك ما ورد فى الباب الرابع من سفر الخروج آية ٢٧ (فقال الرب لهارون إذهب وتلقى موسى إلى البرية إلخ) ونحو ذلك فى الباب الثامن عشر من سفر العدد .

وكذلك نسبت التوراة إلى موسى القتل عمدا فقالت إنه قتل القبطى عمدا ودفنه انتقاما منه لرجل من شيعته .

أما القرآن الكريم فإنه قد نزه موسى وهارون عما نسبته إليهما التوراة فقال إن هارون نصح لهم بترك عبادة العجل ودعاهم إلى عبادة الله تعالى ولكن لم يسمعوا له وحاشا أن يكون هارون هو

---

(١) سفر التثنية الإصحاح ٣٢ : الآيات ٤٨ ـ ٥٢ . (٢) سفر العدد الإصحاح العشرون : الآية ١٢ .

(٣) سفر الخروج الإصحاح الرابع : الآية ١٣ .

الذى عمل لهم العجل أو أقرهم على عبادته. وأما قتل القبطى فقد برأ الله منه موسى وأخبر بأنه وكزه بيده، ولا ريب فى أن الذى يضرب شخصا بيده لا يكون مصرا على قتله، فموت القبطى وقع خطأ بلا نزاع أما مسألة استقالة موسى من النبوة فقد عبر عنها القرآن الكريم أحسن تعبير فإن موسى عليه السلام طلب من ربه أن يحل عقدته من لسانه وأن يشد أزره بأخيه فأجابه الله إلى ما طلب وهذا هو المعقول المناسب لمقام النبوة الرفيع وغيره هراء من القول: «رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى، واجعل لى وزيراً من اهلى هارون أخى، اشدد به أزرى وأشركه فى امرى»[1].

شمشون الجبار :

ذكرت لنا التوراة فى سفر القضاة الباب الثالث عشر قصة شمشون فقالت إن أمه كانت عاقرا لم تلد فجاءها ملاك الرب وقال لها: (إنك ستحبلين وتلدين ولدا لا يعل موسى رأسه ويكون نذير الله من البطن وهو يبدأ يخلص إسرائيل من يد الفلسطينيين ولقد حبلت وولدت شمشون) ومعنى هذا أن المرأة ولدت رسولا ، ولكن سفر القضاة هذا ذكر لنا فى الباب السادس عشر أن هذا الرسول عشق امرأة دليلة وزنى فى امرأة فى غزة وقد خدعته معشوقته دليلة وعرفت السر الذى به يتمكن منه خصومه لأن سره كان فى خصل شعر رأسه فأخبرت أعداءه بذلك فجاءوا إليه وهو نائم على فخذها وحلقوا له شعره فتمكنوا منه وقلعوا عينيه وأماتوه ... إلخ .

وهذه قصة خيالية مضحكة ولكن المبشرين الذين يؤمنون بالتوراة التى تصف الرسل بهذه الصفات ولا يؤمنون بالقرآن الذى يبيح تعدد الزوجات .

داود عليه السلام :

قد نسبت التوراة إلى داود وبيته ما لا يقع من أحط الناس وأسفلهم خلقا وإليك ملخص ما ورد فى التوراة: (قام داود عن سريره ليتمشى على سطح بيت الملك، فرأى امرأة جميلة المنظر بديعة الحسن، فسأل عنها ، فقيل له إنها امرأة أوريا أحد الغزاة فى سبيل الله المخلصين، فأرسل إليها وأحضرها وزنى بها فى وقت طهرها من حيضها ، فحملت منه سفاحا ولما بدأ حملها ، أرسلت إليه وعرفته بأنها قد حملت منه وزوجها غائب عنها ، وتلك فضيحة يجب أن يعمل داود على سترها فأرسل لزوجها وأحضره من ميدان القتال وأمره بأن يذهب إلى داره وينام مع امرأته فأبى الرجل أن يذهب إلى داره. وقال كيف يسوغ لى أن أستمتع باللذات والجيش فى ميدان القتال عرضة للخطر، وخرج من عند داود وبات أمام الدار فاستبقاه داود يوما آخر ليتناول معه الطعام ففعل فانتهز داود

(١) سورة طه : الآيات ٢٥ ـ ٣٢ .

هذه الفرصة وسقاه خمرا ليهيجه فيذهب إلى امرأته كي يستر فضيحة زنائه وحبلها منه فأبى الرجل وأصر على أنه لا يستمتع بالنساء مادام الجيش فى ميدان القتال لأن دينه ـ يأبى عليه ذلك، فأرسل داود إلى القائد العام كتابا مع أوريا نفسه يطلب فيه قتل ذلك الغازى المخلص الأمين ليتخلص منه، ويستولى على امرأته ففعل وقتله، واستولى داود على امرأته، وجعلها من نسائه، وولدت منه ولدا بذلك السفاح أحبه حبا شديدا، ولكن الله تعالى قد انتقم من داود باماتة ذلك الولد وأوعده بأن يسلط ابنا من أبنائه ليزنى فى جميع نسائه عيانا على مرأى ومسمع من بنى إسرائيل، وقد أنفذ الله وعيده فسلط عليه ابنه أبشالوم فأمسك بجميع نساء أبيه وزنى بهن واحدة واحدة) (١).

وقد أرسل الله تعالى لداود ناثان النبى وقال له إن الرب غضبان عليك لأنه جعلك ملكا وأنقذك من يد شاول الملك وأعطاك نساءه فى حضنك كما أعطاك بيته وأعطاك بيت إسرائيل وبيت يهوذا ومع ذلك فقد قتلت الرجل المخلص، وأخذت امرأته، على أن الرب يقول لك إن كان الذى أعطاك لم يكف فإنه مستعد لأن يعطيك أكثر منه .

وكانت نتيجة كل هذا الكلام أن داود استولى على المرأة وولدت له سليمان وانتهى الإشكال هكذا تروى التوراة وهكذا تقذف ابن الله البكر الذى يقدسه المبشرون تقديسا عظيما .

ولعل بعض القراء يرتابون فيما أرويه لهم فليسمعوا نص التوراة فى ذلك: (وكان فى وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستبحرن (تستحم) وكانت المرأة جميلة المنظر جدا فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد أليست هذه بتشبع بنت ألبعام امرأة أوريا الحثى فأرسل داود رسلا وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهى مطهرة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إنى حبلى إلخ) . سفر صموئيل الثانى الإصحاح الحادى عشر عدد ٢ وما بعده ويلى ذلك ما فعله داود من قتل زوجها وضمها إليه.

وفى الإصحاح الثانى عشر ما نصه: (وهكذا قال الرب ها أنا ذا أقيم عليك الشر من بيتك وآخذ نساءك أمام عينك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك فى عين هذه الشمس لأنك أنت بدأت بالشر وأنا أفعل هذا الأمر قدام جميع إسرائيل وقدام الشمس) عدد ١١ وما بعده .

وقال فى الإصحاح السادس عشر من سفر صموئيل الثانى المذكور ما نصه: (فنصبوا لابشالوم الخيمة على السطح ودخل ابشالوم إلى سرارى أبيه أمام جميع إسرائيل) .

فهل سمع الناس مثل هذه المتناقضات التى ألصقتها التوراة بابن الله البكر عند المبشرين. وهل يعقل أن رسولا من الرسل أو ملكا من الملوك الذين لهم كرامة فى الجملة ينحط خلقه إلى هذا الحد

---

(١) سفر صمويل الثانى : الإصحاح الحادى عشر والثانى عشر .

الشائن فتسول له نفسه أن يقتل غازيا فى سبيل الله ويستولى على امرأته بعد أن يهتك عرضه ويزنى بها ويحبلها سفاحا .

ولنفرض أن ملكا من الملوك انحط خلقه إلى هذا الحد فهل تكون له منزلة فى نفوس شعبه ويرضون به ملكا .

ولنفرض أن ذلك كله ليس فيه نقص لعظماء الأنبياء، ولكن هل يستطيع المبشرون أن يقولوا لنا فائدة ذكر مثل هذه القصة فى كتاب مقدس؟ أليس من البديهى الذى لا شك فيه أن رواية مثل هذه من شأنها أن تسهل ارتكاب الجرائم للعصاة والمفسدين؟. وإلا فإذا كان أكبر الأنبياء يتهتك إلى هذا الحد ويصل فساد أبنائه إلى أن يهتكوا عرض أبيهم فيزنوا بنسائه علانية . فماذا يكون حال العامة الذين لا تربطهم ببيت النبوة رابطة ما؟ أليس ذلك دليلا على كذب هذه الرواية وفسادها؟ .

ولنفرض جدلا أن الوحى يعنى بمثل هذه السفاسف ويفضح الأنبياء والمرسلين إلى هذا الحد، ولكن هل من العدل الإلهى أن ينتقم الله من الأبرياء فيسلط أبشالوم على السرارى اللاتى لاذنب لهن فيهتك أعراضهن ؟ .

وهل من المعقول أن يجعل الله الحد الذى وضع لزجر الجانى جريمة أخرى يعاقب عليها فاعلها؟ وهل يتصور مخلوق أن الله تعالى الذى يكره الفاحشة يسلط أبشالوم ليأتى هذه الفاحشة بصورة من أفظع الصور وهى ارتكابها مع نساء أبيه؟ .

إن التوراة التى يعمل بها داود تجعل حد الزنى القتل فلماذا أهمله الله تعالى مع داود؟ واستبدله بنفس الفاحشة التى تستوجب القتل؟ . ألم تقل التوراة فى الباب العشرين من سفر الأخبار (ومن زنى بامرأة صاحبه أو زنى بامرأة لها رجل فليقتل الزانى والزانية) ؟ فلماذا لم ينفذ الله على داود هذا الحكم؟ بل اكتفى بعقوبته بتكرار جريمة الزنى ثم ماذنب الولد المسكين الذى قذفه داود فى رحم أمه حتى يقتله الله؟ وإذا كانت جريمة الزنا يعاقب الله عليها بقتل الأبناء الذين يولدون بالزنا فلماذا لم يقتل الله ابنى يهوذا وهما فارص وزارح وأحدهما جد إلههم عيسى؟ .

هل يستطيع المبشرون أن يذكروا لنا فرقا بين زنا يهوذا بامرأة ابنه وزنا داود بامرأة أوريا ؟ وأيضا لماذا لم يقتل ابنى لوط المتولدين من الزنا بابنتيه ؟ . ويظهر أن التوراة ترى الزنا بالبنات والمحارم أهون من الزنا بنساء الغير كما يقولون فى الأمثال العامية (زيتهم فى دقيقهم) يا للعار .

وإذا شئت أن تعرف عارا ألصقته التوراة بداود وأسرته أشد من هذا العار فاقرأ الإصحاح الثالث عشر من سفر صموئيل الثانى، فإنك ترى فيه أنه كان لداود ابن يقال له أمنون غير أبشالوم، وكان لأبشالوم أخت شقيقة يقال أنها ثامار فعشق أمنون أخته ومرض من عشقه إياها فأرشده عمه إلى أن يلزم سريره ويطلبها من أبيه كى تمرضه ففعل وأرسلها له أبوه، فاختلى بها وراودها عن

نفسها فامتنعت، ولكنه اغتصبها وزنى بها، وبعد أن قضى منها الوطر طردها فأغتاظت وأخبرت شقيقها بذلك فقال لها إن أخاك هو الذى فعل ذلك ثم قتله بعد سنتين .

فهل رأيت فحشا أشد من هذا الفحش الذى يسجله الله على أسرة أنبيائه وأى عار أكبر من أن الولد يزنى بأخته لأبيه .

وأقبح من هذا أنها نصت على أن داود علم بذلك فقد ورد فى الآية ٢١ من ذلك الإصحاح ما نصه: (ولما سمع الملك داود بجميع هذه الأمور اغتاظ جدا) وهكذا كان كل ما عمله داود بازاء هذه الجريمة الشنعة أنه قد اغتاظ وكظم غيظه أليس ذلك من أقبح ما يوصف به رسول قادر على تنفيذ حدود الله واقامة أحكامه؟ .

وقد نسبت التوراة إلى داود أمور أخرى شديدة. منها أنه كذب كذبة ترتب عليها إراقة دماء ألوف من الناس . كما هو مذكور فى الباب الحادى والعشرين من سفر صوئيل الأول .

وهذه العيوب التى نسبتها التوراة إلى داود عليه السلام يؤمن بها المسيحيون طبعا، ويعتقدون أنها وحى من عند الله تعالى، وأن داود هو من أكبر الأنبياء وأجلهم وناهيك بجد عيسى إلههم ومعبودهم .

ولكنهم لا يرون فى نسبتها إليه ما ينافى النبوة ولا يقدح فى التوراة المقدسة عندهم، أفلا يخجلون بعد ذلك من قولهم إن محمدا تزوج نساء كثيرات منهن امرأة خادمه زينب بعد أن قضى منها وطرا وطلقها ثم يستدلون بذلك على أنه ليس برسول .

أليس ذلك فجرا لا يصدر مثله إلا عن العاهرات المومسات اللاتى يرمين الحرائر الأطهار البريئات بالخنا ؟ .

أجل أنه كذلك والمبشرون لا يبالون أن يكون ذلك منطبقا عليهم وهم لا يخجلون .

أما نحن معاشر المسلمين فإننا نؤمن إيمانا جازما بأن داود معصوم عن هذه الجنايات التى تخل بمقام عظماء الرجال خللا عظيما، فضلا عن الأنبياء والمرسلين، فحاشا أن تنحط نفس داود إلى هذا الحد الشائن، فيهتك عرض مجاهد فى سبيل الله ثم يقتله عمدا ويستولى على أمرأته، وحاشا أن تسود الفاحشة فى أسرته إلى حد أن الأخ يزنى بأخته ثم يتركهما وشأنهما من غير أن ينفذ فيهما القصاص العادل، وحاشا أن يعبث داود ذلك العبث الذى ذكرته التوراة أو يصدر عنه شىء منه .

ولعل بعض الجهلة بأساليب اللغة العربية وأسرارها يقول أن القرآن الكريم قد أشار إلى هذه فى سورة (ص) . ولكن الواقع أن الذى قصه الله عن داود فى سورة (ص) بعيد عن هذا الفحش بعد

ما بين السماء والأرض ومحال أن يشتمل القرآن الكريم على هجاء الأنبياء وقذفهم، بل هو منزه عن أن يقص حادثة شخصية لا تفيد المجتمع شيئا ما. وإليك نص ما قصه الله عن داود فى سور (ص) قال تعالى وهو أصدق القائلين: «واصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب، إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق، والطير محشورة كل له أواب، وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب، وهل أتاك نبؤا الخصم إذ تسوروا المحراب، إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط، إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب. قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب، فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب»[1] .

فأنت ترى من سياق هذه الآيات أن الله تعالى مدح داود مدحا عظيما فوصفه بأجل الصفات المناسبة لمقام النبيين حقا فقال إن له يدا قوية فى مرضاة الله تعالى وإنه أواب (كثير الرجوع إلى الأعمال الصالحة التى يرضى بها الله تعالى) وإنه لكثرة تسبيحه وعبادة ربه سخر الله له الجماد والحيوان الأعجم لتسبح الله معه، ولاريب فى أن ذلك علامة القبول، ودليل الرضا، إذ لو لم يرض الله عنه لما أطلعه على أسرار خلقه التى لا يطلع عليها إلا من اصطفاه من عباده، ولو لم يقبله لما أفهمه تسبيح الجماد والحيوان ليزداد بذلك نشاطا فى عبادة ربه، وتفانيا فى الإخلاص له، ثم أخبر الله سبحانه بأنه ملّكه أيضا ملكا عظيما وأنعم عليه بالحكمة وهى العلم النافع فى الدين والدنيا، وأنعم عليه بنعمة الهداية إلى الصواب فى فصل الخصومات .

أفلا تكفى هذه المزايا العظيمة التى لا تجتمع إلا فى كبار الأنبياء للحيلولة بين داود وبين هذه الفعلة الشائنة؟ لاريب فى أن من كان على هذه الحال التى قصها الله فى كتابه، يستحيل عليه أن يجرى مع شهوته إلى هذا الحد، وبديهى أن الحكمة إسم جامع لكل أعمال الفضائل الإنسانية، فهل يليق بالحكيم أن تدفع به شهوته إلى قتل بعض قواده المخلصين بوسيلة فاسدة طمعا فى سلب امرأته؟ ألا إن هذا لو فعله أحد من الناس لحكم عليه بالدناءة والشر والخسة التى لا حد لها ، فضلا عمن يؤتيه الله الحكمة، إن هذا ضرب من ضروب المحال وهل يليق بعد ذلك بأحد أن يفهم فى كتاب

(١) سورة (ص) الآيات ١٦ ـ ٢٥ .

الله الذى هو المثل الأعلى فى البلاغة والفصاحة والآية الكبرى فى تنسيق القبول وزنته بموازين الكمال أن يمدح شخصا بمثل هذه المدائح الغالية مع كونه شهويا شَرِهًا لا يستنكف عن أن يقصد قتل قائده لأغراض فاسدة . وعلى هذا يكون معنى قوله وهل أتاك نبأ الخصم إلخ يحتمل ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : أن داود كان يقضي بين الناس وقد رأى أن يزيد فى حرسه إرهابا للإعداء كما أشار إلى ذلك سبحانه بقوله: «**وشددنا ملكه**» فكان ذلك سببا فى تعطيل القضاء بين الناس الذين لهم قلوب ضعيفة ترهب القوة فلم يتمكنوا من عرض قضاياهم فأراد الله سبحانه أن يلفت نظره لما عساه أن يقع بسبب إهمال القضاء والترفع عن مستوى الناس الضعاف فكان موجودا فى المسجد والحرس يحدق به، فجاء ملكان فى صورة خصمين وتسوروا المحراب إلى آخر القصة ولهذا لما سمع القصة من أحدهما دهش وتسرع فى الحكم قبل أن يسمع إجابة الخصم الآخر فلما انصرف الملكان ظن داود أن هذه فتنة فاستغفر ربه فالإستغفار كان من تسرعه فى الحكم ومن الغفلة عن أمر القضاء وهو ليس بكبيرة، إنما هو غير لائق بمقام النبوة فى الجملة فهو ذنب بالنسبة لذلك المقام العظيم . ومايرد على ذلك من نسبة الكذب للملائكة فهو غير سديد لأن الغرض منه تمثيل الحادثة بصورة مؤثرة ولاريب فى أن تمثيل ذلك الأمر بهذه الصورة له قيمته فى نفس سيدنا داود ونفس من يسمعها بعده من الناس. على أن هذا لا يسمى كذبا لأن القرينة قد قامت على المقصود منه .

الوجه الثاني : أن المحراب هو قصر داود وقد تسوره جماعة من اللصوص بقصد السرقة فلما رأوه مستيقظا اخترع اثنان منهم الخصومة على أنه فزع منهم وأساء الظن بهم ومعنى فتناه اختبار حلمه حين خاف منهم فهل يستعجلهم بالعقوبة أو يعفو عنهم، فلما عفا عنهم برهن على أنه فى غاية الحلم ومعنى فاستغفر ربه استغفره لهم وهذا الوجه ذكره فى المواقف، ولكن فيه تكلف والأول أقرب إلى السياق خصوصا أن داود كان ملكا عظيما فيبعد أن يتسور اللصوص داره بهذه الصورة .

الوجه الثالث : أن الحادثة وقعت مع أوريا وامرأته حقيقة ولكن لا بهذه الصورة الشنيعة، بل الواقع أن أوريا خطب هذه المرأة مجرد خطبة ولم يتعاقد معها، ثم خطبها داود بعد ذلك ففضلت داود طبعا لأنه ملك، وأوريا لما علم كف عن أمرها عن طيب خاطر، ولكن الله تعالى اعتبر هذا العمل لا يتناسب مع مقام داود وان كان فى نفسه ليس بجريمة تخل بمقام النبوة، فعاتبه على هذا العمل. هذا هو الواقع الذى يقبله العقل ولكن أعداء الفضيلة حرفوه إلى هذا الحد المخزى وقد ورد عن على كرم الله وجهه أنه قال إذا سمعت أحدا يقول فى داود ما يقوله فيه أهل الكتاب أقمت عليه حد القذف وهذا كلام حق يدل على فطنة ذلك الإمام الجليل وتقديره للفضيلة حق قدرها .

وبعد فهل تعدد الأزواج والسرارى نقيصة عندنا كنقيصة الزنا عند أهل الكتاب أظن أن القراء لم يغب عنهم ما نقلته لهم عن الباب الحادى والعشرين من سفر التثنية آية ١٠ وما بعدها من إباحة تعدد الزوجات والسرارى بدون تحديد، فلو كان ذلك عيبا لكانت التوراة معيبة لا يصح أن تكون من عند الله، فضلا عن ذلك فإنها نصت على أن إبراهيم أبا الأنبياء عدد الزوجات وجدعون وهو من الأنبياء عندهم تزوج نساء كثيرات جمع بينهن، أما داود فإنها نصت على أنه تزوج سبعا ذكرتهن بأسمائهن ثم قالت إنه تزوج غير ذلك نساء كثيرات واتخذ سرارى بدون عدد فلم ينهه الله عن ذلك ولم يعاقبه عليه كما عاقبه على جريمة الزنا بامرأة أوريا.

وقد ذكر الإصحاح الثالث من سفر صموئيل الثانى ستا من نسائه وإليك نص ما قال وكان ابنه بكره امنون من (اخينوعم) البزراعيلية وثانيه كيلاب من (ابيجابل) امرأة ناباال الكرملى والثالث ابشالوم ابن (معكة) بنت تلماى ملك جشور والرابع ادونيا بن (حجيت) والخامس شفطيا ابن (ابيطال) والسادس يثرعام من (عجلة) امرأة داود هؤلاء ولدوا لداود فى (حبرون) .

فهؤلاء ست زوجات لداود جاء من كل واحدة بولد وذكر صموئيل أيضا فى الباب الثامن عشر من سفره الأول زوجة سابعة لداود وهى ابنة الملك شاول وقد كان داود يومئذ فى مبدأ ظهوره وكان الملك يتوجس منه شرا ولكنه رأى أن ميكال ابنته قد أحبت داود وانه يمكن استخدامه بمصاهرته فأجاب داود بأنه دون ذلك المقام السامى، ولكن الملك صمم وجعل مهر ابنته مائتى قلفة من أعدائه (جلدة الذكر قبل الختان) ولا أدرى لماذا طلب الملك هذا المطلب الغريب المضحك ولماذا لم يقل مائتى رأس من رؤوس أعدائه مثلا على أن داود قد أنفذ الأمر وانطلق هو ورجاله وقتل مائتى رجل من الفلسطينيين، ثم كشف عورة كل واحد وقطع قلفة ذكره حتى أكمل مائتين ودفعها مهرا ودخل على ميكال ولكن من الأسف أن شاول انقلب عليه وأخذ منه امرأته وحبيبته وزوجها لرجل يقال له فلطى بن ليس كما هو مصرح به فى آخر الباب الخامس والعشرين من السفر المذكور .

وأغرب من هذا أن داود لما استقر له الملك إسترد ميكال من زوجها رغم أنفه واتخذها زوجة وهى على ذمة زوجها فلطى كما هو مصرح به فى ذلك السفر، وبذلك تكون نساء داود اللاتى ذكرت التوراة أسماءهن سبعة. أما النساء الأخريات فقد ذكرها صموئيل فى الآية الثالثة عشر من الباب الخامس فى السفر الثانى وإليك ماقال (وأخذ داود أيضا سرارى ونساء من أورشليم بعد مجيئه من حبرون فولد أيضا لداود بنين وبنات) .

فهذا كله وقع من داود عليه السلام ولم يحظره الله عليه أو ينهه عنه ولكن المبشرين يعتبرونه نقيصة من النقائص العظيمة التى تنافى النبوة، فبماذا يحكم القراء على هؤلاء؟ أليس من البديهى الذى لا يرتاب فيه أحد أن يقال لهم إذا كان تعدد الزوجات نقيصة تنافى النبوة وتتناقض مع

الوحى، فإن الأنبياء الذين جمعوا بين زوجتين فأكثر لا يكونون من الأنبياء، وعلى هذا يكون المبشرون كفارا بإبراهيم ويعقوب وداود ، وكفارا بالتوراة والإنجيل وتلك نتيجة بديهية يدركها العالم والزارع والتاجر والصانع بل يدركها الأطفال المميزون. وإذا كان المبشرون كفارا بأنبيائهم وبتوراتهم وأناجيلهم فلنناقشهم كما نناقش الملاحدة الذين لا يؤمنون لا بكتاب ولا برسول وإلا فليعلنوا للملأ أنهم مضللون منافقون يقولون بألسنتهم ماليس فى قلوبهم .

سليمان بن داود عليهما السلام :

إن سليمان نبى من الأنبياء الكرام والذى ينكر نبوته جاهل بالتوراة جهلا تاما فإن سليمان هو صاحب كتاب الأمثال والجامعة. ونشيد الإنشاد وهذه الأسفار الثلاثة جزء من التوراة فهى كتب إلهية عندهم موحى بها إلى سليمان فكيف يوحى الله إلى سليمان بهذه الكتب ولا يكون نبيا ؟ .

ومن الغريب أن التوراة صرحت بأن الله ظهر لسليمان مرتين بنفسه ونهاه عن ارتكاب الموبقات، فلم ينته فهو قد اتصل بالإله مباشرة وهل تدرى أيها القارىء بما نسبته التوراة إلى سليمان من النقائص؟ إنها نسبت إليه ماتقشعر من هوله الأبدان، وأى شىء أكبر جرما عند الله من الشرك بالله وعبادة الأوثان من أجل حب الشهوات الفاسدة؟ وإليك نص ماذكر فى الباب الحادى عشر من سفر الملوك الأول عدد ١ وما بعده (وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى اسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة، وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلاث مئة من السرارى، فأمالت نساؤه قلبه، وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه، فذهب سليمان وراء عشتورت آلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين، وعمل سليمان الشر فى عينى الرب، ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه. حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذى تجاه أورشليم. ولمولك رجس بنى عمون. وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن، فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله اسرائيل الذى تراءى له مرتين وأوصاه فى هذا الأمر ألا يتبع آلهة أخرى فلم يحفظ ما أوصى به الرب ...إلخ) . هذه جناية سليمان التى جناها ، ويظهر من التوراة أن سليمان لم يكن له عمل ما سوى التشبب فى النساء والتعشق فيهن، ولذا جمع منهن جيشا عظيما وما ظنك بألف امرأة من جهات مختلفة تجتمع تحت رجل واحد كزوجات له، فإنه إذا لم يطأ كل يوم مائتى امرأة فإنه لا يمكنه أن يعفهن حتما ، ومن يفعل ذلك فماذا عسى أن يقوم به من أعمال الملك والنبوة والنظر فى مصالح الشعب وغير ذلك؟ ويظهر أن حبه للنساء واجتماع العدد الكثير منهن تحته سلب عقل هذا المسكين

فصرفه عن دين الله إلى عبادة الأوثان، وإذا كان هذا حال توراتهم فى أنبيائهم الملهمين فياالضيعة كتب الله المقدسة التى يأتمن الله عليها فاسدى الأخلاق إلى هذا الحد المخزى .

أما نحن فنقول أن سليمان عليه السلام من كرام الأنبياء، وأنه معصوم عن كل ما يخل بمقام النبوة فى كل زمان .

وأما معنى قوله تعالى: «ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب»[1]. فإنها فتنة فى الدنيا لا فى الدين. ومعنى ذلك أن الله تعالى قداختبر عبده سليمان فى أمر الملك كى يظهر سليمان ثقته بربه وعدم اكتراثه بالملك فى جانب مرضاة ربه، فلما دخل سليمان محل سرير ملكه، وجد عليه رجلا جالسا يتصرف فى شئون الرعية دونه، فارتاع لذلك، ولكنه رجع إلى ربه وأناب إليه، وسلم له الأمر وطلب من ربه أن يغفر له جزعه الأول وأن يثبت ملكه وأن يمنحه ملكا لا يكون لغيره .

وعندى أن هذا الجسد الذى وجده سليمان على كرسيه ملك من الملائكة أرسله الله تعالى ليختبر سليمان ولهذا لما رجع سليمان إلى الله ولم يرتب على سلب كرسيه شيئا لا يرضاه الله تعالى، وعلم برضاء الله عليه طلب من ربه أن يثبت ملكه إلى حد أنه لايكون لأحد مثله. وهناك رأى بأن الذى وجده سليمان على كرسيه هو ولد ولدته له إحدى نسائه ناقص الخلق ألقته القابلة على كرسيه. وهذا الرأى هو لكثير من مفكرى المسلمين أخذاً بالحديث؟ وعلى أى حال فما نسب إلى سليمان من عبادة الأوثان وتعشق النساء افتراء على الله وقذف عظيم لنبى من الأنبياء عصمه الله من كل ما يخل بمقام النبوة .

وإذا كان المبشرون يؤمنون بكتاب كله مبنى على قذف الأنبياء الذين هم من أكبر أنبيائهم فلا عتب عليهم إذا أساءوا أدبهم مع سيد الأولين والآخرين ورسول رب العالمين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

القذف الموجود بالإنجيل فى الانبياء

وهل تظن أيها القارئ الكريم أن قذف الأنبياء مقصور على التوراة كلا فإن الإنجيل أيضا قد كال للأنبياء والمرسلين بمثل هذا الكيل .

(فهذا هو يهوذا الأسخريوطى فإنه من الحواريين الذين يمتدح المبشرون بهم ويقولون إن المسلمين لا يستطيعون إنكار رسالتهم ولقد ذكره متى ضمن الحواريين الاثنى عشر الذين أرسلهم يسوع وأوصاهم) [2].

ولقد عرفت مما ذكرناه لك فى مناقضات الإنجيل أن يهوذا قد ارتكب شر الجنايات فهو قد خان إلهه ومعبوده وسلمه للقتل من أجل ثلاثين من الفضة على زعم المبشرين، ولكن المسلمين يقولون إن يهوذا الاسخريوطى ليس برسول ومعاذ الله أن يكون مثله من الحواريين الذين أخبر الله تعالى عنهم بقوله: «قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله»[3] .

---

(١) سورة (ص) الآية ٣٤ .

(٢) راجع الإصحاح العاشر من إنجيل متى .

(٣) سورة آل عمران : الآية ٥٢ .

ومن أغرب أمور الإنجيليين أنهم أوقفوا عيسى عليه السلام فى مواقف التهمة الشائنة بجهلهم وهم لا يشعرون، ولقد صدق من قال (عدو عاقل خير من صديق جاهل) وإذا شئت أن تعرف ذلك ..اقرأ من إنجيل لوقا. فإنك تجد فيه أن عيسى أكول وشريب خمر وأنه وقف مع المرأة الزانية موقفا .خجلا لا يصدر عن كرام النفوس فضلا عن الأنبياء، وإليك نص ما ورد فى هذا الباب.

(لأنه جاء يوحنا المعمدان لا يأكل خبزا ولا يشرب خمرا فتقولون به شيطان، جاء ابن الإنسان .يأكل ويشرب فتقولون هو ذا إنسان أكول وشريب خمر، محب للعشارين والخطاة والحكمة تبرره من .جميع بنيها وسأله واحد من الفريسيين أن يأكل معه فدخل بيت الفريسى واتكأ، وإذا امرأة فى المدينة كانت خاطئة، إذ علمت أنه متكىء فى بيت الفريسى جاءت بقارورة طيب، ووقفت عند قدميه من ورائه باكية، وابتدأت تبل قدميه بالدموع وكانت تمسحهما بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب، فلما رأى الفريسى الذى دعاه ذلك، تكلم فى نفسه قائلا لو كان هذا نبيا لعلم .ن هذه الأمرأة التى تلمسه وما هى، إنها خاطئة. فأجاب يسوع وقال له ياسمعان عندى شىء أقوله .ك. فقال قل يا معلم، كان لمداين مديونان. على الواحد خمس مئة دينار وعلى الآخر خمسون، وإذا .م يكن لهما ما يوفيان سامحهما جميعا، فقل أيهما يكون أكثر حبا له فأجاب سمعان وقال أظن .الذى سامحه بالأكثر، فقال له بالصواب حكمت، ثم التفت إلى المرأة وقال لسمعان أتنظر هذه المرأة. .ى دخلت بيتك وماء لأجل رجلى لم تعط، وأما هى فقد غسلت رجلى بالدموع ومسحتهما بشعر .أسها، قبلة لم تقبلنى، وأما هى فمنذ دخلت لم تكف عن تقبيل رجلى، بزيت لم تدهن رأسى، وأما .ى فقد دهنت بالطيب رجلى، من أجل ذلك أقول لك قد غفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيرا. .الذى يغفر له قليل يحب قليلا، ثم قال لها مغفورة لك خطاياك)[(1)].

فليتأمل العقلاء فى هذا الموقف المخجل الذى لا يرضى به رجل من أوسط الناس فضلا عن .سول الذى جاء ليحارب الرذيلة.

فأنت تراه أولا أنه قد سمح للمومس بأن تضع فيها على جسمه، وتضع وجهها على قدميه كى .ح الدموع بشعر رأسها.

وثانيا أنه قرظها أحسن تقريظ وجعلها مع كثرة جرائمها أفضل ممن ليس بمجرم، لأن المثل الذى .ه الإنجيلى عن عيسى. معناه أن الذنوب القليلة تستدعى غفرانا يناسبها، وذلك يستلزم أنه .المجرم من غفر له حبا قليلا، أما الذنوب الكثيرة فإنها على العكس من ذلك. وعلى هذا .ن صاحب الجرائم الكثيرة أكثر حبا لربه الغفور من صاحب الجرائم القليلة، وصاحب الجرائم .لة أكثر حبا لربه من الذى لا يجرم أصلا.

---

(1) إنجيل لوقا: الإصحاح السابع الآيات ٣٢ ـ ٤٨.

والنتيجة المنطقية البديهية لهذا الكلام أن يسوع يحرض على الإباحة والفوضى، ويقول للناس لا مانع من أن ترتكبوا الفاحشة، ويغفر الله لكم فتحبوه كثيرا بنسبة ما غفر لكم من الجرائم فهل هذا الكلام يقوله رسول من عند الله حقا ؟ .

ومع هذا ألم يقل المسيح أن النظر إلى المرأة الأجنبية جريمة من الجرائم حتى قارنها بالزنا كما ذكرت لك فى أول هذا الكتاب، وإذا كان هذا هو حكم الله عنده فكيف يبيح لنفسه أن تلامسه المرأة الزانية هذه الملامسة المعيبة وهو شاب شريب خمر ؟ فهو من حيث ناسوته فى زعمهم عرضة للتأثر بها والافتتان بحبها. أليس ذلك دليلا على جهالة المبشرين وعدم تدبرهم فيما يكتبون ؟ .

وأيضا إذا كان المسيح قد غفر خطايا هذه المرأة الزانية المباحة بدون أن تعلن توبتها، وقال لها أنت تحبينى أكثر من الطاهرين المطهرين، فما هى وظيفته التى أرسل من أجلها ؟ كأنه ما أرسل إلا ليعرف نفسه للناس، ويقول لهم أجرموا كثيرا وأنا أغفر لكم فتحبونى كثيرا. وذلك منتهى الفساد الذى يتنزه عنه قدر الأنبياء والمرسلين .

(وبعد) فإذا كان المسيح يغفر الفاحشة الشنيعة بكلمة، فما الذى حمله على الانتحار وإعدام نفسه المحرم فى كل الشرائع وعند كل العقول من أجل خطيئة آدم التى ليست بفاحشة؟ أفما كان الواجب أن يغفر هذه الخطيئة وغيرها بكلمة كهذه وينتهى الإشكال ولكن ماذا نقول لقوم طبع الله على قلوبهم .

وورد فى الباب الحادى عشر من إنجيل يوحنا ما نصه: (وكان إنسان مريضا وهو لعازر من بيت عنيه من قرية مريم ومرتا أختها. وكانت مريم التى كان لعازر أخوها مريضا هى التى دهنت الرب بطيب ومسحت رجليه بشعرها فأرسلت الأختان إليه قائلتين ياسيد هو ذا الذى تحبه مريض، فلما سمع يسوع قال هذا المرض ليس للموت بل لأجل مجد الله، ليتمجد ابن الله به، وكان يسوع يحب مرتا وأختها ولعازر) ... إلخ .

فلم يقتصر الإنجيل على أن عيسى غفر لهذه الزانية خطاياها، بل صرح بأنه أصبح كلفا بها ومحبا لها هى وأختها وأخوها. وياليتهم قالوا أنها تابت وأنابت إلى ربها وأصبحت من العابدات القانتات، كلا بل تركوها على حالها من الفسوق والعصيان، إن حسابهم إلا على الله .

وأغرب من هذا أن يوحنا ذكر فى الباب الثالث عشر أن عيسى كان يحب أحد تلاميذه الشبان فكان ينام فى حضنه ويتكئ على صدره، ولم يدر أن ذلك موجب للريبه إلى أبعد مدى .

وورد فى الباب الثامن من إنجيل لوقا أن عيسى كان يسيح فى الجهات يبشر بملكوت الله هو وتلاميذه ومعهم نساء كن قد شفين من أرواح شريرة ومنهن مريم المجدلية التى خرج منها سبعة شياطين، ويونا امرأة خوزى، وسوسنه وأخر كثيرات .

ما شاء الله نبيون ونبيات، وأولياء ووليات، والكل يسيحون فى ملكوت الرب يكرزون بإنجيل الله، ألم يفقه الإنجيليون أن ذلك لا يجوز فى دين المسيح؟ .

وكيف يختلط الشبان بالشابات بالليل والنهار والحل والترحال وهم يشربون الخمر المهيجة، مع أن المسيح يجعل النظر إلى الأجنبية منكرا ؟ لعلهم كانوا فى حاجة إلى هؤلاء النسوة تبرر اختلاطهم، وأظرف من هذا أن كل رفقتهم كن من النساء أصحاب الأرواح الشريرة (الزار) فكان ينقص هؤلاء الرسل الكرام أن يصبحوا رؤساء زار كى يريضن النساء اللاتى هجرن بيوتهن واحتملن مشاق السفر فى سبيل الله .

إننى أقسم للقراء بأننى مللت من نقل هذه العجائب التى اشتملت عليها كتبهم المقدسة عندهم، فليعذرونى إذا اقتصرت على هذا الذى نقلته، وليعلموا أن هناك أشياء أخرى لو شئت إحصاءها لاستغرقت مجلدا ضخما ومن ذلك ما روته التوراة فى آخر الباب الثانى والثلاثين من سفر التكوين من أن الله تعالى تمثل ليعقوب فى طريقه بصورة إنسان وصارعه فى أول الليل إلى طلوع الفجر فلم يقدر الله على يعقوب، وأخيرا كسر الله فخذ يعقوب، ومع ذلك فلم يستطع أن يفلت الإله من يده فقال له أطلقنى فقد طلع الفجر، ثم قال له الإله ما اسمك فقال اسمى يعقوب، فقال له من الآن يكون اسمك إسرائيل لأنك جاهدت من الناس ومع الله فغلبت، وكان يعقوب يفخر بذلك ويقول قابلت الله وجها لوجه ونجيت نفسى ـ فهل رأيت أعجب من هذا وأسخف .

إلى هنا انتهيت من بيان الأمر الأول الذى ذكرته فى أول المبحث، وأظن أن القراء قد أيقنوا بصدق دعواى وهى أن المبشرين إما ملحدون أو مضللون .

أما الأمر الثانى : وهو اثبات براءة النبى صلى الله عليه وسلم من كل شهوة وتنزيهه من كل عيب صغيرا كان أو كبيرا، فإلى القراء البيان :

إن كل مجهود المسيحيين فى مطاعنهم يكاد ينحصر فى أن الدين الإسلامى قد أباح الجمع بين اثنتين فأكثر إلى أربع. وأن محمدا رسول الله قد تزوج أكثر من ذلك إلى أن جمع بين تسع نساء، وأنه قد تزوج امرأة زيد بن حارثة المنتمى إليه بالبنوة. ويقولون إن ذلك إباحه للشهوات إلى أبعد مدى فالدين الذى يقرها لايكون من عند الله. فلنقطع النظر عن كل ما قدمناه رأسا، ولنفرض أن كتبهم المقدسة عندهم حرمت الجمع بين الزوجات، وأن أنبياءهم العظام الذين يؤمنون بهم لم يجمع منهم أحد بين زوجين فأكثر، ولم يقع من أحد منهم شىء ينقص قدره مطلقا، لنفرض ذلك وننظر فيما يزعمون من أن تعدد الأزواج فى ذاته ينافى النبوة ويناقض الوحى الإلهى كى يتضح لنا الحق من الباطل، والخطأ من الصواب، فالكلام هنا فى أمرين:

الأول : تعدد الزوجات فى الإسلام وحكمته .

والثانى : الضرورة التى اقتضت أن يتزوج النبى صلى الله عليه وسلم أكثر من أربعة .

تعدد الزوجات فى الإسلام وحكمته :

إن الله تعالى قد أباح للرجال أن يجمعوا بين أربعة من النساء بشرط العدل بينهن فى المأكل والمشرب والمسكن. وأن يكون قادرا على اعفافهن وصيانة أعراضهن وقادرا على الإنفاق عليهن وعلى أولاده منهن، وكما أنه مكلف بالعدل بين الزوجات، كذلك مكلف بالعدل بين الأبناء، فلا يحل له أن يجحف بأحد أبنائه من غير سبب صحيح. فإذا عجز الإنسان عن إقامة العدل بين أسرته المكلف بها، أو عجز عن صيانة زوجاته وعرضهن للخنا والفساد، أو عجز عن الإنفاق عليهن أو على أولاده، فإنه يحرم عليه أن يتزوج بحيث لو فعل يكون مستوجبا التعزير. ذلك هو حكم تعدد الزوجات فى الإسلام. وهذا الحكم لا خلاف فيه عند المسلمين ومما ينبغى الانتباه له أن الدين الإسلامى فى كل قضاياه مبنى على تحصيل منفعة المجتمع الإنسانى، ورفع المضار عنه، فكل شيء يترتب عليه مصلحة مادية أو أدبية يقره، وكل شيء يترتب عليه مفسدة ينهى عنه، فالمفروض فى اباحة تعدد الزوجات أن يكون فيه منفعة للمجتمع، فإذا ترتب عليه ضرر مادى أو أدبى كان ممنوعا. وذلك معنى اشتراط العدل بين الزوجات والأولاد، والقدرة على الإنفاق، فإن عدم العدل وعدم القدرة على الإنفاق يترتب عليه مفاسد لا حد لها، بل يترتب عليه فساد الأسرة وشقاؤها دائما، وذلك ضار بالمجتمع الإنسانى ومقوض لدعائم العمران بلا نزاع .

وقد فتن تعدد الزوجات فى الشريعة الإسلامية بعض المتفرنجة من المسلمين، فجعلهم يخرجون على دينهم خروجا شائنا يدل على سوء تربية وجهالة عمياء، مع أنهم لو أمعنوا النظر قليلا لأيقنوا أن الدين الإسلامى قد شرع للناس فى هذا الموضوع الخطير ماهو ضرورى لازم لحياتهم الاجتماعية فى كثير من أحوالها، فلو لم يبح تعدد الزوجات لكان تشريعه ناقصا لا يلائم أحوال الإنسان من جميع الوجوه، ومعاذ الله أن يكون التشريع الإسلامى ناقصا وهو من لدن عليم بأحوال خلقه خبير بمصالحهم العامة والخاصة، لايعزب عنه من ذلك مثقال حبة من خردل وإليك البيان :

النص الذى أباح تعدد الزوجات هو قول الله تعالى: «وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم، ذلك أدنى ألا تعولوا وآتوا النساء صدقاتهن نحلة»[1] . ومعنى الآية الكريمة أن الناس

(١) سورة النساء : الآية ٣ .

كانوا فى الجاهلية يتحرجون من أكل أموال اليتامى ويخافون من عدم العدل فيهم ولا يتحرجون من ظلم النساء، فكان الواحد منهم يتزوج العشرة من النساء أو أكثر بدون مبالاة بعدم العدل بينهن، فيؤذى منهن من يشاء ويرضى من يشاء على حساب ما تدفعه إليه شهوته ويسوقه إليه ميله، فنهاهم الله فى هذه الآية الكريمة عن أمرين :

أحدهما : نكاح ما زاد على أربع، فلا يحل للرجل أن يتزوج أكثر من ذلك على أى حال .

ثانيهما : عدم اقامة العدل فى النساء، فلا يحل للرجل أن يظلم المرأة سواء أكانت واحدة أم متعددة. فكأنه سبحانه يريد أن يقول لهم كما أنكم تخافون من عدم العدل فى أموال اليتامى، فكذلك يجب عليكم أن تخافوا فى النساء ألا تعدلوا فيهن، فلا تتزوجوا إلا إذا وثقتم من أنفسكم بإقامة العدل فيهن، بشرط لا تزيدوا على أربع، فإن خفتم عدم العدل مع الأربع ولم تخافوه مع الثلاث فلكم أن تتزوجوا ثلاثا، وإلا فاثنتين وإلا فواحدة. فإن خفتم عدم العدل مع الواحدة فلا تتزوجوا اكتفاء بما ملكت أيمانكم إن كنتم تملكون منهن شيئا، لأن حقوقهن أيسر من حقوق الحرة فيمكنكم أداؤها بلا صعوبة .

فقوله تعالى: **«فانكحوا ما طاب لكم من النساء»** أمر بمعنى النهى، فكأنه قال لا تتزوجوا من النساء إلا من وثقتم من أنفسكم باقامة العدل معهن .

ومعنى ما طاب لكم من النساء ما أباحه الله لكم منهن، فلا تنكحوا ما حرمه الله عليكم بقوله: **«حرمت عليكم أمهاتكم»**(1) .

ومعنى قوله تعالى: **«ذلك أدنى ألا تعولوا»** ذلك أقرب إلى ألا تميلوا عن العدل، أو ذلك أقرب ألا تكثر عيالكم فتعجزوا عن الإنفاق عليهم، وفيه تنبيه إلى عدم الاندفاع فى سبيل الشهوة بدون تقدير لما يترتب عليها من العواقب، فلابد للمرء من أن يزن حالته المالية ومقدرته على الإنفاق على زوجته وأولاده، فلا يصح له أن يكون عنده الزوجة والأولاد فيضم إليها أخرى مع أن حالته المالية لا تسمح له بذلك، فتضطرب حياته هو وأبناؤه ويقع فى البؤس والشقاء من حيث لا يدرى. ذلك هو معنى الآية ويؤخذ منه أن الناس قبل الإسلام لم يكن لهم حد معين يقفون عنده فى الزوجات فكان الواحد منهم يتزوج كما يشاء، وأن المرأة كانت فى نظرهم كالحيوان الأعجم الذى ليس له من الحقوق الإنسانية شىء ما، فلا جناح على الزوج أن يهجرها أو يصلها، ولا ضير عليه أن يؤلمها فى عيشها ولا يسوى بينها وبين غيرها فى طعامها وشرابها ونفقاتها، ولا حرج عليه أن يعاملها معاملة الإنسان أو الحيوان. فماذا صنع الإسلام بالمرأة؟ أنه حررها تحريرا كاملا وسوى بينها وبين الرجل فى جميع الحقوق العامة وفرض لها عليه واجبات عظيمة كما ذكرنا ذلك قبلا، ثم بعد ذلك

---

(1) سورة النساء : الآية ٢٣ .

حظر على الناس ما اعتادوه فى الجاهلية من تزوج عدد كثير من النساء، لما فى ذلك من العجز عن القيام بتلك الحقوق، وهى حقوق مقدسة، فرضها العليم القدير الذى بيده ملكوت السموات والأرض، وعنده الجزاء الأوفى للعاملين، فإن كان ولابد من التعدد فليكن على حسب ما تستطيعه طبيعة الإنسان من أداء تلك الحقوق، وقد علم الله من طبيعة خلقه أنه يمكن أن يعدل الإنسان بين أربع، فيؤدى لهن حقوقهن كاملة، أما مازاد على ذلك فليس فى مقدور الإنسان من حيث هو إنسان اللهم إلا إذا كان نبيا معصوما وذلك قليل نادر لا يترتب عليه حكم، ولا تبنى عليه شريعة، فأباح للرجل أن يتزوج أربعا، وحرم عليه الزيادة عليهن، على أنه قد قيد تلك الإباحة بإقامة العدل فيمن يجمعهن من ذلك العدد، سواء كان اثنتين أو ثلاثا أو أربعا، فمن خاف عدم العدل فلا يحل له أن يعدد الزوجات. وعندى أن خوف عدم العدل يصدق على اليقين والظن والشك، فمن ظن أو شك فى أنه لايعدل بين الزوجات، فحرام عليه أن يعددهن وسواء كان العقد باطلا فى هذه الحالة كما يقول بعضهم من أن كل حرام باطل، أو كان صحيحا كما يقول البعض الآخر، فإنهم قد اتفقوا على أن الذى يخاف عدم العدل ويقدم على تعدد الزوجات فهو آثم إثما كبيرا وكفى بذلك زاجرا للمسلمين أما حد العدل فهو أن يعامل زوجاته معاملة عادلة بكل ما هو واقع تحت اختياره من مطعم وملبس ومسكن واحترام وتلطف فى القول وغير ذلك من الحقوق التى ذكرناها فيما مضى، ولا يغتفر له إلا ماليس داخلا تحت اختياره كالحب القلبى، فإنه أمر يقع قهرا عن الإنسان بوسائل ليست داخلة تحت اختياره، فإذا أحب الإنسان إحدى زوجاته بقلبه لميزة فيها من جمال أو أدب أو حسن تصرف أو غير ذلك فإن ذلك يغتفر له لأنه أمر طبيعى لا قدرة له عليه، فلا يكلفه الله تعالى بأن يحب غيرها كما يحبها لأن ذلك ليس فى وسعه **«لا يكلف الله نفسا إلا وسعها»**[1]. وإلى ذلك يشير قوله تعالى: **«ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة»**[2] .

فإن معناه أن الإنسان مهما كان حريصا على إقامة العدل بين الزوجات فإنه لا يمكنه أن يفعل من ذلك إلا ما هو داخل تحت اختياره، أما ماهو مجبور عليه كالحب القلبى وكل مالا يقدر على فعله فلن يستطيع أن يعدل فيه، فإذا أحب الرجل إحدى زوجاته بقلبه فلا ينبغى له أن يرتب على ذلك الحب أثرا ظالما فيهجر من لا يحب ولا يؤدى لها حقوقها فتكون كالمعلقة التى لم تصل إلى مرتبة المتزوجة ولا المطلقة، فمن فعل ذلك كان غير قائم بحقوق الزوجية، ومن هنا يرى بعض الناس أن تعدد الزوجية يكاد يكون ممتنعا فى نظر الدين لأن الذى يحب إحدى زوجاته لا مناص له من ترجيحها عليهم، وذلك منهى عنه فى نظر الدين فالعدل غير ممكن. ولكن هذا غير سديد لأن

(١) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .
(٢) سورة النساء : الآية ١٢٩ .

المفروض أنه مكلف بما هو فى استطاعته من اعطاء كل واحدة حقها الذى يناسبها من ملبس ومسكن ومأكل، وكل واحد يستطيع أن يفعل ذلك، وكذلك مكلف بالعدل بينهن فى البيت، أما ما وراء ذلك من الأمور التى ليست فى قدرته فهو غير مكلف بها، فمن لم يستطع العدل فيما هو داخل تحت اختياره حرم عليه أن يعدد الزوجات قولا واحدا، يدل على ذلك ما روى عن عائشة رضى الله عنها فإنها قالت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فيعدل، ويقول اللهم هذا قسمى فيما أملك ، فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك صححه ابن حبان والحاكم، ومعناه اللهم اننى لا أحيد عن العدل فيما أقدر عليه، فلا تؤاخذنى فيما ليس داخلا فى اختيارى، ومن هذا يتضح لك أن إباحة تعدد الزوجات فى الشريعة الإسلامية ليست كما يتصوره بعض الجهلة الذين يتخذون من هذه الإباحة وسيلة إلى قضاء شهواتهم، فيقدمون على تعدد الزوجات بدون حساب لما يترتب على عقد الزواج من الحقوق الشاقة التى لا يستطيع أداءها كاملة إلا أولو الأخلاق الفاضلة والعزائم المتينة، بل لا يحسبون حسابا لمشاق تربية الأبناء والانفاق عليهم حتى يصبحوا أعضاء عاملين فى هذه الحياة، وتكون نتيجة ذلك وبالا عليهم وعلى المجتمع الإنسانى، فإن الواحد منهم لا يلبث أن يجد نفسه بسبب تعدد الزوجات وكثرة العيال فى شقاء دائم، وبؤس مذل، ويرى أبناءه عاطلين عالة على المجتمع الإنسانى، يفسدون فيه بجميع أنواع الفساد، فحرام على هؤلاء أن تسوقهم شهواتهم إلى تعدد الزوجات وهم غير قادرين على أداء حقوق الزوجية وإقامة العدل بين الزوجات والأبناء.

رب قائل يقول إذا كان تعدد الزوجات مقترنا بهذه الشرائط التى لا يستطيع القيام بها إلا ذو إرادة قوية، وخلق متين، فلماذا أباحته الشريعة الإسلامية؟ ولماذا لم تحظره كما حظرت كثيرا من عادات الجاهلية من أساسها كشرب الخمر؟ . والجواب أنه هنا تظهر أسرار التشريع الإسلامى، وتتجلى عظمته فى أكمل معانيها فإننى قررت أولا أن التشريع الذى لا يبيح تعدد الزوجات يكون تشريعا ناقصا لا يلائم كثيرا من أحوال الإنسان ولنضرب لذلك أمثلة :

أولا : إذا فرض ووقعت حروب بين الناس (وهذا أمر كثير الوقوع)، فهلك معظم الرجال وبقيت النساء، واضطرت الأمم إلى تكثير نسلها أليس من الضرورى فى هذه الحالة أن يكون فى التشريع منفذا للناس من هذا الحرج؟ فلو حرمت الشريعة تعدد الزوجات وحتمت الاقتصار على واحدة أفلا تكون ناقصة لا تعرف أحوال الناس وما يعرض لها؟ .

ثانيا : إذا كثرت النساء فى أمة من الأمم عن الرجال فما هو الشأن فيهن وهن أكثر من الرجال، وماذا يكون الحال؟ أيترك الزائدات عن الرجال عاطلات من الزواج ويكن عاهرات أم المصلحة الاجتماعية تقضى بتعدد الزوجات حتى لا تظل واحدة خالية من الأزواج ؟! .

ثالثا : إذا تزوج رجل امرأة وجاءت منه بأولاد، ثم أصيبت بمرض يمنعه من الاستمتاع بها أو شوه وجهها أو جسمها بعاهة تمنعه من ذلك فماذا يكون حال هذا الرجل؟ أليس من سماحة الدين أن يضم إليها أخرى ليصون نفسه ويحتفظ بأولاده وأمهم حتى لا يظل معذبا ولا يضيع أبناؤه وأمهم؟ .

رابعا : إذا تزوج الرجل بامرأة عقيما وكان ذا مال كثير وكان بينه وبين زوجه ود يمنعه من الفراق، وخشي على ماله من الضياع، أفلا يكون من سماحة الدين أن يبيح له أن يتزوج بأخرى ليلد منها فيحفظ ماله وقد يلد ذرية صالحة تنفع المجتمع وتفيده ؟ .

خامسا : إن عظمة الأمم ومجدها إنما يكون بكثرة العاملين من أبنائها وبناتها فمن ضروريات النوع الإنسانى تكثير النسل بحسب ما يناسب حال كل أمة، فإذا كان عدد أمة من الأمم قليلا وأرادت تكثير نسلها، أفلا يكون التشريع الذى يمنعها من تعدد الزوجات شرا ووبالا لا ينبغى لها أن تعمل به فى هذه الحالة؟ .

ومن أجل ذلك حثت الأحاديث الصحيحة على التزوج الذى يفضى إلى كثرة النسل . على أن الشريعة جعلته مباحا وناطت تنفيذه بالعقلاء الذين يدينون بالإسلام، وهو قد حرم عليهم أن يعملوا ما يضرهم فى مالهم وأخلاقهم وكرامتهم، فلا يصح لهم أن يستعملوه إلا إذا أنتج نتيجة صالحة أودعت إليه ضرورة لابد منها، على أنها قيدته بضرورة العدل، وهو كما ترى لا يتحقق إلا ممن يستطيعون الحكم على أنفسهم، ويقدرون على تصريف الأمور تصريفا حكيما .

أما أن هذا مجحف بالمرأة لأن فيه اباحة شيء للرجل حرمت هى منه فإشكال ساقط لأن الأصل فى الزوجية المحافظة على الأنساب فإذا أبيح للمرأة أن تتزوج أكثر من واحد جاءت الفوضى بأتم معانيها، واختلطت الأنساب بأوضح صور الاختلاط وكان ضرر الزواج كضرر الزنا. على أن طبيعة المرأة وإن كانت تستلزم الغيرة فليست غيرتها على الرجل كغيرته عليها، وذلك بديهى لا نزاع فيه، فلا يصح أن يهمل تشريع ضرورى للمجتمع فى كثير من أحواله من أجل غيرة ضعيفة لا قيمة لها .

وخلاصة الكلام فى ذلك أن الله تعالى لم يبح تعدد الزوجات إلا لما فيه من منفعة ضرورية للمجتمع الانسانى فإذا أسيء استعماله فترتب عليه مضرة كان حراما حرمة شديدة .

وإذا نحن صرفنا النظر عن كل ذلك ونظرنا إلى المسألة نظرا نزيها فى زماننا هذا، لا يسعنا إلا الجزم بأن تعدد الزوجات يدفع كثيرا من المفاسد الاجتماعية والخلقية، فهانحن أولاء نرى بأعيننا أن كثيرا من الرجال لا يقنع بامرأة واحدة، بل يتركها فى غالب أحيانه ويبحث له عن خليلة بل خليلات، وذلك يضطر المرأة إلى أن تعامله بالمثل فتفسد أخلاق الأسرة بتمامها .

وغريب أن الناس الذين يعترضون على تعدد الزوجات ويعتبرونه سبة، هم فى الغالب الإباحيون الذين لا يرضيهم إلا أن تكون المرأة متاعا شائعا بين الناس جميعا، فهم لا يكتفون بأربع من

النساء، بل هم يريدون أن يستمتعوا منهن بعدد غير محدود، ولا يبالون بالاعتداء على أعراض الناس، ولا يألمون لهتك نساء الناس فى سبيل شهواتهم البهيمية التى لا تقف عند حد، فهل ذلك حسن مقبول فى نظر هؤلاء الظرفاء والتزوج الذى لا اعتداء فيه على الأعراض قبيح تأبوه العقول؟ إن ذلك لمن غرائب نزعات العقول .

على أنك قد عرفت أن تعدد الزوجات مباح فى الشرائع كلها من إبراهيم إلى موسى واننى لا أظن أن الإنجيل الذى أنزل إلى عيسى حرمه، ولكن المفسدين قد فهموا من شرائط الجمع بين الزوجات ماساعدهم على فهم المنع، فحرفوا هذا التحريف .

نزاهة النبى صلى الله عليه وسلم وبراءته من كل عيب :

وأما الأمر الثانى وهو نزاهة النبى صلى الله عليه وسلم وبراءته من كل عيب فهى معروفة لأعدائه قبل أتباعه وأحبابه، فلم يجمع صلى الله عليه وسلم بين الزوجات لشهوة فاسدة أو لغرض خسيس، وحاشاه أن تتحكم فيه شهوة وهو المربى الأعظم للعالم أجمع الذى أسس للبشر قواعد الفضائل التى ينبنى عليها إصلاح المجتمع، حاشاه أن ينقاد لشهوة أو يخضع للذة جسمانية، وهو الذى كان يهجر كل اللذات الدنيوية إلى حد أنه كان يعصب بطنه من الجوع وعدم الأكل، بينما كانت الأموال توضع أمامه أكواما، فيوزعها على الناس، ولا يأخذ منها لا قليلا ولا كثيرا. أنا لا أريد بذلك أن أقول أنه صلى الله عليه وسلم كان مجردا من الشهوة الطبيعية. كلا فإنه كان أكمل الناس خلقا وخلقا، وأحسنهم صحة وقوة، وإنما أريد أن أقول أنه كان يتصرف فى شهواته تصرف الحاكم الحازم الذى لا يسمح لها أن تطغى عليه فى أى حال من الأحوال. فلم يجمع صلى الله عليه وسلم بين نساء كثيرات إلا لمصلحة أقتضتها ضرورة الدعوة إلى الله تعالى .

كيف لا وهو الذى سن لأمته مراقبة الله فى كل حركة وسكون، وعلمهم أن هذه اللذات التى هى فى الواقع من لوازم الأجسام الحساسة، يجب أن يراعى فيها ما يسمو بالإنسان إلى الروحيات، فلا يصح لهم أن يقصدوها لذاتها مطلقا، وقد ثبت فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (تنكح المرأة لمالها وحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك) متفق عليه. وقال عليه الصلاة والسلام: (لا تنكحوا النساء لحسنهن فلعله يرديهن، ولا لمالهن فلعله يطغيهن، وانكحوهن للدين، ولأمة سوداء خرقاء ذات دين أفضل) من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا .

فمن يتأمل فى هذين الحديثين يستطيع أن يحكم على غرض الشريعة الإسلامية من الزواج حكما جازما وهو أنه لا غرض للإسلام من الزواج إلا تكوين أسرة صالحة تنفع المجتمع فليس الغرض مجرد قضاء الشهوات البهيمية، كلا فإن الذى يتبع مقتضى شهوته لا مناص له من التعرض لما عساه أن يترتب عليها من مفاسد وشرور، ألا ترى أن الرجل الذى يجعل همه منحصرا

فى البحث عن امرأة حسناء لا يعنيه غير ذلك قد يقع فى شباك امرأة حسناء تذيقه مر العذاب، وتستعمل حسنها فى إذلاله إلى حد أن يخنع لها فى أعز شىء لديه، فيفرط فى عرضه ويكون بذلك ديوثا لا قيمة له فى الوجود. ومثلها المرأة ذات المال فإن مالها يطغيها فتتسلط عليه وتستذله، وتنقلب حاكمة تتصرف فيه كما تهوى، بل ربما تسخره لقضاء شهوتها الفاسدة من حيث لا يدرى فلابد للرجل من أن يجعل همه منحصرا فى البحث عن خلق المرأة واستقامتها، ويتأكد من تمسكها بدينها الذى يفرض عليها حقوقا لزوجها تقتضيها البشرية، كما يفرض لها عليه حقوقا فإذا توفرت فى المرأة ذلك المعنى، كانت هى الزوجة الصالحة فى نظر الشريعة الإسلامية. أما ما وراء ذلك من جمال ومال فهو وإن كان من المرغبات التى تبعث الرجل إلى الاقتران بها، ولكن ينبغى أن يكون الأساس الأول هو الخلق الفاضل بما فرضه الله على الأزواج من الحقوق والواجبات.

فهل الذى يضع للناس ذلك النظام الخلقى الكامل تتغلب عليه شهوته فتدفعه إلى أن يجمع بين زوجات كثيرات لمجرد قضاء شهوة؟ كلا إن ذلك ضرب من ضروب المحال فلم يتزوج صلى الله عليه وسلم إلا لضرورة اقتضتها الدعوة إلى الله تعالى وهذه الضرورة تتنوع إلى أنواع:

١ ـ منها إيجاد لحمة نسب بين كبار أصحابه الذين بذلوا مهجهم وأموالهم فى سبيل الله تعالى ومنهم أبو بكر وعمر وقد كان لرابطة النسب قيمتها عند قبائل العرب وأقل مايترتب عليها من الفوائد تخفيف وطأة العداء الشديد بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين من لم يؤمن من أقارب أصحابه المقربين منه، وفى ذلك من الفوائد مالا يخفى. على أن المصاهرة قد يترتب عليها ترك العناد والنظر فى البراهين نظرا صادقا فيؤمنون، والدليل على ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم عقد على عائشة وهى بنت ست سنين وبنى بها وهى بنت تسع فأى شهوة تتصور مع فتاة وهى فى هذا السن؟ خصوصا أنه قد ثبت أنها يومئذ كانت نحيفة، وقد ثبت فى الصحيح أيضا أن عمر قال لحفصة إننى أعلم أن رسول الله ما تزوج بك إلا لأجلى إذ ليس بك من الجمال ما يبعثه للتزوج بك.

٢ ـ ومنها تزوج بعض النسوة لضرورة نشر الدعوة إلى الله تعالى، لأن الشريعة الإسلامية قد أبانت كل مايتعلق بحقوق الاستمتاع وآدابه كما أبانت مسائل الحيض والنفاس وغيرهما من أحوال النساء، ولا ريب فى أن الأحكام المتعلقة بهذا تحتاج إلى عدد من النساء يباشرها عمليا، فلا مناص للنبى صلى الله عليه وسلم من أن يعاشر عددا منهن معاشرة الأزواج لينقلوا عنه شريعته كاملة. ومنهن أم سلمة وسوداء بنت زمعة رضى الله عنهما، وقد تزوجهما صلى الله عليه وسلم وهما فى سن الشيخوخة تقريبا لارمق فيهن حتى أن سودة لم تكن صالحة للرجال.

٣ ـ ومنها تزوجه صلى الله عليه وسلم بعض النسوة لغرض هداية قومها للإسلام كما وقع مع جويرية بنت الحارث فإنه لما تزوج بها أسلم قومها.

٤ ـ ومنها تزوج بعض النسوة لضرورة التشريع. وهو ما وقع له مع زينب بنت جحش مطلقة زيد رضى الله عنهما والمبشرون يعتبرون هذه القصة سبة وعارا، وقد أعانهم على ذلك بعض المحدثين الذين لا هم لهم إلا البحث عن صدق الراوى مع الغفلة عن حاله، على أننا قد ذكرنا غير مرة أن للدين قواعد يجب أن يرجع إليها فى تطبيق كلام الله ورسوله، ومن هذه القواعد العامة أن محمدا رسول الله معصوم عن كل مايخل بمقامه الكريم قبل النبوة وبعدها، فكل مايخالف ذلك يكون هراء من القول لا قيمة له فى نظر المسلمين. ومع ذلك فإن هذه القصة قد ذكرها الله فى القرآن الكريم، فكل معنى زائد على القرآن لا قيمة له أيضا، وإليك قوله تعالى: **«وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا»**[1] .

وقال تعالى: **«ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين»**[2] . فهذه الآية قد اشتملت على ثلاثة أمور :

الأمر الأول : أن علاقة الزوجية بين زيد وزينب لم تكن مرضية إلى حد أن زيدا كان يريد طلاقها وكان صلى الله عليه وسلم ينهاه عن ذلك وهذا المعنى يؤخذ من قوله تعالى: **«وإذ تقول للذى أنعم الله عليه»** ... إلخ .

وقد بين الحديث أن زينب كانت تفخر بنسبها على زيد وتتعاظم عليه لا عتقادها أنه أقل منها منزلة وحسبا لأنه تربى تربية الموالى (العبيد) وهى كانت من اشراف قريش ولها صلة قرابة بالرسول، ولكن زيدا كان عظيما فى ذاته لأنه لم يكن من الموالى على التحقيق، وكان عظيما فى تربيته لأنه تربى فى حجر النبوة، ومثله لا يذل لامرأة مهما كان حسبها ونسبها، فساءت العشرة بينهما وحلت البغضاء الشديدة محل المودة والرحمة، وتلك حالة لايمكن علاجها فلم يكن لزيد مناص من طلاقها ولكن لم يستطع ذلك بدون مشورة النبى صلى الله عليه وسلم الذى زوجه إياها فأمره النبى صلى الله عليه وسلم بامساكها ونهاه عن طلاقها، وقد كان يعرض على زيد ما يرغبه فى البقاء معها .

الأمر الثانى : أنه يستفاد من الآية أيضا أن الله تعالى أوحى إلى النبى صلى الله عليه وسلم أن يرخص لزيد فى طلاقها وأن يتزوجها هو، ولكن هذا الأمر تكليف شاق على النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك الوقت، لأنه وإن كان قد قضى على كثير من عادات الجاهلية خصوصاً

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٣٧ .   (٢) سورة الأحزاب : الآية ٤٠ .

الأنكحة كنكاح الاستطراق وغيره، ولكن عادة تحريم زوجات الأدعياء (وهم الأبناء الذين ينتسبون لغير آبائهم الشرعيين) كانت بمنزلة تحريم زوجات الأبناء الشرعيين بلافرق، والشريعة الإسلامية قد حرمت نكاح زوجة الابن الشرعى ولا فرق بينه وبين الابن الادعائى فى نظر القوم، فإبطال هذه العادة لم يكن أمرا هينا، فلهذا لم يستطع النبى صلى الله عليه وسلم المبادرة بتنفيذه رجاء أن يرفعه الله عنه، ولكن الله تعالى الفعال لما يريد عاتبه على ذلك، وأمره بأن ينفذ هذا الفعل، وأن يحتمل هذه التضحية الشديدة بنفسه ليكون قدوة لغيره فيها فإنه إن لم يفعلها هو لا يستطيع أحد سواه أن يجرأ على فعلها، وذلك معنى قوله تعالى: **«وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه»** .

الأمر الثالث : أن الله تعالى بين الحكمة من هذا الزواج، وأظهر لنبيه الغرض من تكليفه بهذا الأمر الشاق على نفسه فقال تعالى: **«فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا»**. فهو يقول له إنك وإن كانت تألم لهذا الزواج وترى فيه غضاضة مرة، ولكن فيه مصلحة عظيمة، وهى القضاء على تلك العادة الفاسدة عادة اعتبار الأدعياء كالأبناء الشرعيين لأن ذلك يخالف حكم الله تعالى وهو قصر التحريم على زوجة الابن الحقيقى فإذا رآك المؤمنون قد باشرت بنفسك القضاء على هذه العادة فإنهم يتبعونك فيها .

هذا هو معنى الآية الصريح الذى لا تحتمل سواه، فهل فيها أن محمد أحب زينب فطلقها له زيدا وهى على العكس من ذلك تصرح بأن محمدا أكره على هذا الزواج من أجل التشريع الذى كلفه الله به، وهل تفيد هذه الآية أن محمدا اندفع إلى هذا الزواج أو كان يحاول الافلات منه إلى حد أنه كان يكتمه بعد أن أمره الله رجاء أن يعفيه الله منه، فإذا كان يستطيع أحد أن يرشدنا إلى غير ذلك من الآية فليأت به إن كان من الصادقين .

وعلى هذا يكون زواجه صلى الله عليه وسلم بزينب من الضرورات التى اقتضاها التشريع وهو فرض عليه لا مناص له منه .

٥ ـ قد فرض الله العدل بين الزوجات، وقد عرفت مما ذكرناه لك آنفا أن الحب القلبى من لوازمه انقياد المحب لحبيبه غالبا وذلك يستدعى عدم العدل بين الزوجات، فالله تعالى أباح للنبى صلى الله عليه وسلم أن يتزوج عددا من النساء أكثر من غيره ليكون قدوة لأمته فى العدل ، فإنه كان يعدل بين نسائه عدلا تاما مع أن عائشة كانت أحب نسائه إليه، وقد بلغ من عدله معهن أنه كان يقرع بينهن عندما يريد أن يسافر، فمن وقعت عليها القرعة أخذها معه. وقد روت عنه عائشة أنه كان يقسم بين نسائه فيعدل بينهن ويقول اللهم إن هذا قسمى فيما أملك فسامحنى فيما لا أملك، ومعناه أن كل ماهو داخل تحت اختيارى ويمكننى فعله من العدل فإننى لا أحيد عنه. أما الأشياء الاضطرارية كالحب القلبى لصفة من الصفات فإنه ليس فى اختيارى فسامحنى فيه .

فيجب على كل فرد من أفراد أمته أن يقتدى به صلى الله عليه وسلم فى العدل بين نسائه وعليه أن يضرب به المثل ويقول لنفسه (إذا كان صلى الله عليه وسلم قد عدل بين تسع نسوة ولم يؤثر عنه أنه ظلم واحدة منهن مرة واحدة فكيف يليق بك أن تعجز عن إقامة العدل بين اثنين أو ثلاث أو أربع) فهو صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة لأمته فى قوله وفعله فى كل شأن من الشئون .

٦ ـ إن معاشرة الزوجات المتعددة ليس بالأمر الهين ولا يقدر عليه إلا من كان واسع الصدر راجح العقل، يستطيع بحزمه أن يوفق بين الأغراض المتضاربة ويجمع بين الأشياء المتنافرة، وإلا عرض نفسه للشقاء المستمر والنزاع الدائم الذى يترتب عليه فساد الأسرة بتمامها، فالنبى صلى الله عليه وسلم أمكنه أن يسوس تسع زوجات ولم يؤثر عنهن خصام أو نزاع إلا مرات تعد على أصابع اليد . فمن أتيح له أن يجمع بين عدد من الزوجات فعليه أن يقتدى بالنبى صلى الله عليه وسلم فى معاملة زوجاته بالعدل ومعالجة الشئون المنزلية بالأناة وسعة الصدر. وعلى النساء أن يتخذن من زوجات النبى الكثيرات مثالا صالحا يحتذينه من العفة والزهد وتدبير المنزل والرضا بما قدر لهن من متاع فى هذه الحياة الدنيا، وبذلك تسعد الأسرة بتمامها وتقوم بواجبها نحو الله ونحو المجتمع الإنسانى .

ولو أن المسلمين تأملوا فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم مع نسائه واقتدوا به فى معاملة الأزواج والأبناء والأقارب كما أمرهم الله لعاشوا عيشة راضية مرضية .

هذه بعض الأسرار التى من أجلها شرع الله لنبيه أن يجمع بين عدد من الزوجات فلم يعدد النبى الزوجات لمجرد قضاء الشهوة. ومحال أن محمدا صلى الله عليه وسلم (وهو أكمل خلق الله وأعفهم نفسا وأزهدهم فى متاع الحياة الدنيا) تغلب عليه شهوة الفرج فيبيح لنفسه من النساء أكثر مما يبيحه لأمته. كيف؟ وقد حرم الله عليه أن يتزوج غير نسائه أو يبدل واحدة منهن بغيرها وقد عرفت أن منهن الطاعنة فى السن، ومنهن غير الجميلة، ولم يكن من بينهن من يصح أن يستمتع بها سوى واحدة أو اثنين. فإذا كان محمد شهويا وكان يشرع لنفسه ما يوافق شهوته فكيف يحظر على نفسه أن يتزوج من تصبو إليه نفسه ويلزمها أن تبقى مع من لا تشتهيه النفس عادة، إنه بهذا التشريع يعذب نفسه لا ينعمها. ألَم يقل الله له: **«لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن»**[1] . وهذه الآية محكمة لا نسخ فيها ومن يقل إنها منسوخة فإنه قد غفل عن الواقع لأن الواقع أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يتزوج أحدا بعد هذه الآية. نعم إنه قد ورد عن عائشة أن الله قد أحل للنبى قبل موته أن يضم إليه من النساء من شاء، ولكن الحق مع الذين يقولون أن مثل هذا لا يصح أن ينسخ المتواتر الذى يؤيده الواقع .

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٥٢ .

وأيضا كيف يكون محمد شهويا وقد وجد وهو فى عنفوان شبابه فى بيئة تغلب عليها الإباحة والفوضى فى الفروج إلى حد أن الزوج كان يبعث بامرأته إلى من ينكحها لتلد مثله وهو نكاح الاستطراق ومع هذا فلم يستطع أعداؤه الألداء وخصومه الأقوياء أن يأثروا عنه صغيرة ولا كبيرة تخل بمقامه الكريم .

وهل يصدق العقل أن شابا قوى البدن جميل الصورة ينشأ فى بيئة إباحية فى النساء فيعف عن هذه البيئة ويتجنبها فى كل ملاذها وشهواتها إلى حد أنه يهجر مجالسها التى تشتمل على التهتك والخلاعة فكان لذلك مقدسا عندهم جميعا يلقبونه بالصادق الأمين، حتى إذا انقضى عهد شبابه ودخل فى سن الشيخوخة انقلب وأصبح شهويا كلفا بالنساء خصوصا بعد أن ينصب نفسه لإرشاد الناس ويسن لهم قواعد العفة والبعد عن الشهوات الضارة، إن العقل الذى يصدق ذلك يكون مرتبكا كل الارتباك، ألم يقض محمد عهد شبابه كله مع السيدة خديجة التى تزوج بها وهى أكبر منه سنا فكان لها وفيا كل الوفاء فى حياتها وبعد مماتها وإذا كان محمد شهويا فما باله اقتصر على السيدة خديجة مع أن بيئته كانت مملوءة بالنساء اللاتى يحدقن به من جميع النواحى، هل يستطيع أحد من جهلة المبشرين أن ينقل عن أحد من المشركين أعداء محمد الألداء أن محمداً فجر بامرأة أو طرق امرأة أو ساقته شهوته إلى الاشتراك مع أهل بيئته فى ملاذهم الفاسدة مرة واحدة؟.

إن العرب فى الجاهلية كانوا يجمعون بين مالا يحصى من النساء بدون حصر، فما الذى منع محمدا أن يقضى شهواته فى إبان قوته ويتزوج مائة أو أكثر ولم يكن فى ذلك أى عيب أو أية نقيصة فى ذلك الوقت . فهل من المعقول أن يحكم المرء شهوته وهو شاب جلد سليم البدن، حتى إذا مافات سن الخمسين غلبته شهوته؟ لا لا إن هذا كلام القوم الذين ألغوا عقولهم وأصبحوا لايبالون بقذف الأنبياء فذرهم فى طغيانهم يعمهون وكفاهم خزيا أنهم متناقضون فى دينهم ذلك التناقض الذى لا يخفى على البله والصبيان .

ذلك أهم ماعنى به المبشرون من المطاعن فى الدين الحنيف وصاحبه خاتم الأنبياء والمرسلين وسيد ولد آدم أجمعين فلننظر فيما بقى من هذيانهم الذى يضحك الثكلى .

الشبهة الخامسة : ما يتخيله المبشرون من أخطاء نحوية فى القرآن الكريم :

قالوا فى القرآن أغلاطا نحوية وبيانية، فقد صرحوا أن القرآن اشتمل على تراكيب لو وردت فى غيره من الكتب لعدها علماء النحو والبيان غلطات لا محالة وهى كالآتى :

١ ـ قالوا فى سورة البقرة الآية ١٩٦ قوله : **«تلك عشرة كاملة»** والصواب تلك عشر كاملة .

٢ ـ قالوا فى سورة الأعراف الآية ١٦٠ . **«وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا»** فأنث العدد وجمع المعدود والصواب التذكير فى الأول والإفراد فى الثانى .

٣ ـ قالوا فى سورة النساء آية ١٦٢ : **«لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر»** والصواب والمقيمون الصلاة .

٤ ـ قالوا فى سورة المائدة آية ٦٩ : **«إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون»** والصواب والصابئين .

٥ ـ قالوا فى سورة المنافقون آية ١٠ : **«وانفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول ربى لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين»** والصواب وأكون بالنصب .

٦ ـ قالوا فى سورة آل عمران آية ٥٩ : **«إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون»** والصواب فكان .

٧ ـ قالوا إنه أخطأ فيه مراعاة للروى قوله: **«سلام على الياسين»**[1] . والوجه الياس وقوله: **«وطور سينين»**[2] . والوجه سيناء .

٨ ـ من أخطائه فى الضمائر قوله فى سورة الحج آية ١٩ **«خصمان اختصموا فى ربهم»** والوجه اختصما فى ربهما .

٩ ـ قالوا فى سورة الأنبياء آية ٣ : **«وأسروا النجوى الذين ظلموا»** وأسر النجوى.

١٠ ـ قالوا فى سورة الحجرات آية ٩ : **«وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما»** والوجه اقتتلتا أو بينهم .

هذا ما وقف عليه المبشرون من الأغلاط النحوية والبيانية فى القرآن الكريم وإننى كنت قد سخرت بجهالة هؤلاء القوم فى كل قضاياهم ولكن سخريتى بهم فى هذا المقام لا يمكننى أن أعبر عنها بأى عبارة وذلك لأن قواعد النحو والبيان التى يقول عنها المبشرون إنما هى موضوعة على أساس القران الكريم، لأنه هو الأصل العربى الذى تواتر عن محمد رسول الله العربى، وتحدى به أفصح العرب منطقا وأبلغهم قولا فعجزوا عن الإتيان بمثله فكل مايخالفه من العبارات يكون غير عربى بدون نزاع، فهل يظن هؤلاء الجهلة أن قواعد سيبوية والخليل أصل يطبق عليها القرآن فيقال لما خالف هذه القواعد إنه لحن؟ إن كانوا يظنون ذلك فقد بلغ بهم الجهل غايته، لأن الواقع أن قواعد الخليل وسيبوية وغيرهما من واضعى العلوم العربية إنما تكون صحيحة إذا وافقت القرآن الكريم، أما إذا خالفته في شيء لا يمكن تأويله فإنه يكون غلطا بلا نزاع .

---

(١) سورة الصافات : الآية ١٣٠ .   (٢) سورة التين : الآية ٤ .

فهل يصح لعاقل يعرف الخطأ من الصواب أن يقول بعد ذلك أن فى القرآن لحنا يخالف تلك القواعد؟ كلا إنما الذى يصح أن يقال أن قواعد العربية كلها يجب أن يكون مرجعها القرآن الذى ثبتت نسبته بالتواتر إلى محمد، كما ثبت أن أفصح العرب اعترفوا بأنه فى أعلا مراتب البلاغة والفصاحة، وبعد فهل ظفر المبشرون حقا بآية فى القرآن تخالف قاعدة من قواعد العربية؟ ألا فليعلم القراء أن هؤلاء الجهلة لو استعانوا بكل المفكرين وظلوا يبحثون ألف سنة كاملة أو أكثر من ذلك فى القرآن الكريم لعلهم أن يظفروا بكلمة تخالف القواعد العربية البليغة لما وجدوا إلى ذلك سبيلا .

وقد عرفت مما ذكرناه لك قريبا أنهم يرجعون إلى كتب المفسرين ويأخذون من أبحاثهم ما يسوقونه فى صورة اعتراض، وينسبونه إلى أنفسهم، مع أنهم يعلمون أن المعترض قد أجاب عن اعتراضه بعدة أجوبة ومن أجل ذلك ترى كثيرا من المبشرين لا يحسن نقل الاعتراض فيظهر جهله فى صورة مكبرة مضحكة، ولا نريد أن نذهب بالقراء بعيدا بل نقول لهم أن الأمثلة التى اعترض بها المبشرون شاهدة أكبر شهادة على ما نقول وإليك البيان :

١ - يقولون فى سورة البقرة قوله: «**تلك عشرة كاملة**» والصواب تلك عشر كاملة، وأنا أقول ياللعار وياللجهل الشائن، لأن المعدود هو الأيام وهى جمع يوم واليوم مذكرة والقاعدة فى ذلك تأنيث اسم العدد فالآية الكريمة منطبقة على القواعد النحوية فى ظاهرها وباطنها فماذا تخيله هؤلاء المبشرون حتى حكموا على الصواب بأنه ليس بصواب. إنى أسأل هؤلاء المبشرين وأتباعهم فليرشدونا إليه فإننا مستعدون لأن نجاريهم فى كل ما يقولون ونجاوبهم عن كل ما يتخيلون حتى تظهر جهالتهم للناس أجمعين .

٢ - وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما فى سورة الأعراف: «**وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا**» فأنث العدد وجمع المعدود (والصواب التذكير فى الأول والإفراد فى الثانى) والذى يلفت النظر فى هذا المقام جرأة المبشرون المدهشة فإنهم مع جهلهم الشائن بأساليب اللغة العربية وأغراضها لا يبالوا أن يحكموا حكم العلماء والواثقين فيقولوا إن عبارة القرآن ليست بصواب. ونحن نقول ليس الأمر كما تفهمون لأن تمييز اثنتى عشرة ليس هو (أسباطا) بل هو مفهوم من قوله تعالى وقطعناهم ومعناه وقطعناهم اثنتى عشرة قطعة أى فرقناهم اثنتى عشرة فرقة فإسم العدد مؤنث والمعدود مؤنث طبقا للقاعدة النحوية ومن القواعد القياسية التى لا خلاف فيها جواز حذف ما يدل عليه الكلام .

ولكنهم ظنوا أن التمييز قوله تعالى أسباطا فقالوا أن الصواب أن يكون التمييز مفردا فيقول سبطا وأن يكون اسم العدد مذكرا فيقول اثنا عشر. على أن هذا التركيب فى الذروة العليا من البلاغة، لأنه حذف التمييز لدلالة قوله وقطعناهم عليه دلالة بديهية لا تخفى إلا على الأغبياء، ثم ذكر الوصف الملازم لفرق بنى إسرائيل وهم الأسباط بدلا من التمييز .

وذلك لأن أبناء يعقوب اثنا عشر وكل ولد منهم جاء بأبناء فهؤلاء الأبناء هم أسباط يعقوب فكانوا اثنى عشر سبطا بعدد أبنائه .

ولو جعل الأسباط تمييز فذكره مفردا وقال (وقطعناهم اثنى عشر سبطا لكان الكلام ناقصا لا يليق أن يصدر عن البليغ وذلك لأن السبط يصدق على الواحد فيكون معنى الكلام على هذا أن أسباط يعقوب اثنا عشر رجلا فقط وذلك غير الواقع فلهذا جمع الأسباط على أنه لم يقتصر على الجمع لأن الجمع يصدق لغة على الاثنين مع أن أسباط يعقوب كثيرون وقد عدت التوراة أسماء أبنائه وأبنائهم الذين جاءوا إلى مصر فقط ستا وستين نفسا) [1] . فلذا قال الله تعالى بعد ذلك (أمما) لأن الجماعة الكثيرون.

فمعنى الآية أن الله فرق أسباط يعقوب اثنتى عشرة فرقة وجعل كل فرقة جماعة كثيرة .

٣ ـ وقالوا (وفى سورة النساء: **«لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة»** الآية والصواب المقيمون) ونحن نقول لهم أن الصواب هو الذى ذكر فى الآية الكريمة، وذلك لأن القرآن الكريم هو عمدتنا فى اللغة وحجتنا فى البيان العربى، وهو هنا يعلمنا أنه إذا وجدت متعاطفات وأراد المتكلم أن يعنى بأحدها مزيد عناية، فإنه ينبغى له أن يغير فيه أسلوب العطف ليدل على غرضه بنصه على المدح، فمعنى قوله تعالى والمقيمين الصلاة وأمدح المقيمين الصلاة، ذلك لأن الصلاة قد اشتملت على عمل القلب وهو الخشوع لله تعالى، وعمل الجوارح من ركوع وسجود ونحوهما من أمارات ذلك الخضوع وعمل اللسان من نطق بالشهادتين وتلاوة كلام الله تعالى، وهى إذا أقيمت فى وقتها على وجهها فإنها تنهى فاعلها عن الفحشاء والمنكر، فكل ذلك من الأسباب التى تجعل للمقيمين الصلاة ميزة يمتازون بها فلهذا جاء القرآن الكريم بنصب المقيمين.

٤ ـ وقال المبشرون إنه وردت فى سورة المائدة: **«إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون»** والصواب والصابئين .

ونحن نقول وما الحيلة فى جماعة لا غرض لهم إلا تضليل العقول بالجهل المبين، وإلا فهل يعلم القراء أن واضعى اللغة العربية أنفسهم يستدلون بهذه الآية على أوجه مختلفة تزيد عن تسع؟ وهل يظنون أن المبشرين الذين نقلوا هذا الاعتراض لم يطلعوا على ذلك ؟ إننى لا أظن ذلك، بل أقول إنهم أما أن يكونوا قد اطلعوا ولم يفهموا شيئا أو فهموا ولكنهم يريدوا التضليل، وكلاهما معيب

---

(١) سفر التكوين : الآية ٢٧ .

لايليق أن يصدر عن المبشرين الذين يكتبون فى فلسفة الأديان. ولولا أن المقام هنا ليس مقام نحو وإعراب لذكرت للقراء أوجه الإعراب التى فى الآية جميعا ولكنى أكتفى منها بوجهين :

أحدهما : أن لفظ إن وإن كان ينصب المبتدأ لفظا ولكنه لايزال مرفوعا محلا فيصح لغة أن يعطف (الصابئون) على محل اسم إن سواء كان ذلك قبل مجىء الخبر أو بعده .

والآية الكريمة شاهدة على ذلك فهى جارية على القواعد العربية لفظا ومعنى .

ثانيهما : أن المراد من الآية ذكر أصناف اليهود والنصارى فمن اليهود والنصارى المنافقون وهم الذين آمنوا فى الظاهر . ومن اليهود الصابئون فذكر الله تعالى المنافقين واليهود وقال لهم إن آمنتم بالله حقا وعملتم صالحا فلكم أجركم عند الله ولا خوف عليكم ثم ذكر الصابئين والنصارى وقال لهم ذلك القول وبذلك يكون قد ذكر الأصناف الموجودة فى شبه جزيرة العرب من أهل الكتاب .

فإفراد الصابئين بالذكر كإفراد المؤمنين فى الظاهر للإشارة إلى أنهم كغيرهم من اليهود والنصارى، وعلى هذا يكون خبر إن محذوفا وهو من آمن منهم بالله إلخ لدلالة من آمن الموجود عليه فكأنه قال إن الذين آمنوا إيمانا ظاهرا وهم المنافقون والذين هادوا وهم اليهود، من آمن منهم إيمانا حقيقيا فلهم أجرهم إلخ والصابئون والنصارى من آمن منهم بالله فلهم أجرهم إلخ فالصابئون مبتدأ والنصارى معطوف عليه ومن آمن إلخ خبر المبتدأ وهو يدل على خبر إن المحذوف كما قلناه .

٥ ـ ومن أقوال المبشرين المضحك أنه مما أخطأ فيه القرآن مراعاة للروى قوله: **«سلام على الياسين»** والوجه الياس ونحن نقول لهم أنه لا روى فى القرآن لأنه ليس بقول شاعر، وإنما هو نثر بلغ النهاية القصوى فى البلاغة والبيان، فلم تضطره الروى إلى أن يقول الياسين فلو قال سلام على الياس لم يخل بحسنه ولكنى قد ذكرت غير مرة أن كنز اللغة العربية الذى لا ينفذ وحارسها الذى لا يغفل هو القرآن الكريم، وقد علمنا القرآن هنا أن الياس اسم لفينحاس بن العازر بن هارون عليهما السلام ويقال له أيضا الياهو ومعناه بالعبرانية (قادرا أزلى) فنقله العرب إلى لغتهم وتصرفوا فيه ذلك التصرف فمرة نطقوا به الياس ومرة نطقوا به الياسين فمن التطفل المخزى أن يعترض على أرباب اللغة الذين اصطلحوا على أن ينطقوا باسم من الأسماء على وجهين فأكثر لأنهم أصحاب الحق فى ذلك . وبديهى أن بعض العبارات المنقولة من لغة إلى أخرى إنما يعول فيها على اللغة التى نقلتها لأنها أصبحت هى صاحبتها. فكما يقال لفينحاس هذا (إلياس بن العازر بن هارون) كذلك يقال له فى اللغة العربية أنه الياسين بن ياسين عيزار بن هارون . وقد ذكر كل هذا فى خطط المقريزى ونص عبارته (إلياس هو فينحاس بن العازر بن هارون عليه السلام) ويقال الياسين بن ياسين بن عيزار بن هارون. ويقال الياهو. وهى عبرانية معناها قادر أزلى وعرب فقيل الياس ... إلخ .

٦ ـ ومثل ذلك من جميع الوجوه ما ذكروه هؤلاء المبشرون المضحكون من أن قوله تعالى: «وطور سينين» خطأ وصوابه سيناء . لعلهم يظنون أن اللغة العربية يجب أن تكون تحت سلطانهم فلا يصح لها أن تخرج عما يرسموه، فكل مالا يوافق أهوا ءهم يكون خطأ . الواقع أن جرأة هؤلاء الناس لايمكن وصفها، وإلا فأهل اللغة العربية نقلوا أسماء أعجمية وأدخلوها في لغتهم فغيروها بحسب ما يلائم ذوقهم في النطق فمنهم من نطق به سيناء، ومنهم من نطق به سيناء بفتح السين، ومنهم من نطق به سينين بفتح السين وهم بكر وتميم من العرب الخلص، ومنهم من نطق سينين بكسر السين. والقرآن الكريم عبر عنه مرة بسيناء في سورة (المؤمنون) ومرة عبر عنه بسينين كما في سورة والتين وكل ذلك ليجيز للناس قراءة القرآن باللغات العربية المختلفة .

فعلى أي وجه من الوجوه يعترض على أهل هذه اللغة ويقال لهم إنكم غيرتم العبارة التي أدخلتموها في لغتكم. ولنفرض أن وجوه المبشرين التي لا تخجل تساعدهم على التدخل فيما ليس من شؤونهم ويقولون لأهل اللغة العربية إنكم أخطأتم في تغيير الاسم الأعجمي الذي عربتموه . فكيف يصح الاعتراض على القرآن الذي جاء بما يوافق لغة العرب . وهو قرآن عربي مبين . فمن لي بمن يقرأ مضحكات المبشرين ثم يضحك .

٧ ـ ومن مضحكات المبشرين قولهم أن آية: «هذان خصمان اختصموا في ربهم» لحن والصواب أن يقول اختصما في ربهم ونحن نقول لهم كلا إنه لو قال اختصما لكان خطأ عند البلغاء الذين يدركون معاني الكلم وأساليبها البليغة، وذلك لأن الفريقين اللذين اختصما هما أهل الكتاب الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ومشركوا العرب الذين آمنوا قبلهم . فأهل الكتاب يقولون إنهم أفضل لأنهم آمنوا بكتابهم ثم آمنوا بمحمد، فانتقلوا من كتاب إلى كتاب، أما الذين آمنوا من الوثنيين فإنهم انتقلوا من الوثنية، والآخرون يقولون إنهم أفضل لأنهم سبقوهم إلى الإيمان والله سبحانه وتعالى اعتبر خصومتهم هذه في الطمع في زيادة الأجر عند الله تعالى، وهو قادر على أن يرضيهم جميعا، ولا ريب في أن كل فريق منهم جماعة كثيرون، فينبغي للبليغ أن يأتي في العبارة بما يفيد أنهم جماعة فقال اختصموا ولو أنه قال اختصما لم يقم دليل على أنهم جماعة فينصرف الذهن إلى التثنية الحقيقية وذلك يتنزه عنه كلام الله تعالى. ومن القواعد المقررة في اللغة العربية التي لا جدال فيها أن مرجع الضمير يصح أن يلاحظ فيه لفظه ويصح أن يلاحظ فيه معناه .

٨ ـ ومثل هذه الآية من جميع الوجوه قوله تعالى: «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما» .

٩ ـ ومما نقله المبشرون عن المفسرين مع الإغضاء عن الجواب الذي ذكره المفسرون، ما ذكروه بالنسبة لآية المنافقون، فإنهم قالوا وفي سورة المنافقون آية ١٠: «وانفقوا مما رزقناكم من

قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين» والصواب وأكون بالنصب . وقد ذكر المفسرون فى بيان ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم بلغ هذه الآية بالنصب والجزم، فقد تواتر عنه أنه قرأها وأكون من الصالحين بالنصب، وبذلك قرأ كثير من رواة القراءات السبع. وإعراب الآية على هذه الرواية ظاهر لأنها معطوفة على أصدق المنصوب لفظا فى جواب لولا التى هى هناك للتمنى بمعنى هلا . كما أنه تواتر عنه أنه قرأ وأكن بالجزم، ووجهها فى الإعراب أن أصدق وإن كان منصوبا لفظا ، ولكنه مجزوم محلا بشرط مفهوم من قوله (لولا أخرتنى) لأن قوله فأصدق، مترتب على قوله إن أخرتنى حتما ، فكأنه قال إذا أخرتنى أصدق وأكن، وهذه قاعدة من القواعد التى وضعها علماء اللغة العربية، فإنهم قالوا إن العطف على المحل المجزوم بالشرط المفهوم مما قبله جائز عند العرب، وقد ذكر ذلك سيبويه عن الخليل. فالقرآن الكريم هو قاموس اللغة الذى يرجع إليه واضعوها ويبنون عليه قواعدهم كما قلت لك آنفا .

١٠ ـ وكذلك ما نقلوه عن المفسرين فى قوله تعالى: **«إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون»** فالمفسرون قالوا أى (فكان) ، فظن المبشرون أن المفسرين يصلحون بذلك الخطأ الواقع فى القرآن، فقالوا أن الصواب كان . وإذا سألت المبشرين ما هو وجه الصواب وما هو وجه الخطأ فى ذلك، تجدهم بعيدين عن معرفة شىء من ذلك بعد الأطفال الذين لا يحسنون النطق. ولكن ما الحيلة والمفسرون قد مهدوا للمبشرين طريق النقل عنهم، كما تنقل الببغاء الكلام الذى لا تفقه له معنى. ولكن المفسرين قد ذكروا السبب الذى عبر عنه الله بهذه العبارة .

فقالوا إنما عبر بالمضارع لنكتة بديعة تقتضيها بلاغة القول. وهى أن الله تعالى يريد أن ينبه الناس إلى أن قدرته على إيجاد ممكن وإعدامه لم تنقض بل هى مستمرة فى الحال والإستقبال وواقعة فى كل زمان ومكان بطريق الحس والمشاهدة، بحيث لاينكرها إلا المبطلون المعاندون، فالذى خلق آدم من تراب ثم قال له كن فكان فى الماضى، قادر على أن يخلق غيره فى المستقبل بأن يقول له كن فيكون، فكيف تستبعدون إيجاد عيسى من غير أب؟ هذا هو الغرض من التعبير بالمستقبل . فهل يستطيع هؤلاء المبشرون أن يفهموا هذا المعنى الذى ذكره المفسرون وهم أصحاب النظريات التى يخجل من تدوينها صغار الطلبة ؟ كلا ولكنهم يستطيعوا أن ينقلوا قول المفسرين أى (فكان) ويقولون أن التعبير (بيكون) خطأ . ولم يعلموا أن اللغة العربية تستعمل الماضى فى المضارع وبالعكس لأغراض معنوية سامية تقتضيها بلاغة الكلام كما بينا .

١١ ـ قالوا ومن خطأ القرآن فى الضمائر أنه قال فى سورة الأنبياء: **«وأسروا النجوى الذين ظلموا»** والوجه وأسر النجوى. إن هذا التركيب مطابق لقواعد اللغة العربية باتفاق، ولكن

علماء اللغة العربية اختلفوا فى الفاعل الذى أسند إليه الفعل فى مثل هذا التركيب، فالجمهور يقولون إنه مسند لنفس الضمير والإسم الظاهر بدل منه فإذا قلت جاءوا الصالحون فإنه ينبغى أن تعرب جاء فعل ماض وواو الضمير فاعل والصالحون بدل، وبعضهم يقول إن ذلك ليس بلازم إذ يصح أن يعرب جاء فعل والواو علامة الجمع والصالحون فاعل ولكن العمل بهذا الرأى قليل، ويعبر عنه علماء اللغة العربية بلغة أكلونى البراغيث.

وقد استدل للرأى القليل بشواهد كثيرة من كلام العرب منها :

يلومننى فى اشتراء النخـــــيل أهلى فكلهم يعـزل

ومنها :

رأين الغوانى الشيب لاح بعارضى فأعـرضن عنى بالخـدود النواضـر

ومنها :

تولى قتـال المارقــين بنفســه وقد أسـلماه مبعــد وحميــم

فهذه الأبيات العربية تدل على أن الفعل مسند للاسم الظاهر أما الضمير فهو حرف يدل على التثنية أو الجمع كما بين فى محله .

١٢ ـ يقولون إن القرآن يناقض بعضه بعضا وذلك لأنه قال: **«فيه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات»**. وقال فى مواضع كثيرة أنه قرآن عربى مبين فكيف يكون عربيا مبينا مع أن فيه المتشابهات .

وهذا الإعتراض نقلوه من كتب التفاسير وكتب علماء الكلام وقد أجابوا عنه بأجوبة كثيرة أحسنها فى نظرى وأقربها أن المراد بالمتشابهات الحقائق التى لا يمكن للعقول البشرية جميعها أن تدركها كمعرفة حقيقة ذات الإله والروح أو حقيقة الأمور المادية البسيطة التى لا يمكن تحليلها ومثل ذلك الأمور الغيبية كأحوال الآخرة ونحو ذلك فهذه الأمور قد وردت فى القرآن الكريم بعبارة عربية فصيحة لا يتوقف أحد فى إدراك الغرض المطلوب منها. ومن ذلك قوله تعالى: **«ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى»**. وقوله تعالى: **«ليس كمثله شىء»**. وقوله تعالى: **«إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث»** ... إلخ . ولكن لا يمكن للعقول إدراك هذه الحقائق فالعلماء المفكرون لا يحاولون معرفة هذه الحقائق ولا يطالبون الرسول ببيانها لأنهم يدركون أن للعقل الإنسانى حدا يقف عنده، وأما الجهلة والمعاندون فإنهم يقولون بين لنا معنى الروح، أو اطلب من الإله يأتينا جهرة ، أو بين لنا متى تكون الساعة بالتحديد، أو غير ذلك، فليس فى القرآن

الكريم كلمة واحدة أو مشكلة لا يمكن للعقل إدراكها ذلك هو الصحيح وأما الذين يقولون أن المتشابه هو نحو قوله تعالى: «الرحمن على العرش استوى» وقوله: «يد الله فوق أيديهم» لا ينكرون أن هذه العبارات لها مدلولات ظاهرة تنطبق على اللغة العربية ولكنهم يقولون أن ظاهرها غير مراد ولا تعرف مراد الله منها على التحقيق فنقف عندها إحتياطًا وتأدبًا مع الله تعالى، فالفريقان يقولون أن مدلولات الآيات فى غاية الظهور والوضوح ومن أراد أن يعرف أكثر من ذلك فليرجع إلى كتابنا توضيح العقائد .

هذا كل ما زعمه المبشرون وما تخيلوه من أخطاء نحوية فى القرآن الكريم، ومنه يتضح للقراء صدق ما ذكرناه غير مرة من جرأة هؤلاء على الحقائق العلمية ونزولهم إلى ميادين الحجة والمنطق السليم . وهم عزل من كل سلاح مجردون من كل دليل ، لا هم لهم إلا التشويش والتضليل ظنا منهم أن ذلك يؤثر على نفوس الضعاف، فيقعوا فى حبائلهم التى يصطادون بها الجهلة والأحداث، ليبرروا ما يبتزونه من أموال باسم الإصلاح الدينى، والله يعلم أنهم من شرار المفسدين الذين لا هم لهم إلا إشباع بطونهم، وقضاء ملاذهم الفاسدة وشهواتهم القاتلة فلهم من الله أشد العقاب يوم لاينفع مال ولا بنون .

الشبهة السادسة : ما يتخيله المبشرون من أخطاء تاريخية فى القرآن الكريم :

قد ظهر المبشرون فى هذا المبحث بمظهر المؤرخين العظماء والفلاسفة الخطرين الذين وقفوا على أسرار التاريخ وفلسفته .

وإننى أؤكد للقراء أننى سأضيع عليهم وقتا فى خيالات المبشرين فى هذا المقام ولكن لهم على أن أعوضهم خيرا وهو أنهم يقرءون ويضحكون فليسمعوا مطاعنهم والرد عليها تفصيلا .

١ ـ قالوا إنهم علموا بوجود عاد وثمود وهما قبيلتان من العرب ذكرهما القرآن من كاتبين من قدماء اليونان وهما بطليموس وديودس سيسلوس، وأن القرآن زاد عما ذكراه شيئا يسيرا فى قصة تلك القبيلتين وأن كثيرين من المكتشفين أثبتوا ما رواه الكتاب المقدس، أما عاد وثمود فلم يثبت أحد ما حكاه القرآن عنهما حتى ظن كثير من العلماء والباحثين أن محمدا نقل خبرهما من كتب الصابئين التى دعاها فى قرآنه صحف إبراهيم ويظهر أنه فيما بعد علم أن هذه الصحف مزورة فلم يعد يذكرها مدة أربع سنين بعد إدعائه الرسالة. هكذا يقول هؤلاء المبشرون وقالوا بعد ذلك أما من جهة هود وصالح وشعيب فمن المحتمل أن يكونوا مبشرين مسيحيين جاءوا بلاد العرب يكرزون لها بالإنجيل ومن المحتمل أن يكونوا غير ذلك.

فلننظر فيما يزعمون :

أولا : إن المبشرين لم يستطيعوا أن ينكروا وجود هاتين القبيلتين رأسا، ولكنهم يقولون أن

التوراة لم تذكر عنهما شيئا ، وكفى بذلك حجة على عدم وجودهما عندهم، ومن المضحك أن المبشرين يقرون أن كثيرا من أسفار التوراة الموجودة فيها الآن زائدة على الوحي .

وإذا كانت التوراة عرضة للزيادة والنقص إلى هذا الحد ، فكيف يمكن اتخاذها حجة تاريخية جازمة جامعة لكل أخبار العالم خصوصا أنهم قد اعترفوا بالتحريف الذى عرض لها فى كثير من مواضعها ؟ وهب أن التوراة لم تحرف وأنها حجة تاريخية ولكن من الذى يستطيع أن يقول أنه يجب أن تكون التوراة مشتملة على كل أخبار العالم فلم تترك منها شيئا أبدا .

ثانيا : المبشرون قالوا إن هاتين القبيلتين ذكرهما كاتبان من قدماء اليونان، ولا أدرى ماذا يتخيلون فى هذا فلنفرض أن ذلك صحيح، ولكن ماذا يترتب على صحته؟ إنه يكون وثيقة تاريخية تؤيد القرآن الكريم، لأنها تدل على أن أمر هاتين القبيلتين كان معروفا شائعا بين العرب وغيرهم من مؤرخى اليونان، وهل يظن المبشرون أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلم اللغة اليونانية أيضا وبحث فى كتب اليونان بحثا عميقا حتى عثر على هاتين الوثيقتين فنقلهما ، أو أرسل المسيح روح هذين المؤرخين فأوحت إلى محمد بما قالاه؟ أو ماذا يريد هؤلاء الجهلة؟ أليس من المضحك أن يسوق المبشرون دليلا ليقطعوا به خصومهم فإذا هو دليل عليهم يقصم ظهورهم قصما .

ثالثا : ما هى كتب الصابئين التى نقل عنها محمد رسول الله خبر هاتين القبيلتين؟ إن المبشرين يكتبون وهم غافلون لاهون ليرضوا شهواتهم بدون زيادة ولا نقصان وإلا فهذا اعتراف بوجود وثيقة تاريخية ثانية تقص نبأ هاتين القبيلتين، وأن أمرهما كان شائعا بين العرب وغيرهم من يونان ويهود وهل يظن هؤلاء المبشرون أن المخالف فى العقيدة لا يأتى بشىء صحيح؟ كلا فإن القرآن من عند الله حقا وقد جاء بكل الفضائل الإنسانية والحقائق العلمية والتاريخية سواء كانت فى التوراة أو فى الإنجيل أو فى كتب الصابئين أو اليونان أو غيرهم، إنما الذى يحاربه القرآن هو ماينافى تنزيه الإله وما يضر بالمجتمع، وما يقضى على الفضيلة، أما كل ما يوافق ذلك فهو يؤيده جزما مهما كان قائله وأى فرق فى نظر القرآن بين التوراة والإنجيل وبين كتب الصابئة واليونان إنه لا فرق مطلقا فإذا كان فى أحدها شىء صحيح أقره وإلا نبه عليه وحذر الناس من شره، ذلك هو الواقع الذى قررناه غير مرة فى كتابنا هذا فليفهم أتباع المبشرين ذلك وليريحوا الناس من جهالتهم إن كانوا ينصفون .

رابعا : أى دليل يدل على أن محمدا سمى كتب الصابئين صحف إبراهيم؟ هل يستطيع أتباع هؤلاء المبشرين الذى يفترض الكذب فى كل كلمة يقولونها أن يبينوا لنا دليلا يدل على ذلك؟ إن القرآن الكريم قد أخبرنا بأن الله أنزل على إبراهيم صحفا كما أنزل على موسى وغيره، وقد ورد فى حديث رواه ابن عساكر عن أبى ذر عن النبى أن صحف إبراهيم كلها أمثال وعظات، فليس فيها تاريخ ولا أحكام فكيف نقل عنها تاريخ عاد وثمود ؟

ومن المضحك أن يقول المبشرون أن محمدا عرف أن هذه الصحف قد زورها الصابئون فلم يذكرها بعد رسالته بأربع سنين، ما شاء الله كان إنه لمنطق ساحر وخيال بديع ، المبشرون تخيلوا أن كتب الصابئة قد اشتملت على أحكام وتاريخ وتخيلوا أن محمدا رسول الله نقل عنها تاريخ عاد وثمود ، وتخيلوا أنه سماها صحف إبراهيم ولم يكن ذلك خيال إنسان مستيقظ كلا بل هو خيال نائم يحلم أحلاما لذيذة ليرد بها على خصمه .

فلما استيقظ من نومه وجد نفسه أمام من يضحك من حلمه ويسخر من أوهامه، ومن الجرأة النادرة على الحقائق التاريخية والعلمية أن هؤلاء المبشرين يقولون إن محمدا علم بأن كتب الصابئين مزورة فلم يذكرها مدة أربع سنين، ولا أدرى من أين لهم ذلك أليس من تضييع الوقت أن يرد الإنسان على هؤلاء المبشرين الذين يفترون الكذب إلى هذا الحد !.

وإلا فليجتمع المبشرون وأنصارهم فى صعيد واحد ليقولوا لنا فى أى آية من القرآن أو فى أى حديث من الأحاديث أو خبر من الأخبار أن صحف ابراهيم هى كتب الصابئة؟ وإذا كانت هى كتب الصابئة وذكرت فى القرآن على أنها وحى من عند الله، فكيف تكون مزورة؟ ومن ذا الذى يستطيع أن يقول عنها إنها مزورة بعد ذلك؟ ولنفرض أنها مزورة كيف لا يذكرها محمد أربع سنين بعد أن ذكرها القرآن إن ذلك لمن عجائب الأمور .

ولكن لا تضحك أيها القارىء ولا تقل إنهم لا يقولون إلا كذبا فإنك إن ضحكت عرضت نفسك لغضب الروح عليك . أما أنا فسأضحك ولا أكف عن الضحك والسخرية بهؤلاء القوم ما دمت حيا .

وبعد فلعل القراء يريدون أن يعرفوا مجمل تاريخ عاد وثمود فليسمعوا ما أقصه عليهم من كتب التاريخ الصحيحة كابن الأثير والطبرى : إن عادا وثمود من ولد إرم بن سام بن نوح .

فأما عاد فهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وعاد هذا وقبيلته يقال لهم عادا الأولى وكانت مساكنهم ما بين عمان وحضرموت بالأحقاف فكانوا جبارين طوال القامة، كما وصفهم الله تعالى بقوله: «**واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة**»[1]. فأرسل الله اليهم هود بن عبد الله بن رياح بن الخلود بن عاد بن عوص فنبيهم هود عليه السلام من أحفاد عاد أبى القبيلة وكانوا يعبدون أوثانا ثلاثة أحدها يسمى ضراء والثانى ضمور والثالث الهباء، فدعاهم هود إلى توحيد الله تعالى ونبذ عبادة الأوثان وترك المظالم والآثام، فكذبوه وتباهوا بقوتهم فقالوا من أشد منا قوة، ولم يؤمن به منهم إلا قليل فابتلاهم الله بالقحط فأرسلوا منهم وفداً إلى مكة يستسقون فنزلوا على معاوية بن بكر وكان بينهم وبينه مصاهرة لأن أحد رجال الوفد كان متزوجا بأخت معاوية وقد جاءت منه بأولاد فلما نزلوا على معاوية أكرم وفادتهم فمكثوا

(١) سورة الأعراف : الآية ٦٩ .

مدة وانتهى بهم الأمر إلى أن رأوا ثلاثة سحائب بيضاء وحمراء وسوداء، وسمعوا مناديا يقول لهم اختاروا لأنفسكم ولقومكم فاختاروا السوداء. وإذا بها مملوءة مدرا ونارا فسارت إليهم وأمطرتهم فأهلكتهم بذنوبهم .

وأما ثمود فهم أولاد ثمود بن جابر بن أرم بن سام ، وكانت مساكن ثمود بالحجر بين الحجاز والشام وكانوا بعد عاد وكانوا كثيرى العدد فكفروا بربهم، فبعث الله اليهم صالح بن عبيد بن اسف بن مائح بن عبيد بن جادر بن ثمود ، فصالح رسولهم من أحفاد ثمود رأس القبيلة، فدعاهم إلى توحيد الإله فلم يؤمن منهم إلا قليل ، ثم طلبوا منه آية فأرسل الله لهم الناقة إلخ ما قصه الله فى القرآن عنه .

ذلك هو ملخص تاريخ هاتين القبيلتين، ومما لاشك فيه أن العرب قد نبغوا فى حفظ الأنساب ومعرفة تاريخ بعضهم بعضا فكان منهم أخصائيون فى ذلك يقال لهم النسابة، فكان الواحد منهم ينقل أخبار القبائل الحاضرة والبائدة، مع معرفة نسبها وحسبها ، فكان عاد وثمود وصالح وهود عند العرب مشهورين كشهرة إبراهيم وإسماعيل من جميع الوجوه، ولهذا نقل ابن الأثير عن ابن إسحاق ما نصه وأما أهل التوراة فإنهم يزعمون ألا ذكر لعاد وهود وثمود وصالح فى التوراة .وأن أمرهم عند العرب فى الجاهلية والإسلام كشهرة إبراهيم الخليل عليه السلام ، ثم قال ابن الأثير وليس إنكارهم لهذا بأعجب من إنكارهم لحال المسيح عليه السلام .

يريد أن يقول أن الذى ينكر كون المسيح بشر يأكل ويشرب وينام ويتلذذ ويتألم، ويزعم أن الإله حل فيه لا يبعد عليه إنكار البديهيات فهم قوم لا قيمة لإنكارهم على أى حال .

والواقع أن المؤرخين المسلمين معذورون مع هؤلاء الجهلة لأن القرآن الكريم لا غرض له من ذكر تاريخ الأمم القديمة إلا ضرب الأمثال وتحذير المخاطبين من الكفر بخالقهم وتخويفهم من بطشه، فلو لم يكن العرب الذين يعبدون الأوثان يومئذ عالمين بتاريخ هؤلاء القوم حافظين له، لم يكن لذكر عاد وثمود فى هذا المقام كبير فائدة، على أنه لو لم يكن تاريخ عاد وثمود مشهورا عند العرب معروفا لهم لأنكروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرهم، وقالوا له إنه لا يوجد فى القبائل العربية عاد وثمود، واعتبروا ذلك مطعنا يطعنون به عليه، بل هم كانوا أحق وأولى من المبشرين بذلك لأنهم أقرب منهم بأجيال كثيرة إلى تاريخ عاد وثمود وأقرب إلى أماكنهم وهم من القبائل العربية ، فلماذا لم ينكروا أمرهما ويقولوا لمحمد إنك تخترع لنا قصصا غير معروفة لنا ، ذلك بديهى لا يرتاب فيه عاقل سوى جهلة المبشرين الذين لايكادون يفقهون حديثا .

٢ ـ قالوا إن القرآن أخطأ فى سرد أخبار إبراهيم ، فإنه روى عنه كثيرا مما لا يوافق ما جاءت به التوراة التى يشهد لها أنها أنزلت من عند الله ، مثل حكاية طرحه فى النار وخروجه منها سالما التى هى خرافة يهودية أخذها عنهم بغير تثبت .

ماذا أقول فى جماعة لا يقرون قضية إلا وينقضونها بأخرى، إن محمدا نقل معجزة إبراهيم عن اليهود ولم ينقلها عن التوراة، فلهذا كانت خرافة فلتنقل للمبشرين ألم تقولوا غير مرة أنكم تفخرون على الكاثوليك لأنكم نقلتم التوراة عن اليهود كاملة أماهم فزادوا عليها ؟ ألم تقولوا غير مرة أن اليهود أمناء على توراتهم وديانتهم؟ فما بالهم أصبحوا مخرفين فى هذا المقام . لقد قلنا لكم إنهم مخرفون قد حرفوا التوراة تحريفا شائنا فلم تصدقوا، وها أنتم ذا تقولون أنهم مخرفون، وأن محمدا ينقل عنهم ونحن نقول لكم أما إنهم مخرفون فصحيح وأما أن محمدا ينقل عنهم خرافاتهم فذلك باطل بطلانا واضحا لأن الذى ينقل عنهم ويعول عليهم إنما هم أنتم الذين تصدقون كل مايقال لكم من محال. أما إنكم أيها المبشرون تعتبرون معجزة إبراهيم خرافة فذلك شطط فى الحكم وجهل بما تقوله أناجيلكم من المعجزات والخيالات، وهل هذه المعجزة أبعد عن العقل من معجزة إخراج الشياطين من أجسام الجماهير إلى أجسام الخنازير ورقص الخنازير وسقوطها فى البحر؟ هل هى أبعد من مشى المسيح على البحر الأبيض وهو هائج؟ وإذا كنتم يامعاشر المبشرين تنكرون معجزة كهذه بالنسبة لسيدنا إبراهيم، فإنكم بذلك تنكرون نبوته وقد أنكرها بعضكم وإذا كان كذلك فلتكفروا بتوراتكم المملوءة من ذكر كلام الله لإبراهيم واعطائه عهد النبوة هو وبنيه .

إذا كنتم تنكرون معجزة كهذه ذكرها القرآن لسيدنا إبراهيم وتعتبرونها خرافة، فما بالكم تقولون أن المعجزات التى ذكرها القرآن فى عيسى حقائق ثابتة لا تدل على رسالته فحسب بل تدل على أنه إله قدير، أليس من الذوق والأدب وحسن السياسة أن تغضوا عن معجزة صغيرة ذكرها الله لإبراهيم ولا تطعنوا فيها حتى لا تزلزلوا الثقة بالكتاب الذى ذكر معجزات معبودكم عيسى . إن الواجب هو ذلك ولكن أين العقول التى لا تدرك وتتصور .

(وبعد) فلماذا يحسب المبشرون هذه المعجزة خرافة؟ أليس الله قادرا على تبريد النار؟ إن القرآن قال: **«قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم»**(١) . فهل الإله القادر الذى قال للنار كونى بردا وسلاما لا ينفذ أمره؟ وإذا كان أمر الله خالق السماء والأرض لا ينفذ فى مثل هذا ، فيالخسارة العالم أجمع ويالضيعة النجوم والكواكب والأفلاك، فإنها لا ترتكز إلى قوة تسير بها ولا تستند إلى إله قدير يصرفها كما يشاء، ألا إن الذى يقول ذلك يكون كافرا من شرار الكافرين فالمبشرون فى الواقع ملحدون لاموحدون وإلا فإذا كان بعض الناس يستطيع أن يدهن جسمه بمادة فلا تؤثر فيه، فهل يعجز الله تعالى أن يحمى جسم إبراهيم من التأثر بالنار؟ .

٣ ـ قالوا إن بالقرآن أخطاء فى تسمية أبى إبراهيم آزر لأن اسمه تارح كما هو فى التوراة .

وماذا أقول لهؤلاء المبشرين الذين وضعوا قواعد الوقاحة وسوء الأدب فلا يبالوا أن يهاجموا القرآن الكريم بدون مبالاة. لقد عرفت غير مرة أن التوراة المحرفة ليست حجة على كتاب الله المتواتر

المحفوظ من عبث العابثين، فإذا قالت التوراة أن اسم أبى إبراهيم تارح وقال القرآن الكريم أن اسمه آزر فإن الذى يصدق هو القرآن جزما، لأنه ثبت بالأدلة الجازمة أنه من عند الله، وثبت بالتواتر أنه هو الذى أعجز دول البلاغة والبيان، لأنه هو ذلك القرآن بدون زيادة ولا نقصان، بخلاف غيره كما بيناه فى أبوابه أحسن بيان، على أن المفسرين قالوا أن آزر عم إبراهيم لا أبوه ولم يقولوا ذلك، لأن التوراة قالت إنه تارح كلا إن التوراة المحرفة الموجودة الآن لا تساوى عندهم شيئا إلا ما طابق منها القرآن، وإنما قالوا ذلك لأنهم يقولون أن أجداد النبى صلى الله عليه وسلم جميعهم إلى آدم حفظهم الله من عبادة الأوثان، ومعلوم أن عم الإنسان يقال له أب لغة وعرفا، فسمى الله تعالى عم إبراهيم أبا لذلك .

٤ ـ قالوا أن القرآن أخبر بأن الله أرسل الطوفان على المصريين فى عصر موسى فى سورة الأعراف وذكر الطوفان محلى بأل التعريف فى هذا الموضع يحملنا على الظن بأنه عنى طوفان نوح، الذى ذكر فى السورة عينها أنظر آية (١٣٢ و ٦٣) .

ما شاء الله كان، لقد أفاق المبشرون من غشيتهم ونفضوا تراب الجهل عن رؤوسهم وقاموا يشرحوا لنا القرآن الكريم شرحا يعلمونا به مواقع اللغة ومراميها، فأرهفوا آذانكم وأنصتوا لما يلقون إليكم من بيان ساحر وقول بليغ، بشرط ألا تضحكوا أو إذا ضحكتم فلاتضحكوا فى وجوه أتباعهم فإنهم مساكين .

أتدرون ماذا يقول المبشرون يقولون أن الله تعالى قد ذكر فى آية ٦٣ فى سورة الأعراف طوفان نوح ثم ذكر فى آية ١٣٢ من هذه السورة طوفان موسى ولما كان القرآن لا يعرف التاريخ ولا يعرف الفرق بين زمن موسى وزمن نوح ذكر طوفان موسى محلى بأل للتعريف فيكون غرضه أن يقول أن طوفان موسى هو طوفان نوح ما شاء الله كان هكذا وإلا فلا، القرآن الذى قص تاريخ الأمم القديمة على أتم بيان وأكمله لا يفرق بين زمانى نوح وموسى، ويقرر أن طوفان نوح هو طوفان موسى وبذلك يكون جاهلا بالتاريخ فى نظر المبشرين، سبحان الله بماذا أرد على هؤلاء إننى أقول لهم ليس كما تزعمون من خيال، بل القرآن الكريم قد قص علينا فى هذه السورة أنباء كثيرة من الأمم الماضية بعبارة تأخذ بمجامع القلوب، ومن ذلك أنه أخبرنا بأن الله تعالى أرسل على من كفر بموسى طوفانا يناسب حالهم، وقد روى أنه أمطرهم ثمانية أيام فى ظلمة شديدة فأغرق أرضهم وعذبهم، ثم لم يكتف بذلك فأرسل عليهم الجراد ثم القمل ثم الضفادع فكانت تقع عليهم وفى آنيتهم ثم الدم فانقلب ماؤهم دما كل ذلك ليزجرهم عن عبادة الأوثان قال تعالى: **«فأرسلنا عليهم الطوفان»** وهو ما طاف بهم وغلبهم من سيل أو ماء «والجراد» فأكل زرعهم وسقوفهم «والقمل» وهو صغار الجراد أو البراغيث «والضفادع والدم» . أما طوفان نوح فقد أشار إليه فى هذه السورة ولكنه ذكره

مفصلا فى سورة هود ونص آية الأعراف: **«فكذبوه فأنجيناه والذين معه فى الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عمين»** . آية ٦٤ .

ومن طرائف المبشرين أنهم أرادوا أن يمزحوا معنا فتخيلوا ماذكره النحاة (رجال النحو) من أن المعرفة إذا أعيدت معرفة تكون عين الأول، فقالوا إن الطوفان معرفة وقد تقدم ذكره فى السورة فيكون عينه. حسن إنهم علماء بالعربية ولكن أين الطوفان فى آية ٦٤ ؟ إنه لم يذكر مطلقا ، بل الذى ذكر أنجينا وأغرقنا ، فهؤلاء المساكين لم يساعدهم حظهم فى كلمة واحدة إننى مشفق عليهم من ذلك الخزى المبين .

٥ ـ قالوا إن من خطأ القرآن الفاضح أن التبست عليه مريم ابنة عمران سورة آل عمران آية ٣٣ ـ ٢٤٤ وأخت هارون سورة مريم آية ٢٩ مع آخره ٢٠١ وعلى ٢٦ : ٥٩ بمريم أم المسيح أنظر سورة التحريم آية ١٢ .

أى عبارة تفى بالرد على هؤلاء الذين يسبون كلام الله الكريم بهذه الجرأة النادرة؟ تالله إننى دهش من المبشرين وأتباعهم ، وهل تدرى معنى عبارتهم التى جاءت فيها برموز وإشارات كى يوهموا القراء أنهم وقفوا على أسرار خطيرة؟ إنهم يريدون أن يقولوا أن الله تعالى قال فى حق مريم أم المسيح **«ياأخت هارون ماكان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا»**[1] . مع أن مريم أخت هارون هى بنت عمران شقيقة سيدنا موسى مع أن بين الأولى والثانية زهاء ألف وأربعمائة سنة .

وهذا الكلام قد صال فيه وجال المبشرون وظنوا أنهم عثروا على مطعن عظيم فى القرآن الكريم بهذه العبارة، ولكنهم جهلة لايدركون شيئا وإلا فهل يتصور مخلوق أن القرآن الذى قص تاريخ الأمم الماضية وبين الصحيح والفاسد منه، وكان فى ذلك مثلا أعلى فى الدقة وحسن البيان فسلم من الأخطاء الصريحة الموجودة فى توراتهم باعترافهم، وسلم من جيوش الأغلاط فى الأرقام الموجودة فيها ، وعلم الناس فلسفة التاريخ وعظاته، وأرشدهم إلى منافعه ومضاره وحذرهم من تصديق المحال. هذا المؤرخ الذى هو أستاذ التاريخ الصحيح المعقول للعالم أجمع، يشتبه عليه زمن موسى بزمن عيسى ، فيقول عيسى فى زمن موسى، ويقول إن أم عيسى هى أخت موسى، أظن أن المؤرخ الذى يكون على هذه الحالة المضحكة لا يصح له أن يتعرض لتدوين تاريخ أهل زمانه المعاصرين له، لأنه يكون جاهلا ببديهات التاريخ فكيف يأتى بدقائق التاريخ وفلسفته وهو منه بهذه المنزلة. لا لا أيها المبشرون أنتم جهلة لا تحسنون إيراد شىء من القول ولا تفقهون لأية عبارة من عبارات القرآن، أما نحن فنقول إن عبارة يا أخت هارون فى غاية البلاغة وحسن البيان، لأن الله تعالى قد عبر عن

---

(١) سورة مريم : الآية ٨ .

المعنى الذى قالوه لها بعبارة تنطبق عليه تمام الإنطباق، وذلك لأن مريم أم عيسى كانت منقطعة للعبادة وخدمة التوراة فكانت فى نظر قومها من حماة التوراة كما كان هارون أخو موسى الحبر الأعظم عندهم .

فلما رآها قومها حاملة قالوا لها أنت يا من تتظاهرين بالعبادة والغيرة على أحكام الله إلى حد أنك توهمين الناس بأنك مثل هارون عضد موسى فى ذلك تحبلين سفاحا إنك من أسرة صالحة لم يؤثر عنها ذلك .

هذا هو الذى قاله قومها، واللغة العربية تؤيد ذلك تأييدا كاملا قال تعالى: «**إنما المؤمنون إخوة**»[1] . وكثيرا ما تستعمل اللغة العربية الأخ فى الصاحب والنظير وذلك واضح لا ريب فيه .

فهؤلاء الجهلة تخيلوا أن الأخت منحصرة فى أخت النسب، وتخيلوا أن القرآن يخبر بأن مريم أخت هارون أخ موسى شقيقه، وعلى ذلك يكون المسيح وموسى فى زمن واحد، ويكون موسى خال المسيح، يا للفضيحة والجهل. وأيضا فإن مريم من ذرية هارون فيصح أن يقال لها أخت هارون، بمعنى أنها من نسله كما يقال فلان أخو بنى فلان أى من نسله . وذلك معروف لغة، ومع ذلك فقد قررت غير مرة أن التناقض لا يتحقق إلا إذا لم يمكن تأويله كما وقع فى توراتهم المحرفة أما الذى يمكن تأويله تأويلا معقولا واضحا لايخفى على أحد بحيث يطابق اللغة والعقل والعرف فكيف يكون متناقضا ؟ وهذه الآية تحتمل أمرين ظاهرين أحدهما ما قررناه لك وهو الذى أختاره. وثانيهما من أن المراد بهارون رجل كان فى زمن مريم مشهورا بالعبادة والمراد بالأخت نظيرته فى العبادة وهو حسن لا بأس به، لأن التسمية بهارون شائعة، ولا يستطيع المبشرون أن يقولوا أن هذا الاسم منحصر فى هارون أخى موسى حتى يأتى التناقض، وإنما اخترت الرأى الأول لأننى أريد أن أجارى المبشرين إلى أبعد مدى وأتكلم معهم فى الأشياء المحققة التى لاشك فيها ، وحيث أن هارون أخا موسى هو الاسم المعروف عندهم يقينا ، فأنا أجاريهم فيه، وقد كانت حالة مريم أم عيسى تستدعى أن يقولوا لها يا أخت هارون عضد موسى فى المحافظة على التوراة . فهل يخجل المبشرون بعد ذلك؟ إنهم لا يخجلون ولا يستحيون .

٦ ـ يقولون إن البيضاوى وابن هشام قالا فى تفسير سيرة ذى القرنين والتى جاءت فى سورة الكهف أنه اسكندر الأكبر المقدونى، فقال البيضاوى ويسألونك عن ذى القرنين يعنى اسكندر الرومى ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذا سمى ذا القرنين أو لأنه طاف قرنى الدنيا شرقها وغربها. وقيل لأنه انقرض فى عهده جيلان، وقيل إنه لقب بذلك لشجاعته كأنه ينطح أقرانه، واختلف فى نبوته، مع الاتفاق على إيمانه وصلاحه .

---

(١) سورة الحجرات : الآية ١٠ .

ويقول المبشرون إنه إن كان اسكندر عمر جيلين كما زعم البيضاوى، فما كان أقصر أعمار أهل زمانه إذ أنه توفى ابن ثلاث وثلاثين سنة على أثر ارتكابه فسقا بسكر فى مدينة بابل سنة ٣٢٣ ميلادية ولم يكن نبيا كما زعم القرآن ولا مؤمنا من عامة المسلمين، وإنما كان من عباد الأصنام وادعى أنه ابن إله المصريين أمون .

وقالوا إن كل ما قاله القرآن عن ذى القرنين الذى يعنى به اسكندر المقدونى لا أثر له فى تاريخ ذلك الملك العظيم الذى دونه كثير من مشاهير المؤرخين. وهذا ما حدا بالعلماء ألا يثقوا بالأخبار التاريخية المنقولة عن القرآن ... ذلك ما يقوله المبشرون فى مهاجمة كلام الله .

وإننى قد قرأت ما كتبوه المرة بعد المرة لعلى أن أظفر بمعنى محدود يريدون أن يعترضوا به على القرآن الكريم فلم أجد، بل عباراتهم من أولها إلى آخرها كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا .

وإننى وايم الله كنت شغوفا بأن أقرأ للمبشرين اعتراضاً دقيقا يحتاج إلى تأمل ودقة نظر، كى أنشط إلى مراجعة كتب التاريخ الكبيرة، ولكننى دهشت عندما قرأت عبارة المبشرين فى هذا الموضوع التاريخى الدقيق وحاولت أن أظفر منها باعتراض أوجهه بنفسى على القرآن الكريم، فلم أجد شيئا سوى أنهم وقحين لاأكثر ولا أقل وأنهم يريدون أن يسبوا ويطعنوا فحسب .

إن القرآن الكريم قد أخبرنا بأن اليهود سألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن حالة شخص معين عندهم ظنوا أنها تخفى على الله ورسوله .

ولا فرق بين أن يكون اليهود قد سألوا بأنفسهم أو أوعزوا إلى بعض مشركى العرب بذلك السؤال .

وحاصله أنهم قالوا له أخبرنا عن حالة ذى القرنين فقص عليهم ذلك القصص فسمعوه واقتنعوا به وأيقنوا أنه صحيح مطابق لما يعلمونه، ولم يطعن منهم أحد فى هذه القصة بأى مطعن . ولو طعنوا لرد عليهم القرآن حتما إذ لا يتصور أن يقرر الوحى أمرا ثم يعترض عليه الناس وهو ساكت لا يبدى حراكا .

وها نحن أولاء نرى القرآن الكريم يرد على ما يوردونه من شبه ضعيفة أو قوية أحسن رد، وينصب لهم الأدلة والبراهين الجازمة على كل نظرية من نظرياته، ويتحداهم فى كل قضية من قضاياه .

وإذا كان السائلون قد اقتنعوا بالجواب الذى أجابهم به القرآن الكريم، وهم ما سألوا إلا لاختبار محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعجيزه لظنهم أن القصة التى يسألون عنها لا يعرفها، فكيف يصح أن يأتى المعترضون الذين لا يكادون يفقهون حديثا ويقولون إن هذه القصة لا تنطبق على اسكندر الأكبر ويهاجمون القرآن الكريم بهذه القحة التى لا حد لها ؟ لو كان السائلون اعترضوا على الجواب وقالوا له إننا نعنى اسكندر الأكبر وإنك قد وصفته بغير أوصافه فأخطأت فى الحقائق

التاريخية لكان لاعتراض المبشرين وجه عظيم من النظر، أما والسائلون قد اقتنعوا ولم يؤثر عن أحد ما، لا من أعداء الإسلام ولا من أصدقائه أنهم طعنوا فى الجواب، وهؤلاء السائلون أعلم بما يسألون عنه من هؤلاء المبشرين وأقرب إلى الحوادث التاريخية التى يسألون عنها بأزمنة طويلة وأجيال كثيرة. فيكون كل اعتراض بعد ذلك لغوا من القول وتطفلا باردا. إذ قد يكون غرض السائل أن يسأل عن ملك من الملائكة نزل فى العالم القديم فى صورة إنسان، وأخذ يطوف المعمور من الأرض ليمهد السبيل للرسل، كما يجوز أن يكون غرضه أن يسأل عن قصة ذكرت فى كتاب عنده لم يطلع عليه أحد، وأنه لا يقتنع إلا إذا أجيب بما عنده. ذلك واضح خصوصاً أن القرآن لم يصرح بذكر شخص معين، فلم يقل إنه الإسكندر ولا غيره فكل ما ذكره المبشرون من ذلك لغو من القول .

على أن المفسرين قد بذلوا مجهودا علميا كعادة المسلمين فى ذلك المقام وغيره، فأرادوا أن يطبقوا هذه الآيات على الحوادث التاريخية الواقعة فعلا المشهورة فى العالم، لتكون آيات القرآن الكريم دروس عظة وتاريخ وتشريع وفلسفة واجتماع كما ذكرت لك فى أول هذا القسم، ولهذا جاء ضمن عباراتهم اعتراضات وأجوبة فأخذ سفهاء المبشرين اعتراضاتهم من غير أن يفهموها وأخذوا يهوشون بها وها أنا ذا أذكر لك ما قاله المفسرون فى هذا المقام .

قد أختلفوا فى ذى القرنين على أقوال :

أحدهما : أنه إسكندر بن كيلقوس اليونانى الملقب بإسكندر الأكبر وكان سرير ملكه بمقدونيا، وقد حارب ملوك الفرس فهزمهم وأستولى على عاصمة بلادهم، كما هزم ملوك الروم فاستولى على مصر وبنى الإسكندرية ودخل الشام وبيت المقدس وانعطف إلى أرمينية ودانت له العراقيون والقبط والبربر، وقصد الهند والصين ولولا أن الجيش الذى معه أراد العودة لاستولى عليهما، ورجع إلى خراسان ثم رجع إلى العراق ومرض ببابل ومات بها. وبعضهم يقول أنه مات برومية فوضعوه فى تابوت من ذهب وحملوه إلى الإسكندرية ودفن بها وعاش اثنين وثلاثين سنة ومدة ملكه اثنتا عشرة سنة، وقيل عاش ستا وثلاثين سنة وملك ست عشرة سنة، فهذا هو الملك العظيم الذى سأل اليهود عنه وأجابهم القرآن بشرح حاله. ولكن هذا القول أورد عليه أمران الأمر الأول أن الإسكندر الأكبر كان تلميذا لأرسطو الحكيم اليونانى المعروف فقد كان ارسطو مقيما بأثينا، وكان إسكندر ذكى الفؤاد وقاد القريحة إلى أبعد مدى فسلمه والده إلى أرسطو فتعلم منه الفلسفة فى مدة وجيزة قدرها خمس سنين وبرع فيها . وإذا كان كذلك فكيف يمدح الله الإسكندر مع أن كثيرا من مذاهب الفلسفة لا يقره الدين الإسلامى ؟

والجواب عن هذا أن فلاسفة ذلك الزمان قد اجتهدوا ووحدوا الله تعالى من جميع الوجوه وأقاموا الأدلة على أنه واحد منزه عن التركيب وعن النظير وعن الحلول والاتحاد ومنزه عن جميع النقائص

والمادة ومتصف بجميع الصفات اللائقة بمقام الألوهية، من غير أن يأتيهم رسول أو يتصل بهم وحى فكيف لا يمدحون؟. إنهم يستحقون المدح العظيم بلا نزاع . وإذا كان هؤلاء المفكرون المجتهدون الذين نظروا فى ملكوت السموات والأرض من تلقاء أنفسهم واهتدوا إلى توحيد الإله ووصفه بما يليق به لا يمدحون، فمن ذا الذى يمدح ؟ هل يمدح الذين جاءهم الرسل بالتوحيد الخالص فغيروه وبدلوه وصاروا أسوأ حالا من الوثنيين ؟ . كلا .

نعم إنهم أخطأوا فى بعض النظريات، ولكن خطأهم مبنى على حسن قصد لأنهم إنما كانوا يريدون تنزيه الإله على أى حال والمجتهد له أجر اجتهاده ولو أخطأ ولا يقال إن الأمور الإعتقادية لا يغتفر فيها الخطأ لأننا نقول إن محل ذلك إذا جاءتهم الرسل وأرشدتهم إلى أخطائهم فلم يذعنوا وتمادوا عناداً .

ولا يلزم من مدح الأشخاص المجتهدين الذين يعملون الصالحات من تلقاء أنفسهم مدح كل نظرياتهم سواء كانت خطأ أو صوابا، لأن الله لا يكلف الناس إلا بما فى طاقتهم وقد وعدهم بالأجر سواء أخطأوا بعد ذلك أو أصابوا .

الأمر الثانى : أن بعض الصفات التى ذكرها القرآن الكريم لم يذكرها المؤرخون الذين أرخوا الإسكندر الأكبر ومنها سفره إلى جهة المغرب. والجواب عن ذلك أن عدم ذكر بعض الصفات فى كتب التاريخ ليس دليلا على عدم وقوعها، فإن قدماء المؤرخين كانوا يرجعون فى مثل ذلك غالبًا إلى التوراة، وهى قد أصيبت بتحريف كثير وحذف لأسفار برمتها وزيادة ونقصان، والقرآن قد أعاد ما أسقطه منها المفسدون فهو الحجة القاطعة، على أن المؤرخين قد ذكروا معظم الأوصاف وهذا كاف فى الدلالة .

هذا هو رأى من يطبق القرآن الكريم على الإسكندر الأكبر المكدونى .

ثانيها : أن القرآن لا يريد إسكندر المقدونى، وإنما يريد شخصا آخر اسمه إسكندر الرومى ويقال له ذو القرنين الأكبر من ولد يافث بن نوح عليه السلام، وكان أسود اللون واسمه عبد الله بن الضحاك وقيل اسمه مصعب بن عبد الله وبين الاثنين نحو ألفى سنة، فالإسكندر الذى يعنيه القرآن متقدم على المقدونى وقد ملك مدة قرنين .

ثالثها : أن القرآن يريد بذى القرنين (أبا كرب) بن عمير بن أفريقس الحميرى من ملوك اليمن القدماء وهو الذى افتخر به تبع اليمانى حيث يقول :

قد كان ذو القرنين جدى مسلما ... ملكا علا فى الأرض غير مفند
بلغ المشارق والمغارب يبتغى ... أسباب ملك من حكيم مرشد
فرأى مغيب الشمس عند غروبها ... فى عين ذى خلب وثأط حرمد

وصاحب هذا القول يقول إن ذا القرنين وذا اليدين وذا يزن ونحو ذلك من ألقاب ملوك اليمن

لأنهم هم الذين يلقبون بذى كذا. وأن أبا كرب هذا فى عهد إبراهيم وقد آمن به فسهل الله له وسائل الملك حتى ظفر بملك كبير وانتصر على كل المعمور يومئذ . ولكن أورد على هذا أن الملك الذى كان فى عهد إبراهيم هو النمروذ والجواب أن ذا القرنين ملك بعد ما هلك النمروذ .

رابعها: أن القرآن يريد بذلك ملكا من الملائكة أرسله الله فى صورة رجل فى العالم القديم ليمهد للرسل سبيل الدعوة إلى الله تعالى كما أشرنا إلى ذلك أولا .

ذلك ما ذكروه المفسرون فى هذا المقام وقد عرفت أن أصل الموضوع أن اليهود يسألون عن شخص معين ذكر فى كتبهم ويظهر أنه كان فى التوراة ثم حذف منها ولم يكن معروفا ، فظنوا أن محمدا رسول الله لا يعرفه، فأجابهم عنه بما أقنعهم تماما وإلى هنا قد انتهى الكلام أما كون ذلك الشخص هو إسكندر الرومى أو المقدونى أو أبا كرب أو ملكا من الملائكة فتلك مسألة أخرى، فأى هؤلاء تنطبق عليه الصفات أكثر يكون هو الأقرب إلى المراد ، والذى أعتقده أن الذى تنطبق عليه هذه الصفات هو أبو كرب بن عمير فإن الناس يومئذ كانوا مشتتين فى المعمورة وكانوا جهلة يناسبهم الإخبار بأنهم كانوا يعتقدون أن الشمس تغرب فى العين لأن عقولهم يومئذ لا تدرك النظريات العلمية الدقيقة وقد عرفت وجهة نظر من يقول إنه إسكندر المقدونى أو الرومى فاختر لنفسك ما يحلو .

ومن هذا تعلم مقدار جهالة المبشرين وتضليلهم الواضح فقد تهكموا بالبيضاوى لأنه قال: (إنه سمى بذى القرنين لأنه انقرض فى عهده قرنان) وتهكمهم هذا يدل على جهالة مضحكة لأن البيضاوى لا يريد بذلك إسكندر المكدونى الذى عاش نيفا وثلاثين سنة، وإنما يريد إسكندر الرومى الذى عمر طويلا .. ومن سوء إدراك هؤلاء المبشرين لعبارة البيضاوى أنهم قالوا إن البيضاوى جزم بأن ذا القرنين هو اسكندر المكدونى مع أن البيضاوى أشار فى عبارته إلى كل الأقوال ولكن ما الحيلة. ومما يدل على جهل عميق بالتاريخ قولهم إن إسكندر المقدونى كان وثنيا مع أن كتب التاريخ مجمعة على أنه كان من كبار الفلاسفة الموحدين فكيف يكون وثنيا ؟. ومن مضحكات المبشرين أنهم يستدلون على كونه وثنيا بأنه ادعى أنه ابن إله المصريين آمون، وإننى أطلب من أتباع المبشرين أن يسألوا فى ذلك صغار تلاميذ المدارس ويقولوا لهم هل حقيقة أن إسكندر المقدونى ادعى أنه ابن الإله آمون فإن قالوا لهم نعم رضيت بقولهم حجة وإن ضحكوا عليهم وقالوا لهم إن ذلك غير صحيح، فعليهم أن يمزقوا كتب هؤلاء المبشرين فإن وجودها فضيحة لهم وعار عليهم، والواقع أن إسكندر الأكبر لما جاء إلى مصر أراد أن يتحبب إلى أهلها فترك لهم معبوداتهم وقدم لهم هدايا ، ففرح بذلك المصريون ودعوه بن آمون وذلك كما يفعله إمبراطور الهند مثلا من جذب قلوب الناس نحوه بإقرارهم على ديانتهم واحترامها فى الظاهر، وإن كان لا يؤمن بها. وهل الفيلسوف الذى أول عقائده أن الله واحد من جميع الوجوه مجرد عن المادة يعبد الأوثان إن ذلك تناقض واضح لا تسعه

إلا عقول المبشرين الذين يصدقون بالمحال . ومن افتراء المبشرين على الله وعلى الناس وعلى التاريخ أنهم يزعمون أن إسكندر كان فاسقا وأنه ارتكب جريمة فسق فمات بها سكران مع أن التاريخ الصحيح يقول أن الرجل مرض بالحمى الشديدة ومات بها ولكن الكذب لم يكن عيبا عند المبشرين وأتباعهم .

أما ما ذكره المبشرون من الإعتراض على قول الله: «وجدها تغرب في عين حمئة»[1]. فقد ذكرت لك جوابه المسكت الذى يفضح المبشرين فى صحيفتى (١٥٢ ـ ١٥٣) من هذا الكتاب فارجع إليه .

٧ ـ زعم المبشرون أن القرآن أخطأ فى قوله أن المرأة التى تبنت موسى امرأة فرعون لأن التوراة قالت أنها ابنة فرعون وقالوا بتبجح إن موسى أعلم من محمد بالمرأة التى ربته وهو الذى قد أخبر بأنها بنت فرعون لا امرأته .

وقد أقمت للقراء البراهين القاطعة على أن التوراة قد حرفها المفسدون وأضاعوا كل ما فيها من محاسن أما القرآن فهو الحجة الدائمة الذى لم يستطع أحد أن يمسه بسوء ومما لا شك فيه أن اليهود الذين كانوا فى عهد محمد صلى الله عليه وسلم أعلم بالتوراة من جهلة المبشرين الذين لا يكادون يفقهون حديثا ، وقد أنزل القرآن فى عهدهم وتحداهم على أن يأتوا بمثله أو أن يعارضوه أو ينقصوه بأى نقيصه إن كانوا صادقين، فعجزوا عجزا تاما وأذعنوا لعظمته الخالدة، فلو عثروا فيه على خطأ تاريخى أو علمى لانتصروا عليه نصرا مبينا ولتقهقر الإسلام أمامهم جزما ، فالتوارة الصحيحة مطابقة للقرآن من جميع الوجوه ولابد أن تكون مشتملة على أن الذى تبنى موسى إنما هى امرأة فرعون لا ابنته ، ولكن الجهلة المحرفين أخطأوا فى وضع هذه الجملة كغيرها من الأخطاء التى لا يحصى عددها ولو لم يكن الصحيح ما ذكره القرآن لثارت ثائرة علماء اليهود يومئذ وقالوا له إنك يامحمد قد جئت بقرآن يشتمل على خطأ تاريخى، ولكنهم لم يفعلوا مع كونهم من أشد الناس عداء له فدل ذلك على أنهم أيقنوا بأن القرآن هو الصحيح الذى يجب أن تخضع له أعناقهم .

ومع ذلك فلننظر فيما ذكرته التوراة المحرفة لنرى أن كان معقولا أو الذى أخبر به القرآن هو المعقول إنها ذكرت فى الإصحاح الثانى من سفر الخروج هذه القصة، وملخصها أن أم موسى لما ولدته رأته جميلا فأخفته ثلاثة أشهر ثم لم تستطع أن تستمر على إخفائه خوفا من فرعون فوضعته فى سلال مصنوع من ورق البردى مطلى بالزفت ، وألقته على شاطىء النهر وكانت ابنة فرعون تستحم بالماء فلما رأت السلال طلبته وفتحته فوجدت فيه موسى فأعجبها وكانت أخته واقفة من بعيد ، فجاءت إلى ابنة فرعون وعرضت عليها أن تأتيها بمرضع فوافقتها فذهبت إلى أمها وأحضرتها ، فسلمته لها ابنة فرعون فأخذته وانصرفت ولما فطم من الرضاع سلمته لابنة فرعون فتبنته .

---

(١) سورة الكهف : الآية ٨٦ .

أما القرآن الكريم فقد قص هذه القصة فى سورة القصص ومعناها أن الله تعالى ألهم أم موسى فى المنام أو بواسطة ملك أن ترضع موسى فإذا خافت عليه من أن يسمع أحد صوته وهو يبكى أو يراه فيخبر به فرعون، فإنها تضعه فى صندوق وتلقيه فى اليم، ووعدها الله تعالى بأنه سيرده إليها لترضعه وأنه سيكون من المرسلين، وأمرها أن تفعل ذلك بدون خوف أو حزن ففعلت وألقته فى اليم فألقاه الماء إلى ساحل النهر فالتقطه آل فرعون وروى أنهم عالجوا فتح الصندوق فلم يستطيعوا فتحه بسهولة فلفت ذلك نظر آسية امرأة فرعون، فعالجت فتحه بنفسها ففتح، وأشرق منه نور فأحبته ولكن بطانة فرعون قالوا إنه هو عدوك المطلوب فمرنا بقتله فأبت عليهم ذلك آسية وقالت لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا.

فرضى فرعون بذلك ظنا منه أن آسية إذا تبنته يكون له بمنزلة الابن فلا يخاف شره بعد، ثم عرضت عليه المراضع فأباها ولما عرضت عليه أمه قبلها إلخ ما قصه الله من ذلك .

ومما لاشك فيه أن رواية القرآن الكريم هى الصحيحة المعقولة وما عداها واضح البطلان لوجوه :

أولا : أنه يكاد يكون محالا أن تجد ابنة فرعون غلاما مطروحا وسط الحشائش ثم تكتم أمره عن أبيها فى الوقت الذى كان أبوها يطلب كل المواليد ليقتلها خوفا من شر يقضى على حياته وملكه من أحد المواليد .

ثانيا : أن أم موسى ألقته على ساحل اليم خوفا من أن يسمع صوته أحد، أو يراه شخص من حاشية الملك فيقضى عليه والقصة تفيد أنها ألقته وأرجعته إليها ابنة فرعون بدون علم فرعون فما الذى يوجب اطمئنانها بعد ذلك وليس من المعقول أن ترتكز فى مثل هذه الحالة على ابنة فرعون وحدها.

ثالثا : إذا فرض وكان الذى ذكرته التوراة المحرفة صحيحا ولكنها لم تخبرنا عما إذا كان فرعون قد علم بذلك أو لا، فإذا كان قد علم فماذا كان موقف ابنته منه التى فعلت أمرا خطيرا يهمه أمره بدون أن تخبره، وإذا كان لم يعلم أفلا تكون ابنته قد خانته أكبر خيانة. وأيضا كيف يمكن كتمان الأمر عليه مع شدة الاحتياطات التى عملها للعثور على الأطفال .

كل ذلك يدل دلالة واضحة على أن رواية القرآن حق لا ريب فيها لأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

٨ ـ ومن دعاوى المبشرين الطويلة العريضة التى تدل على عدم ادراكهم للحقائق التاريخية أنهم يقولون إن القرآن قد أخبر بأن فرعون طلب من هامان أن يبنى له صرحا مع أن الصرح لم يبن فى مصر بل فى بابل وقد أخذ ذلك من سفر استير فى التوراة إلخ ما قالوا .

أما أنا فإننى أؤكد للقراء أننى كلما قرأت نظرية من نظريات المبشرين أسفت على ما وصلت إليه عقولهم من المنطق والبيان، وجزعت من جرأة المبشرين وجهالتهم وإليك البيان :

المبشرون ينكرون وجود هامان فى زمن فرعون كما ينكرون أن فرعون بنى صرحا فى مصر، وإنما بناه فى بابل كما فى سفر استير .

أما الجواب عن الأول فهو أن نقول للمبشرين: إذا كنتم تستطيعون أن تبرهنوا لنا على أنه لم يوجد اسم هامان لا صفة ولا لقبا فى العالم سوى هامان صديق ملك الفرس فذاك، وإلا كان الاعتراض مضحكا إذ مما لا شك فيه أن لفرعون بطانة ووزراء، فالوزير الذى كلفه فرعون ببناء الصرح اسمه هامان أو لقبه هامان، ولا يستطيع المبشرون أن يقولوا إن هذا الاسم أو هذا اللقب اختص به صديق ملك الفرس، بل بالعكس وجود هذا الاسم فى الفرس دليل على أنه قديم منقول عن المصريين، لأنه لم يكن معروفا فى الفرس. ولكن المبشرين يعتقدون أن كل شىء لم تخبر به التوراة لا يكون صحيحا، مع أنهم يقررون باعترافهم أن التوراة حرفت وبدلت فى غير موضع منها فكيف يكون المحرف مقدس إلى هذا الحد، وأغرب من هذا أن المبشرين يقولون إن الصرح الذى بناه فرعون لم يكن بمصر بل ببابل كما صرح بذلك فى سفر استير، وهل تدرى أيها القارئ ما هو سفر استير هو ذلك السفر الذى لم يكن موجودا فى التوراة المعتمدة أولا ثم اعتمد ثانيا ثم أخرج منها ثالثا ثم اعتمده البروتستانت أخيرا بعد أن رفضوا أمثاله وأمثاله. فهذا هو الذى يجعلونه حجة على القرآن الكريم الذى ثبت أنه من عند الله بالبراهين القاطعة وثبتت نسبته إلى رسول الله بالتواتر. ألا فليعلم المبشرون جميعا أن التوراة المحرفة إذا قالت كلمة وقال القرآن غيرها فإن العقل والمنطق يؤمن بما فى القرآن .

خصوصا أن القرآن نزل فى عهد أحبار اليهود وعلمائهم الأقدمين الذين هم أقرب إلى الحقائق التاريخية والأحكام التشريعية من جهلة المبشرين .

فلو جاء القرآن بأى غلط تاريخى لكان لهؤلاء الأعداء فرصة عظيمة فى الطعن عليه، ولكنه تحداهم ووبخهم وأباح لهم أن يسألوه عن صغائر الأمور وكبارها ، وأطلق لهم حرية الاعتراض والتفكير ومع ذلك لم يستطع واحد منهم أن يقيم دليلا على خطأ القرآن فى أى كلمة من كلماته وإنى أتحدى المبشرين جميعا أن يأتوا بدليل أو شبه دليل على أن أحبار اليهود وعلماءهم الذين كانوا فى عهد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد اعترضوا عليه بمثل هذه المضحكات التى يهذى بها المبشرون .

ومجمل القول أن هامان كان وزيرا لفرعون ومستشاره الأمين عنده وسواء كان اسمه هامان أو كان هامان لقب وظيفته فالقرآن الكريم لم يتعرض لذلك أما كون اسم هامان منحصر فى صديق ملك فارس فذلك من خيالات المبشرين التى تظهرهم فى مظهرهم الصحيح من التعسف والتضليل. ومع ذلك فلنفرض جدلا أن اسم هامان لم يكن معروفا عند قدماء المصريين ولكنا نسأل المبشرين

هل هم ينكرون أن لفرعون بطانة ووزراء ؟ وإذا كانوا لا ينكرون فكيف يمكنهم أن يعترضوا على من ترجم لقب وزير بهذه الكلمة فى لغة أو اصطلاح ؟ على أن يسمى وزير العمارات مثلا بهامان . أليس ذلك محتملاً ؟ إنه قريب الاحتمال ولكن المبشرين لا يفقهون .

وأما الجواب عن الثانى فإن المؤرخين العظام قالوا إن ذلك الصرح الذى أمر فرعون ببنائه ليحارب إله موسى لم يوجد فى التوراة المحرفة وقد بنى فعلا وصعد فرعون فوقه بحربة ليحارب بها الإله ولكن الله بعث قوة دكت هذا الصرح وقد وقع جانب منه على عسكر فرعون المخلصين فأهلك كثيرا منهم وهذا الصرح هو غير برج بابل طبعا .

وقد قال المفسرون أن فرعون لم يكن أبلها إلى حد أنه يجهل عظمة الإله الخالق ولكنه فعل ذلك لما رآه من سخافة قومه وضعف عقولهم واستعدادهم لتصديق المحال كما أشار الله سبحانه إلى ذلك بقوله فاستخف قومه فأطاعوه . فظن فرعون أنه بعمله هذا يوقع فى أنفسهم هيبته ويصرفهم عن التأثر بمعجزات موسى عليه الصلاة والسلام .

وإننى أعتقد أن التوراة الصحيحة كانت مشتملة على ذكر هذا الصرح وأنه كان معروفا عند أحبار اليهود وعلمائهم فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وقد ذكر فى القرآن الكريم مكررا فلو لم يكن معروفا لديهم لاستفسروا عنه من النبى صلى الله عليه وسلم على الأقل إن لم ينتهزوا الفرصة للتشهير به والاعتراض عليه ولو وقع ذلك لرد عليهم الله تعالى حتما ، لأن الله تعالى قد رد عليهم وعلى المشركين فى أقل من ذلك، فالنتيجة المنطقية المعقولة التى لابد منها أن ذلك الصرح كان معروفا عند علماء اليهود وأحبارهم من التوراة ولكن المفسدين الذين حرفوا التوراة قد امتدت أيديهم إلى مايدل على ذلك فحذفوه كما حذفوا غيره وبدلوه فجزاهم الله أسوأ الجزاء .

٩ ـ قال المبشرون إن ما جاء فى سورة طه من أن العجل الذى عبده بنو اسرائيل فى البرية فى وقت موسى قد عمله السامرى هو خطأ فاضح، لأن مدينة السامرة المنسوب إليها هذا الرجل لم تكن بعد فى الوجود وقد بنيت من بعد موسى بمئات السنين كما فى سفر الملوك الأول ٦ : ٢٤ .

هكذا يقول المبشرون بوقاحتهم المعهودة فلنترك أتباعهم يستمتعون بوقاحتهم وسوء أدبهم ولننظر فيما يقولون: إنهم زعموا أن القرآن الكريم أخطأ فى قوله أن العجل الذى عبده بنو اسرائيل وقت غياب موسى عنهم قد صنعه لهم السامرى وذلك لأن السامرى منسوب إلى مدينة السامرة أو الشامرة وهذه المدينة لم تبن إلا بعد موسى بمئات السنين إلخ .

أما أنا فأقول لهؤلاء المبشرين أن ذلك ينفع حجة يصح النظر فيها، إذا أقام المبشرون الدليل على أنه لم يوجد فى بنى إسرائيل هذا الاسم قبل بناء هذه المدينة وعند ذلك يصح لهم أن يقولوا أن هذا الاسم لا وجود له إلا بعد بناء مدينة السامرة، أما إذا كان هذا الاسم معروفا فى

بنى إسرائيل قبل وجود السامرة فيكون هذا الاعتراض مضحكا كغيره من اعتراضات المبشرين على القرآن الكريم لأنه يقال لهم بسهولة إن هذا اسم للصائغ الذى صنع العجل وليس هو منسوبا لمدينة السامرة كما تتوهمون. وهل يستطيعون أن يبرهنوا على أن هذا الاسم لم يكن موجودا قبل مدينة السامرة كلا وألف مرة كلا. بل أنا أقيم لهم الدليل القاطع على أنه كان موجودا فى نفس توراتهم التى يستدل بها المبشرون وهو ماجاء فى سفر الملوك الأول ٦ : ٢٤ وإليك نصه (واشترى جبل السامرة من سامر بوزنتين من الفضة وبنى على الجبل ودعا اسم المدينة التى بناها سامر صاحب الجبل السامرة) .

فيا أيها العقلاء تعالوا فاحكموا بيننا هل مدينة السامرة نسبت لشخص كان مسمى بهذا الاسم قبل وجودها كما هو صريح فى التوراة أو لا؟ وإذا كان كذلك فهل اسم سامرا وسامر كان معروفا فى بنى إسرائيل قبل وجود مدينة السامرة أو لا؟ وإذا كان معروفا فهل يصح لعاقل أن يناقض من يقول إن الذى صنع العجل اسمه السامرى بحجة أن هذا الاسم لم يتحقق إلا بعد وجود السامرة ؟ ألا إن ذلك ضرب من ضروب الهذيان. قد يقال أن الذى ورد فى التوراة السامر أو الشامر ولكن الذى ذكر فى القرآن السامرى. والجواب عن ذلك سهل لا يحتاج إلى عناء لأن الياء الموجودة فيه ليست ياء نسب بل هى من أصل الكلمة كالشافعى فاللغة العربية حكته بإلحاق ياء فيه وقد ذكرت لك آنفا أن الأسماء المنقولة من لغة إلى غيرها لا تسلم من هذا التصرف وذلك ظاهر لاشبهة فيه .

وقد فهم بعض الباحثين أن معنى سامر أو شامر فى اللغة العبرانية الحارس فمعنى قوله تعالى وأضلهم السامرى أضلهم الحارسى المنسوب للحراسة . ولكن يبعد هذا لأن الذى أسندت إليه حراسة القوم هو هارون وقد أخبرت التوراة عنه بأنه هو الذى صنع لهم العجل وأنه ارتد معهم كما تقدم ، فربما يتوهم المبشرون أننا نؤيدهم فى هذا المعنى المحال ، الذى لا يحل لمسلم أن يذكره . وأيضًا متى ثبت وجود اسم السامرى فى بنى إسرائيل بنص توراتهم قبل وجود مدينة السامرة وقد أخبرنا القرآن الذى هو من عند الله جزما بأن اسم الصانع السامرى فما حاجتنا إلى هذا التأويل . أفلا يخجل المبشرون من استدلالهم بالتوراة التى لايفقهوا لها معنى ؟ إنهم لا يخجلون .

١٠ ـ قال المبشرون أن قصة أهل الكهف خيال وأنها لم تكن موجودة فى التوراة ولكن صنفها أصحاب البدع من طوائف النصارى إلخ ويظهر أن المبشرين نقموا على هذه القصة لأنها صرحت بتوحيد الإله الخالص فقالت حكاية عن أهل الكهف (لن ندعو من دونه إلها) وهم يدعون المسيح إلها من دون الله فاشتد غيظهم المضحك على هذه القصة، وقد عرفنا من كل أطوار المبشرين أن عداءهم للدين الإسلامى إنما هو بسبب كونه جاء بتوحيد الإله الخالص ونزه الله تعالى عن كل ما

لا يليق به ، وقال إن عيسى بن مريم بشر كسائر المخلوقات. فلهذا ينقمون على قصة أهل الكهف التى جاءت بتوحيد الإله وتنزيهه. وهم يقولون إنه ثالث ثلاثة فيكفيهم أن يشككوا الناس فى معجزة ذكرها القرآن الكريم لذلك، ولكنهم ذكروا شيئا وغابت عنهم أشياء كثيرة . فإن قصة أهل الكهف أمرها هين مقبول وليس فيها محال عقلى كالمحالات التى يؤمن بها المبشرون فى التوراة والإنجيل، وذلك لأن الذى يؤمن بأن الله المجرد عن المواد كلها الذى ليس كمثله شىء مركب من ثلاثة جواهر مجردة كل واحد منها مساو لصاحبه ومتميز فى ذاته ويصدق بأن الثلاثة واحد، لا يليق به أن ينكر قصة أهل الكهف . وكذلك من يؤمن بأن بشرا من عباد الله مركب من دم ولحم وعروق وأعصاب وعظم قد حل به الإله وهو فى رحم أمه فأصبح ذلك الإنسان الذى يأكل ويشرب ويبول ويتغوط إلها كاملا وبشرا كاملا لا يليق به أن يتبجح وينكر قصة أهل الكهف . وكذلك الذى يؤمن بالخيالات التى ذكرتها أناجيلهم ساعة صلب المسيح وبعد قيامته من القبر وكيف أنه ظهر لمريم المجدلية وقابل تلاميذه وركب الغمام وأخذ الغمام يرتفع به شيئا فشيئا وهم يرونه بأبصارهم، لا يليق به أن ينكر قصة أهل الكهف . وكذلك الذى يؤمن بما قاله بعض أناجيلهم من أن معجزات المسيح إذا دونت واحدة واحدة فإن الدفاتر التى كتبت فيها لا تسعها الدنيا، فإنه لايليق به أن ينكر قصة أهل الكهف . ولكن لا عتب على هؤلاء القوم وكيف يمكنك أن تعتب على قوم يؤمنون بأن الإله صارع يعقوب فصرعه يعقوب وغلبه ولم يستطع الإله أن يفلت منه إلى طلوع الفجر كما بيناه لك موضحا فى مبحث النقائص التى نسبتها التوراة إلى الأنبياء ، كيف يمكنك أن تناقش مثل هؤلاء القوم وعقولهم تسع كل هذه المحالات ثم تضيق عن أن الله القدير الذى يحيى ويميت أمسك أرواح بضعة أشخاص وهم نائمون زمنا طويلا لينقذهم من الفتنة بالبيئة الفاسدة .

إن القرآن الكريم لم يذكر فى قصصه من خوارق العادات إلا قليلا ، ومع ذلك فكل الذى ذكره إنما كان يعظ به قوما يعرفون التاريخ حق معرفته فكان يضرب لهم الأمثال ويذكرهم بما يعلمونه من أحوال الأمم الذين من قبلهم لعلهم يتدبرون . وغريب أن أهل الكتاب يؤمنون بما ورد عن عزرا، مع أنه لا فرق بين حالته وحالة أهل الكهف ولكن ماذا تصنع فى قوم طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم فلا يعقلون شيئا .

١١ ـ وآخر اعتراض للمبشرين هى قصة طالوت وجالوت وداود الواردة فى سورة البقرة فى ربع ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل إلخ وليس لهؤلاء المبشرين اعتراض على القصة إلا أنه قد ورد فيها الابتلاء بالشرب من النهر وهذه وقعت لفرقة جدعون لا لطالوت .

ومحصل القصة أنه كان لبنى إسرائيل نبى وقد اختلف المؤرخون والمفسرون فى اسمه ولكن الذى عليه الجمهور أنه صموئيل كما ذكرت التوراة ، فكان صموئيل يقضى بينهم بالعدل ولكن عين ولديه قضاة فابتعدوا يظلمون ، فطلبوا من ذلك النبى أن يأتيهم بملك كى يقاتلوا معه أعداءهم الفلسطينيين الذين أذلوهم وأخرجوهم من ديارهم ، فقال لهم صموئيل قد يستجيب الله لكم فتنكصون على أعقابكم ، فقالوا كلا ، فعين الله لهم طالوت ملكا عليهم واسمه فى التوراة شاول، فتذمروا ولكن رضوا به بعد ماقال لهم إن الله هو الذى ولاه عليكم وأن علامة ملكه أن يأتيكم التابوت إلخ وهذا التابوت هو الصندوق الذى وضع موسى فيه التوراة وبعض الألواح والآثار وكان الفلسطينيون قد غلبوا بنى إسرائيل ، وأخذوا منهم ذلك الصندوق ووضعوه فى بيت الصنم ، فاتفق أن سلط الله على أهل فلسطين فى ذلك الوقت الفيران فأفسدت عليهم حاصلاتهم، كما أصابهم بمرض البواسير وكانوا يجدون إلههم كل يوم ملقى فى خارج المعبد ، فظنوا أن ذلك هو سبب وجود هذا الصندوق ، فأعادوه إليهم وعند ذلك آمنوا بما قاله لهم نبيهم صموئيل وخضعوا لشاول ، فجمع شاول جيشا وذهب لمحاربة أهل فلسطين . وكان داود عليه السلام يومئذ لم يبلغ الرجال، إلا أنه ذهب مع الجيش لأنه كان من بين رجاله المحاربين ثلاثة من أخوته وفى أثناء سير الجيش قال لهم طالوت أو شاول أن الله مبتليكم بنهر فلا تشربوا منه وكانوا عطاشا فلم ينفذوا أمره وشربوا إلا قليلا منهم ، ومع ذلك فقد نصرهم الله لأنه كان فى طليعة جيش الفلسطينيين رجل يقال له جالوت أو جايات كما تقول التوراة ، وكان قويا معروفا بالبطش فامتنع الناس عن مبارزته خوفا من بطشه ، فطلب داود من شاول أو طالوت أن يسمح له فى مبارزته فأجابه بعد أن وعده بعطاء حسن إذا انتصر عليه ، فبرز له داود فقتله وفر الجيش وهزم شر هزيمة.

هذا هو معنى ماذكره الله تعالى فى قوله ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل إلى قتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء .

ولا ريب فى أن كل عاقل يعرف الرشد من الغى ويفرق بين الخطأ والصواب لا يسعه إلا أن يطرب من قصص القرآن الكريم ويذعن بأنه من لدن حكيم خبير لأنه عبر عن قصة صموئيل وشاول أوطالوت وجالوت أو جليات وداود مع بنى إسرائيل والفلسطينيين فى تلك العبارة الموجزة البليغة الخالية من الحشو ومن اللغو بحيث لو قرأ الإنسان سفر صموئيل من أوله إلى آخره فإنه لا يستطيع أن يظفر منه بأكثر من هذا المعنى بعد حذف المحرف والمكرر والخيالات المضحكة .

هذا وليعلم المبشرون أن ماذكره القرآن من قصص هو الصحيح الذى لاشك فيه وغيره باطل ، بدليل أنه وجد فى عهد أعدائه اليهود وقد أذعن له علماؤهم وأحبارهم ولم يستطع أحد منهم أن يورد عليه أى اعتراض وإننى كما قلت غير مرة أتحدى المبشرين عموما أن يأتوا بدليل على أن

علماء اليهود وأحبارهم الذين هم أعلم بتوراتهم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم من هؤلاء الجهلة السخفاء قد اعترضوا على القرآن بأنه قرر نظرية تاريخية غير صحيحة أو اعترضوا عليه فى خبر من أخباره . وإذا كان هؤلاء السخفاء يقولون إن عبد الله بن سلام وكعب الأحبار وابن صوريا وغيرهم من أحبار اليهود وعلمائهم قد نقل عنهم محمد رسول الله التوحيد. أفلا يخجلون بعد ذلك من قولهم إن القرآن قد جاء بأخبار تاريخية عن بنى إسرائيل غير صحيحة ؟ أليس من المعقول أن يصحح له أخباره هؤلاء العلماء على الأقل لا ريب أنهم قوم لايكادون يفقهون حديثا ؟.

هذه كل مطاعنهم فى كتاب الله فهل سمعتم أيها القراء الكرام نظريات تجافى العقول مثل نظريات المبشرين إننى أقسم بالله مارأيت فى حياتى كلها نظريات تشمئز منها النفوس وتتعارض مع بديهة العقل مثل هذه النظريات وإننى أطلب من كل قارئ يقف على شئ يتجافى مع العقول الإنسانية أكثر من هذه النظريات أن يدلنى عليه لأننى فى دهشة من أمر هؤلاء القوم الذين يزعمون أنهم مفكرون .

وبعد فقد قال المبشرون إنهم يريدون أن يبحثوا أدلة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بإخلاص حتى إذا ماظهر لهم الحق يتبعوه وقد استنفدوا جعبتهم فلم يبق فى كتبهم سهما إلا أرسلوه وهأننا قد أتيت على كل ما قالوه من شبهة وأقمت الأدلة القاطعة التى لا يرتاب فيها عاقل على أن شبههم كهشيم يذروه الرياح أو هى كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا فهل يؤمن أتباعهم بهذه الدلائل القاطعة كلا إنهم لايؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم .

وإلى هنا قد تم الكلام فى كل ما اعترض به المبشرون على الدين الإسلامى الحنيف وأظن أن كل عاقل منصف ينظر فيما كتبناه هنا لا يسعه إلا أن يجزم بأن هؤلاء القوم قد خرجوا عن سنن المنطق الصحيح وتجاوزوا حدود الأدب مع خير كتاب وخير دين ويتضح له صدق قول الله تعالى: **«ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين»**[1] صدق الله العظيم .

- تم بحمد الله -

(١) سورة آل عمران : الآية ٨٥ .

الفهـــــرس

القســم الأول

تحريف التوراة والإنجيل ونسخهما

الأدلة على تحريف الإنجيل

الأدلة على تحريف التوراة

القسم الثانى

العقائد المتعلقة بذات الله سبحانه

القسم الثالث

مطاعن المبشرين فى صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم

القسم الرابع

رد شبه المبشرين ومطاعنهم في القرآن الكريم

رقم الإيداع / ٢٦٦٣ / ٩٦


